محمد ناصر

رئيس وزراء إندونيسيا

السيرة الفكرية والمسيرة السياسية



د. سوهيرين محمد صالحين
د. ناصر يوسف

العبيكان
Obeikan

شركة العبيكان للتعليم، 1440هـ فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر صالحين، سوهيرين محمد

محمد ناصر رئيس وزارة إندونيسيا: السيرة الفكرية والمسيرة السياسية./ سوهيرين محمد صالحين؛ ناصر يوسف.

الرياض، 1440هـ 448

ردمك: ٧-٢٩٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨

١- التراجم أ.يوسف، ناصر (مؤلف مشارك) ب. العنوان ديوي ٩٢٠ ١٠٢٨٩/ ١٤٤٠

الطبعة الأولى 1441هـ / ٢٠٢٠م

نشر وتوزيع العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية – الرياض طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: 4808654 11 966+، فاكس: 4808095 11 966+ ص.ب: 67622 الرياض 11517



إهداء

إلى من تفقَّدناهم لما فقدناهم

إلى رجال.. اشتغلوا في صمت

واستعذبوا عذاباتهم بلا صوت

إلى الذين لم يستسلموا للحياة

افتتاحية رئيس المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

أستفتح كلامي بالشكر لله سبحانه وتعالى، كما أهنىء الدكتور سوهيرين محمد صالحين والدكتور ناصر يوسف على هذا الإنجاز التاريخي والحضاري المتجلِّي في بحثهما ودارستهما حول أفكار المرحوم محمد ناصر الدينية والاجتماعية والسياسية؛ هذا المفكِّر الإنسان الذي ظل طوال حياته يدفع الظلم، ويفضح الفساد على المستويين السياسي والاجتماعي بطريقته الدعوية الحكيمة، التي هدف من ورائها تجسيد العدالة والمساواة برؤية إسلامية؛ حيث إن مفهوم العبادة عند محمد ناصر ليس مقصورًا على الجانب الروحي وحسب، بل يحفل بالنشاطات السياسية، لأجل إقامة العدل وتحقيق الحرية من منظور التوجيهات الربانية، وذلك من منطلق أن النشاطات الدعوية لا يمكن فصلها عن سياسة الدولة وإدارتها. وبعبارة أخرى رأى محمد ناصر أن الدين والدولة أمران لا يمكن الفصل بينهما؛ إذ إن مثل هذا الفصل سوف يؤدي في الأخير إلى علمنة المجتمع. وعليه فإن الإحاطة العلمية بإسهامات محمد ناصر في جوانبها المختلفة، لا سيما فيما يتعلق بأفكاره الإصلاحية، والعمل على نشرها، تعد في غاية الأهمية؛ حيث جاء هذا الجهد العلمي المناسب في وقت مناسب.

ومن أسفٍ أن الحركة الإصلاحية التي تزعَّمها الخبراء السياسيون، وعلى الرغم من أنها أتت مدعومة من قبل رجال العلم وطلبة الجامعات في إندونيسيا، لإسقاط نظام سوهارتو الديكتاتوري؛ لم تحقق الأهداف الحقيقية في دفع عجلة التقدم وتحصيل الرفاهية، بل مرقت منها ديمقراطية حرة ليبرالية، استغلَّتها فئات المجتمع، لا سيما نخبته، لتعزيز كيانها الإيديولوجي على حساب القيم الدينية. وقد ازداد الأمر سوءًا في ظل تنافس الأحزاب السياسية على المناصب الحكومية والبرلمانية؛ حيث باتت غير معنية بالبحث عن سبل التقدم وحماية حقوق الأمة، زيادة على أن الأحزاب الإسلامية قد رهنت مبادئها للسلطة الحاكمة؛ فانكشفت سوءتها، واختفت مظاهر المعارضة لديها، حفاظًا على مناصب قادتها، والإبقاء على عضويتهم في البرلمان من غير نقصان.

في ظل هذه الأوضاع السيِّئة التي يمر بها القادة الإسلاميون والقوميون في إندونيسيا، يُفترَض منهم الاستفادة من خبرات محمد ناصر القيادية؛ حيث مارس محمد ناصر السياسة بحنكة العارفين وبأخلاق العابدين، وهو وزير إعلام ورئيس وزراء. هناك ضرورة، أكثر من أي وقت مضى، لأن يستعيد أصحاب المناصب الرفيعة في الدولة أمانة محمد ناصر، ومدى إخلاصه للأمة، وكيفية تعامله مع الآخرين؛ إذْ وجدنا محمد ناصر في أيام رئاسته لحزب ماشومي، ومعارضته لنظام سوكارنو، يسير جنبًا لجنب مع مبادئ الحرية والعدالة. وإن الأمر الذي لا يمكن تجاهله هي أخلاقه

العالية في تعامله مع المختلفين معه، سواء أكانوا ساسةً كبارًا أم أعضاءَ برلمانٍ، بيدهم الحل والربط.

وكما هو معلوم؛ فإن محمد ناصر عاش محرومًا من المشاركة السياسية في أواخر عهد سوكارنو. وبعد تهميشه من الدوائر الحكومية في عهد سوهارتو، ارتأى أن يقضي حياته في النشاطات الدعوية، عبر المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية، الذي أسَّسه قادة حزب ماشومي بعد إطلاق سراحهم من سجون سوكارنو عام 1966م. لم يكن محمد ناصر يفرِّق بين النشاطات السياسية والدعوية؛ إذ كلاهما في نظره مترابطان ومتلاحمان، بحيث يهدفان إلى تحصيل العدل، وتحقيق الحرية، وتعزيز الرفاهية، وخدمة المجتمع من غير تفرقة عرقية أو جنسية. ولا غرابة إذًا؛ فبعد أن تمَّ حرمانه من العمل السياسي في عهدي سوكارنو وسوهارتو، استمرَّ محمد ناصر في خدمة الوطن والمجتمع دعويًّا؛ حيث رأى محمد ناصر، أو هكذا كان يؤمن، بأنه لا فرق بين العمل السياسي والدعوي؛ إذ إن الهدف الأسمى هو محاربة الفساد، والظلم والاستبداد، والاحتكار والاستغلال في الدولة والمجتمع.

وفي أواخر حياته قام محمد ناصر أمين الأمة بتحذير المسلمين من خطورة النشاطات التبشيرية؛ حيث طالب باستخدام الوسائل الحضارية، لدفع شر التبشير عن المسلمين المسالمين. كما أنذر رؤساء الهيئات الإسلامية، ونبَّههم لخطورة مخططات التنصير المدعومة من حكومة سوهارتو، لا سيما بعد أن انتهز مجلس الكنائس الإندونيسي فرصة مناخ الديمقراطية الحرة، بل نرى وتيرة التبشير قد تسارعت بعد انهيار نظام سوهارتو، ومجيء حكومات إصلاحية أكثر انفتاحًا؛ حيث توسَّعت الحركة التبشيرية في الوقت الحالي، وبسطت نفوذها في عهد ميجاواتي سوكارنو، التي كانت رئيسة للبلاد في مطلع القرن الحالي.

ومما لا شك فيه أن ما قام به الدكتور سوهيرين محمد صالحين والدكتور ناصر يوسف حول دراسة أفكار محمد ناصر الدينية والسياسية والاجتماعية، يستحق التقدير والتنويه؛ وذلك لإبرازهما القيمة العلمية والعملية لمحمد ناصر، ودوره التاريخي والحضاري في تأسيس دولة إندونيسيا.

نسأل المولى سبحانه وتعالى أن تستفيد الأمة الإسلامية من هذا الكتاب الرائد، وبالخصوص القادة ورؤساء الأحزاب الإسلامية؛ لأخذ العبر والدروس من سيرة المفكِّر الجليل محمد ناصر ومسيرته؛ هذا السياسي الإنسان، الذي تولَّى أول منصب رئيس وزراء في تاريخ إندونيسيا المعاصر.

دكتور اندوس محمد صديق

رئيس المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية

جاكرتا، 5 فبراير 2017م.

* * * *

كلمة رئيس مجلس العلماء الإندونيسي ورئيس جمعية نهضة العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

لا نرى الحديث عن محمد ناصر يكتمل من غير الإحاطة بإسهاماته الكبرى في تأسيس دولة إندونيسيا، منذ أول نشأتها، زيادة على أفكاره الإصلاحية والاجتماعية، التي توائم بين الأمور الدينية وسياسة الدولة. محمد ناصر ليس فقط ذلك الزعيم الوطني؛ وإنما هو أيضًا رائد من الرواد الكبار، ومفكِّر من المفكِّرين الإسلاميين البارزين في التاريخ الإندونيسي المعاصر؛ حيث انداح نفوذه محليًّا وإقليميًّا وعالميًّا.

لقد خاض محمد ناصر منذ شبابه غمار الصراع الفكري، مع منافسه أحمد سوكارنو حول مبادئ الدولة ودستورها. وإن الدولة على حد قول محمد ناصر: لا يمكن لها تحصيل التقدم الحقيقي، من غير اتخاذ الحكم الشرعي، مصدرًا رئيسًا للأنظمة والقوانين، علمًا أن محمد ناصر قضى حياته في خدمة الإسلام والدولة؛ فلم يوظِّف مكانته الرفيعة لأغراض شخصية وأطماع آنية، وإنما دافع بإخلاص العابدين عن حقوق المواطنين كافة، من غير تفريق أو تمييز. هذا وقد كانت زعامة محمد ناصر وقيادته محل إجماع، لدى معظم فئات المجتمع؛ ففي أول مؤتمر إسلامي انعقد في مدينة يوكياكرتا عام 1947م، وبعد عامين من استقلال إندونيسيا من قبضة الاستعمار الهولندي، اتفق رؤساء الهيئات الإسلامية، خاصة جمعية نهضة العلماء، التي تعد أكبر الجمعيات في إندونيسيا، والمحمدية، وهيئات إسلامية أخرى، مثل جمعية الإرشاد والاتحاد الإسلامي، على اختيار محمد ناصر رئيسًا لحزب ماشومي. إن مثل هذا الإجماع على شخصية محمد ناصر الديمقراطية، جاء نتيجة التميز الفكري والسياسي والقيادي، الذي ينفرد به محمد ناصر عن أقرانه؛ إذْ ظل محل تقدير واحترام كبيرين في المجتمع الإندونيسي المسلم. وعلى الرغم من أن التاريخ قد سجَّل بأن وحدة الأمة الإندونيسية الإسلامية كانت على وشك الاكتمال، بعيدًا من التعصُّب المذهبي؛ إلا أن هذه الوحدة الإسلامية لم تستمر طويلًا؛ حيث أصابتها الانشقاقات والاختلافات، فتصدع بنيانها، نظرًا إلى تنافس زعماء المسلمين فيما بينهم، لتحصيل منافع دنيوية ومصالح متعارضة مع مبادئ القيم الدينية والرسالة الربانية.

وحسب معرفتي؛ فإن محمد ناصر يقف على أفق فكري واسع في أمور دينية وسياسية، تعد أكثر إشكالًا وأعمق نظرًا، فضلًا عن أنه يحوز الفهم العميق لأصول الثقافة الغربية في إيجابياتها وسلبياتها. ومن ثم على الذين يرغبون في التعمق في دراسة فكره، ألا يغفلوا عن مؤلفاته، التي تناقش بعض المسائل الفكرية الغربية من منظور علمي؛ حيث أكد محمد ناصر على أهمية الممارسة الفكرية، وإعمال العقل خاصة في الأمور المتعلقة بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية، وكذلك العلوم

التقنية، بوصفها وسائل نبيلة لتقدم الدولة. إضافة إلى ذلك فإن محمد ناصر يتميَّز بشخصية علمية ودينية، ما برحت تنقد بأسلوب حضاري الفكر الغربي الذي يتعارض مع القيم الدينية.

يتميَّز محمد ناصر كل التميز عن غيره، بامتلاكه مهارات عالية في الكتابة والتأليف؛ حيث عبَّر عن أفكاره بأسلوبه السهل الممتنع؛ فكان له قرَّاؤه الكُثر في جميع المجالات الفكرية والدينية والدعوية؛ ما جعل سوكارنو يختاره وزيرًا للإعلام. وحسب المصادر التي بين أيدينا؛ فإن سوكارنو كان يعتمد على محمد ناصر في إعداد كلماته، لا سيما في أعياد الاستقلال والمناسبات الوطنية. وجدير بالذكر أن محمد ناصر يعد من رواد الفكر الإسلامي، زيادة على أنه يجيد ست لغات عالمية، هي: العربية، والفرنسية، والإنجليزية، والإغريقية، والهولندية، إضافة إلى اللغة الإندونيسية. وليس من الغرابة إذًا أن نجد محمد ناصر يمتلك ثقافة موسوعية، أغنت مؤلفاته خاصة كتابه المشهور: مختارات أساسية «Capita Selecta»، الذي يضم أفكارًا فلسفية، تتميَّز بالعمق؛ حيث يقارن فيها بين الإسلام والحضارة الغربية.

لقد كان لمحمد ناصر إنجازات كبرى، سجَّلها التاريخ المعاصر لدولة إندونيسيا، التي لا يمكن الإغفال عنها؛ حيث ناضل نضال المستميتين من أجل إندونيسيا واحدة، كما رفض بشدَّة تقسيم إندونيسيا إلى دويلات وأقاليم وجزر. لقد كان ذلك من الردود الصادقة والمخلصة لمحمد ناصر على أطماع الهولنديين في السيطرة من جديد على إندونيسيا، وتقسيمها إلى 17 دويلة فيدرالية، وذلك طبعًا بعد نيل استقلالها عام 1945م. وفي 3 أبريل 1950م ألقى محمد ناصر خطابًا سياسيًّا ملهمًا أمام البرلمان، عبَّر فيه عن عدم ارتياحه لسياسة الإدارة الهولندية الاستعمارية؛ حيث أثار فكرة الدولة الموحدة، وعدَّ التقسيم جريمة دولية بحق إندونيسيا المستقلَّة، ينبغي التصدي لها بكل الوسائل المتاحة. لقد حصل مقترَح محمد ناصر على التأييد الكامل من البرلمان، الذين نوَّه أعضاؤه بحكمة محمد ناصر ووطنيته.

ونظرًا إلى تلك الإسهامات والإنجازات الكبرى لمحمد ناصر؛ فإنه في عام 1996م، وبعد وفاته بثلاث سنوات، طالب مجلس العلماء الإندونيسي من الدولة تكريمه ومنحه وسام الدولة بوصفه بطلاً قوميًّا، وذلك احترامًا لجهوده الفكرية ومواقفه السياسية، فضلًا عن تفانيه في خدمة الدولة والدين في إندونيسيا؛ ولكن ما يؤسف له أن قرارات الدولة في هذا الشأن كانت بطيئة لأسباب غير مفهومة، وأن قرار منح محمد ناصر وسام الدولة «درجة بطل قومي» كان عام 1998م، في عهد الرئيس برهان الدين حبيبي، وذلك بعد انهيار نظام سوهارتو.

إن الجهود العلمية التي بذلها الدكتور سوهيرين محمد صالحين والدكتور ناصر يوسف في تأليف هذا الكتاب الجدير بالقراءة، سوف تظل محل تقدير وإعجاب، نظرًا إلى مبسوطات هذا الكتاب غير المسبوق، الذي تناول سيرة محمد ناصر الدينية، ومسيرته السياسية، بلغة عربية مبينة، زيادة على ما حوى من إسهامات محمد ناصر الوطنية والدينية؛ حيث نأمل في أن يقتفي كبار المسؤولين وزعماء المسلمين ورؤساء الجمعيات والهيئات الإسلامية أثر محمد ناصر في كل صغيرة وكبيرة

كانت، ولا تزال، محل إجماع عقلاء الأمة الإندونيسية، كما نهيب بهم الاقتداء بسيرته العطرة في وظائفهم الحكومية والاجتماعية؛ حتى يخلصوا النيَّة في أعمالهم المسؤولة لوجه الله سبحانه وتعالى.

كياهي الحاج معروف أمين

رئيس مجلس العلماء الإندونيسي ورئيس جمعية نهضة العلماء

جاكرتا، 20 فبراير 2017م.

* * * *

تقديم مدير الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا الأسبق

إن من يبحث في سيرة محمد ناصر ومسيرته، سيجد نفسه أمام شخصية إندونيسية نادرة في عصرها وبيئتها. ولنا أن نقف على تلك الشخصية الفذَّة، ونستطلع كنهها من قول جورج ماك تورنان كاهن الخبير الأمريكي في الشؤون الإندونيسية؛ إذ سبق وأن قابل محمد ناصر عام 1948م، فكان موضع إعجابه واهتمامه؛ حيث عدَّه أحد أهم الزعماء الوطنيين في تاريخ إندونيسيا المعاصر، كما صنَّفه في خانة السياسيين الإسلاميين المعتدلين، من منطلق أنه شخصية إسلامية ديمقراطية، يعز نظيرها في العصر الحديث.كما وقف كاهن على سلوكيات محمد ناصر وتصرفاته، وإخلاصه وأمانته، وتفانيه في خدمة الدين والدولة، واعتبر أن كل ذلك كان السبب الرئيس في تنامي سمعته المحلية والدولية، نظرًا إلى أن حياة محمد ناصر اتصفت بالبساطة والتواضع على المستويين الفردي والاجتماعي. ويستطرد كاهن قائلًا: لما قابلت محمد ناصر في عام 1948م، وكان في ذلك الوقت وزيرًا للإعلام، وجدته يلبس بدلة قديمة عليها آثار الخياطة اليدوية.

لقد تنوَّعت نشاطات محمد ناصر التربوية والاجتماعية والدعوية والسياسية؛ حيث وهبه الله سبحانه وتعالى مهارة الكتابة، وفن التأليف، وحسن القيادة؛ حتى عُدَّ من السياسيين الوطنيين والإسلاميين البارزين إقليميًّا وعالميًّا. وفي فترة الاحتلال الياباني لإندونيسيا «1942-1945م» تولى محمد ناصر رئاسة الوحدة التربوية لمدينة باندونج بجاوا الغربية. وإذِ انتهز محمد ناصر هذه الفرصة التاريخية؛ فإنه قام بإدراج المواد الدينية في برامج التعليم، وواءم بين العلوم النقلية والعقلية؛ ما جعله يسهم لاحقًا في إنشاء جامعات إسلامية في وطنه إندونيسيا.

من وجهة أخرى يعد محمد ناصر أحد أهم الزعماء الوطنيين، الذين أسهموا في تأسيس دولة إندونيسيا على مبادئ الإسلام؛ بينما منافسه أحمد سوكارنو الذي هو من رواد الفكر القومي، فقد أدَّى دورًا مهمًّا وخطيرًا في إرساء الدولة على مبادئ القومية الغربية العلمانية. لقد سجَّل تاريخ إندونيسيا المعاصر أنهما خاضا في النقاش حول مبادئ الدولة منذ شبابهما قبيل الاستقلال، وعلى الرغم من أنهما كانا في صراع شديد حول فلسفة الدولة من المنظورين الإسلامي والغربي؛ إلا أن سوكارنو لما صار على رأس الدولة، قام باختيار محمد ناصر لتولي منصب رئيس الوزراء، وكان قبل ذلك قد عيَّنه وزيرًا للإعلام والاتصال.

يتميَّز محمد ناصر بشخصية اجتماعية جذَّابة؛ حيث إنه على الرغم من صراعه الفكري الإسلامي مع رواد العلمانية والشيوعية والنصرانية؛ إلا أنه كانت تجمعه علاقات ودية مع من كانوا يختلفون معه. وإن مثل هذه المواقف الإنسانية تكاد تكون عملة نادرة، يفتقر إليها القادة السياسيون. وحينما غزت الدولة تيارات هدَّامة تمثلت في المنظمات التبشيرية في عهد سوهارتو، قام محمد ناصر

بالتصدي لها؛ حيث نشر المقالات لتوعية العامة والنخبة، ووجَّه النداءات إلى رجال الحكومة، لاتخاذ الإجراءات الحاسمة للحدِّ من هذه الظاهرة الخطيرة، التي تعصف بمستقبل إندونيسيا، كما طالب المسؤولين النافذين في الدولة بوضع قواعد ولوائح فيما يتعلق بنشر الديانات في أوساط المجتمع، مؤكِّدًا على خطورة الأمر في ظل ارتداد المسلمين، وإن ذلك يستدعي الوقوف في وجه هذه التيارات الهدَّامة بحزم وحسم شديدين. ولأجل الحفاظ على التعايش السلمي بين معتنقي الأديان، اقترح محمد ناصر على رئيس الدولة عقد حوار وطني بين ممثلي الأديان. ومن المؤسف أن جميع النداءات والاقتراحات الإيجابية من قبل محمد ناصر قد باءت بالفشل، نظرًا إلى عدم جدية الحكومة؛ فلم تأخذ الأمر على محمل المراقبة لتلك النشاطات التبشيرية، التي تنامت وتيرتها ما بعد انهيار نظام سوهارتو. إن أفكار محمد حول التعايش السلمي بين معتنقي الأديان، التي قدَّمها على شكل اقتراحات وتوصيات، راحت هباءً منثورًا. وكان من نتائج ما حذَّر منه محمد ناصر، حصول صدام دموي في بعض المناطق، بسبب تلك النشاطات غير الإنسانية.

إن محمد ناصر، وبوصفه زعيمًا وطنيًّا، يتحلَّى بشخصية ديمقراطية، قد قضى بقية حياته محرومًا من ممارسة النشاطات السياسية، وذلك للحدِّ من نفوذه الواسع في المجتمع، وتأثيره الذي كان يقلق السلطة، التي همَّشت الأمة. لا سيما أن محمد ناصر كان مهتمًّا كل الاهتمام بنهضة الأمة، وإصلاح ما أفسدته سلطة سوكارنو، زيادة على التزامه الواعي بالقيم الروحية والدينية، والعمل على الأخذ بها من أجل إيجاد حلول للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية والأسرية.

إن هذا الزعيم العظيم في أرخبيل الملايو بعامة وفي إندونيسيا بخاصة، قد عاش محرومًا في وطنه الذي هندس استقلاله وصنع أمجاده. وإن شخصيته العظيمة وإسهاماته في مجال التربية والدعوة، زيادة على مواءمته بين الدين والدولة، ستظل محل اهتمام كل مثقف عاقل ملتزم بنهضة آسيا المسلمة.

وفي الأخير، أودُّ التنويه بما قام به الدكتور سوهيرين محمد صالحين والدكتور ناصر يوسف من جهود علمية جادَّة، لإحياء تراث محمد ناصر الديني والسياسي والفكري والفلسفي بلغة عربية، لا شكَّ في أنها ستغني المكتبة العربية، وستزيد في رصيد المثقف العربي الذي يتشوَّف إلى معرفة طريقة تفكير الملايويين المسلمين، وكيفية معالجتهم للقضايا الدينية والسياسية، لا سيما أن القارئ العربي سيقف على شخصية نادرة كانت على رأس الدولة؛ بينما ظلَّت تحرص على الجمع بين الدين والسياسة، بخلاف ممن قضوا حياتهم في منصب كبير وحسَّاس كهذا، ولم يفكِّروا إطلاقًا في أن يجعلوا من الإسلام أساس الدولة، كما جاهر بذلك بطل هذا الكتاب؛ إنه محمد ناصر الإنسان ورئيس الوزراء، وأحد أفضل أمناء الأمة الإسلامية في القرن العشرين.

تان سري الأستاذ المبرز الدكتور محمد كمال حسن

أستاذ كرسي ابن خلدون ومدير الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا سابقًا

كوالالمبور، 27 فبراير 2017م.

* * * *

تصدير محمد ناصر كما قرأته

يستعرض هذا الكتاب حياة الدكتور محمد ناصر رئيس الوزراء في فترة حكم سوكارنو لإندونيسيا، بعد استقلالها مباشرة عام 1945م. كما يستعرض مواقف المفكِّر محمد ناصر الدينية والسياسية والاجتماعية؛ فلم يكن ناصر رئيس وزراء وحسب، بل كان أيضًا مفكِّرًا. إن فكره هو الذي أوصله إلى سدَّة الوزارة؛ لأن سوكارنو الذي اختاره وزيرًا، كان هو الآخر مفكِّرًا على طريقته الخاصة.

لم يحكم إندونيسيا سياسيون محترفون وحسب، بل حكمها أيضًا سياسيون مفكِّرون؛ ولهذا تداخلت السياسة بالإيديولوجيا، حتى صارت الدولة في قلب المعترك الفكري؛ كل واحد يفرض أفكاره التي يرتضيها إطارًا فلسفيًّا للدولة. وقد انعكس هذا الصراع الفكري السياسي على المجتمع الديني والثقافي الذي عالج هو الآخر قضاياه من منظور فلسفي إيديولوجي.

قبل عثرة سوكارنو كان الصراع الفكري إسلاميًّا-شيوعيًّا، وفي فترة سوهارتو كان الصراع الفكري إسلاميًّا-ليبراليًّا. وقف محمد ناصر بين هذين النظامين راصدًا وناقدًا؛ كان ينقد ويأتي بالبديل الذي كان مرفوضًا، جملةً وتفصيلاً، من النظامين الحاكمين؛ حتى إن حزبه ماشومي تمَّ حرمانه من المشاركة السياسية، لأن صوت محمد ناصر الذي صدح عاليًا بالحق، كان بعبعًا يخافه سوكارنو وسوهارتو؛ وهما ما هما عليه من طاغوت وجبروت.

إن من يعيش مع محمد ناصر، أو يقرأ له، أو حتى يسمع عنه، يلفي نفسه مرغمًا على حبه مغرمًا به، وعازمًا كل العزم على الوقوف عند أدق تفاصيل حياته.

رجل مثل محمد ناصر عملة نادرة، ليست قابلة للسكِّ، وحكاية غير عابرة، بل حاضرة في وجدان كل إنسان في قلبه إنسان.

لقد جمع محمد ناصر بين براءة الطفولة وجراءة الرجولة؛ فأحبَّه أغلب الجماهير، وأبغضه بعض المشاهير؛ ليس لأنه يطلب شهرة، بل لأنه لا يريدها؛ إذْ كان يعارض من يطلبها على حساب راحة الجماهير وأمنهم ومعيشتهم.

عاش محمد ناصر يدافع عن المحرومين والفقراء، بينما هو وزير ورئيس وزراء. إنه الرجل الاستثناء، الذي أثنى عليه العارفون والعالمون. لقد خرج من الوزارة، لأنها انقلبت عليه وزْرًا، بعد أن خاف على نفسه التي وهبها لخدمة أمَّته، ليس من علوٍّ يعلو بالمن والغلو؛ ولكن خدم أمَّته بعلوِّ همَّة، تسامقت مع سموِّ المهمَّة وتعانقت.

إذًا محمد ناصر كان أمَّة داخل دولة تحقر أمَّة. لم تكن الدولة تخاف من الأمَّة، مثلما كانت تهاب محمد ناصر، وتصاب بالذعر إذا خطب في الأمَّة؛ فإذا غابت أمَّة حضرت أختها، وهذا ما كان يقلق الدولة ويخيفها. رحل محمد ناصر الأمَّة، وبقيت الأمَّة التي خطب فيها، منقسمة على حالها، وعاجزة عن تحقيق أحلامها؛ لأن الدولة وقتذاك أفسدت حال الأمَّة، وسرقت منها أحلامها، وضاعفت آلامها. لقد اغتيل حلم الأمَّة، وبقي محمد ناصر وحده حلمًا مزعجًا للطغاة ومبهجًا للبناة.

لقد وضع محمد ناصر تصوُّرًا كاملاً لمشروع حضاري كبير، نهيب بعقلاء الأمَّة الإندونيسية جمعه وترجمته إلى واقع، يزاحم ما هو معروض على هذه الأمة، ومفروض من نماذج إنمائية، لا تمتُّ لبيئتها بصلة. إن الأمَّة الإندونيسية المكلومة بحاجة، من أي وقت مضى، إلى توأمها محمد ناصر، بوصفه أمَّة مظلومة؛ فأمَّتان متفاهمتان داخل دولة أفضل من أمَّة واحدة مقسومة ومسقومة. هذه الوحدة المرتجاة مطلوبة حاليًّا بين أطياف الأمَّة بكثرتهم، وبين من كانوا أمَّة بتراثهم.

يعد محمد ناصر أحد أبرز رجالات الإصلاح في إندونيسيا بخاصَّة وفي العالم الإسلامي بعامَّة. لقد أسهم وهو وزير للإعلام في صدِّ المخطَّطات الهولندية، التي كانت تسعى إلى إرجاع إندونيسيا المستقلَّة إلى سابق عهدها الاستعماري، كما جاهد في سبيل أن ينقذ بلده إندونيسيا من فمِ الغول الشيوعي، الذي التهم سوكارنو نفسه.

وقف محمد ناصر معارضًا سياسيًّا زيادة على أنه اجتهد جهده العظيم في توعية المسلمين بدينهم، وتذكيرهم بقضيتهم التي من أجلها هم مسلمون، ومن أجلها أيضًا ضحَّى آباؤهم وأجدادهم؛ حيث كان كل أملهم في أن يستمروا على عهد الله ورسوله ويستبشرون خيرًا بأحفادهم.

وقف محمد ناصر في وجه الموجة الليبرالية العاتية؛ عدَّد مساوئها، ثم نقدها وفنَّدها، وبعد ذلك راح يحذِّر الجيل المسلم من الاغترار بمبادئها؛ فما في الإسلام سابق غير مسبوق، ومن الأولى أن ننبش في أوراقه، وننكش في أعماقه، عسى أن نجترح منه النموذج الحضاري البديل؛ فلا نكون أمَّة ذبيحة، ولا دولة جريحة.

إن التبعية للآخر من منظور محمد ناصر الحضاري هي التي تجعل الدولة ضد الأمَّة؛ لأن الدولة في أصلها تابعة، والأمَّة من طبعها عاتبة. وإن عتبَ الأمَّة على سيِّدتها، لا سيما إذا كانت مهزومة مثل الدولة، يجعلها أمَّة محرومة. ولا شكَّ في أن من يدافع عن حقوق الأمَّة سيُحرم هو الآخر من حقوقه السياسية، كما جنت الدولة على محمد ناصر.

إذًا محمد ناصر لم يخرج من الأمَّة ليعود إليها، بل ظلَّ لزًّا بها، وهو أمَّة في قلب دولة. وعندما خرج من الدولة انتصرت الأمَّة لتوأمها الأمَّة وخسرت الدولة. وما زالت تخسر إذا لم تنتصر لرجالات هم أمَّة أمثال محمد ناصر الذي كان وحده أمَّة.

رحم الله محمد ناصر الذي رحم نفسه، وهو في عثرة الدولة، ورحم غيره وهو ثمرة الأمَّة.

رحم الله محمد ناصر الذي احتضنته الأمَّة، فكانت أمَّة تنضاف إلى أمَّة. إنه رجل الإصلاح في دولته وأمَّته. رحل ، وحال لسانه يردِّد ما جاء في الآية الكريمة: { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: 88].

ناصر يوسف

ڤومباك-ماليزيا

18 أكتوبر 2016م.

* * * *

مقدمة محمد ناصر كما عرفته

تعرَّفت إلى محمد ناصر منذ أن كنت في ريعان الشباب، وتحديدًا في منتصف الستينيات من القرن الماضي، يوم أن كنت أنتسب إلى أحد المعاهد الدينية العريقة، وأقصد المدرسة الوطنية الإسلامية، التي تقع في إحدى المناطق الريفية بجاوا الوسطى. لقد استمعت إلى محاضرات محمد ناصر عبر أشرطة الكاسيت، وهي محاضرات تتناول جوانب روحية واجتماعية وسياسية في حياة الأمة الإندونيسية؛ حيث نالت إعجابي، وهي تلقى علينا منسابة تسبر عن معدن حكمة صاحبها، وتخبر عن خبرته الكبيرة في معترك الحياة؛ إذ هزَّت مسامعي ومسَّت مشاعري؛ لا سيما أن محمد ناصر كان كثيرًا ما يردِّد القول: إن الرسالة المحمدية ليست فكرًا فلسفيًّا غامضًا، وإنما هي رسالة تستهدف معالجة قضايا الناس على اختلاف مشاربهم. علمًا أن محمد ناصر كان في ذلك الوقت قد تمَّ إطلاق سراحه من السجن، بسبب مشاركته في الحركة الثورية، التي تزعَّمها بعض الجنرالات ضد سياسة سوكارنو الظالمة، التي خالفت مسار الدستور، ونظام الحكم في الدولة؛ حيث كانت مواقف محمد ناصر محل تقدير لدى الإندونيسيين المسلمين، فضلًا عن الكتاب والباحثين العالميين.

وإذِ انتاب محمد ناصر القلق لعدم تمكُّنه من مواصلة الدراسة في المرحلة الثانوية بسبب ضيق ذات اليد؛ فإني واجهت المشكلة المالية نفسها. لقد بلغني وقتذاك أن محمد ناصر له سمعة كبيرة في العالم الإسلامي، وأنه مهتم بابتعاث شباب المسلمين، لمواصلة دراستهم في الجامعات العربية والإسلامية. وإذِ اهتبلت هذه الفرصة، فإني عزمت -بعد الانتهاء من دراستي في المرحلة الثانوية- على مقابلة محمد ناصر في مدينة جاكرتا. وفي الحقيقة إنني كنت أتشوَّف إلى مواصلة دراستي في يوكياكرتا، مثل باقي الشباب المسلمين؛ حيث توجد هناك جامعة إسلامية حكومية، غير أن طموحي لم يتحقَّق، فقد وقع في فراغ حافظتي المالية وسقط، ومن ثم انكسر خاطري؛ فبحثت هنا وهناك عمن يجبره.

ونظرًا إلى الظروف المالية الصعبة، التي حالت دون تحقيق طموحاتي، فقد أبلغت والدي بأني عقدت العزم على مقابلة محمد ناصر في جاكرتا، عسى أن يساعدني أو يرشدني لما هو أحسن لي وأفضل؛ ولمَ لا، وهو سيد العارفين في إندونيسيا؟ كان ردُّ والدي: يا ولدي أنَّى لك أن تقابل محمد ناصر، وهو مَن هو! إنه صاحب المقام العالي، ورئيس وزراء في وقت سوكارنو، زيادة على أنه من عائلة مشهورة، بينما أنت من عائلة مغمورة؟ فأجبتُ والدي، قائلاً: لقد سمعت أخبارًا طيِّبة عن محمد ناصر من قبل زعماء حزب ماشومي، يوم كنت أدرس في المعهد الديني. علمت من أقراني أن لمحمد ناصر نفوذًا واسعًا، وسمعة طيبة في العالم العربي، وأنه يهتم بابتعاث شباب المسلمين لمواصلة دراستهم في العلوم الشرعية، أملاً منه في أن يكونوا دعاة عاملين، من أجل نهضة الأمة.

يا أبتِ إن محمد ناصر زعيم شعبي ووطني، يتميَّز بشخصية عاملة وفاعلة، وقد وهب نفسه لمساعدتنا نحن الشباب المسلم الطامح للعلا.

بعد استئذان والدي وطلب رضاه، سافرت إلى مدينة جاكرتا عام ١٩٧٠م لمقابلة محمد ناصر في مكتبه؛ حيث كان يشغل منصب رئيس المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية. وحينما وصلت، وكان عمري 18 عامًا، أبلغني السكرتير أن محمد ناصر يتعافى من المرض الذي ألمَّ به؛ ولكن يمكنك مقابلته بعد ثلاثة أيام. جئت في الموعد المقرَّر، الذي اعتبرته موعدًا تاريخيًّا؛ وكم كانت فرحتي عظيمة، وهو يستقبلني ويصافحني ويبتسم في وجهي. قلت له: إني سمعت عنكم، وقرأت لكم، واليوم أنا سعيد غاية السعادة، لأني أرى محياكم، وأقف على مسعاكم.

دعا محمد ناصر معاونه الخاص، وهو أحد الخبراء البارزين والمتخصصين في اللغة العربية وآدابها، لكي يمتحنني في مدى معرفتي بالعلوم الإسلامية واللغة العربية. لقد أعجبت أيما إعجاب بسلوكيات محمد ناصر وأخلاقياته؛ إذ إنه رجل معروف، وصاحب جاه ونفوذ، بينما كان يحاورني وكأنه يعرفني؛ فلم يشعرني بأنه عظيم أمامي، بقدر ما أشعرني بأنني عظيم أمامه. لقد تعهَّد لي بأنه سيكتب خطابًا إلى مدير جامعة الملك عبدالعزيز يطلب انتسابي للجامعة هناك. شعرت بفرحة عارمة؛ إذ وقفت بنفسي على مدى صحة اهتمام محمد ناصر بمساعدة الشباب المسلمين، لخدمة الأمة الإسلامية ومواجهة التيارات الفكرية الهدَّامة.

جاء موعد السفر إلى المملكة العربية السعودية عام 1973م، حيث أرفقت معي خطاب التزكية الخاص من محمد ناصر، لمقابلة الدكتور محمد عبده اليماني مدير جامعة الملك عبد العزير بجدة؛ ولكن من سوء حظي أني وجدت الدكتور اليماني قد تمَّ تعيينه وزيرًا للإعلام، حيث انتقل إلى مكتبه الجديد في الرياض.

شعرت باليأس، وخلت أن الدنيا أظلمت في وجهي. أبلغت محمد ناصر عما حدث معي، وأن الأمور ليست في صالحي. لقد نصحني بالسفر إلى القاهرة للالتحاق بجامعة الأزهر الشريف. وعندما التحقت بجامعة الأزهر بقيت على اتصال دائم بمحمد ناصر، لا سيما فيما يتعلق بالنشاطات الدعوية في أوساط الطلبة الإندونيسيين، زيادة على استفساره في بعض المعلومات حول تطور الوضع السياسي؛ حيث كان نظام سوهارتو، وقتذاك، قد اتخذ بنتشاسيلا مرجعًا ملهمًا لجميع النشاطات الدينية، إذ عدَّ بنتشاسيلا دينًا جديدًا، بديلاً عن التعاليم الربانية؛ ما أوقعنا نحن الطلبة الذين كنا نعارض بنتشاسيلا تحت رقابة سفارة إندونيسيا بمصر؛ فكنا نحتاط لأمرنا.

وبعدما أنهيت دراستي الجامعية الأولى في القاهرة، رأيت أن أتخصص في الدراسات التبشيرية في المؤسسة الإسلامية ببريطانيا؛ وقد دفعني إلى ذلك أن بلدي إندونيسيا مهدَّدة بالنشاطات التبشيرية التي لا يمكن إيجاد الحلول لها، إلا باتباع إستراتيجية مناسبة تقف على فلسفتها وأهدافها، والوسائل التي تسلكها في نجاحها.

لقد بعثت خطابًا إلى الأستاذ خورشيد أحمد مدير المؤسسة الإسلامية، وهو أحد أصدقاء محمد ناصر، أعبِّر فيها عن رغبتي في التخصص في الدراسات التبشيرية، وقد أوضحت في رسالتي الأسباب التي دعتني إلى اختيار دراسة النشاطات التبشيرية في إندونيسيا؛ حيث أبلغته أن التبشير في إندونيسيا لا يمكن مقارنته مع أي دولة أخرى؛ إذ إنه مدعوم من قبل دول غربية كبرى، عبر مجلس الكنائس العالمي، الذي يقوم بارتداد المسلمين الإندونيسيين عن دينهم، وتبديله بالديانة النصرانية. لقد كان رد الأستاذ خورشيد إيجابيًّا وتعاطى مع اختياري التخصص في النشاطات التبشيرية، لإيجاد حلول لمشكلات المسلمين، ومن ثم التصدي للتنصير في إندونيسيا؛ ولكنه عبَّر عن أسفه الشديد لعدم قدرة المؤسسة الإسلامية على تمويل دراستي، ومع ذلك رحَّب بي في المؤسسة الإسلامية إذا وجدت تمويلاً من جهات محسنة وداعمة.

خاطبت محمد ناصر أطلعه على الأمر؛ فأجابني بأنه يبحث عمن يمكنه تمويل دراستي حول النشاطات التبشيرية في المؤسسة الإسلامية ببريطانيا. بعث محمد ناصر خطابًا إلى معالي الدكتور عبدالله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، يشرح له فيها أهمية الدراسة في مجال التنصير بالنسبة إلى طالب إندونيسي متحمِّس لهذا الغرض النبيل، حيث طلب منه تمويل مشروع دراستي. لقد وافق الدكتور عمر نصيف على التكفل بمنحة الدراسة، بشرط أن أكون داعيًا في كل الأحوال، وخطيبًا باللغة الإنجليزية يوم الجمعة، ومسهمًا في الندوات العلمية تحت إدارة الهيئة الطلابية ببريطانيا.

سافرت إلى بريطانيا عام 1986م للتخصص في المخططات التبشيرية في العالم الإسلامي، وكنت ألقي خطبة الجمعة تحت إشراف الجمعيات الطلابية الإسلامية في أغلب جامعات بريطانيا. وإضافة إلى ذلك قمت ببعض النشاطات التدريبية الإسلامية في أوساط الطلبة الإندونيسيين بجامعات بريطانيا ومعاهدها؛ حيث عملنا ملتقيات علمية على مدار السنة، كان يشارك فيها الطلبة من جميع أنحاء بريطانيا. ومن حين لآخر كنت أتصل بالمجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية تحت رئاسة محمد ناصر، أطلب منه إرسال بعض المحاضرين من إندونيسيا لإلقاء الضوء على التطورات الاجتماعية والسياسية في ظل نظام سوهارتو.

لقد استمرت العلاقة بيني وبين محمد ناصر؛ حيث ظل مهتمًّا بالنشاطات الدعوية في أوساط الشباب المسلم. وجدير بالذكر أنه أثناء إقامتي الدعوية في بريطانيا، اهتبلت الفرصة، وسجلت في سلك الدكتوراه بجامعة برمنجهام، كما اشتغلت ما بعد الدكتوراه باحثًا مساعدًا في كلية أكسفورد للدراسات الإسلامية؛ حيث كان محمد ناصر عضوًا فاعلاً في المجلس التأسيسي لتلك الكلية المشهورة في بريطانيا.

بوفاة محمد ناصر عام 1993م، شعرت أني فقدت سندًا رحيمًا، كما فقدت إندونيسيا رجلاً عملاقًا مصلحًا وأمينًا، تعجز عن أن تأتي بمثله لسنين مئين. حزنت لوفاته، فكان بمثابة الوالد الحنون،

وحزنت أكثر لأن يد المنون لم تمهله لتصفح كتابي، الذي صدر في المؤسسة الإسلامة ببريطانيا عام وفاته؛ رحمة الله عليه واسعة.

في ظل هذه الأحداث المتلاطمة والسنوات المتراكمة، اتخذت قرارًا نهائيًّا بالعودة إلى أرض الوطن وكان ذلك عام 1995م، وبعد مكوث طويل في بريطانيا لمدة عشر سنوات، عشتها بحلوها ومرِّها، وهي فترة تاريخية في حياتي، جمعت فيها بين الدعوة الإسلامية والدراسة الجامعية العليا في بريطانيا.

تدور الأيام دورتها؛ وكما لم أجد المبلغ الكافي لمواصلة دراستي الجامعية الأولى وأنا في مقتبل العمر، لم أجد أيضًا المبلغ الذي يعيدني إلى وطني إندونيسيا بعد الانتهاء من دراستي الجامعية العليا ببريطانيا؛ بينما أنا مقبل على البحث عن عمل.

لقد واجهت ظروفًا صعبة لعدم تمكُّني من شراء أربع تذاكر لي وزوجتي وابنتَيَّ. تذكرت محمد ناصر الإنسان الكريم الحليم، الذي كنت أجده في الأوقات الصعبة؛ حيث لم يبخل عليَّ أبدًا ولو بكلمة طيبة؛ ولكن لله رجالاً أحياء أسخياء، فقد اتصلت بالأخ الفاضل يوسف إسلام، بوصفه رئيس هيئة الإغاثة الإسلامية وقتذاك، وتحدثت معه في الأمر؛ حيث وافق على شراء تذكرة واحدة لي، واعتذر عن الباقي. شكرته على مساعدته، مع علمي أن هيئة الإغاثة الإسلامية عليها أعباء كثيرة في مساعدة من هم أبأس من حالي. لقد عاملني يوسف إسلام المعتنق للإسلام معاملة إنسانية رفيعة، وهو ما فتئ يبذل جهودًا حسنة لخدمة هذا الدين، وإني لا زلت على علاقة أخوية به إلى وقتنا الراهن.

دبَّجت خطابًا إلى فضيلة الشيخ العلاَّمة عبدالعزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية، أخبر فيه بأني أوقفت نفسي للدعوة الإسلامية في بريطانيا لمدة عشر سنوات، وأنا الآن بحاجة ماسَّة إلى من يساعدني على شراء تذاكر العودة النهائية إلى إندونيسيا برفقة عائلتي. وقد أشرت في الخطاب بأني تربيت علميًّا ومعرفيًّا ودعويًّا على يد محمد ناصر، وهو من أوصاني بمواصلة الدراسة في المملكة العربية السعودية؛ إذ لم يشأ القدر أن يحصل لي شرف الدراسة هناك، كما أوصاني بالدراسة عن التبشير في المؤسسة الإسلامية ببريطانيا؛ حيث منها أكتب إليكم وألتمس منكم المساعدة المالية.

بعد ثلاثة شهور من إرسال الخطاب إلى فضيلة العلاَّمة الشيخ عبدالعزير بن باز رحمه الله، فوجئت باتصال من الملحق الثقافي التابع للسفارة السعودية في لندن، يطلب مني زيارة مكتبه لأمر مهم وعاجل. استضافني المسؤول الثقافي حيث استقبلني بحرارة. ونحن نرتشف الشاي معًا، سألني إن كنت أنا من بعث خطابًا إلى الشيخ ابن باز، وهل لي سابق معرفة شخصية به. لقد نسيت أني بعثت خطابًا إلى فضيلة الشيخ ابن باز؛ لأن شهورًا مضت وقضت، ولم أكن أعلم أن الرد، إنْ حصل طبعًا، سيكون عبر السفارة السعودية في لندن. وبعد تأمل قصير شرحت للملحق الثقافي فحوى الخطاب، الذي أرسلته إلى الشيخ ابن باز. لقد فتح المسؤول في الملحق الثقافي دولاب خزانته،

وتناول منه شيئًا من توقيع فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز، كان والحمد لله كافيًا لعودتي أنا وعائلتي لأرض الوطن. رحمة الله على الشيخ ابن باز، وجعل معروفه الجميل معي، ومع غيري، في ميزان حسناته.

لقد ترك محمد ناصر بصمة واضحة في حياتي كلها؛ إذ لولا مساعداته وتشجيعاته ما كان لمرادي العلمي أن يتحقَّق. وردًّا للجميل واعترافًا به، رأيت أن أسهم في الكتابة عن محمد ناصر الإنسان والزعيم والوزير والمفكِّر والمصلح، وأن أبرز إسهاماته الدعوية والعلمية في إندونيسيا بخاصة والعالم الإسلامي بعامة. والشكر كل الشكر لحكومة المملكة العربية السعودية وعلمائها الأفذاذ، أمثال العلاَّمة فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، والعاملين المرابطين في رابطة العالم الإسلامي من أمينها العام، وقتذاك، معالي الدكتور عبدالله عمر نصيف، ومن أتى بعده؛ لا سيما أني كنت من ضمن المبتعثين من رابطة العالم الإسلامي، للتخصص في فلسفة التنصير ببريطانيا، زيادة على مواصلة الدراسة في مرحلة الدكتوراه. والحمد لله أنه في عام 2015م أتيحت لي فرصة ثمينة للقاء بصاحب المعالي الدكتور عبدالله عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في مؤتمر اليابان حول حوار الأديان، وقد أهديته بعض ما كتبت. علمًا أن الرابطة هي من قامت بتمويل سفري من كوالالمبور إلى طوكيو ذهابًا وإيابًا، زيادة على التكفل بمصاريف إقامتي طوال أيام المؤتمر؛ فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أوجِّه كلمة شكر وتقدير إلى المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية في جاكرتا، وأخص بالذكر الأستاذ شهداء بحري المدير التنفيذي للمجلس، والدكتور محمد نور، والأستاذ هيمان خليل الرحمن، الذي أمدني ببعض الكتب القيِّمة والمعلومات النادرة عن محمد ناصر.

وأخيرًا أسأل المولى سبحانه وتعالى أن يتقبَّل هذا الجهد المتواضع بقبول حسن، وينبته نباتًا حسنًا، وكل أملي أن تتحقَّق سعادتي في الدارين، آمين يا رب العالمين.

سوهيرين محمد صالحين

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

الفصل الأول النشأة والطموح

أولًا: نشأة محمد ناصر وبيئته الثقافية

ولد محمد ناصر «Mohammad Natsir» في حي آلحان بانجانج بقرية جمباتان بروكير «Jembatan Berukir»[1] التابعة لمحافظة سومطرا الغربية في 17 يوليو 1908م؛ حيث ولد في هذه المكان، أيضًا، شخصيات صنعت تاريخ إندونيسيا، أمثال محمد حتًّا «Mohammad Hatta» «1902-1980م» أول نائب لرئيس جمهورية إندونيسيا بعد الاستقلال، والمفكِّر الفذ الحاج أغوس سالم «Agus Salim» «1884-1954م»، والحاج عبدالملك كريم أمر الله المشهور باسم حمكا «HAMKA» «1908-1981م» العالم الكبير الأكثر شهرة في إندونيسيا وفي أرخبيل الملايو.

لقد عانى محمد ناصر في أيام طفولته من التفرقة العنصرية، التي كانت تمارسها إدارة الاستعمار الهولندي في سياساتها التعليمية؛ حيث لم تكن تسمح لأبناء الإندونسيين الأصليين الالتحاق بالمدارس الحكومية، فما كان منهم إلا الالتجاء إلى المدارس الأهلية. وكان محمد ناصر في ذلك الوقت يطمح إلى التسجيل في المدارس الحكومية؛ ولكن خاب أمله، نظرًا إلى أن التعليمات الاستعمارية كانت تنص على أن أبناء الوطن لا يحق لهم الالتحاق بالمدارس الحكومية؛ إلا إذا كان أولياؤهم يتقلَّدون مناصب عليا في المؤسسات الحكومية الاستعمارية.

ولتجنُّب صدام الأهالي مع الاستعمار الهولندي، أجازت الحكومة الاستعمارية للزعماء الدينيين إنشاء مدارس أهلية، لتعليم أبنائهم وشبابهم؛ حيث تمَّ إنشاء أول مدرسة أهلية في مدينة سولو «Solok» بمحافظة سومطرا الغربية.[2] وقد كان المنهج الدراسي فيها يختلف عن مناهج المدارس الحكومية، نظرًا إلى أن المدارس الأهلية الجديدة كانت تستهدف تخريج جيل جديد، محب لوطنه ودينه؛ ما أدى إلى قبول جميع أبناء الوطن، بغض النظر عن الفوارق العرقية والاجتماعية.

درس محمد ناصر في المدرسة الأهلية، ثم انتقل إلى المدرسة الحكومية الجديدة بمدينة سولو، واستغرق تعليمه بتلك المدرسة ثلاث سنوات؛ حيث أقام في منزل تاجر يسمى حاج موسى، وكان ابنه المسمى عبيدالله قد درس مع محمد ناصر في فصل واحد. لقد تأثر محمد ناصر بفكر هذا التاجر، الذي كانت تدار في بيته حلقات علمية، مثل مدارسة القرآن الكريم، وتعليم الفرائض الدينية، إضافة إلى دراسة اللغة العربية.

تأثر محمد ناصر بحسن أخلاق حاج موسى وتصرفاته، لكونه لم يكن يفارقه؛ إذ كان يعده واحدًا من أبنائه، فقد ساعده على الالتحاق في الفترة المسائية بالمدرسة الدينية، التي كان يترأسها الحاج أنكو مودا أمين «Engku Mudo Amin»، وهو من أتباع حاجي رسول «Hajji Rasul» المعروف

بفكره الإصلاحي في الجمعية المحمدية «Muhamadiyyah organization»، التي أسَّسها الحاج محمد دحلان. والجدير بالذكر أن مودا أمين كان أيضًا من ضمن المؤسسين للمعهد التعليمي المعروف بـ: الطوالب «AL-Tawalib» سنة 1918م.[3] وهنا أتيحت لمحمد ناصر فرصة ذهبية في ذلك المعهد التعليمي؛ فكان، طوال دراسته، يحضر محاضرات الحاج عبدالله أحمد فدانج «Haji Abdullah A. Padang».[4]

اهتم محمد ناصر منذ طفولته بالعلوم الدينية والدنيوية؛ إذ كان يلتحق في الفترة الصباحية بالمدرسة الحكومية، التي تدرَّس فيها العلوم الدنيوية المتنوعة، بينما في الفترة المسائية كان يتفرَّغ لدراسة العلوم الشرعية؛ حيث أنهى دراسته في المرحلة الابتدائية بدرجة امتياز؛ ما شجَّعه ذلك على الانتقال السلس إلى المرحلة الثانوية. وخلاصة القول: إن الفترة ما بين «1916-1923م» تعد المرحلة التي أكمل فيها محمد ناصر دراسته الابتدائية المسماة «Holands Inlandse School, HIS»، موازاة بالمرحلة الابتدائية الدينية. التحق بعد ذلك بالمدرسة الثانوية التابعة للحكومة الهولندية، وبعد مرور ستة أشهر، حصل على منحة دراسية من الحكومة الاستعمارية الهولندية، تقديرًا لذكائه، وعلوِّ درجاته في الدراسة.لم يكتف محمد ناصر بالنشاطات الدراسية في المدرسة الحكومية الهولندية، بل انضم إلى حركة الشباب المسلمين «Jong Islamieten Bond».[5] حيث شكَّلت هذه الحركة منعطفًا جديدًا في حياته، وكانت بالنسبة إليه بمثابة بداية الوعي بأهمية النشاطات الإسلامية.

بعد التحاق محمد ناصر بالمدرسة الثانوية سنحت له الفرصة بالاختلاط بالشباب الهولندي المعتز بنفسه والمفتخر بوطنه؛ فكانت هذه الفترة نقطة بداية انخراطه في نشاطات حركة الشباب المسلمين، فرع جزيرة سومطرا الغربية. وبعد التخرج كان في حيرة من أمره بين مواصلة الدراسة في المرحلة العليا والبحث عن وظيفة. لقد كان والده ينصحه بعدم التفكير في التوظيف، وأن يولي اهتماماته لمواصلة الدراسات العليا. وكانت المشكلة التي تشغله وتحد من طموحاته هي قلة ذات اليد، وغياب مصادر التمويل والدعم المادي للاستمرار في الدراسات العليا.

وهو في حيرة من أمره أتاه الفرج؛ فقد صدر أمر من جهات غير رسمية في الحكومة الهولندية بأن الطالب الذى حصل على منحة دراسية في المرحلة الثانوية، يستحق الحصول على منحة للالتحاق بالمدرسة العليا «Algemene Middlebare School-AMS»، التي تقع في باندونج «Bandung» بجزيرة جاوا الغربية. أرسل محمد ناصر شهادته وكشف درجاته إلى إدارة المدرسة العليا، ومن حسن حظه أنه حصل على منحة دراسية لمواصلة الدراسات العليا. التحق في يوليو عام 1927م بالمدرسة العليا تخصص أدب إغريقي. وهو يتعلَّم في تلك المدرسة بدا عليه الإعجاب الصريح بآراء مدير المدرسة وبدروسه في السياسة، علاوة على غرس فكرة الاستقلال عن الاستعمار الهولندي في عقول الطلبة.

لقد واجه محمد ناصر صعوبة في تعلم اللغة الهولندية؛ ولكن مع مرور الوقت تمكَّن من التغلب عليها؛ حيث كان معجبًا بطرق التدريس ومناهجه، التي تشجِّع على التحليل والتفكير النقدي. ومما يدل على ذكائه وفطنته: أنه كان ذات يوم ملزمًا بأداء واجب مدرسي، حول الفوائد والأرباح التي حقَّقها مصنع من مصانع السكر لأهل جزيرة جاوا، وقد أعدَّ بحثه، وانتقد بشدة سياسة الحكومة الاستعمارية، مستندًا في ذلك إلى البيانات والمراجع الأساسية، التي اطلع عليها في المكتبة.[6]

ثانيًا: تطوره الثقافي والديني

تشكَّلت ثقافة محمد ناصر العلمية والدينية في مدينة باندونج بحكم البيئة العلمية التي احتضنته؛ حيث تعرَّف إلى الزعماء السياسيين المهتمين بحركة الاستقلال، والمعنيين بنشر القيم الإسلامية والوطنية في المجتمع. لقد كانت هذه البيئة العلمية محطة مهمَّة في تشكيل وعيه الديني والسياسي، لا سيما بعد انضمامه لحركة الشباب المسلمين؛ ففي مدينة باندونج أتيحت له فرصة الالتقاء بأصدقائه الكبار من الطلبة، ومن أعضاء الحركة أيضًا. وقد التقى محمد ناصر خلال دراسته في تلك المدينة بالزعيم الديني الأستاذ أحمد حسن «A. Hassan» «1887-1958م»، المعروف بتأثره بالفكر التجديدي لدى العالم السعودي الجليل الشيخ محمد بن عبدالوهاب.[7] وقد كانت سعة آفاق الأستاذ حسن في الدين، ومهارته في الجدال الحسن، وتواضعه إلى جانب جرأته في عرض الآراء، محل إعجاب محمد ناصر. هذا وقد كانت زيارة محمد ناصر تتكرَّر للأستاذ حسن، كلما عنَّ له الاستفسار في أمور دينية، أو من أجل تبادل الأفكار في قضايا سياسية، زيادة على مناقشة كيفية التخلص من الاستعمار الهولندي. وكان يقوم أحيانًا بزيارة منزل الأستاذ أحمد حسن، برفقة زميله فخر الدين الخيري «Fakhruddin al-Khairi»، الذي سبق وأن اصطحبه في أول مرة. كما كان الحوار الذي دار بينه وبين هذا العالم الجليل، هو الذي ألهم فكره، وشجَّعه على التعمق في دراسة العلوم الشرعية، على الرغم من أن الإرهاصات الأولى كانت قد ظهرت في وقت مبكِّر أيام دراسته في المدرسة الدينية بمدينة سولو، كما أشرنا آنفًا؛ فبات منشغلًا بكيفية تنمية فكره الديني، إلى جانب التعمق في دراسة اللغة العربية، وكان الأستاذ حسن قد أهداه تفسير القرآن الكريم باللغة الإنجليزية من تأليف محمد يوسف علي.

مع مرِّ الأيام ازدادت رغبة محمد ناصر في دراسة الإسلام والتعمق فيه، فلم يكن يتوانى في التردد على الأستاذ حسن، لتحصيل المزيد من العلم الشرعي. وقد كانت هناك حادثة أدَّت بمحمد ناصر إلى اتخاذ قراره النهائي، فيما يتعلق بالتفرغ للعلوم الدينية، وهي أنه ذات يوم فرضت المدرسة على جميع الطلبة الاستماع لمحاضرة عن الإسلام، ألقاها القسيس كرستوفل «Christoffel» داخل الكنيسة، وكان الجزء الرئيس من محاضرته يناقش موضوع المقارنة بين الإسلام والنصرانية؛ فبدت المحاضرة رائعة وجذَّابة، وهو يشير إلى محاسن الإسلام؛ ولكن في الأخير هاجم القسيس الرسالة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم؛ ما جعل هذه الحادثة تتسبَّب في غضب محمد ناصر، فتوجَّه مسرعًا إلى منزل أستاذه أحمد حسن، وأبلغه بما سمع. لقد طالب هذا المربي الديني من محمد ناصر إعداد الرد المناسب والموضوعي، ثم القيام بنشره في إحدى الجرائد. في البداية تردَّد محمد ناصر لعدم التأكد من نفسه؛ ولكنه تماسك واسترجع الثقة بشخصه، وبدأ بكتابة المقالة، وأرسلها إلى إحدى الصحف اليومية، وتمَّ نشرها في اليوم التالي.

تعد هذه المحاولة بمثابة التجربة الأولى لمحمد ناصر، ردًّا على الآراء الهدَّامة لأحد القسيسين في مدينة باندونج، لا سيما أنه كان يشعر بثقل المسؤولية، الملقاة على عاتقه، في الحفاظ على المبادئ والقيم، التي تدرَّبت عليها عقول الشباب، والتي كانت محل اهتمامه البالغ في تلك الفترة. ومن المؤكد أن تمكُّن الفكر العلماني الغربي من عقول الشباب المسلمين كان سببه إيمانهم بما يقرأونه في المؤلفات الغربية التي تُكتَب باللغة الهولندية والإنجليزية. وكان محمد ناصر يشعر بالآسى وهو يرى الشباب قد هاجروا القيم الإسلامية، وأهملوا ممارسة الشعائر الدينية. وهذا التأمل في واقع الحال أدَّى به إلى توعية الشباب بأهمية النشاطات الدينية في حياتهم العلمية والعملية.

بدأ محمد ناصر بتدريس المواد الدينية في إحدى المؤسسات التعليمية في مدينة باندونج بهدف غرس الأخلاق في نفوس الشباب، وهو يستحضر رسالة حركة الشباب المسلمين، المتمثلة في تدريب الشباب على العمل الإسلامي. لقد أدَّى دورًا مهمًّا في تنشئة الشباب عبر سلسلة من المحاضرات، كان يلقيها في كثير من المناسبات، إضافة إلى الحوارات التي أثْرت قضايا دينية ذات أهمية بالغة في المجتمع الإندونيسي. ومن خلال نشاطاته في تلك الحركة، أتيحت له فرصة التعرف إلى أعضاء بارزين في الحركة، أمثال: كسمان سينغو ديمجو «Kasman Singodimejo»، ومحمد روم «Mohammad Roem»، والسيد فروتو مانجونكو ساسميتو «Prawoto Mangkunsasmisto»، الذين صاروا فيما بعد قادة في حزب ماشومي «Masjumi Party»، الذي أسَّسه محمد ناصر في وقت لاحق.

أنهى محمد ناصر دراسته في مدينة باندونج عام 1930م، واستحق بعد تخرجه في المدرسة العليا الحصولَ على منحة دراسية من الحكومة الهولندية، لمواصلة دراسته في قسم القانون بجامعة روتردام؛ حيث تحققت أمنية والده في أن يكون ابنه محاميًا في المستقبل، عسى أن يرفع اسم العائلة عاليًا؛ ولكن الابن كان قد فصل في أمره، واختار دراسة العلوم الشرعية، وكل ما يتعلَّق بالتربية والتعليم.[8] ولأن محمد ناصر انتابه الشعور بأنه، باختياره هذا، يخيب رجاء والده، فقد بعث إليه خطابًا رحيمًا، يخبره بعزمه على خدمة هذا الدين؛ فردّ والده ردًّا جميلًا، واحترم رغبته، وشجَّعه على مواصلة الطريق.[9]

ومن خلال نشاطاته القيادية في حركة الشباب المسلمين، صار محمد ناصر يومًا بعد يوم يتقلَّد المهام الكبرى في إرشاد الشباب، وتوعيتهم دينيًّا من طريق الخطب والمحاضرات والمناقشات في كثير من المناسبات، وعليه تمَّ اختياره رئيسًا للحركة في الفترة ما بين «1928-1932م»؛ فكانت فرصة له للتعرف إلى كبار زعماء المسلمين ذي الشهرة العظيمة في تلك الفترة، أمثال: الحاج عمر سعيد شوكرو آمينوتو «Omar Said Cokroaminoto» ، والحاج أغوس سالم.

لقد بذل محمد ناصر قصاراه في التعمُّق في العلوم الشرعية، تحت إرشاد أستاذه الكبير أحمد حسن، وكانت مهارته العالية في الكتابة قد أهَّلته، لأن يكون عضوًا فاعلاً في هيئة تحرير مجلة الدفاع عن

الإسلام «Pembela Islam»، التي كان يرأس تحريرها الأستاذ حسن. والجدير بالذكر أنه في فترة النهار كان محمد ناصر يقضي جل وقته في العمل في تلك المجلة، جنبًا لجنب مع أستاذه؛ بينما في الليل كان يقضي وقته في قراءة الكتب الإسلامية باللغتين الإنجليزية والعربية. وكان من ضمن المواد المقروءة التي يميل إليها، يجدها في الغالب مبسوطة في مجلة المنار، التي كانت تضم أعلامًا وأقلامًا من نوعية الشيخ جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وغيرهم رحمة الله عليهم جميعًا.

ولمعرفة الأسباب الرئيسة التي أدَّت بمحمد ناصر إلى الإعراض عن مواصلة الدراسة في هولاندا، على الرغم من حصوله على منحة دراسية من قبل إدارة الاستعمار الهولندي في ذلك الوقت، يمكن القول: إن عدم رغبته في الدراسة بالجامعة الهولندية يرجع إلى نضوج فكره الديني والسياسي، الذي جعله يختار وطنه وتوعية مجتمعه على السفر إلى بلد جاء منه الاستعمار. وبعد مرور الزمن، وفي ظل ما اكتسبه من خبرة علمية وعملية، نتيجة ملازمة أستاذه الكبير الشيخ أحمد حسن، قرَّر محمد ناصر تأسيس مدرسة إسلامية أهلية، بوصفها وسيلة لغرس الأخلاق وتربية شباب المسلمين. ولأجل تحقيق آماله استشار زميله فخر الدين الخيري، وكذلك أستاذه الكبير الشيخ أحمد حسن. وقبل أن يستهل مشروعه التربوي، عكف على قراءة الكتب التربوية المتعلقة بمنهجية التدريس، من واقع إيمانه بأن التربية لا يمكن تدريسها بطريقة عشوائية، بل هي بحاجة إلى برامج تدريسية مفصَّلة وواضحة، لا سيما أنه كان من ضمن أهدافه تخريج جيل كفء في العلمين الشرعي والدنيوي.

ولأجل تحقيق طموحه، التحق محمد ناصر عام 1931م بمعهد تدريب المعلمين؛ حيث درس العلوم التربوية ومناهجها. وبعد تخرجه بدأ في تطبيق تلك المناهج التي درسها؛ حيث ألقى دروسًا في المواد الإسلامية؛ ما شجَّعه ذلك على تأسيس معهد تعليم جامع للحضانة والابتدائي والثانوي. وفي عام 1932م أسَّس معهد تدريب المعلِّمين، شمل أيضًا الدراسات المتخصصة في العلوم الشرعية لإعداد الدعاة في المجتمع.[10] وعلى الرغم من أن هذا المعهد كان يتبع نظام مدارس الإدارة الاستعمارية، إلا أنه كانت تُدرَّس فيه المواد الدينية، وكان يدمج بين الإلقاء والمنهج التحليلي للابتعاد من التقليد والفهم الخاطئ للدين. ومن أسفٍ أن ذلك المعهد لم يحصل له الاستمرار بعد قدوم الاحتلال الياباني لإندونيسيا سنة 1942م؛ حيث حظر إنشاء المؤسسات التعليمة الأهلية.

ومن هنا يمكن القول: إن محمد ناصر قد اهتمَّ منذ وقت مبكِّر من حياته بخطورة الأفكار الضيَّقة التي تختزل التربية والتعليم في العلوم الشرعية دون سواها، وهي في رأيه أفكار أصابت الأمة الإسلامية بالقصور المعرفي والديني، وكأن العلوم الدنيوية لا علاقة لها بالدين. ومن ثم كان محمد ناصر يرى أن المشكلة التي تعاني منها الأمة المسلمة لا يمكن حلها إلا من طريق التربية الشاملة؛ حيث لا يوجد تمايز تعليمي بين العلوم الدنيوية والعلوم الشرعية.

لقد انتقد محمد ناصر بعض القصور الحاصل في المعاهد الدينية المنتشرة في معظم أنحاء بلاده إندونيسيا، نظرًا إلى أنها اشتهرت بالتركيز على تدريس العلوم الشرعية، مهملة غيرها بإيعاز من

مؤسسي هذه المعاهد؛ ما جعل معظم الخريجين في هذه المعاهد الدينية يفتقرون إلى المهارات الضرورية لمواجهة التحديات اليومية.

كانت النزعة الفكرية لدى محمد ناصر تميل إلى الدمج بين العقل والنقل، والاحتفاظ بمكانة كل منهما بعيدًا من النزاعات، التي تغذيها الأفكار العلمانية المتطرِّفة. لقد تفطَّن إلى هذا الصراع الفكري مبكِّرًا، وحاول معالجته بإنشاء مدارس ومعاهد، تولي الاهتمام لما بات يطلق عليه اليوم بأسلمة المعرفة.

* * * *

الفصل الثاني الإسلام والقومية

أولًا: الإسلام بوصفه مصدرًا من مصادر القومية

خاض محمد ناصر في صراع إيديولوجي مع زعماء القومية قبل استقلال إندونيسيا، وحاججهم في المبادئ الأساسية للقومية، ومقارنتها بمنظومة الإسلام الكلية. وقبل بسط فحوى هذا الصراع الإيديولوجي يفترَض التعرف، أولًا، إلى إرهاصات الفكر القومي بإندونيسيا ومواقف زعماء المسلمين منه.

في واقع الأمر إن ظهور الفكر القومي بإندونيسيا لا يمكن فصله عن نشوء الحركات الاجتماعية، التي مارست السياسة، وقادت المعارك ضد الاستعمار الهولندي؛ حيث تعد شريكة إسلام «Serikat Islam» أول حركة سياسية، تقف ضد الاستعمار الهولندي، وتعود جذور نشأتها إلى الشركة التجارية الإندونيسية«Dagang Indonesia, Serikat» التي أسسها حاجي سامنهودي «Haji Samanhoedi». إذ قبل ذلك ظهرت حركات سياسية أخرى ذات طابع قومي، كان للشباب الذين يدرسون في هولندا دور في تأسيسها.[11] وقد اكتسبت صبغة دينية، فيما بعد، تحت اسم شريكة إسلام. لقد كان معظم المثقفين بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية يرون أن تلك الحركة نجحت بشكل ملحوظ في نشر الكراهية تجاه الاستعمار الهولندي، زيادة على تأجيج الحماسة القومية لدى المواطنين، ومن ثم تأييد الجماهير لهذه الحركة؛ ما جعل رادين أحمد «Raden Ahmad» -وهو أحد الزعماء البارزين- يقول: «لقد انضم الناس إلى شريكة إسلام بحثًا عن حقوقهم المهضومة، التي لا يمكن حصولهم عليها من الاستعمار الهولندي».[12]

نجحت شريكة إسلام في استمالة أعضاء إليها من غير المسلمين؛ حيث أدلى كياهي حجر ديوانتورو «Ki Hadjar Dewantoro» قائلاً: «والجدير بالذكر أن هناك كثيرًا من غير المسلمين، قد انضموا إلى شريكة إسلام، أمثال دويس دكير «Douwes Dekker»، المعروف بكفاحه ضد الاستعمار الهولندي من أجل تحرير الوطن».[13]

وفي عام 1923م، انتقلت شريكة إسلام من حركة اجتماعية إلى حركة سياسية، تحت اسم حزب شريكة إسلام «Partai Serikat Islam-PSI». وفي عام 1927م، صار يطلق عليه حزب شريكة إسلام الهندية الشرقية «Hindia Timur-PSHT Partai Syarikat Islam»، وارتفعت سمعة الحزب، وازدادت شهرته بعد ما انضم إليه الحاج عمر سعيد شوكرو أمينوتو، حيث تولى قيادته.[14] إذ قام هذا الزعيم المشهور بتغيير اسم الحزب إلى حزب شريكة إسلام إندونيسيا «Partai Serikkat Islam Indonesia-PSII»، وقد طبق هذا القائد نظام التدريب العسكري داخل الحزب

وفرض المبايعة والولاء، وتعهد أعضاؤه بتحرير البلاد من قبضة الاستعمار الهولندي. وحسب ما رآه أنور هارجونو «Anwar Harjono» أحد رواد حزب ماشومي أن أمينوتو هو الذي بدأ بتشكيل الوعي القومي بناءً على رغبة الأكثرية؛ بحيث يتناسب الوعي القومي مع التعاليم الدينية، مثل حب الوطن والاستعداد للدفاع عنه من أي عدوان أجنبي.

وعلى الرغم من هذه التوعية القومية، فقد واجه الحزب معارضة من قبل الشيوعيين الذين يرغبون في نشر الإلحاد في المجتمع. وكان أنصار الإيديولوجية الشيوعية قد نجحوا في تسريب بعض عناصرهم داخل الحزب، وقد تجلى هذا الأمر حينما أعلِن عن تأسيس اتحاد الشيوعية الإندونيسية، داخل مكتب حزب شريكة إسلام، فرع مدينة سمارانج «Semarang» في جاوا الوسطى. وقد شهد التاريخ أيضًا بأنه في عام 1932م ظهر اتحاد المسلمين الإندونيسيين «Persatuan Muslimin Indonesia» في سومطرا، وكذلك في عام 1938م تمَّ تأسيس حزب الإسلام الإندونيسي «Partai Islam Indonesia-PII»؛ حيث جعلت هذه الأحزاب من الإسلام المبدأ الأساسي في حركتها ضد الاستعمار الهولندي.[15]

لقد كانت هذه الأحزاب تدعو إلى تشكل الوعي القومي من منظور إسلامي، يتناسب مع تصور محمد ناصر. ونظرًا إلى ذلك، فإن الزعماء المسلمين هم الذين أوقدوا نار الحماسة في نفوس الأهالي؛ لتحرير البلاد من الاستعمار الهولندي، وكانت هذه النزعة القومية محمودة ومعقولة جدًّا، لأن المسلمين كانوا يشكِّلون الأكثرية من حيث تعداد السكان. وحول هذه النزعة القومية العاقلة، يقول الدكتور هارون ناسوتيون «Harun Nasution»: «إنما هو الإسلام الذي كان يوحدهم من أجل المصلحة العامة. ومن طريق هذا الدين باتت جميع الفوارق العرقية والجنسية منضوية تحت لواء الإسلام؛ حيث إن الإسلام مهَّد لهم الطريق نحو الاتحاد القومي».[16]

ويظهر الأمر جليًّا حينما نشير إلى ما رآه محمد ناصر، الذي هو محل اهتمام الدراسة، أن الإسلام هو محرِّك الشعور القومي. وتجلية لهذا الأمر ننقل ما قاله هذا الزعيم الإندونيسي؛ إذ يقول: «إن الحركة الإسلامية هي التي مهدت الطريق للنشاطات السياسية في البلاد، لأجل تحريرها من قبضة الظلم، وغرست بذور الوحدة بين الإندونيسيين، بغض النظر عن الاختلافات العرقية والجنسية، وأرست قواعد الأخوة المتينة بين أتباع هذه الديانة».[17] ومع ذلك فإن أحمد سوكارنو «1901-1970م» قد تعاطى مع الفهم الغربي للقومية، ودعا إليها في أوساط المجتمع، والذي كانت نتيجته تأسيس الحزب القومي الإندونيسي «Partai Nasional Indonesia-PNI» عام 1927م لمنافسة حزب شريكة إسلام ونفوذه؛ لأن حزب سوكارنو القومي لم يكن يؤمن بالجانب الروحي والديني في قومية الأحزاب الإسلامية. وكان سوكارنو في فترة رئاسته لجمهورية إندونيسيا بعد الاستقلال، قد قام بالدمج غير المعقول بين المفاهيم القومية والشيوعية والدينية «Nasional, Agama dan Komunis, Nasakom»؛ ما تسبب ذلك في ظهور معارضة شديدة من قبل زعماء المسلمين،

على رأسهم محمد ناصر بوصفه رئيسًا لحزب مجلس شورى المسلمين الإندونيسي، المعروف بحزب ماشومي «Masjumi».

ويمكن تلخيص القول: إنه قبل الاستقلال كان هناك فئتان من القوميين. الأولى كانت في الصف العلماني الغربي، والثانية استجابت لنداء الفطرة، التي فطر الله الناس عليها؛ حيث إن كل جهة كانت منافسة للأخرى، وتسعى قصاراها لنشر مفاهيمها في أوساط المجتمع، عبر إنشاء جمعيات بأشكال مختلفة وأهداف متباينة؛ حيث تعد جمعية بودي أوتومو «Boedi Oetomo» أول جمعية تتبنى الفهم القومي اللاديني. كما يمكن اعتبارها النواة الأولى لظهور القومية والعلمانية في آن واحد على المستوى السياسي؛ إذ تأثرت أحزاب قومية بفلسفة جمعية بودي أوتومو، مثل: الحزب القومي الإندونيسي والحزب الإندونيسي «Partai Indonesia-partindo»والحزب القومي الجديد «Pendidikan Nasional Indonesia Baru PNI-Baru»، والحركة الشعبية الإندونيسية «Gerakan Rakyat Indonesia-Gerindo».

نعود إلى الدور الذي قام به محمد ناصر بوصفه عضوًا في هيئة تحرير مجلة الدفاع عن الإسلام، ونظرًا إلى أنه شاهد عيان على التطورات السياسية في البلاد؛ حيث إن كل فئة كانت تضع نصب عينيها كيفية تحرير البلاد من قبضة الاستعمار، ومنهم أحمد سوكارنو القومي الذي كان يكثِّف من خطبه ومحاضراته في مدينة باندونج. لقد وافق محمد ناصر على جانب من آراء سوكارنو القومية، التي كانت تطالب بانسحاب القوات الأجنبية من البلاد لإتاحة الفرصة لأهل الوطن في إدارة الدولة؛ ولكن لم يكن ليتوافق معه كلما قام بنقد زعماء المسلمين بغير وجه حق؛ إذ خاب أمل محمد ناصر في شخصية سوكارنو. فكان كلما همَّ سوكارنو بشن حملة على أحكام الإسلام، بادر أعضاء هيئة تحرير المجلة بالرد على زعمه الباطل. وقد كان محمد ناصر على وعي تام بأن القومية من منظور سوكارنو، تتوجه نحو غرس الكراهية لكل ما له علاقة بالإسلام. ونظرًا إلى تنامي الاتجاه العلماني لدى القوميين بزعامة سوكارنو، لم يكن أمام محمد ناصر إلا الدفاع عن حزب شريكة إسلام كإحدى الوسائل التي توقف شطط التيارات الإيديولوجية، التي تعارض علنًا القيم الإسلامية. ومنذ ذلك الحين اكتسب محمد ناصر سمعة طيبة لا سيما عبر كتاباته التوعوية في المجلة. وهذه بعض أفكاره الرئيسة، التي تشهد على الصراع الإيديولوجي في الساحة الإندونيسية، وهي مبسوطة على النحو الآتي:

1. إن الديانة الإسلامية ليست مقصورة على الجانب الروحي والتعبدي؛ وإنما تمثل نظام حياة شامل ومتكامل، وتنظم الأمور الفردية والمجتمعية، وحتى الأمور التي تتعلق بنظام الحكم في الدولة.

2. الإسلام يعارض جميع أنواع الرق والعبودية، ويفرض على معتنقيه أن يحرروا أنفسهم من الاستعمار.

3. وضع الإسلام مبادئ أساسية في إدارة الدولة.

4. يحث الإسلام جميع المسلمين على الحكم بما أنزل الله، كما تنص على ذلك الرسالة التي أوحى الله بها لمحمد صلى الله عليه وسلم.

5. إن أمة الإسلام لا يمكن أن تحقق الهدف من إدارة الدولة المسلمة، ما دام يشاركها جماعة من القوميين الذين يسيئون للإسلام ورسالته السمحة.

واستحقاقًا للأهداف المنشودة، طالب محمد ناصر من جميع المسلمين بالانضمام إلى الحزب الإسلامي، الذي يستهدف إقامة العدل والمساواة من منظور إسلامي.

وكانت هناك حادثة مفادها: أن الدكتور رفاعي «Rivai» كتب مقالة في إحدى الجرائد ينفي وجود الحس القومي لدى الإندونيسين، إرضاء لإدارة الاستعمار الهولندي. وكان رأيه قد تلقفته صحف ومجلات أخرى تصدرها إدارة الاستعمار، نظرًا إلى مكانته العلمية في المجتمع، وبوصفه مثقفًا من أبناء الوطن، في الوقت الذي هاجمت فيه الصحف المحلية الأهلية رأي الدكتور رفاعي، واتهمته بالولاء للاستعمار من خلال دعوته المبطنة لبقاء الاستعمار الهولندي جاثمًا على أرض إندونيسيا. وكانت في ذلك الوقت، أيضًا، قد تأججت المشاعر العرقية في إندونيسيا نظرًا إلى التباين الحاصل في التقاليد والعادات المختلفة؛ فاحتج الدكتور رفاعي ورأى أن الوحدة الوطنية تكاد تكون مستحيلة، بسبب وجود عناصر عرقية مختلفة في البلاد؛[18]ما أدى بمحمد ناصر إلى الرد على الدكتور رفاعي، مشيرًا إلى أن الوعي القومي يشهد نموًا في أوساط الإندونيسيين، وأن جميع العناصر العرقية يمكن توحيدها قوميًّا من منظور إسلامي.

لقد فصَّل محمد ناصر في المقاييس والمعايير، التي يمكن الوقوف عليها بصورة فعالة لتحقيق الوحدة الوطنية، وعدَّ الطاقة الهائلة للإندونيسيين تستمَد من تلك العناصر القادرة على تفعيل الاتحاد القومي؛ حيث ليس بالضرورة أن تؤمن العناصر العرقية بجميع التعاليم الربانية، التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم.[19] وقد نفى محمد ناصر تهمة غياب الحس القومي لدى الأهالي، كما زعم الدكتور رفاعي، وحاجج بأن رغبة الإندونيسيين في تحرير البلاد تطلب حماستها من الرسالة الربانية، التي تقف على إزالة الظلم والاستبداد والطغيان من على وجه الأرض، تحقيقًا للعدالة والمساواة بين الناس، وإن مثل هذه النزعة إلى الحرية أدت إلى ظهور جمعيات دينية، مثل: المحمدية، وحزب شريكة إسلام؛ إذ كان جميع أعضاء هاتين الجمعيتين يدافعون عن الحركة وعلى استعداد لمواجهة أي عدوان بأي ثمن كان لإزالة ظلم الاستعمار الهولندي واستبداده؛ حيث كانت مثل هذه الغيرة الشديدة تستمد قوتها من تلك الرسالة، التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم. وإن من ضمن المبادئ الأساسية الربانية انتصار الحق وإزالة الباطل، حتى يعم العدل على وجه الأرض، وتتحقق السعادة للناس، زيادة على أن تأجيج الحماسة والغيرة في نفوس المواطنين يعد وفاء للعهد، وللتوجيهات الربانية في أن جميع المسلمين إخوة، كما ورد ذلك في النصوص القرآنية والسنة النبوية، بوصفهما مصدرين لهداية للناس.

وقد اتضح الأمر بأن معظم زعماء المسلمين في ذلك الحين كانوا حريصين على استقلال إندونيسيا من قبضة الاستعمار الهولندي، والذي يمكن القول: إن ذلك الحرص كان أحد بذور القومية في البلاد. ولأجل هذا رأى محمد ناصر أن القومية تستمد مرجعها الأساسي من الإسلام. وقد كرَّر قوله بأن انتقال الدولة من الاستبداد إلى الحرية، لا يمكن حصوله إلا بعد تنامي الشعور بالغيرة الإسلامية، التي تدفع إلى إزالة الظلم والاستغلال والفوارق والعبودية للبشر؛ بحيث يكونون عبادًا لله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون رب العالمين؛ إذ استدل محمد ناصر بقوله جلَّ جلاله: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ } [الرعد:١١].

شهد التاريخ في إندونيسيا دخول معظم الفرق السياسية في الصراع الفكري والإيديولوجي، لتحديد مصير الدولة بعد استقلالها. وكتب محمد ناصر مقالة نشرها عام 1932م؛ حيث هدف من خلالها إلى مواجهة الفكر العلماني، الذي أراد أن يحتكر لنفسه رؤيته لمستقبل الدولة وفلسفتها، ودعا إلى تأسيس الدولة المستقلة على مبادئ القيم الإسلامية، التي رسخت في نفوس الأهالي منذ وصول الإسلام إلى أرض إندونيسيا. وكان تصوره وفكره عن القومية والأمة منبثقًا من المبادئ الإسلامية، كما عالج مفهوم الوطنية من منظور إسلامي؛ حيث أشار إلى هذه الآية الكريمة: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الحجرات:١٠].

ما من شكٍّ في أن محمد ناصر الذي أثار فكرة القومية من منظور إسلامي، قد أخذ في الحسبان أن المسلمين يمثلون الأكثرية من ناحية تعداد سكان إندونيسيا. وطالما أن البلاد تحت حكم الاستعمار؛ فإن الوعي القومي لديهم لا يتناقض مع الدين الإسلامي، الذي يعتنقه معظم السكان؛ كما أن حب الوطن لا بد أن يكون مقرونًا بحبهم لدينهم أيضًا، وعلى الرغم من ذلك صار لكل مجموعة أو فرقة مفهوم مختلف للقومية. وقد انتقد محمد ناصر آراءهم، مستندًا في ذلك إلى رأي الفيلسوف الفرنسي أرنست رينان في مقولته المشهورة: «الأمر الذي يكون واضحًا في ظاهره، قد يصبح غامضًا، وأكثر خطورة في آخره».[20]

استعرض محمد ناصر مفهوم القومية، وذكر تعريفاتها التي تعني القوم، أو اتحاد الناس، بناء على الثقافة واللغة والدين، أو الشعور بالوحدة تحت نظام حكم معيَّن. ورأى أن التعاريف التي وقفت على القومية، لا يمكن تحديدها بسبب اختلاف الفكر والتصور. وبغض النظر عن وجود الاختلافات لدى المفكرين الفلاسفة؛ إلا أن الأمر الذي لا يمكن تجاهله، في نظر محمد ناصر، هو أن القوم بحاجة إلى حبل متين راسخ، يربطهم ويوحِّدهم؛ حيث إن القضية الكبرى التي توحِّد مختلف أجناس البشر لا يمكن الفصل فيها بقوة القانون والعسكر، وإن الحبل المتين هو الذي ينظِّم حياة الناس لا سيما إذا كانوا مسلمين. ويرى محمد ناصر أن القومية لا تحقق التقدم والوحدة إلا بالتزام كل واحد من أفراد المجتمع بالحبل المتين الذي رسخ في أعماق قلوب الناس، وفي الوقت نفسه فإن القومية ستكون مأساة، إذا فرض عليها أصحابها النظام الذي يتناقض مع قيم المجتمع؛ إذْ من المفترض أن يلتزم الناس بالحبل الذي اعتصموا به أول أمرهم، وهو خيارهم التاريخي والحضاري والإنساني في الكفاح ضد الاستعمار.

إن فكرة القومية كما تصوَّرها محمد ناصر تكون صالحة للتطبيق، متى رغب الناس في تأسيس الدولة، وتحقيق التقدم والرفاهية والسلامة لجميع المواطنين؛ أما ما قصده محمد ناصر بالحبل المتين، فيمكن التقاطه بالإشارة إلى الخبرات، التي مرت بها الدولة، وتصرُّفات حكامها؛ إذ يشير في هذا الشأن إلى ما كتبه لوتروف ستودرد «L. Stoddard» في مؤلفه العالم الإسلامي الجديد «The New World of Islam» بأن الحبل أشبه بطاقة الاتحاد التي لها علاقة بالظاهرة العقلية والمعتقدات الإيمانية، التي يعتنقها الناس في البلد الواحد، وعلى هذا الأساس فإن هؤلاء الناس

ينظرون إلى القومية على أساس المصلحة. كما أشار محمد ناصر إلى رأي رينان، الذي أبداه في محاضرته بجامعة السوربون عام 1882م، والتي يزعم فيها أن القومية تعني المبادئ الروحية. ولهذا فإن القومية في نظر محمد ناصر ذات جذور تاريخية في الفكر الإنساني، وعليه يفترَض أن تكون هناك رغبة مشتركة للتعايش السلمي فيما بين الناس، والعمل على الحفاظ على التراث، وتحقيق الرفاهية والأمن والاستقرار. وبالإضافة إلى ذلك فإنه لا يكفي الاعتزاز بما تحقق في الماضي، بل هناك ضرورة لمواصلة الكفاح، زيادة على التضحية من أجل وحدة الوطن.[21]

وفيما يتعلق بإندونيسيا حيث كان معظم زعمائها في ذلك الوقت يبحثون عن الحل من طريق تأسيس حركات اجتماعية مختلفة، للتحرر من الاستعمار الهولندي، فقد رأى محمد ناصر بأن الحبل المتين هو الدين الإسلامي، كونه يشكل طاقة فريدة للوحدة الوطنية، على الرغم من تنوع عادات الناس وتقاليدهم في جزر إندونيسيا المترامية الأطراف، لا سيما أن المسلمين يتميزون بحس قومي نتيجة الفتن التي تطالهم من الزعماء المحليين، الذين يخاصمون القيم الإسلامية، علاوة على استعباد الاستعمار الهولندي لهم. هذا وقد أشار محمد ناصر إلى ما قامت به جمعية المحمدية من نشاطات وخدمات في أوساط المجتمع، إلى جانب النشاطات السياسية التي قام بها حزب شريكة إسلام. وكل منهما قد بذلا مجهودات جعلت من الدعوة إلى دولة إسلامية لا يتعارض مع الحس القومي لدى الشعوب المستعمَرة؛ حيث خلص محمد ناصر إلى أن الإسلام هو مصدر القومية، إن لم يكن ملهمًا لها ومحقِّقًا لمعنى العبادة بمفهومها الواسع.

يرى محمد ناصر أن هناك جانبًا آخر لمعنى القومية؛ إذْ وفق الحقائق التاريخية قد عانت البشرية من الاضطهاد والبطش والقتل من المعتدين؛ فدعوا إلى الوحدة القومية للدفاع عن هويتهم. وفي أيام نبي الله موسى عليه السلام كان الناس غافلين عن الحق والعدالة، فجاءت الرسالة الربانية لحفظ كرامتهم. وكذلك أيام نبي الله عيسى عليه السلام، حين انحرف الناس عن التعاليم الربانية، جاءت الرسالة الجديدة لتهدي الناس إلى الطريق المستقيم. كما سجَّل التاريخ ذلك الاستبداد الذي مارسه حكام الفرس؛ حيث صادروا ممتلكات الآخرين، وسفكوا دماء الأبرياء؛ فباتت حقوق الناس في ظل حكمهم مهضومة ومسلوبة. وكذلك شهدت أوربا نظام الحكم الإقطاعي الفاسد؛ حيث كان الأقوياء والأثرياء يمتصون دماء المستضعفين ويستعبدونهم، كما تستعبد الحيوانات، وكانوا محرومين من امتلاك البيوت والأشياء الثمينة، وكانوا يعاملونهم مثل البهائم. ويشهد تاريخ السودان كثرة الاضطهاد والقتل من قبل الغزاة قبل مجيء الإسلام إلى تلك البقعة المباركة؛ فجاء الإسلام ليحرِّرهم من التعامل اللاإنساني؛ حيث إن الرسالة الربانية التي أوحى الله بها لمحمد صلى الله عليه وسلم هدفت إلى الحفاظ على كرامة البشرية كلها، حتى يتحقَّق لها الأمن والاستقرار، وكذلك هي كفيلة بتنظيم جميع النشاطات الفردية والأسرية والاجتماعية، وحتى أمور الدولة. وقد سجَّل التاريخ أيضًا ميزة هذا النظام الإسلامي، وفعاليته في تغيير حياة الناس من الظلم والاستغلال إلى المساواة وإزالة الفوارق العرقية والجنسية والاجتماعية؛ لأن الأثرياء والفقراء سواسية عند الله سبحانه وتعالى. وإن هذه التعليمات واضحة المعالم داخل الرسالة الربانية، التي لا بد من استمداد طاقتها إذا كنا نرغب

في الحصول على السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة. وقد سجَّل التاريخ أيضًا أن الذين التزموا بتلك الرسالة الربانية، قد حقَّقوا التقدم والأمن والرفاهية معتمدين على المبادئ الأخوية فيما بينهم، لرفع مستواهم المعيشي، وتعزيز كرامتهم. وإن تلك الأنظمة التي تبنى على أساس الوحي الإلهي يفرَض عليها الكفاح والجهاد من أجل صد الاعتداء في الداخل والخارج؛ فهو نظام رباني يفرض التضحية والموت بكرامة، بدلاً من الحياة الدنيئة، وذلك للدفاع عن التعاليم التي جاء بها المصطفى صلى الله عليه وسلم.[22]

ثانيًا: الصراع الفكري والإيديولوجي

جرى قبل الاستقلال نقاش حاد بين الزعماء المسلمين حول صياغة الدستور. وعند الحديث عن استقلال دولة إندونيسيا لا يمكن إغفال سياسة الحكومة اليابانية، وموقفها من كفاح الإندونيسيين ونضالهم؛ حيث كان هدفهم الأول هو تحرير البلد من سيطرة الاحتلال الأجنبي. لقد وقفت القوات اليابانية المحتلة على مدى استماتة المناضلين والمقاومين، لا سيما حرص المجاهدين على الموت، شهداء في سبيل الله، دفاعًا عن كرامتهم وحقوقهم ووطنهم، أو العيش بكرامة واستقلال. وحينما شاهدت القوات اليابانية هذه العزيمة لدى المواطنين، لمواصلة الكفاح الذي كانوا قد بدأوه مع الاستعمار الهولندي؛ جاءت تعليمات رسمية لجميع قادة التجمعات السياسية، بتشكيل لجنة مختصة يكون أعضاؤها ممثلين للتيارات الفكرية المختلفة، بحيث تكمن مهامها في إعداد فلسفة الدولة، وتفصيل القوانين الدستورية؛ إذ لاقت تلك التعليمات الترحيب الحار من دعاة الاستقلال، واعتبروها فرصة ثمينة لا بد من التقاطها وعدم تأجيلها.

تشكلت اللجنة الإعدادية لاستقلال إندونيسيا من ثلاثة عناصر سياسية مهمة، هم: أنصار القومية الإسلامية، وأتباع القومية الغربية، وممثلين عن النصرانية التي تمثل أقلية في المجتمع.[23] فكان النقاش والصراع شديدين للغاية؛ حتى إن الخلاف كاد يؤدي إلى استحالة الاتفاق بين دعاة القومية الإسلامية، التي كانت في ذلك الوقت تمثل الأغلبية، وبين أنصار القومية الغربية التي يترأسها أحمد سوكارنو. فالفريق الأول كان مصرًّا منذ البداية على أن تكون فلسفة الدولة مستندة إلى الأحكام الشرعية؛ بينما الفريق الثاني أصرَّ على تهميش الدين من اللوائح الدستورية، بحجة أنها من ضمن الأمور الشخصية.[24]

ومع ذلك فقد وافق جميع الأعضاء والممثلين للتيارات الإيديولوجية الثلاثة، وبعد مداولات ومحاولات، على صياغة الدستور بمبادئه الخمسة المعروفة باسم بنتشاسيلا؛ حيث تنص الفقرة الأولى منه: على الإيمان بالإله الواحد مع فرض تنفيذ الأحكام الشرعية على كل مسلم، أو بعبارة أخرى: أن المسلمين تطبَّق عليهم الأحكام الشرعية، أما غيرهم فتطبق عليهم القوانين المدنية. واعتبر الزعماء المسلمون هذه الموافقة هي من الإنجازات الكبرى، فقد تحققت آمالهم، وهو أن تكون الدولة الجديدة قائمة على الأحكام الشرعية، حتى تكون مصدر أمن واستقرار للجميع، وأن كل واحد من أفراد المجتمع سيتمتع بالعدالة، وعدم التفرقة العنصرية، أيا تكن أجناسهم ودياناتهم وطبقاتهم الاجتماعية؛ وحتى العضو النصراني الذي كان يمثل الأقلية قد عبَّر عن شكره، وتقديره البالغ للوصول إلى ذلك الاتفاق، بعد نقاش واختلاف حادين، نظرًا إلى أن المسلمين هم أكثرية ولا داعي لمعارضتهم.

غير أنه في اليوم الثاني بعد الاستقلال؛ أي في 18 من شهر أغسطس انقلبت ساعات أفراح الإندونيسيين من ذوي التوجهات الإسلامية إلى أتراح؛ حيث أصيبوا بقلق شديد وخيبة أمل، لا سيما

بعد وصول وفد ياباني لمقابلة الدكتور محمد حتًّا نائب رئيس إندونيسيا بعد إعلان استقلالها في 17 أغسطس 1945م؛ يخبره بأن الإندونيسيين المسيحيين غير موافقين على الفقرة الأولى، التي تدعو إلى تنفيذ الأحكام الشرعية، ولا يرغبون في أن تكون مصدرًا أساسيًّا لجميع الأنظمة القانونية، بل وهدَّدوا بالانفصال إذا أصرَّ زعماء المسلمين على ذلك.[25]

لقد بذل الدكتور حتًّا جهده في إقناع الوفد الياباني بأن تطبيق الحكم الإسلامي لا يشمل الجماعة المسيحية، وليس القصد منه التفرقة الدينية. إنما هذه المادة في الدستور تخصُّ المسلمين بوصفهم أكثرية، وهم مطالبون بكتابهم القرآن الكريم بأن تجري عليهم الأحكام الشرعية تعبُّدًا لخالقهم، علاوة على أن ممثل المسيحيين الإندونيسيين كان عضوًا في اللجنة الإعدادية لصياغة الدستور، وقد وافق على ذلك، ولم يبد أدنى اعتراض على ذلك القرار؛ إلا أن الوفد الياباني أصرَّ على أن المادة المختلَف حولها تتوجه نحو التفرقة العنصرية وانهيار الدولة، وهدَّده بأنه ليس هناك خيار؛ إما الاتحاد أو الانفصال.

وتبيَّن من تلك الأحداث أن الدكتور حتًّا كان في موقف صعب للغاية، وأن ذلك الوفد الياباني قد وضعه في موقف حرج جدًّا أمام أعضاء اللجنة، التي لم تكن حاضرة في الاجتماع؛ ولكن مبدئيًّا وجد نفسه مقتنعًا إلى حدٍّ ما باقتراح الوفد الياباني، بأن تنفيذ الحكم الشرعي شكَّل مخاوف للمسيحيين، ومن ناحية أخرى لم يكن الدكتور حتًّا يريد أن تتعرَّض الدولة للانهيار، زيادة على أن الهولنديين المنهزمين في حلف الحرب العالمية الثانية ما زالوا يطمعون في سيطرتهم مرة أخرى على إندونيسيا، إذا انهزمت اليابان في الحرب العالمية الثانية. وخلال اجتماع الدكتور حتًّا ببعض الأعضاء أكَّد على أهمية الاتحاد، وعدم النص على الحكم الإسلامي الصريح، مراعاة لمصلحة جميع المواطنين على حد قوله، وفي الأخير وافق معظم أعضاء اللجنة؛ حيث نجح الوفد الياباني في إقناع المسلمين، إنْ لم يكن قد نجح في خداعهم بإزالة تلك المادة المثيرة للجدل. وإذْ لم تتغير كلمة الإيمان بالإله الواحد في الدستور؛ فإن طريقة تطبيق الحكم الإسلامي سلكت طريقًا مرنًا في تفسيراتها وتأويلاتها، باعتبار أن جميع الديانات في إندونيسيا توجب الإيمان بالإله وحده من غير تخصيص.

لقد باءت محاولات زعماء المسلمين بالفشل في تشكيل حكومة مصدرها الشريعة الإسلامية؛ حيث أكَّد سوكارنو رئيس إندونيسيا على أن فكرة إقامة الدولة المسلمة، ليس هذا أوانها، فهي من اختصاص البرلمان، ويمكن مناقشتها لاحقًا؛ ما أدى بزعماء المسلمين إلى تأسيس حزب ماشومي عام 1949م بعد ثلاث سنوات من الاستقلال. ومنذ ذلك الحين ظهر فريقان إسلاميان؛ الفريق الأول يرى أن الحكومة الإسلامية لا يمكن تشكيلها إلا بتأييد مباشر من الشعب؛ ما يعني تحيُّن فرصة الانتخابات البرلمانية، علاوة على أن المبادئ المنصوصة في بنتشاسيلا فلسفة الدولة تتناسب إلى حد ما مع بعض التعاليم الإسلامية، ويمكن تطويرها من منظور إسلامي، كما أن فوز الحزب الإسلامي في الانتخابات يضمن التأييد الشعبي لحكومة إسلامية، ولذلك يجب على المسلم أن يقوم بنشر

المفاهيم الصحيحة عن الإسلام من خلال الدعوة الإسلامية ومن طريق الحملة الانتخابية البرلمانية أيضًا. أما الفريق الثاني الذي يتزعمه كارتو سويرجو «Karto Suwirjo» فقد رأى بأن الحكومة الشرعية لا بد من إقامتها؛ حيث يستحيل تأسيسها عبر النقاش البرلماني، وإضافة إلى ذلك فإن تطبيق حكم الإسلام واجب، من حيث إنه لا يمكن تنفيذه إلا أن يكون منصوصًا عليه في الأنظمة الدستورية، ومن ثم فإن محاولة وضع جميع القيم الدينية على مستوى القانون تقوم مقام الجهاد الأكبر.[26]

وإضافة إلى إن سويرجو لم يشارك في صياغة بنتشاسيلا فلسفة الدولة، فهو غير معروف بطموحه ورغبته الشديدة في إقامة الدولة الإسلامية، منذ أن كان عضوًا في حزب الاتحاد الإسلامي، وأن التزامه الديني اكتسبه من مرشده الروحي أثناء دراسته في منزل أستاذه الحاج أمينوتو إلى جانب صديقه القديم أحمد سوكارنو، الذي صار رئيسًا للدولة الجديدة؛ حيث إن سويرجو هو من اقترح لزوم البيعة الجهادية، لتأسيس الدولة الإسلامية على حساب حياة كل عضو في حزب الاتحاد الإسلامي.[27]

فضلًا عن ذلك كان رأي سويرجو بأن الدولة الإسلامية لا يمكن تشكيلها عبر النظام الديمقراطي الغربي، الذي يتناقض تمامًا مع مبادئ الشورى؛ بينما كان يرى من خلال تجربته السياسية في حزب الاتحاد الإسلامي: أن الهدف ليس إقامة الدولة الإسلامية، بل يكفي أن تكون الدولة تحت رئاسة قائد مسلم تكون أحكامه مستمدة من مبادئ الإسلام. لقد هاجم سويرجو حزب ماشومي، الذي اعتبره قد تخلى عن مبادئه الإسلامية، وصار تابعًا للقوميين العلمانيين أمثال سوكارنو، وقبول الحزب لبنتشاسيلا أو المبادئ الفلسفية الغامضة للدولة، وأن زعماء حزب ماشومي في نظره يخلطون بين بنتشاسيلا وبين تعاليم الإسلام، نظرًا إلى افتقارهم لأهداف واضحة بشأن تأسيس الدولة الإسلامية، وتنفيذ أحكامها وفق الدستور. وعليه لم يكن أمام سويرجو إلا الإعلان عن تأسيس «دار الإسلام» عام 1949م في منطقة جاوا الغربية.[28]

وعمومًا، فإن الدولة المستقلة كانت لا تزال تواجه محاولات مستميتة من قبل الهولنديين، الذين بذلوا جهدهم للعودة إلى الحكم الاستعماري، وعدم الاستجابة لمطلب الاستقلال. وإن ذلك البيان الرسمي الذي أعلن فيه عن قيام الدولة الإسلامية قد نال تأييد الزعماء والمناضلين والمجاهدين في منطقة آتشيه «Aceh» وجزيرة سولاوسي «Sulawesi» وكاليمنتان «Kalimantan»، وكذلك في جاوا الوسطى. ومع ذلك فقد اصطدم أنصار الدولة الإسلامية الجديدة الموعودة بالعسكر، مبررين أنهم خانوا قضية إندونيسيا الكبرى. وفي أثناء الصراع الدموي ضد الحكومة المنتخبة، قام الدكتور محمد ناصر رئيس الوزراء، وكذلك بصفته رئيسًا لحزب ماشومي بالتوسط بين الطرفين المتنازعين، وتحقيق المصالحة بينهما؛ ولكن باءت محاولاته بالفشل، لأن المتمردين ظلوا مصرِّين على مطالبهم فاستحلُّوا دماء الجيش الإندونيسي.

استمرت حروب الإسلاميين المتمرِّدين على الحكومة نحو ثلاثة عشر عامًا، وقد واجهتها القوات الإندونيسية المسلَّحة بعنف؛ فأصيب قادتها بالإحباط؛ حيث اعتقل زعيمهم سويرجو. وفي أثناء محاكمته رفض الاعتراف بأخطائه، وفضل الشهادة بدلاً من طلب العفو والاعتراف بخطإ فكره حول الجهاد ضد المسلمين، بمجرد الاختلاف حول مبادئ بنتشاسيلا أو فلسفة الدولة.

باتت جماعة سويرجو ضعيفة بعد أن حكم على زعيمهم بالإعدام؛ ولكن مع ذلك بقيت فكرة تأسيس الدولة الإسلامية تراودهم، بل سلك أنصاره إستراتيجية جديدة في فترة سوهارتو؛ أما في وقتنا الحالي فهم يغذون الشباب بأفكار ومفاهيم غير مناسبة فيما يتعلق بالجهاد.

* * * *

الفصل الثالث فكر محمد ناصر الديني والسياسي

أولًا: الإسلام بوصفه دينًا ودولة

تبلور الفكر الديني لدى محمد ناصر بعد أن خاض في النقاش ردًّا على الأفكار الخاطئة تجاه الإسلام التي أثارها سوكارنو؛ حيث رأى سوكارنو أن التخلف الحضاري في العالم الإسلامي سببه الاهتمام بالشريعة الإسلامية، والحرص على تطبيقها في المجتمع. وعلى حد زعم سوكارنو فإن الشريعة الإسلامية التي ابتدأت في مجتمع بدوي هي غير صالحة للتطبيق في عصر العلم والتكنولوجيا، وفي اعتقاده أن التقدم المادي والعلمي لا يمكن تحقيقه إلا بعملية الفصل بين الشريعة والدولة، وأن الدين أمر شخصي. لقد كان سوكارنو معجبًا بما حققته الدول الغربية من تطور وتقدم؛ ما جعله يقترح تبني الفكر العلماني في إعادة بناء الوطن، اقتداءً بسلفه كمال آتاتورك.

لقد جزم محمد ناصر في ردوده على سوكارنو بأن الإسلام دين ودولة. وعلى الرغم من أن سوكارنو كان أول شخص مهم في الدولة، يقوم بالهجوم على الإسلام، فقد كان هجومه سببًا في إيقاظ وعي زعماء المسلمين، الذين ردُّوا عليه بأن الرسالة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ليست مقصورة على العبادة فقط، بل هي أوسع من ذلك، كونها تشتمل على الأنظمة والقوانين الدستورية، كما تجلى ذلك في صحيفة المدينة التي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بصياغتها.

إن شطحات سوكارنو وتساؤلاته كانت أيضًا سببًا في التجديد الفكري لدى محمد ناصر، وحصول اختلافات فكرية وتضارب إيديولوجي، أنضج الفكر الإسلامي في إندونيسيا؛ حيث تدل الوقائع على أن النضوج الفكري الإسلامي لدى محمد ناصر، ظهر بعدما خاض في النقاشات، وردَّ على التيارات العلمانية المتطرِّفة. وقد بيَّن محمد ناصر الرسالة الدينية وعلاقتها بشؤون الدولة، بأن الأمر الذي أدى إلى الفهم الخاطئ لدى كثير من الناس، ممن يتحدثون عن الأمور الدينية وعلاقتها بنظام الحكم، هو حصرهم للإسلام في أمور العبادة، مثل الصلوات الخمس والصيام وما أشبه ذلك؛ لكن الدين لديه ما يقوم به من تنظيم نشاط البشر، بما فيه نظام الحكم وإدارة الدولة.

يرى محمد ناصر أن مبادئ الحكم مرتبطة بإدارة الدولة غير مفصلة في نصوصها، كما يرى أن الحكم الشرعي يضم دائرتين أساسيتين، لا ينفك بعضهما عن بعض؛ الأولى تتعلق بالحقوق والواجبات بين العبد وربه، وهو ما يعرف بمعاملة المخلوق مع خالقه، والثانية تخص الأشياء التي تنظم علاقة الناس بغيرهم، «أي حبل من الناس». ومن ثم فإن هناك تداخلًا بين تعامل الناس مع غيرهم، بما فيه تعاملهم مع الحكام.[29] ولعل ما يميِّز فكر محمد ناصر عن غيره من أقرانه: أن معظم العلماء الذين يتحدثون عن «حبل من الناس»، لا يمسون جانب العمل الجماعي في إدارة الدولة.

وعلى الرغم من أن محمد ناصر يؤكد على أهمية الشريعة في إدارة الدولة، غير أنه يقول: إننا لا نجد في القرآن الكريم ما يدعو إلى تنظيم الأمور تنظيمًا دينيًّا، لاسيما فيما يتعلق بالعملة والنظم المالية، وإن هذه الأمور متروكة في نظره إلى إدارة الناس لها بالطريقة التي تناسبهم. وفي الواقع أن ما خفى عن محمد ناصر قد ذكره القرآن الكريم بشكل من الأشكال، حيث إن هناك إشارة في القرآن الكريم إلى العملة والدينار في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جانب تحريم الربا. لم يكن محمد ناصر متابعًا لمستجدات التقدم العلمي والتكنولوجي ومهتمًّا به، كما كان يهتم بالعلاقة بين الإسلام والدولة. ولمزيد من الوضوح ننقل رأيه، حيث يقول: «لا يمكن أن نجد في القرآن الكريم ما يتعلق بنظام المرور في الشوارع، وكذلك طريقة التعامل مع جهاز التلفاز، وإن كل ما يتعلق بالأمور الدنيوية يتغير من وقت لآخر، تناسبًا مع البيئة التي ليست بحاجة إلى توجيهات ربانية. والشيء الذي لا بد من مراعاته، هو ما يتعلق بالتصرفات البشرية، التي لا تتغير من زمن إلى زمن آخر، سواء أكان في المجتمع البدوي، أم في عصر التقدم العلمي كما نجده اليوم».[30]

قد تكون مثل هذه الأفكار غير منسجمة مع العلماء المهتمين بالنتائج العلمية، ومدى تناسبها مع التعاليم الربانية. لقد كان العلماء في مجال علم الفلك والرياضيات يقومون بالتعديلات المناسبة، كلما وجدوا معالمها واضحة في النصوص القرآنية، مثل ما قام به الخوارزمي وابن سينا في علم الجبر والقانون في الطب. وكذلك البيروني الذي جاء بنظرية فلكية، لمعرفة اتجاه القبلة وبداية كل شهر، وكذلك في مجال الهندسة؛ فالعلماء المسلمون طالبوا بتصميم البناء المعماري الإسلامي، المعتمد على التعاليم الربانية.كما نلفي محمد ناصر يخالف رأيه الذي حاجج به أمام البرلمان، وهذا نص المحادثة، إذ يقول: «في مجال العلوم يا سيادة الرئيس نجد العلمانية قد جعلت جميع العلوم منفصلة عن الحياة والقيم الحضارية، وفي مجال الاقتصاد لا ترى وجود علاقة له بالقيم الأخلاقية، وكذلك جميع العلوم الاجتماعية، تراها منفصلة عن القيم والأخلاق والحضارة والمعتقدات، وكذلك الأمر المتعلق بجانب علم النفس والفلسفة والقوانين. إن التقدم التكنولوجي قد أنتج القنبلة، ولكن صُنَّاعها يحاسبون عند الله، بسبب استخدامها لإراقة دماء الناس. ومن هذا الجانب نرى أن ظهور الفكر العلماني في إندونيسيا قام على الفصل بين العلم والأخلاق».[31] وتلك النزعة الفكرية عند محمد ناصر دالة على اهتمامه البالغ بالدمج بين القيم الأخلاقية وبين جميع الفروع العلمية الأخرى.

ثانيًا: نظام الحكم الإسلامي

لقد بيَّن محمد ناصر مبادئ نظام الحكم الإسلامي، التي لا بد من مراعاتها فيما يأتي:

1- القيم الدولية

يرى محمد ناصر أن الدولة الإسلامية لا يمكن تأسيسها إلا على مبدأ التوحيد والقيم؛ حيث إن فهم التوحيد لا يقتصر على معرفة الصفات الربوبية والوقوف على الطاعات والعبادات. وإن الخير في حقيقته جزء من الفضائل، التي وهبها الله سبحانه وتعالى لرسله وأنبيائه صلاة الله وسلامه عليهم جميعًا.

في نظام الحكم الإسلامي، كما يقول محمد ناصر، إن جميع القيم أو الفضائل القائمة في المجتمع مثل التعاون البشري ومساعدة الآخرين، لا يمكن إهدارها، بل يجب الحفاظ عليها. وبالعكس فإن جميع المنكرات التي تؤدي إلى انهيار الأخلاق، تعتبر مثل الجرائم التي لا بد من إزالتها على وجه الأرض. وحاجج محمد ناصر بأن الأشياء التي لم تذكر في القرآن الكريم أو السنة الشريفة، يمكن تنظميها على حسب المتغيرات الحاصلة، حتى لا تأتي متعارضة مع الرسالة. ولهذا وجدنا أن فكر محمد ناصر عن الدولة الإسلامية أكثر مرونة، ولم يكن يعنيه شكل هذه الدولة، ما دامت تطبِّق مبادئ العدل والمساواة. وننقل رأيه في هذا الصدد؛ حيث يقول: «إذا كان النظام المستهدف أو المنشود قائمًا في المجتمع بشكل عادل، فمن واجب كل مسلم اتباعه بغض النظر عن مصدره؛ لأن التقدم الحضاري نجد فيه الناس شركاء. وعلينا أن نأخذ الخير من البلدان الأخرى، سواء أكانت بريطانيا أم أمريكا أم فرنسا أم سويسرا، ما دام نظامها العادل لا يتعارض مع تعاليم ديننا؛ وحتى الدول غير الإسلامية استلهمت نظام البلدان الأخرى التي تميزت بالتقدم الحضاري».[32]

وبناءً على هذا يرى الدكتور يوسريل إحزا مهندرا «Yusril Ihza Mahendra»: أن فهم التوحيد عند محمد ناصر يتوجه نحو تقوية أواصر الوعي، وارتفاع الجانب الروحي والوحدة الإنسانية، على أساس المساواة والعدالة والتسامح بين الناس.[33] وإن التصور التوحيدي عند محمد ناصر استهدف تقوية علاقة الناس مع ربهم من طريق الممارسة الروحية، وتحصيل الحسنات من خلال تعاملهم مع الآخرين؛ حيث كانت معارضته لحكومة سوكارنو، ثم حكومة سوهارتو، تستهدف تحقيق الجانب التوحيدي، الذي لا يستتب أمره إلا بإزالة الظلم والاستبداد من طريق النشاطات السياسية. كما يرى الخبير بشؤون السياسة والمجتمع الإندونيسي جورج ماك تورنان كاهن «George McTurnan Kahin» «1918-2000م»: أن تصور محمد ناصر عن الفكر التوحيدي يؤكد على مسؤولية الشخص، ومدى وعيه تجاه مجتمعه، إضافة إلى رؤيته التي لا يمكن فصلها عن حرية الديانة والتسامح والعدالة. وقد أُعجب كاهن بشكل ملحوظ بآراء محمد ناصر الدينية والاجتماعية؛ إذ يقول: «هناك قلة ممن تحترم الفكر المعاصر، كما حصل لدى المسلم المجدد

محمد ناصر. ونحن على يقين بأن نشر آرائه ستكون لها إسهامات كبرى في الغرب، في تنمية الفهم الصحيح المتعلق بالفكر الإسلامي في إندونيسيا بخاصة والعالم الإسلامي بعامة». [34]

2- مفهوم القومية

لقد أكَّد محمد ناصر على أن الهدف الأسمى من خلق الله سبحانه وتعالى لمختلف القبائل والأقوام كان من أجل التعاون بينهم، ومن ثم هو فائدة لهم. وإن حب الوطن طبيعة في البشر لتحقيق التقدم؛ إذ لا يمكن أن يتم إلا من طريق التعاون فيما بينهم. ومثل هذه النزعة الفكرية تعد من مميزات فكر محمد ناصر في التعامل مع النصوص القرآنية، التي لا يتطرَّق إليها العلماء المسلمون بشكل صريح. كما حذَّر محمد ناصر من أن حب الشخص لوطنه لا ينبغي أن يتجاوز به الحد، إلى أن يكون سببًا في التعصب؛ فالتفاضل عند الله سبحانه وتعالى يكون بالتقوى.

مثل هذه الأفكار أثارها في أثناء النقاش في قاعة البرلمان، ردًّا على الزعماء القوميين، مبيِّنًا ميزة الرسالة الربانية في هذا الشأن. وكان قبل ذلك قد خاض في النقاش حول الإسلام والقومية؛ ما يدل على أنه منذ البداية كان يرغب في أن يكون الحكم الشرعي مصدرًا للتشريع. وكان ممن سبقه أمثال عمر سعيد شوكرو أمينوتو والحاج أغوس سالم، قد خاضا في الصراع الإيديولوجي مع الزعماء القوميين؛ حيث إن أمينوتو قد بيَّن أمامهم مفهوم القومية من منظور إسلامي؛ حيث قال: «ما كان الإسلام ليتصدى للقومية ويعاديها. وإن مفهوم القومية كما يراها الإسلام لن تكون خطرًا على الآخرين، بل نراها تؤدي إلى رفاهية المجتمع، وتوحد الإنسانية تحت رعاية ربانية من طريق أحكامه، التي نزلت على رسوله الكريم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم». [35]

أثار سوكارنو عام 1925م أفكاره القومية بحجة الحفاظ على الوحدة الوطنية. وعلى حد زعمه أن من دلالات حب الوطن، هو أن يتخلى الشخص عن الربط بين الدين والدولة؛ حيث قام الحاج أغوس سالم بالرد على مثل هذه الأفكار، قائلاً: من يقول: إن حب الوطن فوق كل شيء، يعد مخالفًا لتعاليم الإسلام؛ ما قد يؤدي إلى الشرك. وقد وصل الصراع بين الإسلاميين والقوميين إلى أعلى درجة من الخصومة بعد أن قام أحد الزعماء القوميين بنشر مقالة في صحيفة سوارا أوموم «Swara Umum » يقول فيها بعدم جدوى أداء فريضة الحج في مكة المكرمة؛ إذ يقول: «نحن لا ننكر أن الشخص حريص على السفر إلى مكة المكرمة لأداء الفرائض الدينية؛ ولكن لا بد عليه من الوعي أن سفره إلى تلك البقعة تكون خسارة لنا، حيث إن المستفيد هم أهالي مكة». [36] لقد أشعلت قولته هذه الغضب لدى المسلمين. وكان محمد ناصر وأستاذه الشيخ أحمد حسن قد هاجما بشدة مثل هذه الأفكار؛ حيث أصدر الشيخ حسن فتوى بتحريم تداول الفكر القومي الذي يروِّج للَّادينية في المجتمع.

لقد ردَّ محمد ناصر على صاحب المقالة، مبيِّنًا الدوافع التاريخية وراء نشوء فكرة القومية في البلد، وكان رأيه متماشيًا مع آراء الحاج أمينوتو والحاج أغوس سالم، في أن الرسالة الإسلامية لها

فعاليتها في توحيد العناصر العرقية والإقليمية، زيادة على أن الهيئات الإسلامية هي التي مهَّدت الطريق لغرس جذور الوحدة القومية، وإنماء روح التعاون فيما بينهم. لقد استجاب الناس لتلك النداءات، التي تطالب بجعل الإيمان بالله فوق العناصر القومية والجنسية، وتوضيحًا لرأي محمد ناصر ننقل قوله: «علينا أن نفهم أن أول حزب قومي هو حزب شريكة إسلام، وكان النداء من ذلك الحزب استجابة للأمة الإسلامية. لقد ظهرت منذ البداية فكرة القومية، التي تتجاوز عناصر العرقية والإقليمية، فكانت العقيدة الدافع الرئيس للحفاظ على الوحدة الوطنية».[37] ويتجلى من كلامه أن الفكر القومي من المنظور الديني يعد مخالفًا لما رآه الزعماءُ القوميون في أن الكفاح مقتصر على تحرير الدولة من الهيمنة الاستعمارية؛ بينما دعاة الإسلام يرون أن المعركة بين الحق والباطل قائمة مدى الحياة، حتى يتحقق النصر ويحكم الشرع.

3- التكافل الاجتماعي والاقتصادي

حرص محمد ناصر على القول: إن كل واحد منا يعلم أن الرسالة التي أوحى الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، قد جاءت لمحاربة الاستغلال والنظام الجائر في المجتمع. وإذ يوجد بعض الناس الطامعين في تراكم الأموال فيما بينهم؛ فلا بد من محاربة ذلك، لأنها مصدر للفتن فيما بينهم.

يقول محمد ناصر: نحن لا ننكر بأن حب المال أيضًا فطرة بشرية؛ حيث إن الإسلام قد نبَّه إلى أن كل واحد منا ينبغي ألا يغفل عن حقوق الآخرين. كما أن التوجيهات الربانية تتوجه نحو دعم الضعفاء والفقراء، والدفاع عن حقوقهم عبر محاربة الفساد والاستبداد. وإن مثل هذه الفكرة جاءت منذ أربعة عشر قرنًا من الزمن؛ حيث إن المؤمنين يتحملون المسؤولية كاملة.

4- التسامح الديني

هناك أمر مهم يتعلق بالتسامح بين الديانات وموقف الإسلام منها، وأن النظام الرباني يطالب كل مسلم بالتسامح في التعامل مع أتباع الديانة الأخرى في المجتمع. ومن ثم يرى محمد ناصر أن التدين هو حق لكل فرد، ولا يجوز لأي شخص أن يُفرَض عليه دينٌ معيَّن، بل إن هناك حرية تامة في اختيار الشخص لدينه. في الوقت نفسه يرى محمد ناصر أن لكل واحد الحق في الدفاع عن دينه؛ حيث إن الإسلام منح الحرية لأهل الكتاب من اليهود والنصارى لممارسة دينهم من غير حرج. وقد حذَّر محمد ناصر من أن قضية التدين مسألة بالغة الحساسية، إذ أمر الله سبحانه وتعالى بالحفاظ على التعايش السلمي في المجتمع؛ فجاءت هذه التوجيهات الربانية، حيث يقول جل جلاله: { فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } [الشورى:١٥].
إن مثل هذه الأوامر يمكن اعتبارها جزءًا مهمًّا جدًّا في مسألة التعامل لتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع. كما طالب محمد ناصر بمسؤولية كل فرد تجاه هذه المبادئ الأخلاقية؛ حيث حاجج بأن فلسفة الدولة بنتشاسيلا يفترَض منها إحياء الوعي الديني من أجل استقرار الوطن، غير أن مثل تلك التوجيهات لا يمكن تحقيقها إلا بوجود دولة، تشجِّع أفرادها على طاعة الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا أكَّد محمد ناصر أمام البرلمان على أن الحكم الشرعي هو أفضل خيار لدستور أفضل.

لقد بيَّن محمد ناصر الملامح الأساسية للتعاليم الربانية، ومدى صلاحيتها لتنظيم الدولة، وكان الصراع بينه وبين منافسيه قائمًا على مدى الخيار بين الفكر الإسلامي والعلماني. وإن محمد ناصر بصفته رئيسًا لحزب ماشومي حاول إقناع الآخرين بنقاط ضعف فلسفة الدولة «بنتشاسيلا»؛ حيث تميَّز محمد ناصر بقوة إقناع الآخرين واستخدام العبارات المناسبة لاستمالتهم؛ ما جعل الناس يرون أنه رجل علم وفلسفة. وكان محمد ناصر في ذلك الوقت يهاجم بنتشاسيلا ومدى خطورتها على الجيل القادم؛ إذ إنها تتوجه به نحو تيار علماني.

لقد كان إصرار محمد ناصر على كتابة الدستور وفق التعاليم الإسلامية سببًا في سطوع اسمه في سماء العالم الإسلامي.

* * * *

ثالثًا: الدين والدولة

اقترح محمد ناصر ربط الدين بالدولة، وهو يعي أن الحكم الشرعي لا يمكن تطبيقه إلا بوجود سلطة إسلامية. وأكَّد على خطورة مسألة عدم تقديس القرآن الكريم، بحيث بات يوضع داخل دولاب مذهَّب فقط في غياب تطبيق حكمه من قِبل السلطة الحاكمة. ومن هنا نرى أن محمد ناصر لم يكن يرغب في ذكر كلمة «إقامة الدولة الإسلامية» في الوقت الذي كان مهتمًّا بدمج تعاليم الإسلام بأنظمة الحكم، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على حكمته السياسية؛ حتى لا يكون هناك اعتراض أو رفض من قبل الزعماء القوميين المتأثرين بالثقافة الغربية.

لقد تأكد محمد ناصر من سوء الفهم لدى كثير من الناس فيما يتعلق بالدولة الإسلامية؛ حيث يعتقد الناس أن من يدير الخلافة ستكون حاشيته من النساء الجميلات الراقصات، بينما هو جالس على عرشه يشاهد رقصهن ويتمتَّع بجمالهن. كما أن هناك من يتصوَّر أن الدولة الإسلامية يديرها شيخ هرم ومعمَّم ومدمن على المشروبات الكحولية.[38] إنه من أجل تحقيق الإسلام وتطبيق أحكامه، فلن يتولى الحكم من ليس له أهلية في الإدارة والقيادة. ومن ثم لا تعطى السلطة لمن يؤمن بالخرافات ويرتكب المحرمات، التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها. وإن زعم محمد ناصر أن السلطة الحكومية في واقعها امتداد لسلطة الله تعالى، فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن القيادة تشترط معايير أخلاقية، كما جاء في قوله سبحانه: { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } [المائدة:٥٥].

وبناءً على تلك الأفكار التي ساقها محمد ناصر، يتبيَّن لنا أنه كان متأثرًا بالتعاليم الربانية، كباقي الزعماء الحركيين المهتمين بتأسيس الدولة الإسلامية. وإن موقفه تجاه التحكيم الرباني يتشابه مع ما رآه سيد قطب بألَّا مساومة بين الحق والباطل، أو بين الجاهلية والشريعة الإسلامية. واعتبر سيد قطب أن أهل الكتاب من اليهود أو النصارى قد كفروا لمجرد أنهم يفصِّلون في الحلال والحرام وفقًا لأهوائهم. وعلى الرغم من هذا التشابه في الموقف الديني بينه وبين سيد قطب؛ إلا أن محمد ناصر لم تكن له جرأة بالغة على تكفير الآخرين، مثلما وجدناه في كتابات سيد قطب، فهو يكرِّر قوله حول أهمية منح السلطة للملتزمين دينيًّا بالإضافة إلى الكفاية العلمية والقيادية، التي اعتبرها من ضمن الأسس المهمة لإقامة الدولة الإسلامية.

والشيء الآخر الذي وجدناه في أفكاره أنه لم يكن يبالي بتسمية الدولة باسم «الدولة الإسلامية»، ما دام أن هناك ضمانًا لإقامة العدل والمساواة بين الحاكم والمحكوم. وليتضح لنا رأيه ننقل كلامه: «أي لقب يمكن إطلاقه على رئيس الدولة، سواء أكان أميرًا أم خليفة أم أمير المؤمنين؛ لا يهمنا ذلك في شيء، ما دامت تلك المواصفات أو الواجبات والحقوق تتوافر وفق الشروط الإسلامية».[39] حيث إن العلاقة الجيدة بين الدين والدولة أمر مهم لبناء المجتمع، مبررًا ذلك بأن الدولة لا يمكن لها تحقيق التقدم بدون تفعيل هذه العلاقة؛ إذ قبل كل شيء لا بد أولًا: من أداء الحقوق والواجبات من قبل الشعب ورجالات الدولة؛ ثانيًا: يفترَض الوقوف على القوانين واللوائح التي تنظم العلاقة بين الأفراد، وكذلك القوانين التي تنظم العلاقات الدولية؛ ثالثًا: إن الكل بحاجة إلى تصوُّر صحيح عن الإخلاص والطاعة من طريق ممارسة النشاطات الروحية، التي تمثل جزءًا رئيسًا ينظِّم علاقة

الشخص بربه؛ رابعًا: لا بد من التدريب على ممارسة الأخلاق والغيرة الجهادية، لتحقيق السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.[40]

وفي رأي محمد ناصر أن الجانب الروحي يمثل الجزء الأهم الذي يحدِّد تنمية الدولة ورفاهيتها. وقد جاء بمثال عن العلاقة بين الدين والدولة حول طلب العلم، الذي يفرضه الإسلام. وعلى الرغم من صلاحية النظام، فإنه لا يمكن أن تكون له فعالية بدون تدخل السلطة. وكذلك حول فرضية الزكاة، فإنه لا يمكن إيفاؤها من قبل المجتمع، بدون تدخل السلطة ووجود نظام لتنفيذها. والأمر الآخر يتعلق بتحريم شرب الخمر، فإنه لا يمكن ابتعاد الناس منها، ما دامت الحكومة تمنح الإذن بصناعتها.[41]

لقد أكَّد محمد ناصر على أن الربط بين الدين والدولة لا يكون فقط في الاستشهاد بآيات قرآنية، وإنما لا بد من ربط الأحكام بالدستور؛ لأن النشاطات الدينية ليست مقصورة على الشعائر التعبدية وحسب، لا سيما أن الوقائع في العالم الإسلامي دالة على أن القوانين مقتصرة على الأحوال الشخصية فقط؛ بينما الجرائم والاقتصاد والتعامل التجاري كأنها ليست من الدين. وعليه فقد رأى أن الدولة ما هي إلا وسيلة لتطبيق الدين وتفعيل مبادئه في المجتمع المسلم؛ حيث إن الدولة تشكَّلت قبل وصول الإسلام وفق خصائص مختلفة.[42]

يحاجج محمد ناصر بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع الأصول لإدارة الدولة وإقامة العدل فيها، وإن الدين الذي نزل على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم يفترَض علينا تعميم صبغته الإسلامية في كل المجالات والنشاطات الاجتماعية. ويمكن الإشارة إلى أن هذا الأمر شبيه بما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بتغيير المجتمع العربي من الجاهلية إلى المجتمع الإسلامي. وإذْ نتحدث عن الدين كمنهج للحياة يقول محمد ناصر، نحتاج إلى الأنظمة الحكيمة لتطبيقه، وإن الشخص الذي يؤمن بشمولية الرسالة الإسلامية هو الذي يستحق منصب الرئاسة.

وفي الواقع هناك الكثير ممن يقول بأهمية أسلمة الحياة من كل جوانبها؛ بينما محمد ناصر لم يقف على أهمية إقامة الدولة الإسلامية، بل إن أفكاره ارتكزت على اتخاذ الشريعة مصدرًا أساسيًّا في الدستور. وإن هذه المرونة قد استغلها معارضوه من الغلاة في إندونيسيا، فطعنوا في أفكاره؛ لأنهم لم يجدوا عبارة صريحة في لوائح حزب ماشومي تدعو إلى إقامة الدولة الإسلامية.

من وجهة أخرى قام محمد ناصر بالهجوم على الحكام المسلمين، الذين أدخلوا بعض النصوص الدينية ضمن سياساتهم من غير تفعيل لها؛ إذ يقول: «حين لا يهتم الحكام بمصلحة الشعب، ولا يفكرون في التقدم والتنمية، وتقليص عدد الفقراء، فهم في الواقع يسهمون في توسيع دائرة المنكر، مثل ما قام به بعض السلاطين الأتراك، الذين لم يكونوا يمثلون الدولة الإسلامية».[43]

وبالنسبة إلى فلسفة الدولة بنتشاسيلا فرأى، محمد ناصر، أنها مقبولة، ما دام أن البند الأول فيها ينص على الإيمان بالله الواحد، ومع أنها غير مطبَّقة، فإنه لا يمكن تفسيرها إلا من منظور التوحيد.

لقد حاجج محمد ناصر بأن قبول المسلمين لفلسفة الدولة بنتشاسيلا بشكل عام لا يتعارض مع المبادئ الإسلامية، إذا كانت هذه الفلسفة لا تتناقض مع التعاليم الربانية، التي أوحى الله بها إلى رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. ولمزيد من التوضيح ننقل قوله: «وفي نظر المسلمين فإن مبادئ فلسفة الدولة أو بنتشاسيلا بشكل عام لا تتصادم مع تعاليم الإسلام».[44]

واعتمادًا على تلك الحجج التي قدَّمها محمد ناصر؛ فإن فلسفة الدولة تتوافق مع بعض تعاليم الإسلام، على الرغم من أننا في الواقع نجد أن تعاليم الإسلام أكثر شمولية وتفصيلًا. وإذا كانت أركان فلسفة الدولة بنتشاسيلا غامضة، فيمكن تغييرها من وقت إلى آخر، بناءً على سياسة الحاكم. لقد بذل محمد ناصر جهده من خلال تدخلاته أمام أعضاء البرلمان، وهو يدافع عن الإسلام، ويقدِّمه بوصفه مصدرًا تشريعيًّا في الدستور. زيادة على ذلك، كان محمد ناصر حريصًا على ربط الأحكام الشرعية بالقانون في محاضرة ألقاها في رمضان عام 1954م، محاولاً من خلالها إقناع الآخرين بميزة حكم الإسلام، وأنه أكثر شمولية مقارنة مع فلسفة الدولة أو ما يسمى بنتشاسيلا.

في الواقع لم يكن محمد ناصر يساوي بين الإسلام وفلسفة الدولة بنتشاسيلا من حيث مضمونها، بل إنه كان يحاول إدخال القيم الإسلامية بعد أن فشل الزعماء المسلمون في فرضية تطبيق الحكم الشرعي بشكل مباشر؛ حيث إن فلسفة الدولة من منظور محمد ناصر، تمثِّل الإطار العام لأعمال الخير الذي يتيح الفرصة للحكام لتنفيذها تنفيذًا يخدم الصالح العام، ولهذا السبب قال أمام البرلمان الباكستاني: إن إندونيسيا دولة إسلامية: «ممكن أن أقول: إن إندونيسيا هي دولة إسلامية، نظرًا إلى أن معظم سكانها من المسلمين؛ حيث إن الإسلام معترف به بوصفه دينًا رسميًّا من غير القول بالجمع بين الدين والدولة. وفلسفة الدولة تنص صراحة على الإيمان بالله الواحد بوصفه جزءًا أساسيًّا في الدستور، التي يمكن القول عنها: إنها أحد العناصر الأخلاقية والروحية للدولة».[45]

من البدهي أن بعض عناصر فلسفة الدولة لا تتعارض مع الرسالة الإسلامية؛ ولكن كما أشرنا آنفًا إن تنفيذها يكون متوقفًا على سياسة الحكام. وبسبب الغموض الذي يحيط ببنتشاسيلا فلسفة الدولة؛ فإن الإسلام هو الأصلح، لأن يكون فلسفة لدولة إندونيسيا. ولهذا يرى الباحث المشهور دليار نور «Deliar Noer» «إن ما أدلى به محمد ناصر أمام البرلمان الباكستاني هو مجرد مجاملة، حتى لا يكشف عن عيوب الدولة التي غالبية سكانها من المسلمين، وحاجج بأن محمد ناصر كان حريصًا على أن يجعل الإسلام هو فلسفة الدولة، وليس بنتشاسيلا، نظرًا إلى ما يعتري بنتشاسيلا من غموض».[46]

غير أنه في عام 1959م حصل تحوُّل في رأي محمد ناصر تجاه فلسفة الدولة؛ فقد نادى بتغييرها بنظام الحكم الإسلامي، وقد حصل ذلك أمام البرلمان الإندونيسي خاطبه بلهجة صارمة، حيث عرض موقفه الحازم من بنتشاسيلا. وكانت في تلك الفترة قد سنحت له فرصة طيبة لتبادل الأفكار

لإعداد فلسفة للدولة جديدة، وكان هجومه على بنتشاسيلا كونها تخدم أغراضًا علمانية، ليست في صالح المسلمين ذوي الأغلبية في إندونيسيا.

لا شكَّ في أن هناك مواقف من قبل السياسيين ،كانت وراء تغيير موقف محمد ناصر من فلسفة الدولة؛ حيث كان أنصاره في حزب ماشومي أمثال الدكتور أنور هاريونو والدكتور دليار نور وعبدالقادر جيلاني، قد رأوا أن هناك بعض العناصر في بنتشاسيلا تتبدل لصالح الشيوعية والإلحاد، بإيعاز من سوكارنو رئيس الدولة؛ ما أدى بمحمد ناصر إلى التصريح العلني بإضفاء الحكم الشرعي على قوانين الدولة. فقد نقل أمام البرلمان الإندونيسي أن الدين الإسلامي هو الذي يحرِّك النشاطات الحيوية روحيًّا وجسديًّا لشعب إندونيسيا، وأن مميزات تعاليمها قد أوضحناها مفصلة. ولهذا فإن فلسفة الدولة ومبادئها لا بد أن تستقي منابعها من الدين الإسلامي، وليس من الفلسفة الغامضة المسماة ببنتشاسيلا. وإن بنتشاسيلا ليست من الدين على الرغم من ذكر الركن الأول عن الإيمان بالإله الواحد؛ لأنها منبثقة من الفكر العلماني.

لقد ناقش محمد ناصر أهمية الحكم الشرعي وهاجم بشدة التيار الفكري العلماني. وقد أكَّد منافسوه من أتباع القومية الغربية أن المبادئ المتضمنة في بنتشاسيلا تشير إلى الشريعة الإسلامية؛ ما يجعل المبادئ المتضمنة في بنتشاسيلا أكثر فعالية. وقد حذَّر محمد ناصر من عواقب الفكر العلماني إذا اتخذت الحكومة من بنتشاسيلا -التي تخالف معتقدات المسلمين- فلسفةً لها.

لقد حاجج محمد ناصر بأن بنتشاسيلا تضم بعض العناصر الإيمانية، ولكن في الوقت نفسه يقبل بها الشيوعيون، وهذا ما ينمُّ عن تناقض وغموض واضحين في بنتشاسيلا. فإذا قبل الشيوعيون بنتشاسيلا، فذلك يدل على عدم التزامهم بفلسفة الدولة، التي تفترض الطاعة والولاء من المواطنين؛ بينما الإيديولوجية الشيوعية تنفي وجود الإله.

في هذه المرحلة بدا فكر محمد ناصر عن فلسفة الدولة يختلف عما أبداه في محاضرته، التي ألقاها أمام البرلمان الباكستاني. لقد كان نقد محمد ناصر يركِّز على أن فلسفة الدولة بنتشاسيلا بأنها غامضة، وأن الربط بين أصولها الخمسة غير واضح. إضافة إلى ذلك فإن بنتشاسيلا لا تلبي احتياجات المسلمين أصحاب العقيدة الشمولية. ورأى أنه بالنظر إلى أن معظم سكان إندونيسيا من المسلمين، يكون من الأنسب اتخاذ الإسلام وأحكامه مصدرًا رئيسًا للتشريع؛ حيث إن الرسالة الإسلامية صالحة لإدارة مصالح الناس لتحقيق التقدم والسعادة في الدارين. لقد أكد محمد ناصر للجميع: أن الإسلام يحث على استخدام العقل لتحقيق التقدم العلمي والحضاري.

* * * *

رابعًا: تطبيق النظام الديمقراطي

يكاد يختلف محمد ناصر عن باقي العلماء المسلمين، ممن لديهم حساسية في استخدام بعض المصطلحات التي جاءت من الغرب. وهو يرى أن الدولة الإسلامية لا يمكن إقامتها، إلا برضا الشعب من طريق الانتخابات الحرة الشفافة والعادلة. وقد عرّف الديمقراطية قائلاً: «الفهم الديمقراطي في الإسلام هو إتاحة الفرصة وإعطاء الحق للفرد في التصحيح والتذكير والانتقاد للحاكم الطاغية. وإذا لا يكفي الإنذار أو التذكير والانتقاد، أجاز الإسلام إزالة ظلم الحكومة باستخدام القوة، إذا دعت الحاجة إلى ذلك».[47]

يبدي محمد ناصر توافقًا مع نظام الديمقراطية الغربية، من حيث إنه يكاد ينسجم مع الأنظمة الاجتماعية، ويتيح ظهور تعددية دينية. وحتى في معظم البلدان الخاضعة للاستعمار الغربي؛ فإن نظام الديمقراطية لا يتعارض بكامله مع المبادئ الإسلامية. ورأى محمد ناصر أن بعض المفاهيم في الديمقراطية تتناسب مع مبدأ الشورى، كما يفرضه علينا القرآن الكريم. وقد يكون رأي محمد ناصر الإيجابي في الديمقراطية من ضمن مميزات فكره تجاه فهم الشورى، في حين أن معظم العلماء المسلمين يرون بأن الشورى هي مجرَّد طلب الموافقة أو الاستشارة المتعلقة بالحكم الشرعي؛ بينما يرى محمد ناصر أن الشورى هي وسيلة مهمة لنيل موافقة الشعب على تحكيم حياتهم اليومية، وفي الوقت نفسه يمكن القول: إن الشورى وسيلة لإزالة ظلم الحكام واستبدادهم.

يعترف محمد ناصر بأن هناك جوانب كثيرة من النقص في النظام الديمقراطي، ولأجل هذا فهو لا يساوي بينهما. وقد أشار بأن الإسلام فيه الكثير من الديمقراطية من ناحية أنها تنفي الاستبداد وجميع التصرفات الظالمة، التي تمس بوحدة الشعب. كما أنه لا ينكر الديمقراطية كلها، ولا يعتبر الإسلام بأنه الديمقراطية؛ فالإسلام في تصوُّره لديه مواصفاته الخاصة، والإسلام ليس بكامله متناسب مع المبادئ الديمقراطية؛ ولكن الإسلام هو الإسلام.

اعتبر محمد ناصر بأن الاجتهاد يمكن تفعيله من داخل نظام معيَّن، بحيث لا يوجد في القرآن ولا في السنة النبوية تفاصيل عن كيفية إدارة الدولة، بل إنهما يتصوران الملامح العامة في إقامة العدل بين الناس. إن رئيس الدولة مثلًا مطالب بتفعيل الشورى، خاصة في الأمور المتعلقة بسياسة الدولة؛ ففي صدر الإسلام مثلًا نجد أن الشورى قد تحققت في الصحراء تحت ظل أشجار النخيل، وفي وقتنا الحالي يمكن تطبيقها في البرلمان. والقرآن ينص فقط من ناحية الحقوق والواجبات للحكام والمحكومين على حد سواء. فالحكام لهم مسؤولية، ويستحقون الطاعة من الشعب، ما دام أنهم يديرون أمورهم بشكل عادل، كما هو منصوص في الأحكام الشرعية.[48]

لقد ظهر من خلال كتاباته أنه بذل جهدًا كبيرًا لجعل الإسلام فلسفةً للدولة، وهذا يدل على أن الديانة والسلطة لا يمكن تجزئتهما، بل توحيدهما؛ حيث تدمَج العناصر الروحية بالنشاطات الاجتماعية.

وقد تأكد محمد ناصر منذ أول وهلة بأن تطبيق الشريعة الإسلامية على مستوى الدستور سوف يكون عبثًا إن لم يعِ أفراد المجتمع مهامهم تجاه الدولة. ولذلك وجدنا محمد ناصر بصفته رئيسًا للوزراء قد بذل جهده لصياغة سياسة إسلامية. وكان موقفه الإيجابي من الديمقراطية قد ساعده على سلوك مواقف سياسية حكيمة، خاصة بعد أن فشل الزعماء المسلمون في محاولتهم لتنفيذ الحكم الإسلامي دستوريًّا.

لا شكَّ في أنه يوجد سبب وراء اختيار محمد ناصر لنظام الديمقراطية، وهو إقامة الدولة الإسلامية بوسائل مشروعة؛ ولهذا فإنه ساند النظام الديمقراطي الغربي ما دام يسير في مساره الصحيح. ولعله يكون من المناسب أن نرى فكر محمد ناصر بشكل واضح من خلال التجائه للنظام الديمقراطي الغربي في قول كاهن: «وفيما يتعلق بقضية الدولة الإسلامية، هناك إشكاليات وسوء فهم لدى الغربيين، وكذلك لدى الإندونيسيين. ولكن رأي محمد ناصر حول هذه القضية الشائكة كان أكثر وضوحًا؛ إذ إن إقامة الدولة الإسلامية يعد أمرًا مثاليًّا قد يكون بعيد المنال، أو يستحيل تحقيقه في الوقت الراهن. وفي الوقت نفسه يجب على كل مواطن إندونيسي أن يبذل جهده لإقامة الديمقراطية في البلد، علمًا أن تعاليم الإسلام يمكن تعزيز دورها من داخل النظام الديمقراطي. وعبر القنوات الديمقراطية يمكن إتاحة الفرصة لجعل الدستور يتماشى مع الرسالة الإسلامية».[49]

انطلاقًا من تلك الحقائق، يتَّضح أن محمد ناصر كان يرغب في اتخاذ الديمقراطية الغربية وسيلة لتحقيق النظام الإسلامي في إندونيسيا. وكما أشرنا آنفًا، فإن تصوره عن الفكر الديمقراطي كان يهدف إلى التصحيح والنقد والبناء لإزالة الظلم والاستبداد في الدولة. وإذا كانت المحاولة من طريق السلم لا جدوى منها فمن الممكن استخدام القوة لإزالتها. ولهذا فإنه بانضمامه إلى الحركة الثورية التي حدثت في جزيرة سومطرا عام 1957م، قد استهدف من ورائها تصحيح الوجهة الديمقراطية، التي انحرفت عن مسارها الحقيقي. وكان سوكارنو في ذلك الحين قد أتاح الفرصة للحزب الشيوعي لنشر نفوذه في الدولة، بما يتعارض مع فلسفة الدولة بنتشاسيلا. وإضافة إلى ذلك فإن تعيين السيد جواندا «Djuanda» رئيسًا للوزراء كان يتعارض مع الإجراءات القانونية، زيادة على أن الحكومة المركزية ظلت مهتمة بالتنمية المتمركزة في جزيرة جاواه فقط؛ ما تسبب في ظهور الحركات الانفصالية في بعض الولايات في إندونيسيا ضد سياسة الحكومة ذات الصبغة العسكرية.

الفصل الرابع فكر محمد ناصر الديني والاجتماعي

أولًا: تصوُّره للعبادة

يعدُّ محمد ناصر مثل غيره من العلماء والمصلحين الذين يهتدون بنور الآيات القرآنية في فهم مقاصد العبادة؛ إلا أنه كان يتشوَّف، أيضًا، إلى ربط فعل العبادة بالعمل الاجتماعي والسياسي. وهو يعتقد أن كلام الله المنزَّل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليس مقصورًا على العبادة في الحياة، بل يتعدَّاه إلى قيادة الحياة أيضًا، ومن ثم لا بد من حصول توازن في العلاقة بين الجانب التعبُّدي والنشاطات الاجتماعية والسياسية، تحقيقًا للتقدم في الحياة الدنيوية، وتحصيل السعادة في الحياة الأخروية؛ حتى إنه كان يناقش الزعماء القوميين العلمانيين في مسائل دينية ودنيوية بكل ثقة، فقد اقترح حلولًا للمشكلات الاجتماعية والسياسية من منظور إسلامي. ومن منطلق قوله تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات:٥٦]، يرى محمد ناصر أن كل شخص بإمكانه أن يكون عبدًا صالحًا لله سبحانه وتعالى في كل جوانب الحياة؛ ليتحقَّق الفلاح، بحيث إن الحياة في هذه الدنيا لا يمكن فصلها عن المعتقدات الدينية.

ومن هذه الناحية يرى، أيضًا، أن الإسلام يمثِّل النظام الإيديولوجي، الذي تُستلهَم منه النشاطات الإنسانية. إن تصوُّر محمد ناصر للعبادة بوصفها أسلوب حياة، وإن جميع النشاطات الإنسانية تندرج في معنى العبادة. هناك حبل من الله وحبل من الناس؛ حيث يعني بحبل من الناس هو تعامل كل فرد مع الآخرين، وفق ما يمليه الشرع وينظِّمه، وبالطريقة التي سلكها المصطفى صلى الله عليه وسلم، زيادة على أن الحياة الدنيوية والأخروية مترابطتان، ويستحيل الفصل بينهما.[50]

إن العبادة في تصوُّر محمد ناصر، لا يمكن حصرها في أداء الفرائض؛ إذ لا بد من إخراج فهم الناس الضيِّق للعبادة إلى ما هو أوسع وأرحب. وبالإضافة إلى ذلك فإن الدين الإسلامي ينظِّم النشاطات الإنسانية بوسائل شرعية ومشروعة في آن، غير أن تلك الأنشطة لا يمكن تفعيلها في المجتمع والدولة في غياب سلطة عادلة. ومن هنا يرى أن تحقيق العبودية في الأرض بحاجة إلى دولة مؤسسية، ترعى مطالب شعبها المتديِّن؛ حيث يعتقد أن العلاقة بين العبودية ونظام الحكم مسألة طبيعية، وهي ذات أهمية لدى كل شخص يعي ويدرك قيمة الالتزام الديني.[51] كما آمن محمد ناصر، وبكل صدق، بأن إقامة الدولة الإسلامية يتعذَّر تحقيقها سياسيًّا إذا لم تتوافر شروط الوعي الديني لدى السياسيين الإسلاميين.

* * * *

ثانيًا: الأسرة المسلمة

أدلى محمد ناصر برأيه في الأسرة المسلمة، التي اعتبر صلاحها من صلاح المجتمع، وهي زيادة على ذلك لبنة من لبنات إقامة الدولة الإسلامية الواعية بأفرادها. يقف محمد ناصر في فهمه للأسرة المسلمة على قوله تعالى: { وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا} [النساء:٢١]. فرأى أن كلمة «كيف تأخذونه» تعني كيف لديكم أيها الأزواج الجرأة على أخذ ما أعطيتموهن من المهر، وأنتم قد شاركتموهن في الحياة، وأخذتم بالميثاق؟ ثم يوضِح بعد ذلك معنى لفظ: «الغليظ»، فيقول: إنها ذكرت في القرآن ثلاث مرات في أماكن مختلفة، واحدة لها علاقة بالتعهدات بين الله والرسل والأنبياء؛ ولهذا يرى أن عقد الزواج له أهمية كبرى بين الجانبين «الزوج والزوجة»،[52] بحيث لا يمكن تعديله بتلك السهولة. قام محمد ناصر بتفسير الآية مشيرًا إلى آية أخرى، بحثًا عن الحقائق، فوجد أن العلاقة بين الزوجين لا بد أن تكون قائمة على التكامل والتعاون والتفاهم وتبادل المسؤولية؛ حيث تُلقى على عاتق الزوج مسؤولية كبرى في تدبير شؤون العائلة، كما جاء في هذه الآية الكريمة: { وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة:٢٢٨].

لقد أوضح محمد ناصر أن للزوجات الحق على الأزواج، وكذلك للأزواج الحق على زوجاتهن. وكلمة «بالمعروف» هي أقرب إلى العدل؛ بينما كلمة «الرجال» تشير إلى الأزواج الذين لديهم مسؤولية عظيمة تجاه العائلة. أما عن معنى «درجة» كما ذكرت في الآية؛ فيرى أن الأزواج، وعلى الرغم مما ينعمون به من درجة عليا على الزوجات؛ فإن هذا لا يعني معاملتهن بسوء وغلظة، بل على صاحب الدرجة الرفيعة أن يدبِّر شؤون العائلة مهتديًا بالتعاليم الربانية. أوضح بعد ذلك أن الآية تتحدث عن مسؤولية الزوج في تدبير الأسرة وأداء واجباته الحقيقية، كما هو ظاهر في هذه الآية الكريمة: { الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ } [النساء:٣٤]؛ بينما «الرجال» فتعني الأزواج، وهم المدافعون عن الزوجات بما فضَّلهم الله عليهن.

من وجهة أخرى، نلفي محمد ناصر مثل باقي المفسرين، الذي يعزِّزون آراءهم بالأحاديث النبوية، تبيانًا لما جاء في القرآن الكريم؛ حيث يرى أن المسؤولية تكون مشتركة بين الرجل والمرأة لصالح أسرة صالحة، كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «ألاَ كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده ومسئول عنه، ألاَ فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته.»[53] وعلى حد رأيه فإن الرجل يعد رئيس الأسرة، وهو محاسب عند الله سبحانه وتعالى، وكذلك الزوجة رئيسة في أمور الحياة داخل الأسرة، وهي محاسبة عند الله سبحانه وتعالى.

يكمل محمد ناصر تفسيره بأن الله سبحانه وتعالى جعل رعاية الأولاد وتربيتهم مسؤولية الزوج والزوجة، ويستدل بقوله صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولَد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».[54] وبعد أن يقوم الوالدان بواجبهما من الناحية التربوية والنفسية، أوصى الله سبحانه الأولاد بطاعة الوالدين، نظرًا إلى مشقَّة الوالدين في حماية الأولاد، لا سيما مشقَّة الحمل والرضاعة والرعاية والسهر، لقوله تعالى: { وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ } [لقمان:١٤].

يعتقد محمد ناصر أن حسن معاملة الأولاد للوالدين شرطٌ من شروط التوحيد، وتسليم جميع الأعمال لله سبحانه وتعالى، كما جاء في الآية الكريمة: { لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [البقرة:٨٣]، { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [النساء:٣٦].

* * * *

ثالثًا: الإنسان والمجتمع

يدعو محمد ناصر إلى تقفِّي أثر الرسالة القرآنية في جميع النشاطات التي يقوم بها الإنسان المسلم في المجتمع، لضمان صلاحية الأعمال وصحَّة الأفعال، فهو يتَّخذ من الآيات الكريمة منهجًا صريحًا، لتقوية التكافل والتعاون بين الناس، كما يشير إلى أن هناك أفعالًا سيِّئة قد تضر بالناس، ولا تجعلهم وحدة واحدة، مستندًا في ذلك إلى قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } [الحجرات:٦]؛ فعن هذه الآية الكريمة يقول محمد ناصر: إذا جاء الفاسق بنبأ سواء لفرد أم لجماعة؛ فلا بد من أخذ الحيطة من الخبر، والتبيُّن منه، وكشف نواياه وأسراره، قبل اتخاذ القرار النهائي؛ حيث يرى أن القول: { أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ } هو ألا نتسرَّع في الحكم على فرد أو جماعة حكمًا باطلاً وجاهلاً لمجرد سماع الخبر؛ وما قد يستتبعه ذلك من ندامة، لا سيما إذا كان الخبر عقيمًا والألم عميقًا، وعليه أخبر الله سبحانه وتعالى جميع المسلمين بأخذ الحيطة، خاصة إذا كانت الأخبار المنقولة تفضي إلى الفتنة والتفرقة بين أفراد الأمة المسلمة.[55]

من وجهة أخرى، رأى محمد ناصر، أن هناك بعض المنغِّصات والعداوات قد تؤدِّي إلى الضرر الكبير في حياة الأفراد والجماعات، ومن أجل هذا يدعو الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين إلى التصالح والتناصح فيما بينهم: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الحجرات:١٠].

كما رأى أن القرآن الكريم يزخر بمعاني الاحترام والتفاهم والرضا والمحبة والتسليم بقضاء الله وقدره؛ فلا يعلو أحد على أحد، ولا يسيء المسلم لأخيه المسلم، أو يستهزئ به أو يحقره، لأن ذلك من بوادر التفرقة والبغضاء والتجسس، التي إن سادت في المجتمع الإسلامي أصابته بأمراض اجتماعية ونفسية، هي أقرب إلى أن يأكل الإنسان لحم أخيه الإنسان، مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ } [الحجرات:١١-١٢].

* * * *

رابعًا: الإسلام والقومية

لقد طبَّق الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام الشورى في حياتهم؛ فهي بالنسبة إليهم حجر الزاوية في الحفاظ على التعايش السلمي؛ بينما نلفي في العالم العربي والإسلامي القوة هي اليد الطولى في إدارة الدولة؛ حيث يؤمن محمد ناصر بأن حب الناس لأوطانهم فطرة مركوزة فيهم يستحيل إزالتها؛ فالتعايش بين الشعوب والقبائل مرغوب فيه ومستحسَن، على الرغم من الاختلافات في اللون واللسان والدين واللغة، لقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات:١٣]. وعلى حد رأيه؛ فإن لفظ «التعارف» ليس مقصورًا على معرفة خصائص الناس ومواصفاتهم؛ وإنما أراد الله سبحانه وتعالى من ذلك حصول التفاهم والتواصل والتعاون بغض النظر عن تباين الديانات والمعتقدات. لقد قضت حكمة الله من وراء هذه الاختلافات أن تعيش القبائل من غير خلافات قد تفضي إلى الاقتتال، بل أن تكون إلى الاحترام أقرب؛ ولكن الإنسان إذا سلك مسلك الشيطان حصلت الحروب التي لا تبقي على الاحترام والتراحم بين الناس.

إضافة إلى ذلك، يرى محمد ناصر أن تنوُّع الجنسيات والأقوام ما هو إلا لإتاحة الفرصة للتنافس من أجل تحصيل التنمية والتقدم لمصلحتهم في هذه الحياة الدنيا. غير أن حب الوطن لا ينبغي أن يتجاوز حد التعصُّب بأن يدَّعي قوم بأنهم أفضل من غيرهم؛ فالأفضلية عند الله تكون بالتقوى. وإن حصلت الأفضلية بين البشر أنفسهم، ومن غير استعلاء طبعًا، فيكون ذلك بالخير والعلم والتنمية من أجل الاقتداء بالناجحين والتعلم منهم ثم تجاوزهم. وأكثر من هذا فإن الهدف من حب الشخص لوطنه فيه تحقيق لمعنى العبادة لله سبحانه وتعالى؛ فخاتمة الآية أعلاه تنفي التعصُّب العرقي والديني؛ حيث إن الناس مطالبون بربط أعمالهم بالتعاليم الربانية والاهتداء بها وإقامة العدل فيما بينهم.[56] مشيرًا إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى».[57]

* * * *

خامسًا: أصول القيادة

أولًا: لا بد من النظر إلى المنهج المتَّبع عند محمد ناصر في التعامل مع الآيات المتعلقة بنظام الحكم؛ إذ يرى أن هذه الآيات لا يمكن للمسلم تطبيقها وتفعيلها، إلا بالاشتراك الفعلي في إدارة الدولة، وبناءً على ذلك فإن الدولة الإسلامية تتشكَّل مهامها، وتبرز وظائفها من داخل التعاليم الإدارية والقيادية، التي وردت في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } [المائدة:٥٥]؛ فهو يرى معنى { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ } أن القيادة تُعطى لشخص يؤمن بالله ورسوله، حفاظًا على التعاليم الربانية، وذلك بتنفيذها تنفيذًا مباشرًا في المجتمع، بهدف تحصيل الأمن والعدل والاستقرار، وأنَّ من يستحق منصب قيادة المجتمع لا بد أن يكون حريصًا كل الحرص على إقامة الصلاة في وقتها، التي هي ركن أساس يبرز صلاحية تصرفاته ومدى إخلاصه؛ فتعينه الصلاة في وقتها على قيادة نفسه، حتى يحسن قيادة غيره، كما أنه لا بد من نشر الوعي الاجتماعي والديني بأهمية الزكاة، التي هي مصدر مهم لتقليص عدد الفقراء، كما تكون سببًا في تقوية الأواصر بين الفقراء والأغنياء؛ بينما كلمة { وَهُمْ رَاكِعُونَ } فإنه يفسرها مثل بقية العلماء، بأنها التسليم الكامل لأوامر الله وتوجيهاته، التي فيها الخير الكثير للإنسان المسلم في الدنيا والآخرة.

إن المستخلصات الأساسية من معنى الآية الكريمة أعلاه: أن محمد ناصر يهتم بفرضية تشكيل القيادة الإسلامية، وأنها تكون لمن يلتزم بحكم الله بالإضافة إلى اكتسابه المهارات الدنيوية الأخرى. وبناءً عليه يرى محمد ناصر أن القيادة الإسلامية تشترط في القائد الكفاية والعبادة، ويضيف أن التعاليم الربانية تطالب كل مسلم بأخذ الحذر والحيطة في اختيار القائد، بحيث لا ينتخب المسلم أو يختار شخصًا قائدًا غير حريص على دينه؛ فكيف إذًا يكون حريصًا على أمته لا سيما إذا رغبت في تحكيم شرع الله في أمورها وقضاياها؟ ولكي ينجح المسلمون الواعون في إقامة الدولة الإسلامية بشكل مباشر أو غير مباشر، فمن واجبهم، وحسب مكانتهم، تقديم النصح للحاكم إذا ما خالف حكمه شرع الله. ولتعزيز رأيه استدلَّ بهذا الحديث الشريف: «أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقد وضع رجله في الغرز: أيُّ الجهاد أفضل؟ قال: «كلمة حق عند سلطان جائر».[58] إذ ظلَّ محمد ناصر يحرص على القول: إن الحاكم أو رئيس الدولة يُستنصَح إذا تمادى في ظلمه وغيِّه، وإن المفهوم الديمقراطي -الذي هو شكل من أشكال النصيحة- يستهدف إزالة كل سياسة وسلطة وقيادة تقوم على الاستبداد والظلم؛ حيث أجازت الشريعة إزالة الجبروت بالقوة إذا كان النصح لا يفيد،[59] وذلك من منطلق أن الشريعة تعدُّ مصدرًا رئيسًا في إدارة الحكم والدولة في المجتمعات المسلمة.

نقف على تفسيره للآية الكريمة التي يمكن القول: إنها تحرص على سلامة إيمان الفرد في مجتمع متعدِّد الأديان والأعراق، كما قال الله تعالى: { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } [المائدة:٤٨]. يقول محمد ناصر: قد أنزلنا إليك الكتاب يا محمد تصديقًا لما جاء من الحق في الكتب التي نزلت على الأنبياء السابقين، وكلمة { وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ } معناها أن القرآن أمين وشاهد على الكتب السابقة وحاكمًا عليها؛ حيث شاء الله سبحانه وتعالى أن يُحكِّم الناس بما أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وأما كلمة: { لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ } يعني عدم السماح باتباع الباطل، ومجاراة الأهواء التي هي من الشيطان. { وكلمة لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } أن الله وضع لكل قوم المنهج الذي يناسبهم، ويتلاءم مع طبيعتهم، حسب ما اقتضت مشيئة الله وحكمته. وكلمة { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } يعني أن الله بمقدوره أن يجعل الأمم أمة واحدة، غير أن في التعدُّد ابتلاءً دنيويًّا، الهدف من ورائه هو حصول التنافس في الخيرات وليس في الشر، وبعد ذلك يردون إلى الله جميعًا، ليروا ما حدث من خلاف فيما بينهم، ومن هم على حق، ومن هم على باطل.

يريد محمد ناصر القول من وراء هذه الآية الكريمة: إن الدين الإسلامي يشكِّل مصدرًا أساسيًّا في تنظيم الدولة؛ إذ يفترَض أيضًا تدريب المسلم على الأخذ بتلك المبادئ الأساسية، وتفعيلها في حياته العامة والخاصة، إضافة إلى ذلك فإن القوانين واللوائح يفترَض أن تقف على تعاليم الرسالة الربانية وتمتَح منها. فيما يتعلق بمسائل الرقي الأخرى؛ فلا بد، في نظره، من إبداء مرونة، تتماشى مع متطلبات الحياة في حالة تعذُّر الحصول على حلٍّ لها مباشر من القرآن الكريم والسنة النبوية. أما عن صنع القرار

السياسي والاجتماعي والاقتصادي؛ فإن القرآن الكريم يزخر بتوجيهات حكيمة مباشرة وغير مباشرة، يؤدي فيها الاجتهادة دورًا فاعلاً ومهمًّا حتى لا تتعارض هذه القرارات مع التعاليم الربانية فتكون سببًا في شقاء الأمة بكاملها، وقد عزَّز رأيه بقول الله عزوجل: { وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } [الشورى:٣٨]؛ حيث يفسِّر معنى كلمة { وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ } أن هؤلاء يستجيبون للنداء الرباني بطاعة أوامره واجتناب نواهيه، بما فيه تنفيذ الحكم الشرعي، كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية. وعن معنى كلمة { وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ } ؛ فمن المستحب تفعيل الشورى في اتخاذ القرارات من قبل الحكام من أجل الصالح العام.

بالنسبة إلى أصول القيادة، فإننا نلفي محمد ناصر على قدر من الوعي بطريقة التعامل مع أتباع ديانات مختلفة، علمًا أن الإسلام ينادي بالتعامل الحسن مع أتباع الأديان الأخرى من غير تفرقة أو عنصرية، ما دام أن هؤلاء يحترمون المعتقدات الإسلامية، ولا يشكِّلون خطرًا على المسلمين؛ حيث إن ذلك التعامل الإيجابي اقتضته الشريعة الإسلامية ونظَّمته، فقد جاء واضحًا وصريحًا في محكم التنزيل، يقول الله تعالى: { لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [الممتحنة:٨]. زيادة على أن الله سبحانه وتعالى لا يمنع من معاملة الذين لا يحاربون الدين، ولا يخرجون المسلمين من ديارهم معاملةً حسنة، بناءً على مبادئ الاحترام والعدل والمساواة فيما بينهم.[60]

يقول أيضًا: إن الإسلام يجيز للمسلم التعامل التجاري مع أتباع الديانات الأخرى من غير حرج، بل أكثر من ذلك، قد أجازت الشريعة زواج المسلم باليهوديات والنصرانيات، في الوقت الذي نلفي فيه أن معابد اليهود وكنائس النصارى قائمة لا يحق للمسلمين المساس بها؛ فقد منحهم الله الحرية في ممارسة دينهم؛ إلا أنه فيما يتعلق بالقيادة يفترَض اتخاذ الحذر والحيطة وعدم إتاحتها لغير المسلمين، لأن القيادة هي من تقرِّر مصير الدولة ومستقبلها، ومن ثم لا بد من تسليمها لمسلم تتوافر فيه الشروط القرآنية، كما هو مذكور في الآية: { ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة:٥١]. وعلى حد قوله: إن تلك الآية فيها إنذار من الله سبحانه وتعالى بعدم تسليم القيادة لغير المسلمين خاصة اليهود والنصارى، وإن اللفظ { أَوْلِيَاءُ } تعني القيادة في نظره، بحيث يكون القادة قادةً على قومهم فقط، وإن أي مسلم يسلِّم القيادة لغير المسلمين فإنه يكون من ضمنهم كونه يواليهم، إضافة إلى ذلك قد يعدُّ من الظالمين بمجرَّد تسليم القيادة لهم.
يرى محمد ناصر أن الله سبحانه وتعالى أنذر الموالين لغير المسلمين، فلا عذر لهم كونهم يتلاعبون بمستقبل الدين، كما في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [المائدة:٥٧]. ويعتقد أن القيادة أمرٌ في غاية الحساسية، ولهذا يرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى الأفعال الصحيحة والمستقيمة في أمور دنيوية معقَّدة، مستدلًّا على ذلك بهذه الآية الكريمة: { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } [المائدة:٥٥].

إن ما أدلى به محمد ناصر آنفًا، يجعل القيادة مشروطة بقائد يطيع الله ورسوله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويقوم بتنفيذ حكم الله سبحانه وتعالى في جميع الأمور الدنيوية، ابتغاءً لوجه الله سبحانه وتعالى.[61] وإذا استوفى القائد هذه الشروط لا يمكن أن يكون مواليًا لأهل الشرك والضلال والكفر والبدع، بل ينصره الله بإحقاق الحق وإقامة العدل، كما وعد الله سبحانه وتعالى بذلك في هذه الآية الكريمة: { وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } [المائدة:٥٦].

* * * *

الفصل الخامس تصوُّر محمد ناصر للتربية الإسلامية

لقد اهتمَّ محمد ناصر -قبل ولوجه المعترك السياسي- بإعادة النظر في المنظومة التربوية لإصلاح المجتمع، على أمل انتشاله من البداوة والتخلف. ومن البدهي أن مثل هذا الإصلاح التربوي الذي يستهدف إعادة بناء الأمة الإسلامية، لا يمكن فصله عن التعاليم الربانية، لا سيما أن التحصيل التربوي لمحمد ناصر كان مبكِّرًا على يد أستاذه أحمد حسن، كما ذكرنا ذلك في الفصل الأول. زيادة على أن محمد ناصر كان مولعًا بمطالعة الكتب والدوريات؛ حيث استطاع بعصاميته، وفي ظل واقع الاستعمار المزري، من أن يكوِّن لنفسه خلفية علمية ودينية، ساعدته في مشواره العملي ونشاطه السياسي، على كشف نوايا الاستعمار الهولندي التدميرية للمنظومة التربوية التقليدية، ومن ثم العمل على توعية الناس بالكلمة الطيِّبة من أجل تربية أفضل لهم ولأولادهم.

* * * *

أولًا: التربية الإسلامية

كان التبشير على أشدِّه في زمن الاستعمار الهولندي الأكثر عنصرية.[62] لا سيما أن الإندونيسيين المسلمين ذوي الأغلبية كانوا أكثر تخلفًا في الجوانب التربوية والاجتماعية مقارنةً بغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، نظرًا إلى التسهيلات التي كانوا يتلقونها من إدارة الاستعمار الهولندي. وعليه رأى محمد ناصر أن نهضة الأمة الإسلامية لا يمكن تحقيقها بطريقة عشوائية؛ وإنما هي بحاجة إلى التخطيط الواعي لغرس القيم الدينية الصحيحة في نفوس الشباب وعقولهم؛ حيث كان على وعي بأن التربية هي حجر الزاوية في البناء الحضاري للأمة. وقد أشار محمد ناصر إلى أن التقدم العلمي والتكنولوجي الذي حققته اليابان، يرجع بشكل كبير إلى تلك البعثة الطلابية التاريخية التي أفادت من علوم الغرب ثم عادت.

وكما أشرنا في الفصل الأول، فإن محمد ناصر يدين لأستاذه أحمد حسن بما حققه من وعي تربوي ورؤية حضارية لواقع، كان بحاجة إلى الإصلاح التربوي والحضاري. وإن حواراته اليومية المثمرة مع أستاذه حسن قد شكَّلت مستقبله، ووجَّهت حاضره الوجهة الحسنة؛ حيث باتت كيفية خدمة المجتمع هي كل ما يشغله، فعدَّها رسالة حضارية لابد أن يؤدِّيها طوعًا أو كرهًا؛ إذ كان يجزم بأن التربية الإسلامية ليست نظرية فلسفية، يراد منها إشباع العقل وحسب، بل هي ممارسة اجتماعية تلامس عامة الناس، وتداوي أمراضها، نظرًا إلى أن التعاليم الربانية التي جاء بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وبوصفها مصدر هداية، قد شخَّصت كل القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وعالجتها.

قرَّر محمد ناصر إنشاء مدرسة لتفعيل مشروعه التربوي، الذي يمزج بين العلوم الدينية والدنيوية من منطلق إيمانه بأن الإسلام لا يفصل بينهما. وكانت رغبته هي تغيير الانطباع السلبي لدى الناس عن المعاهد الدينية السائدة في ذلك الوقت. وكان الهدف من إنشاء هذه المدرسة هو تخريج جيل متعلِّم وواعٍ يجمع بين الفكر العقلي والنظر النقلي، وقد اشتملت المناهج الدراسية على مواد علم النفس، وعلم الاجتماع، ومقتطفات من الفكر الأوروبي، وكل ذلك كان يتم وفقًا لطريقة التدريس العصري.[63] وقد أقام مؤسسته التربوية في مدينة باندونج، وبتمويل من التاجر الحاج محمد يونس، الذي أتاح له مبنىً ضخمًا، به جميع التسهيلات والأماكن الترفيهية كالنادي الرياضي، وما إلى ذلك. وقد قام محمد ناصر بتصميم مناهج دراسية، لا تركِّز على الحفظ والترديد من غير وعي، بل تشجِّع أيضًا على التفكير الإبداعي. إلى جانب ذلك أوقفت المدرسةُ طلابَها على دراسة أساسيات الزراعة للعناية بالأرض، زيادة على الموسيقى وتلحين الأغاني للترفيه على الطلبة، والترويح عن النفس التي تصاب من حين لآخر بالملل، تجاه المواد الدراسية الإجبارية. وكان في اعتقاد محمد ناصر أن المعاهد الدينية ليست مقتصرة على المواد الدينية، بل يفترَض تطعيمها بثقافات عصرية، لزيادة كفاية الخريجين من الطلبة.

وفيما يتعلق بتربية بناته فلم يوافق محمد ناصر على عملهنَّ في القطاع العام أو الخاص، بل قد أرشدهنَّ للعمل الذي يتناسب مع طبيعة المرأة، خاصة في مجال التربية والتعليم. فلم يكن يرضى لبناته الانغماس في الأمور الدنيوية، وكان يعتقد أن المرأة ينبغي أن تكون حاضرة مع أسرتها، حتى في أوقات تناول الطعام. ومع ذلك فقد وجَّه أبناءه إلى ترشيد نشاطاتهم الدنيوية بالمبادئ الدينية، والحرص على التواضع في معاملتهم مع الآخرين.

وإلى جانب اهتمام محمد ناصر بالتربية الإسلامية، وعدِّها الوسيلة الوحيدة لدفع عجلة التقدم في المجتمع، فقد رأى أن من واجب المسؤولين الكبار في الدولة العمل على تصميم أجندة تربوية أصيلة، بحكم مكانتهم في المجتمع، واقتداء الناس بهم؛ هذا إذا كانوا يتحلون بروح المنافسة العالية مع الأمم المتقدمة تربويًّا وتعليميًّا. ومن خلال مناقشته لقضايا تربوية يشير إلى بعض الآيات القرآنية، كقوله عزوجل: { قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } [آل عمران:١٣٧-١٣٨].

لأجل مزيد من التوضيح فيما يتعلَّق بتصوُّره للتربية الإسلامية، ننقل قوله كاملاً: «إن التخلف أو التقدم ليس مقصورًا على الغرب أو الشرق أو العرق، وإنما له علاقة بمبادرة أفراد الأمة من عدمه. وتلك المبادرة هي ما ننشدها لتحقيق التفوق التربوي والتعليمي». [64] واستحقاقًا للأهداف التربوية في العالم الإسلامي بصفة عامة والأمة الإندونيسية بشكل خاص، لا يمكن تحقيق مثل تلك الطموحات إلا بالإقدام والالتزام، وتفعيل المبادرات الذاتية والجماعية. ولنا عبرة ودروس من ماضي الأمة الإسلامية المجيد، ومدى إثرائه الحضاري، زيادة على قيادته للإنسانية في مجالات علمية عديدة ولفترة طويلة؛ حيث أغنى المسيرة الإنسانية بإنجازاته الدينية والعلمية. ولا شكَّ فهم مأجورون عند الله سبحانه وتعالى على أعمالهم الإنسانية، بسبب خلوص النية والكسب الحسن، لقوله تعالى: { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [البقرة:١٣٤].

لقد رأى محمد ناصر أن التقدم العلمي والحضاري الذي حقَّقه القدامى من علماء المسلمين، هو بحاجة إلى الحفر في الأسباب التي كانت وراء تحصيله؛ حيث إن جهودهم في خدمة هذا الدين الحنيف والارتقاء به حضاريًّا وإنسانيًّا، يستحق الأجر والثواب من عند الله سبحانه وتعالى، كما يستحق منا استعادته في مبادراته ومواصفاته؛ حتى نستفيد من هذه الجهود، التي كانت في خدمة هذا الدين بشكل حضاري وإنساني، قلَّ نظيره في العصور اللاحقة، على الرغم من التقدم التكنولوجي واختصار الوقت. ولأجل تقدم الأمة المسلمة اليوم نثير تساؤلات يفترَض أن نجيب عنها، لنكون خير أمة اقتداءً بمن سبقونا في إنجازاتهم الدينية والعلمية من سلفنا الصالح. ولمزيد من التفصيل ننقل قوله: «لا بد أن نسأل أنفسنا ما هي الجهود التي بذلناها؟ وما هي الإنجازات التي حقَّقناها؟ لا بد من مراجعة أنفسنا، والتعرُّف إلى المشكلات التي تعاني منها الأمة؟ وهل نمتلك مبادرات إيجابية، وتحفيزات عالية، تساعدنا على بلوغ ما بلغه أسلافنا من رقي حضاري؟ لا شكَّ في أن الخصائص العامة التي امتلكها سلفنا الصالح هي الالتزام، والعمل الجاد، والصبر، والتوكُّل على المولى سبحانه

وتعالى، طمعًا في سعادة الدنيا والآخرة. وكذلك فيما يتعلق بالبحث العلمي وأداء العبادات، فلا يمكن فصلهما عن التقوى، وابتغاء رضا الله تعالى. والسؤال: هل لدينا غيرة على التحصيل العلمي كغيرة السلف الصالح في جدِّيتهم وتفانيهم؟». [65]

ونظرًا إلى تلك التساؤلات المهمة التي أثارها محمد ناصر، فإن الأمة الإسلامية إذا كان لديها رغبة في تحقيق التقدم الحضاري، فهي مطالبة بإيفاء الشروط التي تحققت لدى السلف الصالح، وأن يكون لديها توازن حضاري بين النشاط الروحي والدنيوي. كما يؤكِّد محمد ناصر بأن الالتزام الديني يكاد يكون السبيل الوحيد لاستعادة العصر الذهبي للعلماء المسلمين القدامى، وأن من ضمن الخصائص الأساسية لهذه الاستعادة التاريخية والحضارية هو الإيمان بالله، والتوكُّل عليه، والحرية الفكرية المسؤولة، والشجاعة في الدفاع عن الحق، والالتزام بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية. [66] ووفقًا لرأيه فإن الإيفاء بتلك المواصفات يكون بمواجهة التحديات، التي لا يمكن استثمارها إيجابيًّا إلا بعد استعداد تربوي وتعليمي عالي المستوى.

يقول محمد ناصر: إن الوعي التربوي هو من يقرِّر مستقبل الجيل القادم، الذي يكون قادرًا على التغلب على الأباطيل، وتجاوز الانحرافات والدفاع عن تعاليم الرسالة الربانية، التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ولأجل التوصل إلى الهدف التربوي الحقيقي من إعداد جيل متميز، ذي كفاية علمية وعملية، فقد حذَّر محمد ناصر جميع الآباء والأمهات، وطالبهم بتحمل مسؤوليتهم أمام الله والمجتمع، إذا هم أرسلوا أولادهم إلى مدارس النصارى؛ لأن النشاطات التربوية والتعليمية التي تروِّج لها هيئات التنصير العالمي في أرض إندونيسيا، هدفها تشكيل العقل الإندونيسي المسلم تشكيلاً علمانيًّا، ومن ثم إفساد الشباب، وغرس المفاهيم الضالة، التي تدعو إلى تساوي جميع الأديان في الإيمان والعقيدة، ونشر فكرة الحرية في تبديل الدين، والخروج منه إلى دين آخر. وحول خطورة التبشير استدلَّ محمد ناصر بهذه الآية الكريمة: { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ } [البقرة:١٠٩].

عدَّ محمد ناصر أن التربية الإسلامية من أهم وصايا الدين الإسلامي للآباء، ودعوة صريحة لهم لغرس الأفعال والأعمال الصالحة في نفوس أبنائهم؛ حيث إن الهدف من ذلك ليس لاكتساب المهارات وتعزيز الكفايات وحسب، وإنما لإعداد شباب ملتزم بإحقاق الحق، وتحقيق العدل، وتفعيل الأحكام الإسلامية. وللاطمئنان على مستقبل هذا الجيل، يقول محمد ناصر: علينا أن نتأكَّد بأن نفوس الشباب خالية من الشكِّ في صحَّة عقيدتها، وأنها في منأى عن التأثير الفكري من ديانات أخرى. ونظرًا إلى أن هيئة الكنائس هي من تدير المدارس الأهلية في أنحاء الدولة بدعم من إدارة الاستعمار الهولندي، فقد حذَّر محمد ناصر منذ البداية من إرسال أبناء المسلمين إلى هذه المدارس المشبوهة. وتأكيدًا على كلامه فقد أشار إلى ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه». [67] ومن ثم صار لزامًا الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، الذي جاء ليهدي الناس إلى الإسلام وحده، وفي هذه الهداية الربانية توجيهات تربوية،

تكون مسؤوليتها الكبرى ملقاة على عاتق الآباء والأمهات؛ إذ إنه على المدى البعيد يكون الهدف من التربية هو نجاة العباد من عذاب الله سبحانه وتعالى في الآخرة، وقد يكون هذا من ضمن المميزات المنهجية لدى محمد ناصر، بخلاف معظم علماء التربية، الذين اقتصرت طموحاتهم على تطوير مناهج التعليم، لأجل سعادة البشرية في الحياة الدنيا فقط؛ بينما يعتقد محمد ناصر أن الهدف الأول من التربية هو الفوز بمرضاة الله سبحانه وتعالى.

هذه بعض آرائه في الأهداف التربوية من خلال تفسيره للآية الكريمة: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [التحريم:٦]. وعلى حد تأويله، فإن هذه الآية تناشد الآباء على غرس الفهم الصحيح للإسلام في عقول أبنائهم؛ فالأسرة هي من تنجيهم من عذاب الله في الآخرة. لقد رأى أن هذه الآية الكريمة تنبّه الآباء والأمهات لتوقي الحذر وأخذ الحيطة، ويعدها فرض عين وكفاية في آن واحد. وإضافة إلى ذلك، يرى أن على كل فرد في المجتمع أن يتعاون في تفعيل هذه الفريضة التربوية؛ إذ عدَّ التربية الإسلامية تندرج ضمن مجالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما جاء في الآية الكريمة: { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [آل عمران:١٠٤].

إن مثل هذه الفهم الواعي بأهمية التربية الإسلامية لدى محمد ناصر، يمكن القول بأنه جديد وجريء، مقارنةً بذلك العصر المتخلف الذي عاينه وعانى منه؛ إذ إن غالبية العلماء كانوا لا يعتبرون التربية الإسلامية فريضة دينية، بل يرون أن «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» مرتبط بالدعوة التقليدية على أدراج المنابر. وقد زاد الطين بلَّة -لدى معارضيه- قوله: إن النشاط التربوي والدعوي لا يمكن فصلهما بعضهما عن بعض، بل هناك تكامل حضاري بينهما.

ثانيًا: التربية الشمولية

جاء التصور الفكري للتربية الإسلامية الشاملة لدى محمد ناصر استجابةً لمتطلبات مرحلة الثلاثينيات من القرن الماضي، في وقت كان معظم علماء المسلمين يركِّزون جهودهم على تصميم مناهج للتعليم الجامعي، وتخريج متعلِّمين قادرين على مواجهة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والتعاطي معها، بهدف تحقيق تقدم علمي وصناعي من منظور إسلامي؛ حيث اقترح هؤلاء العلماء إنشاء جامعات بمواصفات خاصة في مدينة جاكرتا، بحيث تتبع النهج الغربي مع إلزام تدريس العلوم الشرعية؛ أما في مدينة سولو «جاوا الوسطى» فاقترحوا أن تقام فيها المدرسة العالية الإسلامية، لتدريب طلبة المرحلة الثانوية المتخصصين في المواد الإسلامية، بهدف إعداد دعاة مسلمين، لتبليغ رسالة الإسلام في المجتمع. [68]ويظهر أن الفصل بين المواد الدينية والأكاديمية فرضته الحاجات الاقتصادية والتجارية والإدارية للبلاد، وبما يتناسب مع طموحات الذين تخرَّجوا في الجامعات الغربية الهولندية والإنجليزية والفرنسية، بخلاف الذين تخرَّجوا في المعاهد الدينية، حيث انصرفوا إلى المجتمع بوصفهم دعاةً عاملين.

في البدء وافق محمد ناصر على تلك الآراء، علمًا أن الطلبة الذين تخرَّجوا في العلوم الإنسانية وعلوم الوحي، لا يمكن التساوي بينهما؛ فهناك فجوة لديهما من ناحية الفهم والإدراك. بالنسبة إلى إنشاء جامعات لتدريس العلوم الغربية إلى جانب مواد في العلوم الشرعية، فقد رأى محمد ناصر أن ذلك يستحق التقدير والتشجيع، مع أن الغلبة التربوية ستكون للذين اختاروا النهج الغربي في دراستهم بحكم الدعم المادي؛ أما عن نوايا إنشاء المعهد العالي للدراسات الإسلامية لإعداد علماء معاصرين، فهو أمر في نظره يستحق الاحترام؛ حيث يقول: إننا في أمس الحاجة إلى الدعاة الذين لديهم القدرة على معالجة القضايا الاجتماعية، في ضوء مستلزمات التقدم الحضاري والتكنولوجي؛ حيث إن هؤلاء الدعاة والعلماء لا يقتصر تحصيلهم العلمي على الثقافة الإسلامية وحسب، وإنما سيكونون ملمّين بالعلوم الاجتماعية والاقتصادية والإدارية.

على الرغم من كل هذا الاستحسان من قِبل محمد ناصر؛ إلا أنه لم يوافق على بعض الاقتراحات الجذرية، نظرًا إلى أن معظم الخرّيجين في المعاهد الدينية، لن يكونوا على مستوى عالٍ في مجال العلوم الدنيوية، مقارنةً بالذين تخرَّجوا في المؤسسات التعليمية، ذات النهج التربوي الغربي؛ حيث توافق رأي محمد ناصر مع الرأي العام في المجتمع الإندونيسي. لقد قدَّم فكرته المنادية بإعادة النظر في المسألة التربوية المثارة، وذلك بإزالة التصور الخاطئ بأن معظم خرِّيجي المعاهد الدينية لا يحوزون على كفاية علمية، مقارنةً بخرِّيجي المدارس التابعة لإدارة الاستعمار الهولندي. ورأى أن من ضمن المتطلبات الأساسية للالتحاق بالجامعة الإسلامية المنشودة، هو أن يكون الطلبة المنتسبون على قدر كبير من النضوج الفكري، زيادة على الالتزام الديني.كما قام بالدفاع عن حقوق الخرِّيجين في المعاهد الدينية التقليدية في إندونيسيا، ورأى بأنهم يستحقون الالتحاق بالجامعة الإسلامية، التي

هي على وشك الافتتاح، في الوقت الذي نلفي فيه أن المبتعثين للدراسة في الغرب -من قبل إدارة الاستعمار الهولندي- معظمهم من خرّيجي المعاهد الدينية.[69]

لقد طالب محمد ناصر بعدم اتخاذ العلوم الحديثة من ضمن المواد الأساسية في الجامعة الإسلامية، وأن تكون الأولوية للعلوم الشرعية واللغة العربية، التي تمثِّل النبع الحضاري في أرض إندونيسيا منذ قرون؛ فلا يمكن أن نعمِّم الحكم بأن جميع الخرِّجين في المعاهد الدينية لا يحسنون شيئًا من أمور الثقافة والعلوم، وأنهم لا يحسنون مطالعة الكتب الغربية باللغة الإنجليزية. وقد تصدى محمد ناصر للمقارنة بين الخرِّيجين في المؤسسات التعلمية الغربية، مع هؤلاء الذين تخرَّجوا في المعاهد الدينية على مستوى الكفاية، والتحصيل العلمي، والنضج الفكري، والمستوى الثقافي. ويرى أن هؤلاء لديهم معرفة كافية بإسهامات علماء المسلمين، أمثال: ابن رشد، وابن سينا، وابن باجة، وفي الوقت نفسه يمتلكون فهمًا لا بأس به بالثقافة الغربية والفلسفة اليونانية. ومن ثم علينا ألا ننقص من قدر الخرِّيجين في المعاهد الدينية، أو نتهمهم بالجهالة أو العلم الناقص. كما يمكن لنا أن نسأل الخرِّيجين في المؤسسسات التعليمية الغربية، إن كانوا على دراية بأفكار عمر الخيام، أو إسهامات ابن خلدون العلمية والحضارية؟[70]

في ذلك الوقت كانت هناك اتجاهات فكرية معادية للثقافة الإسلامية، التي رسخت في عقول المسلمين منذ قرون، وقام محمد ناصر بالدفاع عن مكتسباتها الحضارية؛ فكانت فترة عداء، تروِّج للثقافة الغربية، وتسم الذين تخرَّجوا في الجامعات الغربية بأنهم على درجة عالية من التقدُّم والتحضُّر، بخلاف الخرِّيجين في المؤسسات التعليمية بالعالم الإسلامي، الذين هم، في نظرهم، أكثر رجعية وبدائية؛ إلا أن محمد ناصر كان يعتقد بأن التسهيلات المادية، وتوفير المناصب الإدارية من قبل إدارة الاستعمار الهولندي، هي التي صنعت هذا الفارق، وغذَّته بمزيد من العداء، ومن ثم فإن إدارة الاستعمار ظلت تفضِّل الخرِّيجين في الغرب، لأنهم يخدمون مصالحها العليا.[71]

في اعتقاد محمد ناصر لا يوجد مشكلة لدى الخرِّيجين في المعاهد الدينية الإسلامية، للتكيُّف مع الذين تخرَّجوا في المؤسسات التعليمية الغربية، ما داموا يتحلَّون بالقيم الإسلامية. وفيما يتعلق بمشروع إنشاء الجامعة الإسلامية رأى أن الأولوية تكون لطلبة المعاهد الدينية، ليزدادوا تعمُّقًا في ثقافتهم الدينية إلى جانب التمكُّن في العلوم الحديثة؛ بحيث تكون العلوم الحديثة الغربية وسيلة نبيلة، من أجل رفع مستواهم الاجتماعي في المجتمع. ولهذا كان يأمل في أن يقوم هؤلاء الخرِّيجون بوظيفتهم الدعوية، على أحسن وجه من أجل إصلاح المجتمع وتنميته من منظور إسلامي، وأن يكون لهم استعداد كافٍ لتحمل المسؤولية، وقهر التحديات بالصبر والتوكُّل، لا سيما أنهم مدرَّبون تدريبًا روحيًّا.

يرى محمد ناصر أن المثقفين الذين يمتلكون خصائص شرقية لديهم طاقة خفية لم تُستخدَم بالكامل، ومن واجب المؤسسات التعليمية العالية، كما سبق الإشارة أن تستفيد من تلك الطاقة حتى تكون أكثر

فعالية. إن التاريخ سوف يسجِّل من هم المثقفون الأكثر إسهامًا في إصلاح هذه الأمة.

يبدو أن في ذلك الوقت كان معظم علماء المسلمين المهتمين بتأسيس الجامعة الإسلامية يرغبون في الدمج بين الذين تخرَّجوا في المؤسسات التعليمية الغربية وبين الذين درسوا المواد الدينية، مع إهمالهم للذين تخرَّجوا في المعاهد الدينية في إندونيسيا. وقد رأى محمد ناصر أن الخرِّجين في المعاهد الدينية أحق بالالتحاق بتلك الجامعة، نظرًا إلى أن عددهم كبير في أنحاء البلاد. إضافة إلى ذلك فإن الذين يقومون بالدعوة الإسلامية في المجتمع يحوزون معلومات كافية في العلوم الشرعية، التي درسوها في معاهدهم الدينية، والأكثر من ذلك أن لديهم الصبر على تحمل المسؤولية وتحدياتها، مقارنةً مع الذين تخرَّجوا في المؤسسات التعليمية ذات النهج الغربي.

لقد أكَّد محمد ناصر، أيضًا، على أن جميع منافسيه من الذين لديهم غيرة على تأسيس الجامعة الإسلامية، والرهان على الخرِّيجين في المؤسسات التعليمية ذات النهج الغربي، سوف يقومون بمهمتهم النبيلة في حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعتري الأمة، على الرغم من أنه أبدى رأيه في معارضته لتلك الأهداف؛ حيث أصرَّ على أن الأولوية تكون للخرِّيجين في المعاهد الدينية الإندونيسية، وقد برَّر محمد ناصر موقفه وفقًا للأسباب الآتية: الأول: أنهم يقومون بفريضة الدعوة لترغيب الناس على عمل الخير لوجه الله سبحانه وتعالى؛ الثاني: أنهم غير طامعين في الأجر، فما أجرهم إلا على الله سبحانه وتعالى، ومن ثم هم يبلِّغون رسالة الله سبحانه وتعالى، ويرشدون الناس للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بما أتوا من الصبر والتوكُّل في التغلب على جميع العقبات والتحديات. زيادة على أن الجامعة الإسلامية تختلف عن غيرها، فهي تستهدف إعداد جيل ملتزم بتعاليم الإسلام، ومستعد للقيام بالدعوة، لتحقيق العدل، ومحاربة الفساد والظلم في المجتمع. بالإضافة إلى ذلك هم على قدر كبير من حسن السيرة والرغبة في تحمُّل الأذى والصبر في سبيل الجهاد لإعلاء شرع الله في الأرض. [72]

وإذا نظرنا إلى الوضع الاقتصادي لهؤلاء الخرِّيجين في المعاهد الدينية نلفي أن آباءهم كانوا غير قادرين على تمويل دراستهم الجامعية. [73]ونظرًا إلى أن محمد ناصر كان مهتمًّا منذ البداية بإعانة الفقراء، والدفاع عن حقوقهم ومستقبلهم، لتحقيق العدالة في المجتمع من منظور إسلامي، فقد أكَّد من جديد على أن المعاهد الدينية المنتشرة في كثير من المناطق الإندونيسية تسهم، برجال أهل الخير، في مساعدة الفقراء، وتحثهم على الصبر مع الحرص على الطموح إلى الأفضل، كلما واتتهم الفرصة المشروعة عبر تفعيل طاقتهم الكامنة، ليكونوا قادرين على إصلاح الأمة من غير الطمع في الدنيا، امتثالًا لقوله تعالى: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

لقد وقف محمد ناصر يدافع عن حقوق الخرِّيجين في المعاهد الدينية، لمواصلة دراستهم في المرحلة الجامعية، وكله أمل في أن يكونوا دعاةً عاملين، يطمحون لإقامة العدل، وإزالة الظلم في المجتمع؛

ما جعله يوليهم الاهتمام والرعاية، وينتقد بشدَّة منح الأولوية في الالتحاق بالجامعة الإسلامية لمن تخرَّجوا في مؤسسات تعليمية، ذات طابع غربي في مناهجها الدراسية؛ حيث عدَّها فكرة خاطئة ومنحرفة، لا بد من مراجعتها وتصحيحها.

* * * *

ثالثًا: أهداف التربية الإسلامية

يرى محمد ناصر أن التربية الإسلامية تستمد أهدافها السامية من العقيدة الإسلامية، التي تمثل حجر الزاوية في الرسالة التي جاء بها المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ إذ إنها تشكِّل مصدر القوة الروحية، وتفضي إلى الحرية والعدل، وتُحصِّل لأصحابها الفلاح في الدنيا والآخرة.[74] كما يرى أن الهدف من التربية هو إعداد جيل مسلم، يدافع عن الحكم الشرعي، ويعزِّزه بشكل عقلاني مقنع في المجتمع، بهدف إزالة المنكر الدنيوي. وإن الهدف الآخر من التربية هو تشكيل شخصية متَّزنة وعالمة وعاقلة، توازن بين المصالح الدنيوية والأخروية لأجل الصالح العام، وتحارب الفساد في الأرض، كما جاء في هذه الآية الكريمة: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [القصص:٧٧].

لقد أكَّد محمد ناصر على أن فلسفة التربية ليست مقصورة على تحصيل المهارات للأفراد في كثير من المجالات وحسب، وإنما هي، أيضًا، مرتبطة بتطبيقاتها التي تعود على المجتمع بالخير الكثير. وكذلك فإن التربية لا يمكن فصلها عن قيم المجتمع، بل هي ملزمة بتفعيل قيمة التعاون بين الناس.[75] كما أكد محمد ناصر على وجود تنوُّع في مواد التربية الإسلامية، بسبب الاختلاف المذهبي؛ على الرغم من أن ذلك لا يمس الجوانب الأساسية من الرسالة الإسلامية، ومن ثم علينا بتوسيع آفاقنا الفكري التربوي، خاصة فيما يتعلَّق بتوحيد المناهج الدراسية. [76] يرى محمد ناصر أنه لا بد من تجاوز الاختلافات الهامشية، مثل كيفية أداء الصلاة، وما إلى ذلك من الأمور البدهية؛ إذ ما برحت الأمة الإندونيسية تعاني من اختلافات جانبية، تستنزف طاقتها، وتشغل وقتها؛ بينما مشكلة وحدة المناهج الدراسية وأهداف التربية لم تعد من الاهتمامات الكبرى، التي تؤرِّق علماء المسلمين في إندونيسيا، ولهذا طالب بالوعي الفكري في التعاطي مع الحاجات الأساسية للأمة الإندونيسية. ولأجل التوصل إلى نتائج حاسمة ومهمة، قدَّم مقترحًا بتشكيل لجنة استشارية مختصة، لمناقشة المسألة التربوية، وتبادل الأفكار الناضجة حول برامج التربية ومناهجها.

خلص محمد ناصر إلى أن مناهج التربية الإسلامية في المرحلة الابتدائية والثانوية بحاجة إلى تعديلات، تجعلها تتلاءم مع النظام التربوي في المرحلة الجامعية. ولأجل معالجة مشكلات المرحلة المتوسطة، التي ظهرت بسبب وجود تنوع في الاتجاهات الفكرية، رأى ضرورة تمديد الدراسة لمدة سنة إضافية، بحيث تتكيَّف مع المواد المتخصصة في المرحلة الجامعية. لقد اقتضت طبيعة هذا النظام التربوي الجديد، أن جميع المواد التي تدرَّس في المعاهد الدينية، يمكن الإحاطة بها بحيث تكسب الطلبة كفاية علمية في دراستهم الجامعية. وقد أشار محمد ناصر إلى بعض الأمثلة الواقعية عن نظام الامتحان في جامعة كمبريدج البريطانية؛ حيث يُشترَط على كل من يرغب في الالتحاق بمقاعدها إجراء امتحان في المواد الإجبارية كشرط من شروط القبول.

* * * *

ظهرت اتجاهات تربوية مختلفة، وانتصرت لمصطلحات مثل «التربية الشرقية» و«التربية الغربية»؛ حيث عُدَّ الإسلام من الديانات الشرقية، التي لها نظامها التربوي الخاص، الذي يختلف جذريًّا عن النظام التربوي الغربي، ويتعارض معه؛ فلا أحد ينكر هيمنة الاستعمار وتجذُّره في المجتمع الإندونيسي، بحيث أثَّر في السلوكيات والتصرفات والأفكار؛ وحتى في المعتقد أيضًا. ومن ثم كان البحث يجري حثيثًا للوقوف في مواجهة تلك الاتجاهات المتناقضة مع الأهداف التربوية في إندونيسيا؟ وهل يصحُّ القول: إن الدين الإسلامي الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم يتعارض جملةً وتفصيلاً مع الفكر التربوي الغربي؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة المثيرة يكون بعدم فصلها عن الأهداف التربوية المرتبطة بالسنن الكونية.

والجدير بالذكر أن محمد ناصر عرَّف التربية بأنها إعداد قيادي للإنسان جسدًا وروحًا، وهي بذلك مكمِّلة للخصائص البشرية في معناها الحقيقي. واختصارًا فإن أهداف التربية في رأيه تستجيب لما ذكره الله في محكم تنزيله: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات:٥٦]. إن ما يميّز تعريف محمد ناصر للتربية: أنه ربطها بالعبادة، وبشكل شمولي، لتسليم جميع أعمال البشر لله سبحانه وتعالى؛ ما يفضي بهذا الرباط الرباني إلى فلاح المسلم في الدنيا والآخرة؛ لأن بذلك يبتعد من جميع المحارم، ويتجنَّب ارتكاب المآثم، التي تؤدي بصاحبها إلى المفاسد والخسران، ومن ثم غياب السكينة الفردية والجماعية.[77]

يرى محمد ناصر أن كلمة «عباد الله» في واقعها ليست أمرًا هيّنًا وميسَّرًا؛ فلكي يكون الإنسان عبدًا لله يخلص له في جميع أعماله بوعي وتقوى وحسن سلوك؛ فإنه مطالب بنظام تربوي رباني أصيل، يعينه على ترجمة هذا الإخلاص إلى فعل؛ حيث بيَّن الله سبحانه وتعالى الوصف الحقيقي لعباده، كما جاء في قوله { إِنَّمَا ا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } [فاطر:٢٨]. ويتَّضح من تلك الآية أن العلم يعد شرطًا من شروط أن يكون المسلم من عباد الله التقاة؛ هذا العلم الذي لا يمكن تحصيله إلا من طريق التربية والتعليم الأصيلين. إن عباد الله لا يمكن أن يكونوا منعزلين عن المجتمع، فيكتفون بأداء الصلاة والصيام وحسب، بل لا بد عليهم من التعامل مع الناس ومخالطتهم، تعميمًا لعمل الخير في المجتمع إلى أقصى حد ممكن، لا سيما أن الله سبحانه وتعالى منح لهذا العالم نعمًا كثيرة، ويفترَض من الإنسان العاقل أن يستفيد منها في فعل الخيرات لصالحه ولصالح غيره كما ورد في الآية الكريمة { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [الأعراف:٣٢].

من وجهة أخرى جاء محمد ناصر بتعريف آخر عن عباد الله، وهم، في نظره، الأشخاص الذين هيَّأهم الله لقيادة المجتمع، بما يتوافق مع شرع الله، ومن ثم القيام بأعمال الخير وإقامة الصلاة، كما يقول الله سبحانه وتعالى: { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } [البقرة:١٧٧]. إن الشخص الذي يتَّسم بتلك المواصفات، يستحق الفلاح والانتصار في الدنيا والآخرة، كما وعد الله بذلك في قوله: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ } [الأنبياء:١٠٥-١٠٦].

يرى محمد ناصر أن العبادة التي تجعلنا عباد الله تكون مقرونة بتسليم جميع الأعمال والأنشطة الجسدية والروحية لله سبحانه وتعالى. وهذا لا يعني أن ذلك يزيد في ملك الله بعبادة الناس له، فهو سبحانه غني عن العالمين؛ وإنما العبد هو الذي بحاجة إلى الله، الذي هو مصدر ما ينعم به من قوة، ولهذا نحن نعبده ونشكره، طمعًا في رحمته التي بها تحصل لنا السعادة والفلاح في الدارين. إذًا العبادة هي لصالح الخلق، وليس لله مصلحة فيها، كما جاء في هذه الآية: { مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الذاريات:٥٧-٥٨]. إن تسليم جميع الأنشطة والأعمال لله سبحانه وتعالى مع مراعاة أحكامه العادلة، هي في مصلحة البشر، لتحصيل المزيد من الجودة في العمل، إلى جانب استتباب الأمن، والاستقرار في حياتهم. وبالإضافة إلى ذلك، فإن العبادة الصحيحة هي طاقة للمسلم لمواجهة التحديات والتغلُّب عليها، لا سيما أن الإنسان المسلم بعد أن يتغلَّب على مصائبه ويقهرها، يكون أكثر شكرًا لله تعالى، فتنطبق عليه الآية الكريمة: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم:٧].

التربية عند محمد ناصر هي رسالة أمة؛ إذْ لا بد من الوعي بها، لإعداد جيل المستقبل، الذي يحسن تحمُّل عبء المسؤولية؛ لتنمية المجتمع وتطويره.[78] إضافة إلى ذلك، فقد أوضح أن النظام التربوي الإسلامي يهدف إلى تكوين الشخص الذي يقضي حياته في العمل، ويقيم العدل، ويزيل الظلم، ويحارب الفساد في المجتمع. أكَّد محمد ناصر، أيضًا، على أهمية العلم؛ حيث طالب بعدم التفريق بين علوم الشرق أو الغرب، ما دام ذلك لا يتعارض مع القيم الربانية، لا سيما إذا كانت العلوم والمعارف الغربية ذات فعالية في المجتمع، وتتوجه نحو خدمة الصالح العام.

لقد أدلى محمد ناصر بآرائه في مسائل تتعلق بالمنظومة التربوية الشرقية والغربية، بعد أن وقفت اتجاهات فكرية مختلفة، تدافع عن رأيها، وكل اتجاه يسيء إلى الآخر، ويسخر من علومه ومعارفه. لقد وقف الخرِّيجون في الجامعات الغربية يمدحون المنظومة التربوية الغربية، ويزيِّنونها للمجتمع، وسخروا من الخرِّيجين في الجامعات الإسلامية، واعتبروا أن تحصيلهم المعرفي يتوجه نحو تكريس التخلف والرجعية والبداوة. كما قام الخرِّيجون في الجامعات الإسلامية بالهجوم على هؤلاء، الذين تربوا في الغرب، وعيَّروهم بعملاء العلمانية الملحدة، المعادية لتعاليم الإسلام.

في ظل هذا الصراع بين الاتجاهات التربوية، وقف محمد ناصر موقفًا محايدًا؛ فاتَّخذ له مكانًا وسطًا؛ إذ عدَّ التقييم التربوي في هذه الحالة، والتمييز بين الخير والشر، يكون وفقًا للتعاليم الربانية. لقد حاجج محمد ناصر بأن الشرق والغرب كلاهما لله سبحانه وتعالى، كما جاء في الآية الكريمة: { وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ } [البقرة:١١٥]، وأن العلم القادم من الجهتين له إيجابياته وسلبياته، ومن ثم على المسلمين أن يكونوا على وعي بالاختيار المناسب، وعلى دراية بما هو قابل للنقد والرد، حتى لا يفوِّتوا على أنفسهم فرصة التعلُّم من الآخر، سواء بالاستفادة منه، أم بالتدريب على نقده نقدًا موضوعيًّا ومقنعًا، بما أتوا من علوم ومعارف تغنيهم عن السؤال، وتعينهم على النقد.

لم يكن محمد ناصر من دعاة توسيع الفجوة الحضارية بين الشرق والغرب، بل كان يدعو إلى التخفيف من الجدال العميق في مسائل فكرية قديمة ومتجذِّرة، وتوجيه عقول المسلمين إلى التفكير في إيجاد بدائل تربوية معاصرة، عبر بذل الجهد الفكري العميق؛ حتى إنه هو بنفسه قد مارس التفكير النقدي، إزاء من يفرِّقون بغير حق بين العلم الشرقي والغربي، ويصرُّون على تصنيفهما؛ ما قد يدل على ضيق أفقهم الفكري والحضاري. وعليه يرى محمد ناصر أن الإسلام لم يأت للتفرقة بين علوم الشرق والغرب، وإنما الدين الإسلامي يهتم بالتفريق بين الحق والباطل، بين الخير والشر؛ حيث إن بين هذه الثنائيات تناقضًا أبديًّا، لا علاقة للعلم والمعرفة بهما؛ وأي التباس في العلم القادم من الآخر المختلَف معه، فإن النقد يعالجه ويصحِّحه، بعيدًا من الخصومة والعداوة؛ إذ إن جاهل الشيء عدوه.

إن مثل هذا الوعي التربوي يكشف عن مدى سعة أفق فكر محمد ناصر، وتعاطيه مع الحق والقيم الإنسانية، كما هي مبسوطة في تعاليم الإسلام السمحة. فهو يرى أن الحق والعدل لا بد من الانحياز إليهما، وأن الشر والظلم ينبغي إزالتهما؛ حيث اعترف محمد ناصر بفعالية المنظومة التربوية الغربية، وجودتها في تخريج كفايات علمية، وقدرات عملية خاصة في العلوم التقنية، لا سيما أن العالم الإسلامي بحاجة إليها والاستفادة منها، لتجاوزها والإتيان بأفضل منها، بما أوتي من قيم حضارية؛ ما يفترَض منه إحياءها وتجديدها وتفعيلها، ولأجل هذا لا يمكن رفض العلوم الغربية، أو بخسها حقها، لمجرد أنها جاءت من أقوام دينهم ليس كديننا.

والأمر الآخر الذي لا بد من الوعي به، في نظر محمد ناصر، أن التعاليم الربانية لا تلغي المصالح الدنيوية التي تخدم الصالح العام؛ ما يجعل إهمال متطلبات الحياة الدنيا ليس فعلاً عقلانيًّا؛ وإذ إن الدنيا هي الحقل الكبير والواسع، الذي نزرع فيه جميع الأعمال الصالحة، فإننا سوف نقتطف ثمرتها في المستقبل، لاسيما في الآخرة. وإذا كانت التربية الإسلامية تهتم فقط بالأنشطة الروحية، فإنها تتعارض مع رسالة الإسلام، التي بلَّغها لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم. يقول محمد ناصر: «لا تعارض بين الحياة الدنيوية والأخروية، ومن ثم لا داعي للدعوة للانفصال بينهما، بل هما شيئان متكاملان، ونحن بحاجة إليهما للحفاظ على التوازن في هذه الحياة». [79]وقد استدلَّ بآية من القرآن الكريم، تعزِّز رأيه حول أهمية التربية الإسلامية الشمولية، التي تحافظ على الوحدة الحضارية

والإنسانية بين العلوم الدينية والدنيوية، يقول الله سبحانه وتعالى: { وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [البقرة:١٤٣].

يحرص محمد ناصر في كتاباته على القول بأن الإسلام هو مصدر الحضارة؛ حيث يورد تعريف المستشرق الهولندي جيب «Gibb» للحضارة قائلًا: «إن الدين الإسلامي يعد أكثر من نظام عقائدي، إذ يحتوي الحضارة الشاملة».[80] بناءً على ذلك التعريف، فإن مفهوم الحضارة الإسلامية الذي جاء به هذا المستشرق، حول شمولية التعاليم الإسلامية، يجعل أفق تفكيرنا يتسع باتساع التعاليم الإسلامية، التي ليست مقصورة على الجوانب الروحية، بل هي مصدر للتقدم الحضاري. وبالنظر إلى تلك الطاقة الكامنة في تعاليم الإسلام، التي تشكِّل مصدرًا ثرًّا للإبداعات والابتكارات، يرى محمد ناصر أن إشعاعات الحضارة في العالم الإسلامي بدأت في البزوغ، إثر هبوط الوحي على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؛ فهو يقول: «يحدثنا التاريخ أن الدولة التي تعاني من المعضلات بينما تواصل الكفاح بلا يأس، هي التي تحقق في الأخير الحضارة المتميزة والقادرة على التنافس مع دول أخرى، فتورث الفلاح للاحقين».[81]

أورد محمد ناصر في كتاباته أن الحضارة المتميِّزة تنتقل من مكان إلى آخر، ومن جغرافيا إلى أخرى، ومن عرق إلى آخر. وإن الفكر المتقدم هو الذي يحدد مصير الحضارة. إن استمرار الحضارة الإسلامية واستقرارها لفترة طويلة من الزمن يعود إلى العمل الجاد وخلوص النية. وقد عرض محمد ناصر رأيه في الأسباب التي أثمرت الحضارة المتميزة قائلًا: «أولًا: إن الإسلام يحترم العقل، الذي يفترَض تفعيله بالدراسة والتدبُّر في الكون والاستفادة من الثروات الطبيعية للصالح العام. ثانيًا: إن الرسالة الربانية تحث على طلب العلم، حيث إن الجزء الأكبر من النصوص القرآنية فيها إشارة واضحة، لتحصيل العلم، وتفعيل العقل للوقوف على أسرار الكون. إضافة إلى ذلك فإن طلب العلم ليس له نهاية، وإنما هو ماضٍ إلى يوم القيامة، كما جاء في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ إذ يقول: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد».[82]

لقد أكَّد محمد ناصر على أهمية التفكُّر، وعدم تقليد الآخرين من غير وعي وتحليل؛ ما قد ينجم عن هذه التبعية من جمود، يعدم الابتكارات والإبداعات على قلَّتها. وقد أورد محمد ناصر دفاعًا عن فكره قوله تعالى: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } [الإسراء:٣٦]. كما تأكد لنا من فكره الإصلاحي: أن الحكم الشرعي يستمد قوته من الفحص، والتساؤل عن الحق وطبيعته، ولو جاء من مصادر أخرى بغض النظر عن الديانة، أو عناصر حضارية أخرى. زيادة على أن الإسلام يشجِّع أتباعه على السير في مشارق الأرض ومغاربها، للوقوف الصحيح والمباشر على تنوع الأجناس والحضارات؛ فرحلة الحج تتيح الفرصة الثمينة للتعارف وتبادل الأفكار حول الثقافات والتقاليد والعادات داخل الحضارة الإسلامية الواحدة؛ ما جعل الحج فريضة، لقوله تعالى { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } [آل عمران:٩٧].

لقد أشار محمد ناصر إلى الحج الذي هو بمثابة سير في الأرض، يلتزم فيه المسلم بطاعة أوامر الله، ويتجنَّب ما نهى عنه، زيادة على تبادل المعلومات والأفكار بين المسلمين، حول ما يحدث في البلدان البعيدة والتحديات التي تواجهها، ومن ثم استفادة المسلمين بعضهم من بعض في حل مشكلاتهم وتقوية إيمانهم. ويتَّضح الأمر أن ازدهار الحضارة الإسلامية قام على التفكُّر واستخدام العقل بشكل صحيح، للتعرُّف إلى العالم، واستكناه الأشياء الكامنة فيه. وقد سجَّل التاريخ أن الخلفاء المسلمين قاموا بتقديم الدعم المالي للبحوث والكتابات والنشاطات التي كان يجريها العلماء والمفكرون والباحثون؛ حتى تحققت الحضارة الإسلامية الباهرة، التي أُعجب الناس بها في المشرق والمغرب. الخليفة أبو جعفر المنصور -كما يقول محمد ناصر- في العصر العباسي كان على درجة عالية من العلم، وكان يثني على العلماء في مجالات الفقه والطب، وهو الذي قام بتمويل المشاريع العلمية في جميع التخصصات. قام أيضًا، بتشجيع ترجمة الكتب الإغريقية إلى العربية، وخصَّص موارد مالية لهذه المهمة النبيلة؛ حتى يستفيد أهل العلم من تلك الكتب استفادة مباشرة، أو القيام بنقدها إذا كان فيها ما يتعارض مع القيم الدينية. ولا شكَّ في أن مثل هذا التشجيع من الخليفة المنصور مؤسس بيت الحكمة، كان فيه إضافة حضارية عظمى. وإذا كانت مكة المكرمة معروفة في ذلك الوقت بوصفها مركزًا روحيًّا عريقًا ولا تزال؛ فإن بغداد كانت مركزًا مهمًّا للتنوع الحضاري في أشكاله المادية. وعليه يعتقد محمد ناصر بأن النشاط الروحي والفكري لا بد أن يسيرا جنبًا لجنب من أجل تحقيق التقدم للأمة الإسلامية. [83]

هذا وقد أورد محمد ناصر قصة خبير فلكي فارسي، كان من أتباع الديانة الماجوسية واعتنق الإسلام؛ حيث استضافه الخليفة في قصره، وأتاح له فرصة تطوير علمه في مجال تخصصه. ونظرًا إلى اهتمامه البالغ بعلم الفلك قام هذا الخليفة بدعوة عدد من الخبراء الفلكيين من دول أخرى كالهند وفارس والروم؛ فأحاطهم برعايته، وأغدق عليهم العطاء، ومنحهم رواتب عالية. وبالإضافة إلى ذلك طلب منهم دراسة إبداعات علماء الرومان للاستفادة منها في تطوير العلوم في سائر المجالات الأخرى. وإن مثل هذا المشروع الإنساني الضخم، أدى بملك الروم في ذلك الوقت إلى إرسال عدد كبير من الكتب لترجمتها إلى العربية. يقول محمد ناصر: إن هناك أمرًا مهمًّا قام به الخليفة تمثَّل في دعوة عدد من علماء النصراينة، مثل جورج بختيزجو «George Bachtisju» من شندي شابور «Chandichapur»، لتدريس علوم الرياضيات والطب. ومن ضمن الكتب التي تمَّ ترجمتها إلى العربية كتاب جمهورية أفلاطون، وكتاب عن علم الفلك ألَّفه بطليموس «Ptolemy». وكان ذلك في الوقت الذي قد قام فيه الغرب بتحريم العلوم وتجريمها، لا سيما التي تتناقض مع النصوص الدينية النصرانية، مثل حادثة جاليلو المشهورة؛ بينما قام الخليفة بتشجيع العلماء، وحثهم على دراسة العالم واستكشاف أسراره، والوقوف على مدى التوافق بين الإنتاجات العلمية والتعاليم الربانية. وفي الوقت الذي قام فيه معظم القيِّمين على الكنائس بتحريم تداول الكتب التي تمتح من مصادر الديانات الأخرى؛ فإن العلماء المسلمين قاموا بتشجيع ترجمة الكتب من مصادر الديانات الأخرى، بهدف معرفة جوانب الاتفاق والاختلاف من منظور إسلامي. [84]

يرى محمد ناصر أن الخلفاء المسلمين أمثال هارون الرشيد والمأمون قد سلكوا سياسة حكيمة، تشجِّع على الاطلاع على آراء الآخرين، حتى لو أتت من مصادر دينية متناقضة. لقد كان همُّهم الوقوف على الأباطيل، ثم القيام بنسفها بالتفكير النقدي والدراسة العميقة، استنادًا إلى ما جاء في مصادر التشريع الإسلامي. [85]إذ سبق للعلماء المسلمين التعاطي باقتدار مع النظريات الفلسفية اليونانية والغربية، لدى أفلاطون وأرسطو وبطليموس وغيرهم، كما قدَّموا ملاحظات عميقة وتحليلات دقيقة، أغنت الحضارة الإنسانية في كافة المجالات العلمية؛ فظهر إثر ذلك عباقرة مسلمون، أمثال: يعقوب بن إسحاق بن صبرة الكندي، وهو خبير في التفكير الفلسفي والفلك والطب، وكذلك الموسيقى. زيادة على ابن سينا في الطب، لا سيما في إنجازه المشهور «القانون في الطب»، وكتاب «الحاوي» الذي استفاد الغرب من عطائه العلمي والفلسفي.

الفصل السادس شخصية محمد ناصر الديمقراطية وإنجازاته السياسية

أولاً: النشاطات السياسية

1- النشاطات السياسية غير الرسمية

على الرغم من أن محمد ناصر قد تولَّى منصب رئيس وزراء دولة إندونيسيا؛ إلا أنه لم يشارك اللحظات التاريخية، التي أعقبت مباشرة إعلان استقلال البلاد في 17 أغسطس 1945م، نظرًا إلى أنه كان منشغلًا بأعمال إدارية وتربوية في مدينة باندونج.[86]

كما هو مبسوط في صفحات التاريخ الإندونيسي، فإن الاحتلال الياباني قد مهَّد الطريق نحو الاستقلال، وكان محمد ناصر في ذلك الوقت يشغل منصب مدير الشؤون التربوية لخدمة الأمة الإسلامية في مدينة جاوا الغربية، تحت إدارة الياباني أنيها «Gunseibuco Aneha»، وقد شغل محمد ناصر أيضًا منصب وزير محلي، أي محافظ لتلك المنطقة؛ حيث قام بتنصيب رادين أدمينتا «Raden Admadinata» نائبًا له في المحافظة. وعلى الرغم من أن هذا الحاكم الياباني كان توجُّهه الفكري توجُّهًا ليبراليًّا، إلا أن روح التفاهم والتواصل كان يجمعهما، بخلاف باقي المسؤولين الاستعماريين السابقين. وهو الذي قام بتعيين محمد ناصر مديرًا لشؤون التربية الإسلامية، ومنحه بعض التسهيلات تدعيمًا لسياسته التربوية، تحت رقابة أو إدارة محمد ناصر، حتى يكون متماشيًا مع أهداف الأمة.

لم يواجه محمد ناصر صعوبات في إدارة التربية الإسلامية، نظرًا إلى ما كان يتمتَّع به من خبرات كافية، ساعدته على تطوير مناهج التربية في المعاهد التي قام بتأسيسها في مدينة باندونج. وكان من بعض سياساته التربوية أنه اتَّخذ اللغة الإندونيسية لغة رسمية في هذه المعاهد، بالإضافة إلى اللغة المحلية المعروفة باللغة السونداوية. وفي الوقت نفسه قام برسم سياسة تربوية، أدَّت إلى تقوية المواد الدينية، علمًا أن إدارة الاحتلال الياباني لم تكن تتدخَّل في الشؤون الدينية، بل منحت للأهالي الإندونيسيين كامل الحرية.[87] ونظرًا إلى الليونة التي أبدتها إدارة الاحتلال الياباني تجاه الشؤون الدينية، فقد اهتبل محمد ناصر هذه الفرصة الثمينة لتطوير مناهج التربية الإسلامية، بل اقترح تشكيل لجنة دينية باسم المجلس الإسلامي، الذي تمت الموافقة عليه من قبل إدارة الاحتلال الياباني؛ لقد ترأَّس محمد ناصر المجلس الإسلامي، وكان من مهامه الكبرى هو تقوية العلاقات بين المدرِّسين وعلماء المسلمين في مدينة باندونج.

لقد طالب الحاكم الياباني من الشباب الإندونيسيين بأن يكونوا جادين في العمل وأن يهجروا الكسل، والذي عدَّه محمد ناصر بمثابة تشجيع ودعم لتنفيذ الإصلاحات الجادَّة، التي كان ينوي القيام بها. لقد

جاء في خطاب الحاكم الياباني: «أنتم أيها الشباب عليكم بالعمل الجاد، ولا تكونوا مثل الهولنديين، الذين قاموا باستعمار بلادكم على مدى ثلاث مئة وخمسين عامًا. اخلعوا ثوب الكسل، وانهضوا مبكِّرًا للقيام بعمل جاد». [88]وقد عبَّر محمد ناصر عن تقديره البالغ لهذه التوجيهات القيِّمة، لا سيما أن الحاكم الياباني كثيرًا ما كان ينتقد حكومته المركزية في اليابان، نظرًا إلى ما تسلكه من سياسات عدوانية تجاه جيرانها الآسيويين، كما كان يؤمن بحرية الشعوب في تقرير مصيرها. لقد فاجأ الحاكم الياباني محمد ناصر، وهو يهمس في أذنيه، قائلًا: سوف نغادر إندونيسيا في يوم ما، وأنتم من تقومون بتسيير إدارة الدولة الإندونيسية المستقلَّة.

في عام 1945م، اقترحت إدارة الاحتلال الياباني إنشاء مدرسة إسلامية عليا على مستوى الجامعة الإسلامية الإندونيسية؛ حيث عيِّن محمد حتًّا رئيسًا لتلك الجامعة، وفي الوقت نفسه تمَّ تعيين الأستاذ الجليل عبدالقهار مذكر «Abdul Kahar Mudzakir» محاضرًا فيها، وهو أحد الأصدقاء المقرَّبين من محمد ناصر. وبعد تأسيس تلك المؤسسة التعليمية استدعى الأمر البحث عمن يقوم بمهامها الإدارية؛ إذ عيِّن محمد ناصر لتولِّي هذا المنصب الإداري الأعلى، على الرغم من أنه كان مقيمًا في مدينة باندونج. [89]وبعد أن تولَّى مهمَّته الإدارية، اضطرَّ بأن يقوم بسفريات دورية من باندونج إلى جاكرتا؛ حيث أفادته هذه الرحلات في الوقوف على أهم التطورات السياسية في عاصمة البلاد. وفي الوقت الذي كان شهر أغسطس من عام 1945م على الأبواب، كانت القوة الائتلافية الوطنية تضغط على إدارة الاحتلال الياباني للمطالبة بالاستقلال؛ حيث قام أحمد سوكارنو مع زعماء إسلاميين وقوميين آخرين بالإعلان الرسمي عن استقلال إندونيسيا؛ إلا أن محمد ناصر لم يكن حاضرًا وقتذاك، حيث عبَّر عن أسفه الشديد لتفويت هذه اللحظة التاريخية التي لن تتكرَّر أبدًا.

2- النشاطات السياسية الرسمية

بعد يوم من إعلان الاستقلال، تشكَّلت اللجنة القومية الإندونيسية «Komite Nasional Indonesia» التي ترأَّسها كل من أحمد سوكارنو والدكتور محمد حتًّا، وكانا في ذلك الوقت بحاجة إلى أعضاء في اللجنة، فقاما باختيار أسماء بشكل عشوائي؛ ما عكَس بساطة اللجنة وتواضعها.

وبعد بضعة أيام من استقلال الدولة، قام محمد ناصر بزيارة مدينة جاكرتا؛ حيث أقام في بيت صديقه الأستاذ عبدالقهار عضو اللجنة القومية الإندونيسية، الذي كان سببًا في تمهيد الطريق أمام محمد ناصر لولوج المعترك السياسي بصفة رسمية. لقد استهلَّ محمد ناصر مشواره السياسي يوم 29 أغسطس 1945م؛ فبحكم أنه كان يقيم في بيت صديقه الأستاذ عبدالقهار، كان هذا الأخير مضطرًّا لأن يرافقه لحضور أول اجتماع لأعضاء اللجنة، على الرغم من أن محمد ناصر لم يكن عضوًا من أعضائها. لقد رفض في البداية دعوة صديقه بحجة أنه ليس عضوًا، ولكن عبدالقهار أجبره على مرافقته، ومن ثم لم يكن أمامه خيار سوى الامتثال لأمر مضيفه. وصل محمد ناصر

برفقة صديقه إلى قاعة الاجتماع؛ ولأنه كان يفترَض أمنيًّا توقيع الأعضاء في كتاب موقوف لهذا الغرض، فقد قدَّم الأستاذ عبدالقهار صديقه محمد ناصر للقيِّم على التسجيل، وأعلمه أن هذا هو محمد ناصر، فأضاف اسمه مباشرة من غير تحفُّظ، وعدَّه عضوًا جديدًا من تلك اللحظة.

كان أعضاء اللجنة المركزية القومية الإندونيسية «Komite National Indonisia Pusat-KNIP» هم أنفسهم أعضاء اللجنة التحضيرية لاستقلال إندونيسيا«Panitia Persiapan Kemerdekaan Indonisia- PPKI» التي أنشئت في 18 أغسطس 1945م، وقد اتفق معظم الأعضاء على اختيار أحمد سوكارنو رئيسًا للدولة المستقلَّة، والدكتور محمد حتًّا نائبًا له. وكان من مهام تلك اللجنة مساعدة السيد الرئيس على رسم السياسات الحكومية الجديدة. لقد ترأَّس تلك اللجنة التحضيرية كسمان سنغوديمجو «Kasman Singodimedjo» يساعده ثلاثة نواب، هم: سوترجو كارتو ديهارجو «Sutardjo Kartohadikusumo»، ولاتوهارهاري «Latuharhary»، وآدم مالك «Adam Malik». هذا وقد طرأت على اللجنة بعض التغييرات؛ إذ انتقلت من مجرد تقديم الاستشارة لرئيس الدولة الجديد إلى الاضطلاع ببعض أعماله أو نشاطاته السياسية لدى مجلس الشورى ومجلس النواب. وفي اجتماعها المنعقد في 25 نوفمبر 1945م، وافقت اللجنة على إضافة أعضاء جدد؛ حيث استقرَّت على 232 عضوًا، كما وافقت على إضافة 21 عضوًا. وكان محمد ناصر، إلى جانب سودارسونو «Sudarsono» وساروونو «Sarwono» من ضمن أعضائها الجدد.[90]

إن الأمر الذي هو بحاجة إلى بعض التوضيح أن جلَّ أعضاء اللجنة المركزية القومية الإندونيسية كانوا من الشخصيات المتشبِّعة بالفكر القومي العلماني، إضافة إلى أن أعضاء اللجنة التحضيرية لاستقلال إندونيسيا؛ قد شكَّلوا عقبة كأداء أمام زعماء المسلمين، الذين طالبوا بأن تكون الشريعة الإسلامية روح الدستور الجديد.

بعد أن صار محمد ناصر عضوًا رسميًّا في اللجنة المركزية القومية الإندونيسية، أتيحت له فرصة ثمينة لمناقشة مبادئ بنتشاسيلا فلسفة الدولة، خاصة بعد إلغاء البند المثير للجدل، الذي كان ينص على اتخاذ الشريعة الإسلامية مصدرًا أساسيًّا في الدستور. وسوف نناقش ذلك بشكل مفصَّل في الفصل العاشر بإذن الله سبحانه وتعالى.

* * * *

يفترَض أن يتحلَّى الشخص الذي ينقاش قضايا ديمقراطية بروح التسامح مع المخالفين، ويبدي الاحترام تجاه الآراء المختلفة، وأن يكون على قناعة تامة بقبول الآخر المختلَف والتحاور معه. وفي هذه الحالة فإن مفهوم الديمقراطية له علاقة باستعداد الواحد منَّا لقبول معتقدات الآخرين، التي تتعارض مع مفاهيمنا الفكرية والدينية. وكما أسفلنا القول في الفصل الثاني، فإن محمد ناصر، ما قبل الاستقلال، قد خاض نقاشًا موسَّعًا مع سوكارنو فيما يتعلَّق باعتراضه على المبادئ الأساسية لفلسفة الدولة بنتشاسيلا، التي كان يروِّج لها سوكارنو بوصفها بنية الدستور الجديد.

من ناحية أخرى، ألفينا محمد ناصر يدافع عن الشريعة الإسلامية بوصفها مصدرًا أساسيًّا لجميع الأنظمة، التي تحكم المجتمعات الإسلامية ذات الأغلبية؛ أما سوكارنو فقد عقد العزم على اقتفاء أثر كمال أتاتورك؛ حيث حاجج بأن نظام أتاتورك العلماني، قد جلب الرفاهية والتقدم لتركيا في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لقد قام سوكارنو بإهانة الإسلام، ووسمه بأنه دين يفتقر إلى القيم العملية، إذ عدَّه فعلاً شخصيًّا وعاطفيًّا، لا تربطه رابطة بقانون الدولة البراغماتي. وقد خاضا كلاهما منذ الثلاثينيات من القرن الماضي في النقاش الحاد حول هذه المسألة المثيرة للجدل في أوساط المجتمع الإندونيسي المسلم؛ حيث «لم يكن سوكارنو وزملاؤه في محاولتهم المستميتة لتأسيس دولة إندونيسيا العلمانية من طريق إهانة الإسلام والاحتيال على المسلمين، إلا صدى لأثر نظام التعليم الغربي والآراء الاستشراقية». [91]

على الرغم من أن محمد ناصر وسوكارنو سلكا مسالك فكرية متباينة، وأحيانًا متعارضة؛ إلا أنه ما بعد الاستقلال توطدت العلاقة السياسية بينهما، حتى صارت أقرب إلى شهر العسل السياسي إن جاز التعبير؛ حيث قام سوكارنو بتعيين محمد ناصر وزيرًا للإعلام في الحكومة الأولى المشكَّلة بعد الاستقلال، زيادة على أن محمد ناصر كان محل إعجاب سوكارنو، نظرًا إلى ما كان يتمتَّع به من ذكاء وفطنة، قلَّ نظيرهما في ذلك الوقت؛ ما جعله أحد أبرز المقرَّبين من سوكارنو، مقارنةً بباقي الوزراء في حكومته. [92]

وكان في عام 1946م، وبعد أن مرَّت شهور على الاستقلال، قد انتقلت عاصمة الدولة بصورة مؤقَّته إلى مدينة يوكياكرتا «Yogyakarta»، وفي إحدى المحادثات التي جمعت بينهما، قال سوكارنو لمحمد ناصر: «كنا على اختلاف، وخضنا في النقاش الحاد، والآن لا بد من نسيان تلك الاختلافات، ولا داعي لإحيائها من جديد»، فأجابه محمد ناصر: «طبعًا لا داعي لإحيائها من جديد. ينبغي توجيه جهودنا نحو توقيف أطماع الهولنديين في العودة للهيمنة على بلادنا؛ إذ من واجبنا ترك الاختلافات بيننا». [93] إذ في ذلك الحين كان محمد ناصر وسوكارنو منشغلين بالصراع الفكري على

المستوى النظري؛ أما في فترة ما بعد الاستقلال، فكان لا بد من الاتحاد والتوافق بينهما، لإبعاد الخطر الذي كان يواجه الدولة المستقلَّة، حيث وقف الاستعمار الهولندي يتربص بها الدوائر، ويتحيَّن فرصة انشقاق الأشقاء للعودة الاستعمارية مرة أخرى.

فيما يتعلق بتعيينه وزيرًا للإعلام في الفترة «1946-1948م»، فإن محمد ناصر يورد في إحدى كتاباته، أن الاقتراح بتعييني لهذه الحقيبة الوزارية كان بإيعاز من سوتان شحرير «Sutan Shahrir» «1900-1966م» أول رئيس وزراء لإندونيسيا المستقلَّة. ولما كان محمد ناصر يلتقي بسوكارنو في مدينة يوكياكرتا، كان يتجاهل ما حدث بينهما من خلافات فكرية وسياسية. ذات مرة، قال سوكارنو لمحمد ناصر: لقد خضنا في الجدال في بعض الأمور، أليس كذلك؟ فأجاب محمد ناصر بنعم. ثم أردف سوكارنو قائلاً: الآن لن نفعل ذلك؛ ولكن مازحه محمد ناصر بأن ذلك قد يتكرَّر. لقد اعترف محمد ناصر بأن العلاقة ظلت وطيدة للغاية بينهما، واستمرت ودية أيضًا. والشيء الذي كان يقدره محمد ناصر في سوكارنو، أنه لما اقترحه شحرير للوزارة، قال سوكارنو بعفوية: إن محمد ناصر هو الشخص المناسب لتولي هذا المنصب. [94]

أبدى محمد ناصر رغبته في التعاون، وتجنُّب الدخول في خلافات عقيمة مع سوكارنو؛ حيث عدَّ خدمة الوطن من أولوياته المتقدمة في هذه المرحلة الصعبة. وكذلك سوكارنو أبدى، هو الآخر، مرونة سياسية في التعامل مع محمد ناصر، وتجاهل عهد الاختلافات الفكرية الجذرية حول بنتشاسيلا فلسفة الدولة. وحين تمَّ تعيين سوكارنو رئيسًا للجمهورية الإندونيسية، كان في قصره الجمهوري في يوكياكرتا يتحاور مع باقي الوزراء، وكانت العلاقة بين سوكارنو ومحمد ناصر في غاية الود والاحترام.

من وجهة أخرى، فإن الخطابات التي كانت تُلقى في الاحتفالات الرسمية، كانت تستدعي موافقة محمد ناصر من عدمه، زيادة على أن محمد ناصر كان يُعِدُّ بنفسه خطابات سوكارنو، لا سيما في عيد الاستقلال والمناسبات الرسمية. كما كان سوكارنو يعتمد في صياغة سياسات الدولة على أفكار محمد ناصر. إلى جانب ذلك، فإن معظم الأخبار التي تذاع على الشعب كانت تتم بموافقة رسمية من محمد ناصر. [95]

في هذا الوقت بدأ الهجوم العسكري الهولندي للمرة الثانية؛ حيث عرض جواهر نهرو رئيس وزراء الهند على سوكارنو اللجوء إلى الهند، وفعلًا بعث له طائرة خاصة لنقله من مدينة يوكياكرتا. وكان سوكارنو قد عبَّر عن شكره، واستعدَّ إلى السفر إلى الهند بتأييد من معظم وزرائه؛ ولكن اشترط أن يرافقه محمد ناصر. لقد بدأ الهجوم الهولندي مبكِّرًا، فلم يتسن للطائرة الهندية بالهبوط في أرض إندونيسيا، واكتفت بالهبوط في مطار سنغافورا، ومن ثم قام الهولنديون باعتقال سوكارنو وبعض من أعضاء حكومته. ومن حسن الحظ أنه قبل اعتقاله استطاع بمعيَّة محمد ناصر الإدلاء

بتصريحات للشعب بعدم طاعة أوامر القادة الهولنديين، والإصرار على الحفاظ على استقلال البلاد.
96

لقد حافظ محمد ناصر على شخصيته المعتدلة وروحه الديمقراطية؛ فلم تؤثر فيه الخلافات التاريخية مع سوكارنو، ولم يثنه ذلك من الدفاع عن القضية العادلة، التي يحاكَم من أجلها سوكارنو من قبل إدارة الاستعمار الهولندي؛ حيث هاجم بشدَّة السياسة الهولندية في بلاده المستقلة، بعدما قام الهولنديون بنفي سوكارنو إلى جزيرة فلوريس «Flores».

ثالثًا: الإنجازات الكبرى

ظلَّت العلاقة بين الزعيمين وطيدة للغاية، نظرًا إلى مواقف محمد ناصر المشهودة، في وقت كانت تواجه فيه الدولة المستقلَّة تهديدات الاستعمار الهولندي، بسياسة فرق تسد. قامت إدارة الاستعمار الهولندي الظالمة بتشجيع الولايات الإندونيسية للحصول على الحكم الذاتي، ودعتها إلى الانفصال عن الحكومة المركزية، بهدف إضعاف الدولة الإندونيسية المستقلَّة. لقد عرض محمد ناصر اقتراحاته أمام البرلمان، وطالب من كل ولاية كانت تحت الوصاية الهولندية باسم الجمهورية الإندونيسية المتحدة «Republik Indonesia Serikat» بالانضمام إلى الجمهورية الإندونيسية «Republik Indonisia».[97] كما أبدى محمد ناصر تقديره البالغ لسوكارنو بوصفه رئيسًا للدولة والدكتور محمد حتًّا بوصفه نائبًا للرئيس؛ حيث اقترح محمد ناصر تشكيل لجنة خاصة يكون أعضاؤها من جميع نواب الحكومة الفيدرالية.[98]

والجدير بالذكر أيضًا حين أقنع محمد ناصر معظم أعضاء البرلمان، واتفقوا على اقتراحه الذكي والوطني حول تسمية الجمهورية الإندونيسية ذات السيادة الكاملة، سأله سوكارنو من يتولى رئيس الوزراء؟ فأجاب سوكارنو بنفسه: «لا أعتقد أن هناك أحدًا يناسبه هذا المنصب مثل محمد ناصر، ومن ثمَّ تمَّ تعيينه من قبل رئيس الدولة رئيسًا لوزراء الجمهورية الإندونيسية؛ [99]حيث اعتبر سوكارنو أن محمد ناصر قد أسهم الإسهام الأكبر في الحفاظ على الدولة، مما كان يتهدَّدها من إدارة الاستعمار الهولندي.

لقد عيَّن محمد ناصر سلطان حمنكو بونو «Sultan Hamengku Buwono» نائبًا له، غير أنه بعد تولي محمد ناصر رئاسة الوزراء واجه معارضة شديدة من قبل أعضاء الحزب الوطني، زيادة على الحزب الشيوعي. قام سوكارنو في الأخير بإصدار أوامر لأعضاء حزبه بعدم معارضة سياسات محمد ناصر، التي عدَّها حكيمة، وتصدر من شخص يعي ما يقوم به. بعد هذه الضجة، اقترح محمد ناصر تشكيلته الوزارية التكنوقراطية، التي ينتمي أعضاؤها إلى أحزاب وطنية مختلفة الوجهة الفكرية والسياسية.[100]

لا يزال المواطنون يذكرون بخير شخصية محمد ناصر الديمقراطية في تعامله مع الآخرين، بغض النظر عن أصولهم العرقية أو انتماءاتهم الحزبية أو ميولهم الدينية؛ ما أكسبه ذلك محبة الجميع. لقد قام محمد ناصر بالتعامل بقدم المساواة مع الذين لديهم خبرة طويلة في الصراع الفكري والسياسي. منهم ديبا نوسنتارا عيديت «Dipa Nusantara Aidit» «1923-1965م» رئيس الحزب الشيوعي الإندونيسي «Partai Komunis Indonesia» والذي كان محمد ناصر يعارضه بشدَّة، ولم يكن يسمح له بنشر بذور الفكر الإلحادي في البلاد من طريق الإيديولوجية الشيوعية.كما بذل محمد ناصر جهودًا كبرى عبر حزب ماشومي لترسيخ مبادئ الفكر الديمقراطي الإسلامي في

الدولة الإندونيسية. إلى جانب ذلك كان يتعامل مع أقرانه خارج اجتماعات البرلمان بودية منقطعة النظير، وكأن الخلافات أو الصراعات لم تحصل بينهم. وعلى رأي يوسريل إحزا مهندرا فإن محمد ناصر في أثناء خوضه نقاشات البرلمان، يكون منفعلاً وغاضبًا نظرًا إلى نوعية القضايا الحسَّاسة التي يناقشها أو يقترحها. وبعد انتهاء النقاشات نلفيه يتحدث مع معارضيه مثل عيديت الشيوعي في بعض الأمور الاجتماعية والعائلية في وقت الراحة أو تناول القهوة أو الشاي، بل أحيانا كان يركب معه في درجة نارية واحدة أثناء العودة إلى البيت. [101]

والجدير بالذكر هنا، أن محمد ناصر لم يكن صراعه السياسي والفكري والديني مقتصرًا على زعيم الكتلة الشيوعية، بل كان هناك سياسيون آخرون من الأحزاب المسيحية، أمثال: إغناتيوس جوزيف كاسيمو «Ignatius Joseph Kasimo» ، الذي يحسَب على الحزب النصراني البروتسنتاني، وكذلك كل من هاريدي «F.S. Hariyadi» وليمانا «J. Leimena»، وهما من الحزب الكاثوليكي «Partai Kahtolik». لقد كان هؤلاء يعارضون أفكار محمد ناصر الدينية تحت قبة البرلمان، في حين عندما تقدَّم محمد ناصر في أبريل 1950م باقتراح توحيد الجزر الإندونيسية تحت حكم واحد، أجمعوا كلهم على تأييد فكرته السياسية والوطنية. لقد لخَّص محمد أمين رئيس «M. Amin Rais» خبرته في تعامله مع محمد ناصر، قائلاً: «الزعيم لا بد أن يكون مثل النجار الذي بإمكانه استخدام جميع أنواع الأخشاب لجميع أغراض الصناعة». [102]

إذًا ليس من الغرابة أن يعيِّن محمد ناصر بعض النصارى في تشكيل الوزارة تحت قيادته؛ ما ينم عن شخصيته المعتدلة والديمقراطية، لا سيما أنه زعيم حزب ماشومي الذي يميل إلى الإسلام ميلاً عظيمًا. إن تصرفات محمد ناصر المعتدلة زيادة على سلوكه الديمقراطي، قد أثَّر في بعض زملائه في الحزب مثل: محمد عيسى أنصاري الذي قام، هو الآخر، باستضافة عيديت زعيم الحزب الشيوعي الإندونيسي لما قام بزيارته في بيته، وكذلك مع براوتو مانكو ساسميتو «Prowoto Mangkusasmito»؛ حيث وطَّد علاقة الصداقة مع بعض النصارى الفاعلين في المجتمع الإندونيسي. [103]

وحينما تولى سوهارتو الحكم، تمَّ تهميش محمد ناصر من المشاركة في النشاطات السياسية. وعلى الرغم من أنه قام مع زملائه من أعضاء حزب ماشومي بتأسيس المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية؛ إلا أنه بقي يحتفظ بعلاقة جيدة مع معارضيه السابقين. وبناءً على اعتراف إحدى بناته السيدة سيتي مخلصة، فقد أرسل محمد ناصر باقات من الورود إلى زملائه من النصارى، مثل: أ.ج. كاسيمو وليمانا بمناسبة العام الجديد، وحتى الجنرال سيماتوبانج «T.B. Simatupang» «1920-1990» قام بزيارته محمد ناصر في البيت لنقاش بعض الأمور السياسية في عهد حكومة سوهارتو. أما كريس سينر تيمو «Chris Siner Key Timu» زعيم الديانة الكاثولكية، فقد أعرب عن التقدير البالغ للصداقة، التي تجمعه بمحمد ناصر على الرغم من الاختلافات العرقية والدينية والسياسية، كما عدَّ محمد ناصر أستاذًا له، كونه استفاد من خبراته الواسعة، وتعامله مع الناس،

واحترامه لآراء الآخرين. تجلت شخصية محمد ناصر الاجتماعية، أيضًا، في أنه نسج صداقة متينة مع زعماء سياسيين غير مسلمين، أمثال: ج. كاسيمو «Kasimo» وفرانسيدا «Frans Seda». لقد عبَّر كريس سينر تيمو عن إعجابه بسلوكيات محمد ناصر وتصرفاته السياسية الناضجة، لا سيما بعد معارضته لسياسة سوهارتو، ويعترف بأنه استفاد من خبرته الواسعة، وإخلاصه في التعامل مع الناس.

لقد عاش محمد ناصر يعارض سياسية سوكارنو التي تتناقض مع الإسلام، سواء ما قبل الاستقلال أم بعده؛ ما أدى بسوكارنو إلى سجنه عدة سنوات، بسبب خوضه أو مشاركته في الحركة الثورية ضد الحكومة المركزية. لقد أعجب كريس سينر تيمو الزعيم الكاثولكي بأخلاق محمد ناصر العالية على الرغم من أنه زعيم حزب إسلامي يدعو إلى تطبيق الأحكام الشرعية في البلاد؛ إلا أنه سعى إلى تحقيق طموحاته السياسية والدينية من طريق الديمقراطية. كما أن محمد ناصر لم يكن يسعى إلى إنشاء الدولة الإسلامية عبر الثورة أو الانقلاب الدموي. يقول كريس سينر تيمو: نحن في المجتمع النصراني الإندونيسي نحترم أفكار محمد ناصر الديمقراطية، ولا مانع لدينا من قبول تطبيق الأحكام الشرعية في أرض إندونيسيا، ما دامت تلك هي رغبة الأغلبية، وتخصهم هم بالذات، وهي مطالب نعتقد أنها حضارية وديموقراطية. [104]لقد كان تيمو من ضمن أعضاء المجموعة الخمسين، الذين بعثوا خطابًا لسوهارتو، يطلبون منه عدم منع محمد ناصر من السفر خارج البلاد. كما كان تيمو قد التقى بمحمد ناصر في مكتب المحاماة، وناقشه في إمكانية حقه القانوني في السفر إلى الخارج؛ وحينما همَّ بالعودة إلى البيت، طلب منه محمد ناصر أن يعودا سويًّا في سيارته، وحينما وصلا إلى المكان الذي يقصده تيمو استأذن في النزول، حتى يتمكن من ركوب حافلة عامة تقلُّه إلى البيت، غير أن محمد ناصر أصرَّ عليه بالجلوس وأوصله إلى بيته. [105]

وهذا السيد علي صادقين «Ali Sadikin»الذي كان يتولى منصب محافظ مدينة جاكرتا، شارك في طلب الالتماس بسفر محمد ناصر للخارج؛ حيث انتقد سياسة سوهارتو الخاطئة. وكان محمد ناصر يحضر سلسلة من اللقاءات، فيما بين أعضاء المجموعة الخمسين التي انعقدت في منزل صادقين. وفي الواقع أن محمد ناصر كان يعارض بشدَّة سياسة صادقين، التي ترخِّص لعملية الزنا والقمار في أنحاء المدينة. وقد قام صادقين بنقد محمد ناصر، قائلاً: «إذ كان محمد ناصر يريد التجول في مدينة جاكرتا فمن الأفضل أن لا يركب السيارة، بل يستخدم طائرة هيلكوبتر، لأن شوارع مدينة جاكرتا تم بناؤها من الضرائب المجتباة من أموال الزنا والقمار».[106] ونظرًا إلى طيبة شخصية محمد ناصر الديمقراطية، فقد تجاهل تلك الخلافات القديمة، وراح يركز على قضية العدالة، وكيفية التعاطي مع سياسة سوهارتو الظالمة، التي انحرفت عن مسارها القانوني. وكان في ذلك الوقت قد دعا سوهارتو القوات المسلَّحة الإندونيسية إلى مساندة الحزب الحاكم في الانتخابات العامة على الرغم من أنه يحظر قانونيًّا على القوات المسلَّحة العمل السياسي، أو مساندة حزب معيَّن؛ حيث ينحصر دورها في حماية الدولة والعمل على استقرارها بعيدًا من المشاركة السياسية.

تميَّزت شخصية محمد ناصر الديمقراطية بأنها شخصية متعاونة مع الآخرين مهما كانوا مختلفين معه؛ حتى إنه بكى بكاءً شديدًا في جنازة أحد الزعماء الوطنيين، اسمه سرميدي منغونسركورو «Ki Sarmidi Mangunsarkoro» «1904-1957م»، الذي كان يعارض أفكاره، ولا يقبل بسياسات حزبه الإسلامي ماشومي. لقد اندهش الحاضرون من هذا الموقف الإنساني من محمد ناصر الذي لم يكن، فعلًا، يكنُّ الضغينة والحقد لأي أحد من معارضيه.

إن التصرفات الحضارية لمحمد ناصر وعلاقته برجال الدولة خارج قبة البرلمان، زيادة على مشاركته السياسية بعد الاستقلال إلى آخر لحظة من حياته، جعلت معظم المحللين والمتابعين يجمعون على أنه شخصية نادرة، يعزُّ نظيرها في وقتنا هذا. كما ساند محمد ناصر، في أول الأمر، حكومة العهد الجديد تحت قيادة الجنرال سوهارتو بإرسال خطاب إلى تنكو عبدالرحمن «Tengku Abdurrahman» «1903-1990م» عام 1965م، لتحسين العلاقة الدبلوماسية بين حكومة سوهارتو وماليزيا، وطي صفحة الماضي السيئة لسوكارنو تجاه ماليزيا. وعلى ما يبدو أن مثل هذه الميزات الحسنة والنادرة في شخصية محمد ناصر تعود إلى فطرته السليمة التي شبَّ عليها، واهتدائه في جميع أموره الخاصة والعامة بالتعاليم الربانية، والمعتقدات الصحيحة، والالتزام بسنَّة محمد صلى الله عليه وسلم. وكما أشرنا سابقًا أنه قبل زمن طويل من خوضه في النقاش مع سوكارنو، حول مبادئ فلسفة الدولة بنتشاسيلا، كان فهم محمد ناصر للديموقراطية يختلف عن فهم الغرب لها؛ فقد طوَّرها بفكره الجديد، وعدَّها ديمقراطية تهتدي بالتعاليم الربانية، كما هي شائعة في كتاباته باسم «theistic democracy».[107]

اعتبر محمد ناصر أن الفكر الديمقراطي مثل الآلة الماحية، التي يمكن استخدامها لمحو الظلم والبغي والطغيان في المجتمع. وأن مثل هذه الأداة يمكننا الاستفادة منها في محاربة الاستبداد؛ حتى يتسنَّى لنا نشر جميع أنواع الخير بالكلمة الربانية «الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» في كل آن وزمان، وفي كل بقعة من الأرض أظلمت بالظلم والاستبداد.

ونظرًا إلى تلك السلوكيات النادرة في شخصية محمد ناصر، رأى بعض المحللين السياسيين بأن محمد ناصر ينطوي على ميول ليبرالية في فكره الإسلامي؛ إذ ليس له تحفظات تجاه التعامل مع أتباع أهل الديانات المختلفة. وإنه لمن الطريف نقل ما رآه الدكتور بستان الدين أغوس «Bustanuddin Agoes» وهو عضو هيئة التدريس وأستاذ في جامعة الأندلس بسومطرا الغربية؛ إذ يرى بأن اتجاهات محمد ناصر المتنوِّعة في نشاطاته الاجتماعية والسياسية والدينية من حكم سوكارنو إلى حكم سوهارتو، لا يمكن فصلها عن تصوُّره الشامل للتعاليم الربانية المنصوص عليها في الأحكام الشرعية. فلم يكن محمد ناصر ينتظر قبول المختلفين معه لرأيه، وإنما قام ببذل جهود مقنعة وعقلانية تجاه الآخرين، سواء أكانوا من أصدقائه أم من معارضيه السياسيين. وكانت لديه طموحات كبرى في اتخاذ الأحكام الشرعية مصدرًا للدستور؛ ولكن التوصل إلى الهدف المنشود لا بد من تحقيقه من طريق شرعي وبرضا الأكثرية في البرلمان. إن المبادئ الديمقراطية

كما يفهمها ناصر لا بد أن تكون مستمدَّة من القيم الدينية، وألّا تكون سببًا لظهور الأفكار الغربية، التي تتعارض مع الهدي الرباني. وإذْ نلاحظ اليوم بأنه باسم الديمقراطية قامت أمريكا بهجومها على العراق وأفغانستان، والضغوط على حماس التي فازت في انتخابات نزيهة، أجريت في غزة بفلسطين. إن الديمقراطية في عقل محمد ناصر هي التي لا تتعارض مع التعاليم الإسلامية.[108]

لقد أوضح أغوس بأن الديمقراطية كما نجدها في الأدب الغربي هي ديمقراطية متلبِّسةٌ بالفكر الليبرالي؛ لأن الشخص الديمقراطي هو الذي يعترف بجميع المطالب حول الحقوق والحريات، وأن الأطفال لهم الحق في الحرية، وبإمكانهم الانغماس في جميع الرغبات والأهواء الشيطانية، من غير قيد أخلاقي وإنساني؛ وحتى النساء لهن الحق في العيش مع أي رجل آخر لمدة معينة. كما أن هناك الحق كل الحق لكل فرد في اعتناق الديانة التي تستطيب له، وله أن يلبس ما يشاء. وبالإضافة إلى ذلك فإن النظام الديمقراطي الغربي هو من ينظِّم الزواج، بناءً على المبادئ الفكرية الليبرالية، بغض النظر عن مراعاة اللوائح الدينية من عدمها؛ وحتى الزواج مع نفس الجنس «بين الذكور والإناث» بات أمرًا مكشوفًا، وسببه الرئيس التأثر بمبادئ الفكر الديمقراطي الليبرالي لدى الغربيين.

إن مسيرة الديمقراطية الحالية في إندونيسيا هي من نتاج الحركة الإصلاحية السياسية بعد انهيار نظام سوهارتو الذي اتسم بالاستبداد، وهي مسيرة تميل إلى الاتجاه الديمقراطي الحر الذي يتيح الفرص لجميع الفئات للتعبير عن آرائها بدون قيود، وأن كل جماعة أو هيئة اجتماعية مطالبة بممارسة حقوقها، التي أقرَّتها الحكومة من غير الالتزام بالتعاليم الربانية. وأن الادعاء بأن محمد ناصر، من خلال كتاباته، يعد من المؤيدين لحركة الديمقراطية المتحللة في شكلها الحالي، نراه يبخس محمد ناصر حقه في فهم الديمقراطية فهمًا حضاريًّا ناضجًا، وهو أن تكون الديمقراطية في خدمة الإسلام.

استهدف محمد ناصر في محاولاته الجادة ونشاطاته السياسية طوال حياته، تأسيس الدولة الإندونيسية على المبادئ الدينية للحفاظ على المجتمع الإندونيسي المسلم ذي الأكثرية بعيدًا من ضغوطات الفكر العلماني، مع العمل على تقليص الفوارق الاقتصادية بين الأثرياء والفقراء في البلاد. لقد كانت رغبة محمد ناصر تتوجه نحو اتخاذ المبادئ الديمقراطية، بوصفها إحدى الوسائل لتحقيق الأهداف المنشودة لدولة المبادئ الإسلامية، لا سيما أن أفكار محمد ناصر تتعارض تمامًا مع الفكر الديمقراطي الغربي، التي لا تربطها رابطة بالقيم الدينية بدلاً من اعتماد الأكثرية البرلمانية في تقرير مصير الدولة في سياستها. ولمزيد من الوضوح فيما يتعلق برأيه وفكره الديمقراطي، نشير إلى ما قالته الخبيرة في شؤون السياسية الإندونسية الأمريكية أودري كاهن «Audery R. Kahin»: «يعد محمد ناصر من ضمن الزعماء الإندونيسيين الذين يتميَّزون عن غيرهم بإحساس عميق بالشعور الديمقراطي لتلبية حاجات المواطنين.» [109]

* * * *

رابعًا: مفهوم الفكر الديمقراطي

إن الفكر الديمقراطي لدى محمد ناصر لا يمكن فصله عن تصوُّره للتعاليم الربانية، التي جاء بها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، والتي أثَّرت في معظم أفكاره وسلوكياته وتصرفاته ونشاطاته السياسية. وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى تعامله الديمقراطي في أوساط عائلته؛ إذ منح الفرصة لأبنائه في تقرير مستقبلهم الثقافي والتعليمي؛ فلم يكن يجبر أبناءه على اختيار تخصصاتهم الدراسية. [110]كما كان له مواقف تجاه المسلمات اللواتي لا يرتدين الحجاب؛ إذ رأى أن الحجاب فريضة على كل مسلمة؛ ولكن علينا ألا نهين بعض النساء التي لا يلبسن الحجاب بالكامل، أو لا يرتدين الحجاب بشكل كامل؛ حيث إن سلوكهنَّ هذا لا يشير إلى أنهنَّ يتصرفنَّ تصرفات غير محمودة. كما آمن بأن الوعي بالزي الإسلامي لا بد أن ينمو في القلب، وألا يكون إجباريًّا، وذلك في معرض إجابته عن بعض الأسئلة لفتيات مسلمات إندونيسيات، قمنَّ بزيارة مكتبه في المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية في جاكرتا. وعلى رأي يوسريل إحزا مهندرا: «في الوقت الذي يقول فيه علماء المسلمين: إن الحجاب أمر ملزم من منظور الشرع، قال محمد ناصر في إحدى المناسبات الدينية بأن حسن المرء لا يمكن النظر إليه من منظور الحجاب فقط، وإنما من طريقة تعامله مع الناس. وإن النساء اللاتي لا يرتدين الحجاب لا ينبغي الإساءة إليهنَّ أو إهانتهنَّ؛ لأن ارتداء اللباس المحتشم كالحجاب لا يعني أن صاحبته على خلق حسن». [111]

الفصل السابع الديمقراطية في وجه الاستبداد

أولًا: سياسة الحزب الواحد

إن قيام الحركة الثورية الإندونيسية بإيعاز من الجنرالات المستائين عام 1958م، لا يمكن فصلها عن التصرفات السياسية الخاطئة التي سلكها سوكارنو؛ حيث تجاوز الحدود المرسومة له قانونيًّا. وقد سبق لمحمد ناصر أن ناقش سوكارنو حول فلسفة الدولة بنتشاسيلا قبل الاستقلال، وبعد عشر سنوات عاد الصراع الفكري مجدَّدًا بينهما؛ إلا أن الصراع احتدم مع سوكارنو نظرًا إلى تجاوزاته للديمقراطية، وإيغاله في الاستبداد الذي جعله موضع شبهة وطنية حتى من أقرب المقرَّبين إليه، نظرًا إلى أنه كان يتعامل مع الشيوعيين الإندونيسيين المحسوبين على الصين للتمكين لهم في أرض إندونيسيا على حساب الوطنيين والإسلاميين. إذ «في عام 1959دفن سوكارنو فكرة تجديد الدستور، وقرر «العودة إلى 1945»، وهذا ما كان يعني عمليًّا إقامة نظام شبه عسكري، وفي الوقت نفسه شكَّل انعطافًا باتجاه الحزب الشيوعي الإندونيسي وبكين».[112]

إثر عودة سوكارنو من موسكو أدلى بتصريحات عدائية تجاه الأحزاب السياسية، وذلك يوم 28 أغسطس 1956م بمناسبة الاحتفال بولاء الشباب للوطن والدفاع عن مكتسباته، قائلًا: «في الحقيقة إن دماغي باتت لا تتحمَّل أكثر من ذلك، وتكاد تنفجر لما أراه يحصل حاليًّا من فوضى حزبية». [113]حيث اعتبر السياسيون في البلاد أن خطابه هذا، يشكِّل بداية انحرافاته السياسية، ومخالفته للمبادئ الديمقراطية للدولة؛ فهو بخطابه يؤجِّج مشاعر اليأس في المجتمع السياسي.

لقد عدَّ سوكارنو أن تعدُّد الأحزاب في البلاد هو السبب الرئيس في ظهور الفوضى داخل مؤسسات الدولة؛ إذ خطر في باله حل جميع الأحزاب السياسية، على أن تكتفي الدولة بالحزب الواحد، الذي هو الحزب الحاكم. وقد ردَّ محمد ناصر بأن مثل هذه السياسة تخالف الديمقراطية والحرية، التي أرسى المجتمع السياسي مبادئها في أول يوم من استقلال الدولة. وكان محمد ناصر وبوصفه رئيسًا لحزب ماشومي، قد انتقد سوكارنو بشدَّة عبر الصحافة الإندونيسية؛ إذ يقول: «يبدو أن في عقل سيد الرئيس أشياء كثيرة لم يقتنع بها بعد، وأهمها عدم اقتناعه بتعدُّد الأحزاب في البلاد.» [114]

لقد آمن محمد ناصر بأن الحفاظ على المبادئ الديمقراطية إلى جانب التعدد الحزبي، يعد من مكتسبات الحرية، ومن مقتضيات النشاطات السياسية. وإذا لم تفعَّل مبادئ الديمقراطية، فإن استبداد الدولة سيكون هو البديل السياسي السيِّءِ. إن المبادئ الديمقراطية شرط من شروط العمل السياسي بحرية للحفاظ على عدالة الدولة، ومن ثم ينبغي مراعاتها والتضحية من أجلها. ولمزيد من التوضيح ننقل قوله: «بناءً على هذا، فإني أطالب أفراد المجتمع من رجالات السياسية والقوات المسلَّحة

بالالتزام بالمبادئ الديمقراطية والحفاظ عليها، والنأي عن كل ما يسيئ لوحدة البلاد، أو يجعل مستقبل الدولة في خطر». [115]

لقد جدَّد محمد ناصر انتقاداته لسوكارنو في كلمة ألقاها في مؤتمر حزب ماشومي المنعقد في 7 نوفمبر 1956م، قائلًا: «يبدو في هذه الأيام أن هناك من يشكِّك في مبادئ الدولة، التي أرساها الزعماء القوميون. والسؤال هل: نحن بحاجة إلى تبديل الاستبدادية بالديمقراطية؟ إن المشكِّكين يبرِّرون أقوالهم بأن التعدد الحزبي هو سبب المشكلات الحاصلة في الدولة، وأن التغلُّب عليها يكون بإلغاء النظام الديمقراطي، ومن ثم تنصيب الحزب الواحد حاكمًا من غير منازع، وتلك، في نظر كل عاقل، هي الطريق إلى النظام الديكتاتوري الذي لا يبقي ولا يذر». [116]

لقد أثنى محمد ناصر على الجهود الذي بذلها الزعماء الوطنيون في إرساء قواعد الديمقراطية، بوصفها إحدى الوسائل النبيلة لخدمة الدولة والمجتمع، من منطلق أن الحكومة لا يمكن تشكليها إلا برضا الشعب، وليس من طريق التخويف والترهيب. [117]علمًا أن الدولة الإندونيسية مكوَّنة من جزر وديانات وأعراق، لا يمكن توحيدها بالقوة؛ حيث إن الوحدة الوطنية لا يمكن تحقيقها؛ إلا إذا كان كل فرد في المجتمع يقوم بمسؤوليته تجاه الدولة، ويجتهد جهده في إصلاح سيِّئها. وإذا كان الحاكم في الطريق الخطأ، فمن واجب أعضاء البرلمان توجيهه؛ حتى يعود إلى الطريق الصحيح، فيتبيَّن للناس أن الحكومة تبذل جهودها في الحفاظ على حقوقهم وكرامتهم. وإذا كان رئيس الدولة يفكِّر في تفكيك الأحزاب لتطبيق سياسة نظام الحزب الواحد؛ ففي ذلك دلالة على تعطيل مسيرة الحياة الديمقراطية؛ ما قد ينعكس سلبًا على الدولة. [118]

وفي الكلمة التي ألقاها في مؤتمر حزب ماشومي، وجَّه محمد ناصر إنذارًا لجميع المسؤولين وأعضاء البرلمان، مناشدًا إياهم بالحفاظ على الحياة الديمقراطية؛ إذ يقول: «كل منا لا بد أن ينتبه إلى أن النظام الديمقراطي ليس أمرًا ميسورًا؛ إلا أننا بحاجة إلى الجرأة على مواجهة التحديات والعراقيل لحل جميع المشكلات القائمة، وإذا تجاهلنا العمل الديمقراطي فإن الظلم والاستبداد هو البديل المدمِّر للدولة».[119] ولحرصه على المبادئ الديمقراطية كتب مقالًا بعنوان «إندونيسيا في مفترق الطرق»، يقول فيه: «وإذا كانت الحكومة تراعي مصالحها الشخصية، ولا تقوم بواجباتها المتمثلة في خدمة الشعب؛ ففي ذلك دليل على أن الديمقراطية في الطريق الخطأ؛ ما قد يفضي إلى الفوضى، وحدوث كارثة الاصطدام المسلَّح بين الحكومة والمعارضة السياسية».[120]

لقد بيَّن محمد ناصر أن الديمقراطية التي لا بد من الدفاع عنها هي الديمقراطية غير الموجَّهة التي ليست تحت رقابة شخص طامع في تولي منصب الرئاسة من غير مراعاة النظام والضوابط. إن الديمقراطية الصحيحة هي التي يتحلَّى رجالاتها والمؤيدون لمبادئها بالأخلاق الدينية. [121]كما أنذر بأن الحياة الديمقراطية تحتاج إلى من يدافع عن مكتسباته ببذل الغالي والنفيس.

* * * *

ثانيًا: حزب ماشومي المعارض ووقوفه ضد الشيوعية

لما رأى الديمقراطية قد انحرفت عن النهج الصحيح، قام محمد ناصر عام 1956م، وبوصفه رئيسًا لحزب ماشومي، بسحب وزرائه من الحكومة الائتلافية التي كان يترأسها علي سسترو أميجوجو «Ali Sastroamidjojo» «1903-1976م». وبسبب سياسة الحكومة الخاطئة، ظهرت في 20 أغسطس من العام نفسه،كتلة سياسية إلى جانب المجلس العسكري في سومطرا، أطلق عليه مجلس الفيل «Dewan Banteng» لأخذ زمام المبادرة من الحكومة المركزية. وقد ردَّ سوكارنو، على المعارضة التي يقودها قادة الجيش في جزيرة سومطرا، بطرح فكرة النظام الرئاسي «konsepsi 'president» وتشكيل المجلس القومي «dewan nasional'»، ثم قام بعد ذلك بتشكيل وزارة جديدة سماها الوزارة التعاونية «gotong royong» التي انضمَّ إليها أعضاء من الحزب الشيوعي.[122]رأى محمد ناصر أن سوكارنو قد انقلب على العمل الديمقراطي، وتبنى نظام الحزب الواحد؛ حيث اعتبر أن هذه الخطوة غير الديمقراطية، هي بداية لتدشين عهد استبدادي جديد، وذلك في ظل تغيير سوكارنو للسياسات الحكومية من غير استشارة ممثلي الشعب، لا سيما أنه ليس لرئيس الجمهورية الحق في ذلك، سوى تنفيذ قرارات البرلمان. [123]

وقد وجَّه محمد ناصر النقد أيضًا إلى ما كان يروِّج له سوكارنو بأن المبادئ الديمقراطية الغربية غير متلائمة مع البيئة الإندونيسية، وأن الإندونيسيين لم ينضجوا لها فكريًّا وسياسيًّا ودينيًّا. لقد ظل محمد ناصر يحاجج بأن القضية المثار حولها الجدل، ليست محصورة في الفكر الغربي أو الشرقي؛ وإنما السؤال: هل لنا قابلية للديمقراطية أم لا؟ إذًا لا بد علينا من أخذ الحذر والحيطة من أن العمل الديمقراطي هو وسيلة نبيلة للتعبير عن المطالب السياسية والاجتماعية والاقتصادية بطريقة سلمية تخلو من العنف. وإذا كانت المعارضة السياسية محرومة من أداء واجباتها بشكل قانوني، فإن مبادئها التي قامت عليها سيكون مصيرها في مزبلة التاريخ.[124]

أصرَّ سوكارنو على فرض أفكاره بطرق غير مشروعة، حيث تمَّ تشكيل الوزارة في 21 فبراير1957م، ومن ثمَّ تغيَّر هيكل الحكومة الجديد بإضافة عناصر من الحزب الشيوعي. وفي اليوم نفسه قام سوكارنو بدعوة رؤساء الأحزاب وبعض الشخصيات المهمَّة إلى القصر الجمهوري، وأعلِن رسميًّا في جميع محطات الإذاعة والتلفيزيون عن فحوى السياسة الجديدة، تحت شعار تنفيذ أوامر رئاسة الجمهورية. [125]لم يفوِّت محمد ناصر هذه الفرصة، وكتب مقالًا نشره في الصحف ينقد فيه فكرة إقصاء المعارضة وتعويضها بنظام الحزب الواحد، مفنِّدًا زعم سوكارنو بأن الحزب الواحد لا يمكن تجاهله،كونه جاء لحل جميع مشكلات الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ ففي «شباط 1957، ترك سوكارنو النموذج الديمقراطي الغربي لتبني الديمقراطية الموجَّهة، القائمة على التآزر والتشاور المتبادل، وعلى نظام الجماعات الفعالة، الذي سرعان ما أصبح النموذج الذي يجسد

هذه الديمقراطية. وكان يفترض أن يتحرر الأعضاء المعنيون في هذه التنظيمات الاجتماعية-الاقتصادية من أي ارتباطات سياسية». [126]

إن عدم استجابة أغلبية المواطنين لهذا التغيير السياسي الطارئ في البلاد، ينمُّ عن نضج فكرهم السياسي؛ ما يناقض ادعاء سوكارنو بأن التعدُّد الحزبي غير ملائم للبيئة الإندونيسية. في الوقت الذي يرى فيه محمد ناصر بأن الديمقراطية تتلاءم مع بيئة محلية متعاونة وعادلة، وتنتقم لنفسها بمزيد من الاستبداد في ظل فئة مسيطرة على مفاصل الحكم. [127] لقد كرَّر محمد ناصر القول من جديد: إننا لا نستطيع أن نحدِّد مفهوم الديمقراطية، كونها شرقية أو غربية، لأن كليهما لديهما إسهامات حضارية في مجالات شتَّى؛ وإنما الديمقراطية الحقيقية التي تنتصر للقيم الدولية هي التي يتم تطبيقها بشكل إنساني سليم. وعلى حد تعبيره فإن الديمقراطية ليست خاصة بنظام حكومة معينة؛ إذ لا بد من توسيع آفاقنا الديمقراطي في كل مجالات الحياة؛ حيث استشهد بمقولة فرانكلين راسليت «Franklin D. Roosevelt»: «الحياة الديمقراطية هي الحرية في الدين، والأمن من الخوف والجوع». [128]

استند محمد ناصر في مدى فهمه للعبة الديمقراطية إلى تصريح رادا كريشنا «S. Radha krisna» نائب رئيس وزراء الهند، القائل: «ومما لا شك فيه أن الديمقراطية البرلمانية تستدعي الوعي بها عبر إجراء عملية إصلاحية تتم بطريقة حضارية، لتحقيق مزيد من التقدم الاجتماعي والاقتصادي في كل جوانب الحياة». [129] وقد كتب محمد ناصر مقالة انتقد فيها سياسة سوكارنو، التي تعمل على دمج التيارات الإيديولوجية الثلاثة: القومية والشيوعية والدينية في حزب واحد، كون ذلك، في نظره، يتعارض مع القيم الديمقراطية، التي لا تتحمَّل هذا الدمج القسري، الذي سيفضي في المدى القصير، وليس الطويل وحسب، إلى الاستبداد المطلق. لقد وجَّه محمد ناصر تحذيرًا حضاريًّا لجميع الفئات الاجتماعية والدينية والسياسية في المجتمع، يؤكِّد فيه على مدى خطورة الاندماج بين تلك العناصر الثلاثة، التي يستغلها الحزب الشيوعي للسيطرة على مفاصل السلطة؛ ما يتناقض مع المعتقدات الدينية للدولة الإندونيسية، التي يتكوَّن معظم سكانها من المسلمين. يقول محمد ناصر: إن ما ينتهجه سوكارنو هذه الأيام من خصومة، وتقلُّبه في الكلام بين الأمس واليوم، يكاد ينطبق مع ما جاء في هذه الآية الكريمة: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ } [البقرة:٢٠٤].

ومما لا شكَّ فيه أن هناك أسبابًا دعت محمد ناصر إلى رفض فكرة الاندماج التي طرحها سوكارنو، وحاجج بأن الشيوعية تتناقض مع معظم قناعات المواطنين ومعتقداتهم، ومن ثم هي ضد بنتشاسيلا فلسفة الدولة، التي تنص على الإيمان بالله الواحد الأحد. كما أنه من الناحية السياسية فإن معظم الأحزاب قد تمَّ تشكيلها بناءً على التعاليم الربانية والدينية، مثل: حزب ماشومي، ونهضة العلماء، وحزب شريكة إسلام، زيادة على الحزب الكاثولكي والنصراني، ونظرًا إلى هذه المبررات فإن إقصاء الأحزاب التي لا تتعاون مع الشيوعية، بات أمرًا لا يقبله العاقلون، لا سيما أن الحزب

الشيوعي معروف عنه أنه يخوض معركة إبادة، لاستئصال شأفة المسلمين والنصارى. وإضافة إلى ذلك فإن رئيس وزراء الصين شو لاي «Cho En Lai» أدلى بتصريحات خلال المؤتمر الدولي المنعقد في مدينة باندونج عام 1954: أن الإيديولوجية الشيوعية ملحدة. وإن مثل هذا القول من منظور محمد ناصر يحمل خطورة تجاه المسلمين، الذين يمثلون الأكثرية في الدولة. [130]

وتأكيدًا على تناقضات الحزب الشيوعي الذي أقحمه سوكارنو في الوزارة الجديدة، قام محمد ناصر بتوضيح بطلان هذا الاندماج القسري الذي يتناقض، هو الآخر، مع تصورات كارل ماركس بأن ما ينشده المجتمع الشيوعي سياسيًّا واقتصاديًّا يتناقض تمامًا مع الدين أيًّا يكن. وقد حاجج محمد ناصر بأن التمكين في الأرض يكون بالدين، لقوله تعالى: { إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا } [الكهف:٨٤].

لقد ردَّ محمد ناصر ردًّا مفحمًا على بعض الحملات، التي قامت بها حكومة الاتحاد السوفياتي للإساءة للإسلام؛ إذ إن النبوة ما هي إلا أسطورة في زعم الروس من ساسة ومفكرين. وأشار أيضًا إلى ما قاله كليزوفج «Li Klimovich» الذي ينعت –زورًا- الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شخصية خيالية وصناعة دينية؛[131] حيث يدَّعي بأن الإسلام فكرة ثورية تتعارض مع الفلسفة الشيوعية والمادية، التي وحدها من تحدد مصير الحياة البشرية.[132] لقد ظلَّ محمد ناصر يحذِّر من خطورة الفكرة الشيوعية، التي تتغير من وقت إلى آخر، بحسب الظروف المتاحة والمصلحة المنجزة. لا سيما أن بعض القادة الشيوعيين يتوجَّهون نحو مهادنة الدين والتعاون مع الزعماء الدينيين لقضاء مآربهم؛ إذ لا خير في نجواهم. علمًا أن مشاركة الحزب الشيوعي في الوزارة المشكَّلة حديثًا، تستهدف تحكم الشيوعيين في قرارات الدولة وتوجيه مسارها بما يخدم الصين والاتحاد السوفياتي. وإن المقالة التي نشرها محمد ناصر في الصحف الوطنية تدعو إلى أخذ الحذر والحيطة مما يخطط له الشيوعيون في الأجل القريب والبعيد؛ إذ صاروا، هم وسوكارنو، يدًا واحدة، وسيرمون المسلمين عن قوس واحدة أيضًا. [133]

وفي أحد التجمُّعات المنعقدة في مدينة سولو بجاوا الوسطى، جدَّد سوكارنو اتهاماته للأحزاب المعارضة، واعتبر قراره بالتوجُّه نحو ترسيخ الحزب الواحد في الحياة السياسية بأنه قرار صائب، وأنه في مصلحة الجميع. ونظرًا إلى هذا الإصرار والتحدي من قبل سوكارنو، رفع محمد ناصر من وتيرة النقد؛ حيث نشر انتقاداته يوم 13 يونيو 1957م في الجرائد الوطنية. وكان من ضمن انتقاداته قوله: إن سوكارنو يدفع بنفسه نحو الجنون؛ لأن التعديل الدستوري هو من اختصاص البرلمان وليس من اختصاص الرئيس. هذا، في الوقت الذي وضع سوكارنو نفسه على رأس اللجنة المقترحة لتغيير النظام السياسي السائد في البلاد.[134]

إن قفز سوكارنو على نظام التعدُّد الحزبي له علاقة بتشكيل المجلس الوطني تحت رئاسته، ومن ثم السيطرة على البرلمان بقبضة من حديد. وإذا كان سوكارنو هو نفسه الرئيس للمجلس الوطني،

فيعني ذلك انحراف العمل السياسي عن مساره القانوني، نظرًا إلى أن الدستور لا يسمح بتولي الرئيس أكثر من منصب في وقت واحد.[135]

إن موقف سوكارنو المتعنِّت وعدم رغبته في تصحيح أخطائه والإمعان في الإقدام على تعديل الدستور، قد تسبَّب في تأجيج الغضب في أوساط الأحزاب السياسية. وهذا ما حدث في 17 يناير 1957م؛ حيث سحب حزب التربية الإسلامية «perti» وزراءه من الحكومة، وقد سارت أحزاب أخرى على منواله مثل حزب شريكة إسلام. وقد زاد الأمر سوءًا لما سيطر قادة الجيش في المحافظات الإندونيسية على الحكومات المحلية، كما جرى في جزيرة سولاويسي برئاسة صموئيل «HNV Samuel». واستجابة لتلك السياسة الخاطئة التي انتهجها سوكارنو، قدَّم أميجويو «Amijoyo» استقالته من منصب رئيس الوزراء، حيث قبلها سوكارنو الذي أعلن، بدوره، أن الدولة في خطر، وعيَّن بدلًا منه سويورجو «Soewirjo» رئيسًا للوزراء. وفي 4 أبريل 1957م، عيَّن سوكارنو نفسه رئيسًا للجنة تشكيل الوزارة المسماة وزارة الطوارئ. [136]وكان من ضمن مهام تلك الوزارة تشكيل المجلس الوطني الذي، للأسف، انضمت إليه أحزاب كانت تحسَب سابقًا على المعارضة. [137]

طبعًا لم يسكت محمد ناصر بل توالت انتقاداته تترى؛ حيث رأى أن إعلان الدولة لحالة الطوارئ يفترض وجود مبرِّرات ميدانية لهذا الإجراء غير المدروس. وقد أشار إلى ما حصل في وقت الاستعمار الهولندي؛ حيث اندلعت الحرب العالمية الثانية، وتمَّ سجن الوزراء وقادة الجيش، ومن ثم فإن الظروف التي يمكن فيها إعلان حالة الطوارئ هي ظروف الحرب؛ حيث يسيطر العدو على الدولة ويقوم بحل البرلمان، وفي مثل هذه الظروف الصعبة يجوز لرئيس الجمهورية إعلان أن الدولة في خطر داهم. [138] وفيما يخص إندونيسيا فهي ليست في حالة حرب، على الرغم من أن صراعًا بين الأحزاب قد تنتج عنه أزمة سياسية عابرة، ولكن ليس إلى حد إعلان أن الدولة مهدَّدة تهديدًا أمنيًّا؛ لأن الرئيس سوكارنو لا يزال يمسك بالشرعية السلمية، وفي ظل وجود برلمان متكامل الأركان. وعلى الرغم من أن الصراع بين الولايات الإندونيسية والحكومة المركزية على أشدِّه إلى جانب وجود أزمة اقتصادية؛ إلا أن هذه التحديات يمكن التغلب عليها عبر التشاور مع رؤساء الأحزاب وأعضاء البرلمان. أما الإعلان عن أن الدولة تتوجه نحو مستقبل غامض في ظل التعدد الحزبي؛ فإن في ذلك التفافًا على الشرعية وإرادة الشعب.

سرعان ما تشكَّلت وزارة جديدة برئاسة الحاج جوندا كارتاويجايا «H. Djuanda Kartawidjaja» «1911-1963م» عام 1957م؛ حتى بدأت الاحتجاجات تتزايد من أحزاب المعارضة؛ حيث كان محمد ناصر ديبلوماسيًّا في نقده؛ إذ يقول: «إن الوزارة تحت قيادة جوندا لا ينبغي لنا أن ننظر إليها بعين السخط، وحسب، لأن معظم وزرائها يفتقرون إلى الكفاية؛ وإنما علينا الوعي بخطورة النظام الديكتاتوري القادم، والذي مُهِّد له بالقول: إن الدولة مهدَّدة في ظل نظام التعدد الحزبي؛ ما أدى إلى تعبئة الرأي العام بأن الحزب الواحد يحافظ، أفضل من غيره، على

مكتسبات النظام الديمقراطي». [139]ثم يقول: إذا بقينا صامتين أمام هذه السياسة الخطرة، فيعني ذلك أن لنا قابلية للدكتاتورية.

وما إن تشكَّلت الوزارة الجديدة برئاسة جوندا؛ حتى أعلن سوكارنو عن فكرة الديمقراطية الموجَّهة بديلة عن الديمقراطية الحرة لإتاحة الفرصة لمشاركة الشيوعيين؛ حيث تأكد لمحمد ناصر أن وجود الشيوعيين في الوزارة هو من أجل توجيه المسار الديمقراطي ليسلك مسلكًا ديكتاتوريًّا عنيفًا. [140]

1-النقاش الحاد حول الدستور الجديد

إن الأزمة السياسية الناجمة عن النهج الخاطئ الذي انتهجه سوكارنو، أدَّت إلى حصول تعديلات في الدستور الإندونيسي المـُجمَع على بنوده سابقًا. وقد سجَّل التاريخ أنه قبيل الاستقلال، خاض زعماء المسلمين والنصارى في النقاش حول قانون الدولة، وقد أجمعوا في الأخير على بنتشاسيلا بوصفها فلسفة الدولة وقانونها. وإن خاب رجاء معظم قادة المسلمين بعد استبعاد الشريعة الإسلامية وإقصائها من أن تكون مصدرًا للتشريع بسبب معارضة الزعماء القوميين كما فصَّلنا القول في الفصل الثاني.

إن النقاش الجديد حول بانتشاسيلا فلسفة الدولة ظهر عام 1957م بعد مضي اثنتي عشرة سنة على الاستقلال؛ حيث طلب سوكارنو من جواندا رئيس الوزراء إعادة النظر في الدستور القديم بما يتناسب مع التغيير السياسي الجديد الذي يقوم على الحزب الواحد. أما بالنسبة إلى محمد ناصر فقد عد الشرع الإسلامي شرطًا من شروط إعادة بناء الدولة؛ إذ لا بد من التعامل معه بوصفه مصدرًا أساسيًّا في الدستور الجديد.

لقد استعرض محمد ناصر أفكاره المهمَّة حول مبادئ الإسلام الأساسية في الحكم، وحاجج بأنها تفضي إلى العدالة والأمن والاستقرار؛ لأن الأغلبية في المجتمع الإندونيسي راضية بحكم الشرع الإسلامي، فلا مجال لتضييع هذه الفرصة التاريخية. لقد اجتهد محمد ناصر جهده في إقناع زعماء الأحزاب السياسية بهذا البديل الحضاري؛ وإلا سيكرِّرون أخطاء أسلافهم، الذين ارتضوا ببنتشاسيلا فلسفة للدولة بعد الاستقلال، وإنها الآن تجر البلاد، بعد عقد من الزمن، نحو ديكتاتورية الحزب الواحد.

الجدير بالذكر أن محمد ناصر لم يخض في النقاش الأول المباشر حول بنتشاسيلا فلسفة الدولة؛ حيث اتفق زعماء المسلمين على تطبيق الحكم الشرعي في الدولة، تحت مسمى «وثيقة جاكرتا» «Piagam Jakarta». وفي ذلك الحين كان محمد ناصر يؤكِّد على أن الدولة الإسلامية لا يمكن أن توجد إلا برضا الشعب وعبر انتخابات نزيهة. كما أكَّد على أن وظيفة البرلمان هي تفصيل قوانين تستطيع توجيه الحياة السياسية الجديدة توجيهًا سليمًا من غير الوقوع في ديكتاتورية الحزب الواحد، لا سيما أنه قد عد التحولات السياسية الجديدة بمثابة مزالق في طريق الديمقراطية؛ ولهذا

ناشد -من موقع حزبه ماشومي- أعضاء البرلمان وطالبهم بالالتزام بمواقفهم الديمقراطية الثابتة، ومن ثم المشاركة الجادَّة في النقاشات التي تخصُّ قضايا مهمَّة في المجتمع، وتمسُّ مستقل الديمقراطية في البلاد؛ إذ يقول: «والأمر الذي نحن بحاجة ماسة إليه هو ضرورة تهيئة بيئة غير مناوئة، بل هادئة تمهِّد لنقاش فكري، يجتمع على ما هو صواب وصالح في اللعبة السياسية الجديدة، ويعالج مواقع الخطأ والخلل. وإني أهيب بكل شخص يتحلَّى بروح التسامح والحكمة، عرض فكرته أمام أعضاء البرلمان».[141] وأثناء انعقاد الجلسات طالب محمد ناصر من رئيس البرلمان ضمان سلامة كل فرد يعرض أفكاره المخالفة والشجاعة؛ حتى لا يكون عرضة للضغوطات السياسية والتهديدات الأمنية.

لقد راح محمد ناصر يستعرض مزايا الحكم الإسلامي في إطار العملية الديمقراطية، وجدَّد مطالب حزبه بأن تكون الشريعة الإسلامية مصدرًا أساسيًّا لنظام الحكم في الدولة.

2- مبادئ بنتشاسيلا فلسفة الدولة

لقد جاءت بنتشاسيلا «Pancasila» فلسفة الدولة في شكل شعار نبالة، يتخذ من «الصقر الذهبي» رمزًا لها، تتوسط صدره درعًا، تتوزَّعه رموز فرعية تعبِّر عن المبادئ الخمسة؛ نلفي المبدأ الأول: -وحدانية الله- يتخذ شكل «نجمة صفراء»، تتوسط الدرع بخلفية سوداء، والمبدأ الثاني: -الإنسانية المتحضرة- يتخذ شكل «سلسلة صفراء» بخلفية حمراء؛ والمبدأ الثالث: -وحدة إندونيسيا- يتخذ شكل «شجرة وارفة الظل خضراء اللون» بخلفية بيضاء؛ والمبدأ الرابع: -الديمقراطية الموجَّهة- يتخذ شكل «رأس جاموس أسود اللون به قليل من البياض» بخلفية حمراء؛ أما المبدأ الخامس: -العدالة الاجتماعية- فيرمز له بـ: «الأرز والقطن» بخلفية بيضاء. وهذه المبادئ الخمسة التي جاءت في وثيقة جاكرتا في 22 يونيو 1945م -التي استبعدت منها عبارة تطبيق الشريعة الإسلامية على المسلمين- ونصَّ عليها الدستور، هي على النحو الآتي:[142]

1.الاعتقاد بوحدانية الله «One Lordship».

2.الإنسانية المتحضرة أو المهذبة «A Just and civilized humanity».

3.وحدة إندونيسيا «The Unity of Indonesia».

4.الحكمة الشعبية في التداول والتمثيل «Peoplehood Guarded by the Spirit of Wisdom in Deliberation and Representation».

5.العدالة الاجتماعية «Social Justice».

في الأصل كانت ولادة بنتشاسيلا«Lahirnya Pancasila» في 1 يونيو 1945م، بخلاف ما ذكرنا آنفًا؛ حيث كان الإيمان بوحدانية الله في المرتبة الخامسة أو المبدأ الخامس، بينما الحكمة

الشعبية في التداول والتمثيل كانت في المرتبة الثالثة أو المبدأ الثالث باسم الديمقراطية الموجهة.

هذا وقد أدخل سوكارنو تعديلات على بنتشاسيلا الأصلية بحيث تنسجم مع نظامه السياسي الذي انحرف بعد عقد من الزمن عن مساره الديمقراطي في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي؛ فصارت بنتشاسيلا على هوى الشيوعيين.

لقد عدَّ سوكارنو: 1-الوحدانية في الإسلام وغيره من أديان إندونيسيا مرجعية دينية للمجتمع الإندونيسي؛ 2-والإنسانية المتحضرة تعكس ما وصل إليه الغرب -محور الكون- من حضارة وتهذيب وسمو تسهم القيم الليبرالية في استدامتها؛ 3-ووحدة الأمة الإندونيسية التي تكون على أسس الثقافة الجاوية المؤثرة في القيم الدينية، وتدعو إلى التعايش مع الحضارات القديمة والوسيطة والحديثة، وتبشِّر بعدم الانحياز لعرق من أعراق المجتمع على حساب الآخر، لا سيما أن كل رؤساء إندونيسيا ينحدورن من جزيرة جاوا، حيث إن الثقافة الجاوية قد شكَّلت وعيهم السياسي والثقافي؛ 4-والديمقراطية الموجَّهة تعطي انطباعًا بأن الشيوعية لا تتعارض مع بنتشاسيلا، التي تضمن أيضًا عدم هيمنة عرق على عرق آخر في الحياة السياسية؛ 5-أما العدالة الاجتماعية أو تحقيق التنمية، فيعني أن مبادئ بنتشاسيلا قد بلغت الكمال. ومن ثم فإن بنتشاسيلا لا تتألف من كلمتين وحسب، وإنما تتركَّب –كما أشرنا آنفاً- من عناصر، هي: الإسلام والثقافة الجاوية، والليبرالية، وفكرة عدم الانحياز، والشيوعية، والتنمية؛ فلا غرابة إذًا أن نلفي «فلسفة البانتشاسيلا قد توافقت مع مختلف التجارب السياسية في إندونيسيا بدءًا من التجربة البرلمانية، التي امتدت من بداية الخمسينيات حتى 1957م، إلى مرحلة تطبيق الديمقراطية الموجهة التي طرحها سوكارنو كبديل للنظام السابق».[143]

كما أسلفنا القول في الفقرات السابقة، فإن معظم زعماء الأحزاب قد وافقوا على بنتشاسيلا بوصفها فلسفة الدولة. وأن الانتخابات البرلمانية التي جرت عام 1955م، كان يرجى من ورائها تفصيل دستور جديد. وعلى الرغم من أنه تمَّ عام 1945م الإجماع على أن بنتشاسيلا هي إيديولوجية الدولة؛ إلا أن نظام سوكارنو السياسي المتجدِّد، الذي تدور رحاه حول الحزب الواحد، تعامل معها بأنها إيديولوجية يشوبها الغموض لا سيما المبدأ الأول، وحدانية الله الذي يعارضه الشيوعيون، والمبدأ الرابع حول الديمقراطية الحرة التي حوَّلها سوكارنو إلى ديمقراطية موجَّهة من الشيوعيين؛ ما يفترَض إعادة النظر في بنودها.

شارك محمد ناصر في النقاش الدائر بشكل فاعل، بوصفه رئيسًا لحزب ماشومي، ونظرًا إلى لهجته الحادَّة وصرامته الجادَّة، فقد اعتمِدت عبارته المشهورة: «يفترَض تطبيق الحكم الشرعي في الدولة»، وصارت من البنود الرئيسة في الدستور الإندونيسي بعد استقلال الدولة. في مفتتح كلامه قام محمد ناصر بتقديم تصور عام عن مبادئ الدولة، التي لا بد من اتخاذها دستورًا للبلاد. وعلى حد تعبيره فإن الدولة تتحمل المسؤولية الكبرى في ضبط الهيئات التابعة لها، وتوحيد جميع أنظمتها، بحيث يؤدي ذلك بالجميع إلى الامتثال لقوانين الدولة. كما نوَّه بدور المسؤولين في الدولة؛ إلا أن دورهم هذا، ينبغي أن يكون في خدمة الشعب، بحيث يتعاملون معه بتواضع. وقد كانت الخيارات

المبسوطة أمام البرلمان، تتوزَّع بين الإبقاء على بنتشاسيلا بوصفها فلسفة الدولة، أو تطبيق الحكم الإسلامي، أو استلهام التجربة الاشتراكية. [144]

وإذْ عرض محمد ناصر الإسلام بوصفه فلسفة للدولة، فقد برَّر قوله: إن المسلمين هم أكثرية في المجتمع الإندونيسي، وأن التعاليم الربانية التي أتى بها المصطفى صلى الله عليه وسلم تتناسب تمامًا مع الطبيعة البشرية، ولن تكون هناك عدالة إلا بتطبيق أحكام الإسلام. وقد وجدناه وهو يعرض أطروحته الإسلامية، ينتقد بشدَّة بنتشاسيلا التي فصَّل مبادئها الزعماء الوطنيون، وقد كشف عن الغموض الذي يشوب مبادئها، وهي على ما هي عليه، غير صالحة لقيادة المجتمع في نظره. كما دافع عن الديمقراطية وأشاد بها، واعتبر أنها لا تسود في المجتمع إلا برغبة الأكثرية، علاوة على أنها تتيح الفرصة للأقليات للمشاركة في العملية السياسية والاستفادة من استحقاقاتها.[145] وأضاف بأن فلسفة الدولة يفترَض أن تُمتَحَ من معتقدات الأكثرية في المجتمع، التي ولا شكَّ في أنها تحافظ على حقوق الأقلية، بحيث تتعايش معها إنمائيًّا وتتواصل معها إنسانيًّا. [146]

إن الانتقادات التي ساقها محمد ناصر،كانت تهدف إلى المشاركة الفعلية في إيجاد حلول للأزمة السياسية بعدما انحرفت الدولة عن مسارها الديمقراطي التي أَلِفته الأحزب السياسية، وبعد أن عزم سوكارنو على حل جميع الأحزاب السياسية، واتخاذ نظام الحزب الواحد بديلاً لها. وعلى الرغم من أن بنتشاسيلا تكاد تنسجم مع الديمقراطية، إلا أنها غامضة في نظر محمد ناصر، ما جعلها مطية سهلة لدعاة حاكمية الحزب الواحد، ومثل هذا الأمر يزيد في تعقيد الحياة السياسية؛ حيث يتخفَّى الشيوعيون بديموقراطية بنتشاسيلا، ويتمسَّحون بها لقضاء مآربهم. أما إذا اجترحت الديمقراطية مبادئها من مصادر الرسالة الواضحة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فلا أحد، من غير النبلاء، يجرؤ في أن يتخذها وسيلة غير نبيلة. لقد واصل محمد ناصر نقده للمؤيدين لبنتشاسيلا فلسفة الدولة التي يتستر وراءها الفكر الشيوعي الإلحادي؛ حيث كان يتوجَّس خيفة من هؤلاء المؤيدين لبنتشاسيلا؛ ففي حال إمساكهم بزمام الحكم، لا شكَّ في أنهم، وبحكم عقيدتهم الإلحادية، سيقومون بإلغاء البند الأول في بنتشاسيلا فلسفة الدولة، الذي ينص على «الإيمان بالله الواحد». [147]

لقد أورد محمد ناصر حقائق حول بنتشاسيلا بوصفها فلسفة منوطة بالغموض، حيث كشف عن عيوبها، في ظل نفور المجتمع من مبادئها، التي باتت ترسِّخ لعهد ديكتاتوري، يتوجه نحو هدم البناء الديمقراطي الذي اعتاد عليه المجتمع المدني. كما يرى محمد ناصر أن الأخذ ببنتشاسيلا فلسفة للدولة يشكِّل خطرًا ما فتئ يداهم الثقافة الإسلامية، بوصفها أسلوب حياة للأكثرية في المجتمع الإندونيسي؛ فحكم الشرع الذي ترتضيه الأكثرية بديلًا حضاريًّا يحل كثيرًا من مشكلاتها اليومية من منظور المنهج الرباني الصحيح. [148]

أكَّد محمد ناصر لجميع معارضيه من القوميين والشيوعيين بأن اتخاذ الشريعة الإسلامية فلسفة للدولة، ليس في صالح الأكثرية المسلمة وحسب، بل فيه منفعة للأقلية بما يبسطه الشرع الإسلامي

من حرية وعدالة صالحتين للتطبيق في مجتمعات متعدِّدة الأديان والأعراق. يقول محمد ناصر: «إنني أود أن أوجِّه ندائي لدعاة المبادئ الخمسة، فهذه المبادئ التي تريدونها موجودة في الإسلام، ولكنها ليست مجرد نظرية عقيمة، بل إنها بانتسابها إلى الإسلام تصبح قيمًا حيوية، ذات مرتكز واقعي وواضح معًا. إنكم إذ تقبلون الإسلام فلسفة للدولة فلن تكونوا مظلومين في حقكم، سواء باعتباركم دعاة للمبادئ الخمسة أو متدينين، بل تجدون لكم فلسفة دولة حيوية، واضحة المعالم، مدعمة بالقوة والكيان».[149]

* * * *

ثالثًا: الاختيار بين الإسلام أو العلمانية

وضع محمد ناصر البرلمان الإندونيسي أمام خيارين؛ إما حكم إسلام الأكثرية، أو فوضى علمانية الأقلية، نظرًا إلى أنهما سائدان في المجتمع الإندونيسي بشكل غير متوازن، وتستظل تحت مظلَّتهما كل الاتجاهات الإسلامية المعتدلة والمتطرِّفة، والاتجاهات العلمانية المتعددة الألوان والأشكال. وقد أكَّد محمد ناصر بأن العلمانية تهتم فقط بالحياة الدنيوية، وتتعامل مع التديُّن بأنه أمر شخصي، لا تربطه رابطة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما يقف الفكر العلماني موقفًا لا عقلانيًّا من الدين، فهو يعد منتجات الحضارة من علم الاجتماع والفلسفة وعلم النفس، تتعارض مع القيم الدينية وتتناقض. لقد جادل محمد ناصر بأن بعض العلوم التقنية التي هي من منتجات العلمانية بامتياز، لا تهتم بحياة البشر كونها تقتلهم باسم التكنولوجيا الحديثة، زيادة على أن هناك تداخلاً هجينًا بين العلاقات الاجتماعية والأخلاق العلمانية؛ حيث نلفي الفكر العلماني يجيز خلوة الجنسين من غير زواج شرعي، باعتبار ذلك يعد حقًّا من حقوق الفرد.

في مثل هذه الحالات الفالتة في المجتمع، يأتي دور الحكومة الذي يكون هدفها، في نظر محمد ناصر، هو حفظ المجتمع من الوقوع في الرذيلة، وإعداد جيل مستقبل الفضيلة، الذي يقوم بمهام الاستخلاف في الأرض بوسائل نبيلة، نظرًا إلى أن النظام الإسلامي يعد في غاية الوضوح في مثل هذه المسائل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكل ما يتعلَّق بتدبير الحياة في كل جوانبها من تربية العائلة حتى إدارة الدولة. كما يحفظ الإسلام حق التملُّك بخلاف الشيوعية، وينظِّم العلاقات الإنسانية بين الموظفين وأرباب العمل، ويصرف الأجور للعاملين والعاملات من غير بخس الناس حقوقهم، زيادة على أن الجرائم المنظَّمة وغير المنظَّمة باتت تتعايش مع العلمانية، التي لا تهتم هي الأخرى بحالات الانتحار البئيسة وأسبابها الرئيسة، بحجة أن ذلك يعد حقًّا من حقوق المنتحر![150]
إن البشر بحاجة، أكثر من يوم مضى، إلى منهج يقوِّم النفس ويرشدها إلى الأعمال الصالحة؛ أما النهج العلماني المادي فهو في عداوة مستمرة مع الصلاح الروحي، الذي يجلب للنفس السلام النافع، ويعيد للعقل وعيه الضائع، لا سيما أن الممارسة الدينية تفضي إلى الصحة البدنية كما اصطلح على ذلك خبراء علم النفس.[151]

من واقع هذه الاعتبارات الإنسانية والاجتماعية والدينية، وجَّه محمد ناصر نقده الشديد لسوكارنو الذي كان على وشك أن يغرق مركبه السياسي، الذي أسلم دفَّته للشيوعيين المنكرين لوجود الله، ومن ثم أنَّى لهم أن يتعايشوا مع بند «الإيمان بالله الواحد» بوصفه أول مبدأ من مبادئ بنتشاسيلا فلسفة الدولة؟ لقد وقف محمد ناصر على مدى خطورة أفكار سوكارنو، وهو يتعامل مع الإيمان بأنه فكرة يمكن للإنسان تغييرها أنَّى شاء حسب نضوجه الفكري؛ حيث كان سوكارنو نفسه يروِّج لفكرة، مفادها أن معظم الإندونيسيين قد آمنوا بوجود إله منذ قرون، بل وقبل مجيء الإسلام. وحاجج سوكارنو بأن الفلاحين منذ قديم الزمان كانوا يتضرَّعون إلى ربهم، حتى يمنحهم قوة البدن، وإدامة

المطر، وسلامة الزرع؛ حيث كانوا يشكرونه على هذه النعمة والرفاهية، وكانوا، أيضًا، يطلبون المزيد. ومن ثم هي، في نظر سوكارنو، معتقدات قديمة وسابقة تتقاطع مع معتقدات الإسلام الجديدة واللاحقة!.[152]

ما من شكٍّ في أن سوكارنو كان يلعب على وتر الفلاحين البسطاء؛ إذ اعتبر أن معتقداتهم القديمة كانت أكثر وعيًا بالإيمان بربهم قبل مجيء الإسلام، وأن إيمان الشخص من عدمه له علاقة بارتقائه الفكري وكيفية تعاطيه مع إنجازات الحضارة المادية. لقد جاء سوكارنو بمثال شيوعي ساذج، ينمُّ عن حقد واضح تجاه كل ما هو إسلامي، وهو أن الشخص إذا احتاج إلى النور لا يكون بحاجة إلى الدعاء، فقط يقوم بتشغيل جهاز الكهرباء فيأتيه النور تلقائيًّا!. ومن ثم فإن الإنسان المعاصر، في نظره، هو في غنى عن الإيمان إذا حقَّقت الدولة الإنجاز الصناعي المطلوب.

1-الفكر العلماني

لقد حذَّر محمد ناصر من خطورة الفكر العلماني الذي بات سوكارنو يهتدي به في صنع قرارات خطرة قد تمس بأمن الدولة؛ حيث اعتبر محمد ناصر أن الحكومة الألمانية النازية هي من نتاج الفكر العلماني والفكر الفلسفي النازي. وعلى حد قوله فإن ظهور الفكر العلماني بهذا الشكل الاستباحي سببه عدم الإيمان بالله وبرسالته العادلة في الأرض.[153] وتعزيزًا لرأيه فيما يتعلق بانحراف الفكر العلماني، أورد محمد ناصر قول ألكسيس توسكوفيل «Alexis de Tosqueville»: إن البشر عاجزون عن إدارة شؤونهم الدنيوية بطريقة حكيمة. إن التعاليم الربانية هي وحدها من تبسط الحكمة والعدالة في الأرض؛ إذ لا مستقبل في هذا العالم الزائل لمن يفرض حكمه على الناس بالقوة. وإذا كان الحق من اختصاص الملوك والحكَّام، فإن الاستبداد سيكون في انتظار المحكومين من البشر. وإذا كان الأمر كذلك، فسوف أهرب إلى بقعة أخرى من هذا العالم، عسى أن أفوز بمستقبل أفضل.

2-وجه المقارنة بين الفكر الديني والفكر العلماني

لقد أكَّد محمد ناصر أمام المجتمع السياسي على أهمية الحكم الإسلامي، الذي يستجيب لمطالب الأكثرية المسلمة في المجتمع الإندونيسي، بخلاف الفكر العلماني، الذي يتعامل مع ديانة المجتمع الإندونيسي بأنها مسألة شخصية، محصورة في دور العبادة، ولا علاقة لها بإدارة الدولة. وجادل محمد ناصر بأن الفكر العلماني الذي يدافع عن الحقوق الفردية، يكاد يتقاطع مع الفكر الشيوعي، الذي ينتصر لحقوق الجماعة؛ بينما حقوق الله غير واردة في الفكرين العلماني والشيوعي؛ فضلًا عن أن حقَّ التملُّك من منظور الشيوعية يخالف القيم الإنسانية، وكما يؤذي الفرد المالك فهو يؤذي أيضًا الجماعة التي لا تستفيد، وتبقى محرومة كما هو في المجتمعات الشيوعية في شتى بقاع العالم؛ لأن المستفيد الأكبر هو جماعة الحزب الواحد الحاكم بأمره. أما حق التملُّك في الإسلام فهو مكفول ومضمون، سواء للفرد أم للجماعة، ومن ثم فإن إدارة العلمانية للحكم لا يعني أنها ستحل مشكلات

الدولة، لا سيما فيما يتعلق بحاجات الناس، التي هي في الغالب حاجات دينية في مجتمع لا يزال يكافح من أجل استرجاع حقوقه التاريخية والحضارية، التي تنوي الكتلة الشيوعية في البلاد الاستيلاءَ على ما تبقَّى فيها من حياة.

وبعبارة أخرى؛ فإن الشيوعية، في نظر محمد ناصر، تنفي «الحق المطلق» كما جاء في الآيات القرآنية. إن حقوق الإنسان في الإسلام تتوافق مع العقل المسؤول؛ لأن مبادئها ثابتة بثبات النص الإسلامي القطعي، ولا يمكن تعديلها في أي زمان ومكان، كونها تهدف إلى تحقيق السعادة الحقيقية للإنسان في الدنيا والآخرة. إن الجانب المهم في الإسلام أنه يعرض حلولاً لجميع المشكلات التي تواجه الناس طوال حياتهم، لا سيما إذا كان العقل مسؤولًا عن أفعاله مسؤولية التراحم مع الإسلام، وليس جحوده كما في العلمانية والشيوعية. ونحن الآن، كما يقول محمد ناصر، بين خيارين؛ إما اتخاذ الإسلام منهجًا في حياتنا كلها للتغلب على أمراضنا الاجتماعية والنفسية، ولتجاوز العوائق الاقتصادية والسياسية، أو العيش وفقًا للأسلوب العلماني المخالف لقيم المجتمع الإندونيسي التاريخية والحضارية؛ ما قد يؤدي إلى الانهيار الأخلاقي للدولة. وعليه يتساءل محمد ناصر: لماذا كل هذا الاهتمام بالإسلام بوصفه مصدرًا تشريعيًّا رئيسًا في الدولة؟

عرض محمد ناصر فلسفته الدينية مدعَّمة بعنصرين أساسين. الأول: إن الإسلام يفرض على أتباعه طلب العلم والوقوف على الحق والدفاع عنه؛ بينما الفكر العلماني يعتمد على التجربة الفكرية والحسية، ومن ثم هو فكر ينفي أهمية الدين ودوره في المجتمع العلمي. الثاني: إن التعاليم الربانية تحث على إعمال العقل بما ينسجم مع مبسوطات الوحي من نصوص قاطعة. وقد جاء محمد ناصر بمثال بسيط بساطة ذلك العصر، عن امرأة حزينة ومتألِّمة لوفاة زوجها، وهي بحاجة إلى علاج نفسي، متسائلًا: هل تجد هذه المرأة الشريفة والنزيهة الحلَّ لدى العلمانيين والشيوعيين، الذين لا يؤمنون بالحلول الدينية؟ حيث عزَّز رأيه بقول إميل دوركهايم: الشخص الذي يؤمن بالله يحوز على طاقة هائلة تدفعه إلى التغلب على المشكلات النفسية والاجتماعية.

* * * *

1- الإسلام أو بنتشاسيلا

حاجج محمد ناصر بأن بنتشاسيلا تعد مكوِّنًا من مكوِّنات الفكر العلماني، وأكَّد على أن دستور الدولة ينبغي أن يقوم على مبادئ واضحة، وليس صياغات غامضة، نراها لا تساعد على إرساء قواعد متينة لوحدة وطنية متماسكة. وعلى الرغم من أن البند الأول من بنتشاسيلا ينص على الإيمان بالله الواحد؛ فإنه في الحقيقة منبثق من الفكر العلماني، الذي يفتقر إلى نص ديني صريح يستند إليه، ومن ثم هو يفهم الإيمان بالله بطريقته الخاصة التي تخالف عقيدة المسلمين. وإن من ضمن نقاط الضعف في بنتشاسيلا أنها مجرَّد إنتاج فكري بشري يشوبه الكثير من القصور والنقصان.[154]

إن الفكر العلماني، كما يجادل محمد ناصر، لا يعترف بسلطان الله وحكمه، وإن عبارة «الإيمان بالله الواحد» تتضمن وجود آلهة من غير وحي سماوي. إن مثل هذه العبارة تعد صناعة بشرية نسبية غير مطلقة خاضعة لمنطق التأويل الفكري، الذي تحسنه العلمانية وتجيده، كما تنطوي على خداع للأكثرية المسلمة في المجتمع الإندونيسي، يقول محمد ناصر: «فأنَّى لهذه المبادئ الخمسة أن تكون باعثًا لنفس الشعب الإندونيسي، الذي يؤمن بفكرة دينية واضحة، اندمجت مع حياته، واستولت على نفسه وفكره؟ إنها ولا شك لا يمكنها أن تخاطب روح هذا الشعب المتدين، كما أنه لا يمكنها أن تعبر عما يختلج في نفس المجتمع الإندونيسي».[155]

يبدو أن رفض محمد ناصر لبنتشاسيلا سببه الغموض الذي يكتنف مبادئها، من منطلق أن المبدأ الأول يكاد يكون غير متناسق مع المبادئ الأخرى، ولا يعبِّر عن مقاصدها. كما يجادل بأن عبارة: «الإيمان بالله الواحد» جاءت من غير تصور واضح، فهي معرَّضة للتأويل بحسب إيديولوجية الشخص الذي يتعاطى معها. وإذا تمت الموافقة لتكون بنتشاسيلا فلسفة الدولة في الدستور الجديد، فلا يرجى نفع من ورائها؛ لأن معظم سكان إندونيسيا يعتنقون الإسلام، الذي يقوم على مبادئ واضحة فيما يتعلق برؤية المسلمين لله والإنسان والكون.

يرى محمد ناصر إذا كانت الدولة تبنى على تلك المبادئ الغامضة التي تسمَّى بنتشاسيلا، فلن يكون هناك ضمان بأنها تكفل حاجات المجتمع الإندونيسي، لا سيما الأغلبية المسلمة؛ حيث إنها لم تقدِّم نفسها بصورة واضحة، لا سيما فيما يتعلق بمعنى الإيمان، في الوقت الذي نلفي فيه معظم سكان الدولة يتشرَّبون لبن ثقافة إسلامية ممتدة بجريانها منذ قرون عديدة ولا تزال. لقد كشف محمد ناصر بأن الكتلة الشيوعية في الدولة تعارض المبادئ الخمسة لبنتشاسيلا، ولا تقبل بها كونها خليطًا من الدين فيما يخص الإيمان بالله، والليبرالية فيما يتعلق بالديمقراطية؛ إذ هما عدوان لدودان للشيوعية. ولتجلية الأمر ننقل كلامه؛ حيث يقول: «علينا أن نعلم أن الشيوعية تنفي وجود الإله، ومن ثم أنَّى لها أنْ تقبل ببنتشاسيلا التي ينص مبدؤها الأول على الإيمان بالله الواحد؟ هناك خلل في بنتشاسيلا

والفكر الشيوعي؛ مما قد ينسحب هذا الخلل على الدولة نفسها. لابد من الوعي بمستقبل بنتشاسيلا فلسفة الدولة في ظل الحكم الشيوعي من وجهة، والوعي أيضًا من وجهة أخرى بمستقبل الأجيال، حيث تتعارض مبادئ بنتشاسيلا مع معتقدات المجتمع الإندونيسي المسلم».[156]

2- تصوُّره للديمقراطية

على الرغم من أن محمد ناصر ظل متشبِّثًا بفكرة أهمية الديمقراطية في إدارة الدولة؛ إلا أن فهمه للديمقراطية كان يختلف عن فهم العلمانيين لها؛ ما يدل على تصوُّره الفكري السياسي السليم، كونه لم يكن يقبل بمبادئ الفكر الديمقراطي الليبرالي على جملتها؛ إذ معظمها يخالف القيم الدينية وينسفها. ومن أمثلة ذلك، إشارته إلى الزواج المثلي بين الرجال أو النساء، الذي ينضوي تحت لائحة حقوق الإنسان. إن مثل هذا الفهم الديمقراطي لدى محمد ناصر لا شكَّ في أنه مؤطَّر تأطيرًا دينيًّا؛ حيث ألفيناه يقترح على البرلمان اتخاذ الشريعة الإسلامية مصدرًا رئيسًا في صياغة الدستور الجديد، من واقع أن تعاليم الإسلام غير مقتصرة على الجوانب الروحية وإنما تخاطب، أيضًا، إنسانية الإنسان، كونها تمس جانبين مهمَّين في حياة الإنسان: علاقة المخلوق بخالقه، وعلاقة الواحد منا في تعامله مع الغير، لا سيما مع المختلفين معه. وكذلك فإن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، تراعي واقع التعايش السلمي في المجتمع، تعدَّد في دينه أم لم يتعدَّد؛ حتى يتحقَّق الأمن والاستقرار بين أفراده. هذا وقد جاء محمد ناصر ببعض الأمثلة التي تجلِّي خصائص الإسلام في التعايش السلمي؛ إذ وسَّع فكرته حول العلاقات الاجتماعية من منظور ديني، بحيث تشمل العلاقة الرحيمة بين الحاكم والشعب المتعدِّد الأديان والأعراق، من منطلق أن الإسلام يهتم بتوطيد العلاقة بين الدول الإسلامية وغيرها من أجل الصالح العام.[157]

يسائل محمد ناصر معارضيه عن مدى إمكانية الإسلام في التغلب على مشكلات الأمة، على الرغم من أن تعاليمه جاءت منذ أكثر من خمسة عشر قرنًا من الزمن. وفي الحقيقة إن فكره الديني والسياسي اتَّسم ببساطة واعية، هدَف من ورائها مخاطبة من لا يعرف عن الإسلام إلا اسمه؛ إذ يرى أن الناس أحرار في التخطيط لدنياهم، إذا هم أحسنوا استخدام النعم التي وهبها الله لهم؛ حيث إن الإسلام جاء بمبادئ عامة يمكن تطبيقها في كل زمان. كما أكَّد على أن الفقه الإسلامي الذي يبحث في العبادة وكيفية تأدُّب العبد مع ربه، تقوم وظيفته أيضًا على الإدلاء بشأن الحلول الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، التي يقدِّمها أهل الخبرة والاختصاص، والتأكُّد إن كانت تتوافق مع الشرع الإسلامي. وإن كل ما ورد في القرآن الكريم يتوجه نحو حفظ الحياة البشرية لبلوغ درجة الكمال الإنساني. وإن رسالة الإسلام تفتح المجال أمام العقل لإعمال الاجتهاد والتفاعل المسؤول والحضاري مع مستجدات العلوم العصرية. هذا وقد أثار محمد ناصر سؤالًا انتزعه من الحيرة البادية على وجوه معارضيه، قائلًا: ما الذي سوف يحدث إذا ما اتخذنا الإسلام مصدرًا أساسيًّا للتشريع؟ لقد حاول كعادته أن يقدِّم إجابات حضارية مقنعة، عسى أن تبدِّد القلق في المجتمع الديني والسياسي المتعدِّد الأديان والأعراق. [158]

* * * *

خامسًا: القيم الدولية

خاطب محمد ناصر معارضيه قائلًا: إن الرسالة الربانية التي جاء بها المصطفى صلى الله عليه وسلم، لا تلغي خيرات الأمم ومكارم أخلاقها، بل هي في أصلها متمِّمة لها، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».[159] حيث إن هذا الحديث الشريف يشجِّع على الأعمال الصالحة، التي تعود بالخير على عموم الناس؛ فالإسلام دين شمولي لكل خير، غير اختزالي لها في دين معيَّن؛ إذ إن تعاليمه عامة مفيدة للبشرية جمعاء؛ لأنه لا يوجد فيها ما يؤذيها. ومن هنا آمن محمد ناصر بأن جميع الأفعال والأعمال الخيِّرة، سواء أكان منشؤها في الغرب أم الشرق، تعد من ضمن القيم الإنسانية النبيلة، التي بشَّر بها الأنبياء من أبينا آدم عليه السلام إلى نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم. ونظرًا إلى قوة حجَّته، نلفي فكر محمد ناصر يتميَّز عن بعض أقرانه من العلماء المسلمين لا سيما الإندونيسيين، الذين يرون أن كل ما يأتي من غير المسلمين يعد فعلًا تافهًا، لا يمكن الالتفات إليه، مهما كانت قيمته الإنسانية عالية أو غالية؛ بينما يرى محمد ناصر أن الخير الذي يأتي من غير المسلمين، سواء أكان أفكارًا أم ثقافات، يمكن تقبُّله واستحسانه ما دام لا يتعارض مع القيم الإسلامية، ومن ثم يفترَض النظر إليه بأنه يندرج ضمن الطيِّبات، التي لم يحرِّمها الله سبحانه وتعالى وابتغاها لعباده، وهي، أيضًا، ما يصطلح عليه باسم القيم الدولية.

ولهذا السبب وهو يناقش في مسألة تأسيس الدولة الإسلامية، شدَّد على تمحيص الثقافات الرائدة، وتفحيص التقاليد السائدة في المجتمع الإندونيسي، والتعامل معها من منظور ديني، لا يقصي ولا يستبعد إلا ما يخالف الشرع الإسلامي، والإبقاء على ما هو حسن ومقبول، يُجمِعُ المجتمعُ على استحسانه والاستئناس به. لقد أكَّد محمد ناصر على أن جميع القيم الخيِّرة والإيجابية تدخل ضمن التعاليم الربانية المبسوطة في تاريخ الإسلام وحضارته. ومن هذه الناحية، إذًا، يتجلَّى لنا أن الإسلام لا يختزل القيم النبيلة في مصادرها، بل يعمِّمها على الناس للإفادة من خيراتها كونها غير متعارضة مع القيم الإسلامية؛ فالإسلام يحتويها وليست تحتويه. وإذا وجدنا أعراف القوم الذين نختلف معهم تقوم على العمل الإنساني المشترك في المجتمع، فإن الدين الإسلامي يطالب بذلك، ويشجِّع على الاستمرار فيه، وتكريره كلما سنحت الفرصة، لقوله تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } [المائدة:٢]. إن التعاون قيمة إنسانية وإسلامية ينبغي اتخاذها ثقافة سائدة في المجتمع المتعدد الأديان والأعراق؛ حتى تسود الأخوة والمحبة؛ حيث إن مثل هذا التعاون لا يمنع الناس المختلفين دينيًّا في أن يعبدوا الله على طريقتهم الخاصة، التي اعتنقوها واقتنعوا بها، شريطة ألا يتظالموا، وأن يقيموا العدالة الإنسانية فيما بينهم.

أما عن الفكر السياسي لدى محمد ناصر، فهو يقف على أن النظام الديمقراطي الذي ينشده المجتمع السياسي، لا يتعارض مع ما جاء به الإسلام، فيما يتعلق بنظام الحكم العادل؛ حيث لا يمكن لأحد منا أن يكون رئيسًا لشعب غير راضٍ عنه البتة. كما يحاجج محمد ناصر بأن الشورى كما هي مبسوطة

في القرآن الكريم، تتوجه نحو التنظيم الجماعي لقيادة الدولة، وترشيد سلوكها المتفرِّد، الذي كلما غالبته الضرورة احتكم إلى المشورة؛ حيث إن الحاكم لا يمكن أن يدير حكمه بطريقة ظالمة ومظلمة، وإنما يفترَض عليه أن يمارسها بعقلانية وحكمة، تعمل على تقليص دوائر الاحتجاج والسخط والعصيان.

لقد وقف الإسلام على أهمية الشورى في إدارة الحكم منذ قرون عديدة، وذلك قبل نشأة الديقراطية الغربية؛ حيث كشف محمد ناصر عن وجود وثائق تاريخية، سجَّلت تطبيقات الشورى وتفعيلاتها في مجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام وتابعي التابعين، زيادة على ما تلته من عصور ذهبية نادرة في تاريخ الحكم العربي والإسلامي. كما أوضح بأن الرسالة الربانية عادلة في تعاليمها؛ عدالة تجسَّدت من أمد بعيد قبل ظهور الفكر الديمقراطي في حياة الغربيين الذين قاموا، قبل ذلك، بإدارة البلدان بوسائل استبدادية؛ في الوقت الذي تميَّز فيه الإسلام بالروح الديمقراطي المبسوط في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية. فإذا كانت الديمقراطية تغرس فينا حب الوطن فهي من الإسلام، من غير تعصب أعمى لدين أو عرق؛ لأن الهدف من حب الوطن هو مزيد من التعارف والتعاون والتواصل، لقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات:١٣].

ألفينا محمد ناصر، يعرض رأيه حول مفهوم التعارف، كما هو مبسوط في الآية أعلاه بعقلانية ناضجة ووعي مسؤول؛ فهو لا يحصره في التعارف التقليدي، كما يفهمه غالبية العلماء المسلمين؛ وإنما التعارف عنده بدا أنه يشمل التبادل الثقافي والاقتصادي بين الدول والأمم، ومن ثم حصول التعاون فيما بينهم لدفع عجلة التنمية الإنسانية نحو الأفضل. وإن حب الوطن هو حق كل فرد؛ لأنه أمر جُبِلت عليه البشرية. ولهذا حينما واجهت الدولة الإندونيسية المستقلَّة تحديات من الاستعمار الهولندي القديم، وقف الإسلام والمسلمون يدافعون عنها، ويذودون عن حياضها؛ إنه أمر رباني اختُصَّ بالمضطهدين في الأرض، ممن يدافعون عن حقوقهم لقوله تعالى: { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } [الحج:٣٩]. كما يحث الدين الإسلامي أتباعه على الدفاع عن حقوق الضعفاء، ورفع الظلم عنهم، علمًا أن الله هو مصدر القوة الوحيد في التغلب على الظلم والظالمين، ولأجل تأكيد ذلك استشهد محمد ناصر بهذه الآية الكريمة: { وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا } [النساء:٧٥].

حاول محمد ناصر أن يهدِّأ من روع معارضيه في جلسات البرلمان، بقوله: إن هناك منافع كثيرة تُرجى من اتخاذ الإسلام مصدرًا أساسيًّا في التشريع وصياغة الدستور الجديد؛ نظرًا إلى أن القيم الإسلامية هي أيضًا قيم دولية تحارب الفساد، وتستنكر الجشع، ولا تميل إلى إشباع المصالح الشخصية على حساب مصالح الأمة، وتدافع عن حقوق الضعفاء، وتجرِّم استغلال المجتمع واحتكار

خيراته؛ حيث أشار إلى الآية القرآنية، التي تقوّي حجّته: { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [التوبة:٣٤].

يستمر محمد ناصر في دفاعه أمام البرلمان بأن الأمر الرباني والأصل الطبيعي الذي لا يمكن لشخص نفيه، هو أن للإنسان، أيًّا يكن، الحق في تملك الأموال والعقارات والأراضي، التي وهبه الله سبحانه وتعالى إياها، وعلى الإنسان أن يشكر الله بالعبادة، زيادة على أن حق التملك لا ينبغي أن يجعل المالك يتنصَّل من مسؤوليته الإنسانية والاجتماعية تجاه الآخرين من الفقراء والمحتاجين.

والأمر الآخر، وهو المهم في استقرار المجتمع، أن تُكفَل حرية التدين من غير ممارسة ضغوطات نفسية واجتماعية واقتصادية؛ فالناس أحرار فيما اختاروا ولكن بحرية. ويستشهد محمد ناصر بما كفله المصطفى صلى الله عليه وسلم من حرية التدين في المجتمع، الذي أقامه في المدينة، لقوله تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ } [البقرة:٢٥٦]. يرى محمد ناصر أنه من هذه التوجيهات الربانية يمكن استلهام واقع التعايش السلمي المنشود بين معتنقي الديانات المختلفة في المجتمع الإندونيسي بخاصة، وذلك طبعًا من غير أن يتخلَّى الواحد منا عن دينه إذا وجد فيه سعادته المأمولة؛ حيث إن التدافع قيمة حضارية عالية، تحفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل، لقوله تعالى: { الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } [الحج:٤٠]. كما سجَّل التاريخ ما قام به المصطفى صلى الله عليه وسلم في تعامله الحسن مع أهل الكتاب في مجتمع المدينة المنورة، وهو يهتدي بالتوجيهات الربانية في كيفية التعايش السلمي تعايشًا سليمًا مع معتنقي الديانة اليهودية، فقد جاء في محكم تنزيله: { لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [الممتحنة:٨].

لقد اكتسب محمد ناصر خبرةً سياسيةً ووعيًا دينيًّا نتيجةَ الصراع الفكري والإيديولوجي، الذي خاضه مع سوكارنو حول بنتشاسيلا فلسفة الدولة، وذلك قبل انضمامه إلى الحركة الثورية ضد سياسة سوكارنو في إدارة الحكم. إذِ اجتهد محمد ناصر جهده في التوصل إلى حل سياسي يرضي الجميع؛ ولكن كل ذلك باء بالفشل في ظل عدم التجاوب الحسن من جواندا رئيس الوزراء المعيَّن من سوكارنو، الذي كانت سياسته وسوء إدارته للحكم قد جلبت له انتقادات من جميع الكتل السياسية، ومن قادة الجيش في معظم ولايات إندونيسيا. ونظرًا إلى اللامبالاة التي أبداها سوكارنو تجاه مطالبه المشروعة، لم يكن أمام محمد ناصر إلا خيار الانضمام إلى الحركة الثورية تحت قيادة جنرالات الجيش المستائين من الوضع السياسي، تمهيدًا لأي طارئ قد يطرأ على الدولة ويهدِّد سلامتها؛ حيث كان الشيوعيون يتربَّصون بها الدوائر. على أن جميع نشاطات محمد ناصر في تلك الحركة سنناقشها في الفصل القادم.

* * * *

الفصل الثامن محمد ناصر بوصفه رئيسًا لحزب ماشومي ومشاركًا في الثورة ضد نظام سوكارنو

أولًا: نشأة حزب ماشومي

لا يمكن الخوض في النشاط السياسي والاجتماعي لمحمد ناصر من غير التطرق إلى نشأة حزب ماشومي بعد شهور من استقلال إندونيسيا؛ إذ يتكوَّن حزب ماشومي من جميع التيارات الإسلامية في البلاد.

تمَّ تأسيس حزب ماشومي في مدينة يوكياكرتا في 7 نوفمبر 1945م استجابةً لنداء نائب رئيس الجمهورية الدكتور محمد حتَّا، الذي دعا فيه الفاعلين السياسيين في المجتمع للمشاركة في إعادة بناء الدولة ما بعد الاستقلال؛ حيث إن معظم أعضاء المجلس التأسيسي للحزب سبق وأن مارسوا النشاط السياسي قبل الاستقلال. وقبل أن يستقر الحزب على الاسم الجديد الذي ظهر به بعد الاستقلال، كان يطلق عليه اسم المجلس الإسلامي الإندونيسي في بداية نشأته عام 1943م باعتباره مجرد منتدى عام للعلماء المسلمين الإندونيسيين، وهيئة إسلامية لحل المسائل الدينية والفقهية. وكان قادة المجلس الإسلامي الإندونيسي ينتمون إلى هيئات إسلامية مختلفة، أمثال: كياهي حاجي وحيد هاشم أشعري «1913-1953م» «K.H. Wahid Hasyim ‘Asyari»، وكياهي حاجي ماس منصور «1946-1996م» «K.H. Mas Mansur»، وكياهي حاجي باقوس هادي كوسومو «1890-1954م» «Ki Bagoes Hadikusumo»، وكياهي حاجي عبدالقهار مذكِّر «1907-1973م» «K.H. Abdulkahar Muzakkir»، وحاجي عبدالملك كريم أمر الله المشهور باسم الشيخ حمكا. وقد تمَّ تشكيل حزب ماشومي بناءً على توصية اجتماع علماء المسلمين المنعقد في مدينة جاكرتا، ثم عقد بعد ذلك أول مؤتمر إسلامي في مدينة يوكياكرتا في نوفمبر 1945م. [160]

ما بسطناه آنفًا، يوحي أن لحزب ماشومي جذورًا عميقة في تاريخ الدولة الإندونيسية؛ حيث إنه قبل عصر الاستقلال بقليل قد ظهرت الهيئة الإسلامية تحت اسم المجلس الإسلامي الإندونيسي، كما أشرنا إليه سابقًا، التي تم تأسيسها في سورابايا في 21 نوفمبر 1937م. وهؤلاء الذين أسهموا في تأسيس تلك الهيئة، هم: ماس منصور، وأحمد دحلان رئيس الجمعية المحمدية، وكذلك وهاب عبدالله رئيس هيئة نهضة العلماء، وندو أميسنو من حزب شريكة إسلام. [161]

لقد شعرت إدارة الاحتلال الياباني بخطورة نشاطات تلك الهيئة، ولذلك أسرعت في القضاء على منتدى العلماء المسلمين الإندونيسيين؛ حيث عرضوا البديل بتأسيس هيئة فيدرالية تحت اسم

ماشومي، التي كان معظم زعمائها من جميعة المحمدية ونهضة العلماء. كما حاولت إدارة الاحتلال الياباني التدخل في شؤونها؛ ولكن تدخلاتها باءت بالفشل. [162]

عقدت الهيئة المحمدية ونهضة العلماء وشريكة إسلام أول مؤتمر إسلامي في مدينة يوكياكرتا في 8 نوفمبر 1945م؛ حيث ترأَّس محمد ناصر الجلسة الافتتاحية للمؤتمر. وفي الأخير اتفقوا على تأسيس حزب ماشومي.[163] لقد شكَّلت هذه الخطوة التأسيسية نقطة تحول سياسي غير مسبوق في تاريخ إندونيسيا الحديث؛ حيث صار الحزب بمثابة تجمُّع كبير للعلماء المسلمين الإندونيسيين من مختلف هيئات إسلامية متنوعة. وبعد الإعلان عن هذا الاتحاد السياسي الإسلامي، تصدرت أخباره جميع الصحف الوطنية، وبات حديث العامة والنخبة.

تمَّ الإعلان الرسمي عن ظهور الحزب باسم مجلس شورى المسلمين «ماشومي»؛ أما هيكله التنظيمي فتشكَّل على النحو الآتي:[164]

- المجلس الاستشاري برئاسة الحاج هاشم أشعري، وعضوية كل من كياهي باقوس هادي كوسومو، وكسمان سينجو ديميجو «Kasman Simgodimejo».

- المجلس التنفيذي برئاسة الدكتور سوكيمان ويرو سانجويو «Soekiman Wirosandjojo» «1898- 1974م»، وعضوية كل من أبيكوسنو شوكرو سوجوسو «Abikoesno Tjokrosoedjoso» «1901-1968م»، ووالي عبدالفتاح «Wali Abdul Fatah»، وهارسونو شوكرو أمينوتو «Harsono Tjokroaminoto»، وبراوتو مانكو ساسميتو «Prowoto Mangkusasmito».

- قسم الإعلام برئاسة السيد والي عبدالفتاح.

- قسم التدريب العسكري برئاسة كياهي حاجي مشكور«K.H. Masykur».

- قسم المالية برئاسة ر.أ. كاسمات «R. A. Kasmat».

- قسم تدريب الشباب برئاسة محمد ماوردي «Mohammad Mawardi»، وهارسونو شوكرو أمينوتو.

- قسم شؤون العضوية برئاسة كياهي حاجي أحمد دحلان «1923-1968م» «K.H.M. Dahlan»، وكياهي الحاج معروف «H.M.F Ma’ruf»، ويونس أنيس «Junus Anis»، وكياهي حاجي فقيه عثمان «K.H. Faqih Usman»، وكياهي حاجي فتح الرحمن «K.H. Fatchurrachman»، والدكتور أبو حنيفة «Abu Hanifah»؛ ومحمد ناصر، وكارتو سويرجو، وأنور شوكرو أمينوتو «Anwar Tjokroaminoto»؛ ومحمد روم «Mohammad Roem».

وأهم ما جاء في المؤتمر الإسلامي أن محمد ناصر رئيس الجلسة قد أكَّد على أن المؤتمر الإسلامي المنعقد في رحابة الدولة المستقلة، قد حقَّق أهدافه التاريخية والحضارية، لا سيما في ظل اتحاد العلماء المسلمين تحت مظلة واحدة، والعمل على حل مشكلات المجتمع مجتمعين غير متفرقين. [165]

إن الدور الذي قام به محمد ناصر بوصفه رئيسًا للجنة التحضيرية للمؤتمر، جعله مسؤولًا أولَ عن خروج حزب ماشومي إلى النور، ولا شكَّ في أن هذا الحزب هو من بنات أفكاره النيَّرة. لقد أشار يوسريل إحزا ماهندرا إلى أن الإعلان عن التأسيس الرسمي لحزب ماشومي قد تمَّ بعد انتهاء محمد ناصر من إلقاء كلمته الافتتاحية، التي استعرض فيها الأهداف والخطة الإستراتيجية للحزب المقترح؛ حيث وافق معظم المشاركين في المؤتمر على آرائه واستحسنوها، لا سيما أن الجميع كان يتوسَّم في هذا الحزب خيرًا، وأن بإمكانه إعادة رسم مسيرة الأمة رسمًا صحيحًا، قد يفضي إلى مواجهة التحديات التي فرضتها مرحلة ما بعد الاستقلال على أمل التغلب على مشكلاتها وإزاحة عوائقها. علاوة على ذلك، فإن الحزب الجديد كان يتشوَّف بأفكار رجالاته الإسلامية للمشاركة في صياغة الدستور، الذي هو محل تنافس شديد بين مختلف الأطراف السياسية والفكرية السائدة في المجتمع الإندونيسي، الذي تقطنه أغلبية مسلمة. وعلى الرغم من أن الدولة قد تبنت المبادئ الخمسة المعروفة ببنتشاسيلا، فإن معظم السياسيين كانوا يرغبون في إضفاء المسحة الإسلامية على الدستور.

* * * *

ثانيًا: أهداف الحزب

بعد ما فشل زعماء المسلمين في محاولتهم اتخاذ الشريعة الإسلامية مصدرًا رئيسًا في دستور الدولة المستقلة، لا سيما بعدما عارض المسيحيون الإندونيسيون تحكيم المجتمع للشريعة الإسلامية؛ حيث أبلغوا الوفد الياباني المحتل الذي قابل الدكتور محمد حتًّا نائب رئيس الجمهورية، وعبَّر له عن عدم ارتياح المسيحيين لاتخاذ الشريعة الإسلامية مصدرًا رئيسًا في الدستور، التي سبق وأن تمَّ الموافقة عليها من قبل اللجنة التحضيرية لصياغة الدستور. [166]

إن الأهداف الرئيسة من تشكيل حزب ماشومي كما ألفيناها في إحدى لوائحه، أنه سعى إلى إعادة بند «اتخاذ الشريعة الإسلامية مصدرًا تشريعًا في الدولة»، الذي تم إزالته واستبعاده من بنود الدستور؛ حيث ركَّز حزب ماشومي على تحقيق هذا الهدف. وهذا السيد براوتو مانكو ساسميتو قد أبدى رأيه في تعديل فلسفة الدولة بنتشاسيلا بعدما تأكَّد له فشل التحالف السياسي مع زعماء القوميين، في الوقت الذي كان فيه سوكارنو مصرًّا على أن بنتشاسيلا هي بنية الدستور الأساسية.[167]

يظهر أن حزب ماشومي قد مرَّ بمراحل لتحقيق أهدافه في اعتماد الدولة على تعاليم الإسلام في إعادة صياغة الدستور، ويبدو أن اللوائح كانت في غاية البساطة، نظرًا إلى أن الدولة كانت في ذلك الوقت مهدَّدة من إدارة الاستعمار الهولندي، التي كانت تتحيَّن فرصة بسط نفوذها على الأراضي الإندونيسية بعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

اهتمَّ الحزب الذي ترأَّسه محمد ناصر بالأمور الآتية:[168]

الأول: الدفاع عن الوطن في حالة ما إذا فكَّرت إدارة الاستعمار الهولندي في بسط نفوذها مرَّة أخرى على الأراضي الإندونيسية، بحيث يكون الدفاع عن البلاد بالأسلحة التي تمَّت غنيمتها بعد انسحاب القوات اليابانية من إندونيسيا.

الثاني: الدفاع عن الدولة بالطرق الدبلوماسية وبكل الوسائل المتاحة.

الثالث: الدفاع عن الدولة ممن يترَّبصون بها الدوائر من علمانيين وشيوعيين ومتمردين وانفصاليين.

الرابع: الدفاع عن الوطن وتعزيز مكانته الإقليمية والإسلامية في المحافل الدولية.

قام محمد ناصر بتعديل اللوائح التنظيمية لحزب ماشومي بعد ما اختير رئيسًا لفترة ثانية عام 1952م. وإذْ باتت إندونيسيا دولة متكاملة الأركان ذات مكانة إقليمية ودولية، فإن حزب ماشومي ظلَّت تراوده فكرة إعادة بناء الدولة، بحيث يستجيب دستورها الجديد لمطالب الأغلبية في تطبيق

أحكام الشريعة الإسلامية، لا سيما في ظل أطماع الشيوعيين، الأعداء الألداء، في الاستلاء على مفاصل الدولة. [169]

لقد بذل حزب ماشومي جهودًا كبرى لاسترجاع ما تمَّ شطبه من الدستور حول تحكيم الشرع الإسلامي، وقد عبَّر محمد ناصر عن استيائه من الزعماء القوميين، الذين تلاعبوا ببنود الدستور لغايات غير نبيلة؛ إذ يقول: «لقد اخترنا المبادئ الإسلامية بنية أساسية لهذا الحزب؛ حيث نؤمن بأنها السبيل الوحيد لتحقيق السعادة والفلاح. زيادة على أن ديننا الإسلامي يعترف بالتعددية الدينية، ويحرص على التعايش مع المخالفين، ما بسطوا لنا أخلاقيات الوئام والتعاون والتسامح والاحترام. وإن الرسالة الربانية التي جاء بها المصطفى صلى الله عليه وسلم تبشِّر بالعدالة وتجرِّم الظلم؛ حتى يتمتَّع كل واحد منا بالحرية في جو من الأمن والاستقرار. لقد شيَّد الإسلام نظامًا عادلًا في إدارة الدولة بناءً على مشاورة المحكومين ومداورة الحاكمين، كما أن القيم الإسلامية تقف إلى جانب القيم الدولية التي تجرِّم كل أشكال ظلم الإنسان لأخيه الإنسان». [170]

لأجل التوصل إلى الهدف المنشود، نادى مجلس قيادة الحزب إلى فتح الباب أمام الجهاد في سبيل الله والوطن، في ظل التهديدات التي كان الاستعمار الهولندي يقوم بها من حين لآخر، لعودة السيطرة على إندونيسيا، على الرغم من حصولها على الاستقلال والاعتراف بها دوليًّا. زيادة على ذلك، فقد أفتى العلماء المسلمون الإندونيسيون بإحياء فريضة الجهاد لطرد الهولنديين نهائيًّا من البلاد، واتفقوا على تشكيل جبهة عسكرية؛ حيث تشكَّلت جبهتان: الجبهة العسكرية باسم حزب الله، والجهاد في سبيل الله. [171]

وفي وقت لاحق بعدما اعترفت هولندا باستقلال إندونيسيا، ولَّى حزب ماشومي وجهته شطر التنمية السياسية والاجتماعية، كما رفض الحزب بشدَّة كل أنواع الحركات الانفصالية في البلاد.

لقد خاض حزب ماشومي غمار الحياة الديمقراطية، وشارك في الانتخابات البرلمانية عام 1955م في فترة رئاسة برهان الدين هارهاب «Burhanuddin Harahap» أحد الأعضاء القياديين في حزب ماشومي. [172]

* * * *

ثالثًا: محمد ناصر رئيسًا لحزب ماشومي

صار محمد ناصر رئيسًا لحزب ماشومي في الفترة «1949-1958م»، وكانت أول جلسة لمؤتمر الحزب قد انعقدت في مدينة يوكياكرتا. وفي المؤتمر الخامس المنعقد في جاكرتا عام 1951م وافق معظم أعضاء الحزب على اختيار محمد ناصر رئيسًا للحزب لفترة قابلة للتجديد. وقد تشكَّلت قيادة الحزب من اللجان الآتية: المجلس الاستشاري للحزب ترأَّسه الدكتور سوكيمان ويرو سانجويو، يساعده نائبان هما: كسمان سينجو ديميجو، ويوسف ويبيسونو «Jusuf Wibisono». أما مجلس القيادة فترأَّسه محمد ناصر، يساعده نائبان هما: براوتو مانكو ساسميتو، ومحمد روم.

تشكَّل أعضاء مجلس القيادة من: كياهي حاجي باقوس هادي كوسومو، وكياهي حاجي مشكور، وشفر الدين «Sjafruddin Prawiranegara»، وكياهي حاجي واحد هاشم أشعري، والدكتور أبو حنيفة، والسيدة سونارنيو ماغونفوسفيتو «Sunaryo Mangunpuspito»، وشمس الرجال «Samshurijal»، وكياهي حاجي فقيه عثمان، وأنور هارجونو «Anwar Harjono»، وزين العابدين أحمد «Zaenal Abidin Ahmad»، ومحمد سارجان «Mohammad Sarjan»، وروسلان ونغسوكوسومو «Roslan Wongsokusumo»، ووالي عبدالفتاح، وعيسى أنصاري «Isa Anshori»، وكياهي حاجي عبدالرحمن شهاب «K.H Abdurrahman Shihab»، وبرهان الدين هارهاب.[173]

بعد ذلك تم اختيار محمد ناصر لتولي رئاسة الحزب في المؤتمر المنعقد في مدينة سورابايا في 22-27 ديسمبر 1954م، كما تم اختياره رئيسًا للحزب في المؤتمر المنعقد في مدينة باندونج عام 1956م.[174] وفي المؤتمر المنعقد في يوكياكرتا عام 1959م أسندت رئاسة الحزب لبراوتو مانكو ساسميتو.[175] حيث لم يشارك محمد ناصر في المؤتمر الأخير لأنه كان غائبًا بحكم انضمامه للثوار في جزيرة سومطرا.

* * * *

رابعًا: مشاركة محمد ناصر في الحركة الثورية ضد نظام سوكارنو

إن الدوافع التي دعت محمد ناصر إلى المشاركة في الحركة الثورية لم تكن عبثية، بل هدفت إلى تصحيح أخطاء الحكومة المركزية في جاكرتا التي استبدَّ بها سوكارنو بسياسته الجديدة المعروفة بسياسة الديمقراطية الموجَّهة. وكانت معظم الصحف والمجلات ذات الميول اليسارية قد هاجمت محمد ناصر واتهمته بأنه يسير ضد الحكومة الشرعية. أما سوكارنو فقد أخرج القوات العسكرية من ثكاناتها لمواجهة تلك الحركة الثورية؛ حيث نجح في إخمادها، وسجن القائمين عليها والمشاركين فيها.

لقد قاد الحكومة الثورية الموازية جنرالات كانوا محسوبين على الجيش الإندونيسي بتأييد سياسيين فاعلين في المجتمع أمثال محمد ناصر [176]، وكان الإعلان عن تشكيل الحكومة الثورية الموازية عام 1958م بسبب ما اتصفت به الحكومة المركزية من استبداد ومخالفة لقوانين الدولة، عن تعمُّد مقصود من الكتلة الشيوعية، بدعم شخصي من سوكارنو رئيس الجمهورية. وكان محمد ناصر قبل ذلك على صداقة ود مع سوكارنو؛ إلا أن انقلاب سوكارنو على الديمقراطية لم يرُق لمحمد ناصر؛ فانضم إلى الحركة الثورية، وصار عضوًا سياسيًّا فاعلًا في الحكومة الإندونيسية الثورية. [177]وبسبب تلك الأحداث قام سوكارنو بسجنه في الفترة ما بين 1961-1966م. وعلى الرغم من أن سوكارنو كان يبادله الاحترام والتقدير، لما قام به من دور قيادي بارز في إنقاذ الدولة المستقلَّة من التهديدات التي لاقتها، والتحديات التي واجهتها، والانقسامات التي كادت تعصف بمستقبلها؛ فإن ذلك كله لم يشفع له من إخراج محمد ناصر من السجن، إلا بعد أن تولَّى سوهارتو السلطة عام 1966م.

وفي الحقيقة إن محمد ناصر كان يتَّسم بشخصية ديمقراطية، وكانت له مواقف ثابتة فيما يتعلَّق بالعدالة والحرية والكرامة والتنمية. ومن مواقفه الوطنية أنه في عام 1951م لما تعهَّدت إدارة الاستعمار الهولندي بمغادرة جميع الأراضي الإندونيسية عدا إيريان الغربية «Irian Barat»، كان محمد ناصر أول المعارضين لمطالب هولندا الاستعمارية؛ حيث رفض التنازل عن آخر شبر من إندونيسيا، وطالبها بمغادرة البلاد من غير شروط. ومن مواقفه السياسية، أيضًا، أنه تعهَّد بالاستقالة من منصب وزير الإعلام إذا أصرَّ الاستعمار الهولندي على الإبقاء على إيريان الغربية تحت إدارته. كما تشهد له مواقفه السياسية الثابتة أنه عارض سياسة سوكارنو علنًا كونها انحرفت عن المسار الديمقراطي الذي كان محمد ناصر وفيًّا له مدى الحياة.[178]

طبعًا لم تكن الحكومة الثورية الموازية، في أول الأمر، من الحركات الانفصالية أو حتَّى من دعاتها، بل بدأت بوصفها حركة وطنية كانت ترى في الشيوعيين المحيطين بسوكارنو بأنهم أشد خطرًا على مستقبل البلاد؛ حيث إن الشيوعيين والاستعمار الهولندي هما وجهان لعملة واحدة بالنسبة إلى الوطنيين والإسلاميين المنخرطين في الحكومة الثورية الموازية. لقد أكد السيد هرمان فينجي وهو أحد قادة الجيش في الحكومة الثورية الإندونيسية التي تمَّ الإعلان عنها في سومطرا، بأن حكومتهم

تختلف عما ظهر في محافظات أخرى تلعب على وتر الانفصال عن الحكومة المركزية في جاكرتا، كما هو الحال في محافظة آتشيه، ومحافظة إيريان جايا «Irian Jaya»؛ وإنما الحكومة الثورية تستهدف حفظ الوحدة الوطنية المهدَّدة بالانهيار بسبب السياسة الخاطئة لسوكارنو الذي دعا إلى حل جميع الأحزاب السياسية، وتحويل الديمقراطية من ليبرالية إلى شيوعية تحت اسم الديمقراطية الموجَّهة. [179]

كما أن الحكومة الثورية جاءت استجابة لإيقاف المساعي غير الوطنية للحزب الشيوعي الحريص على توسيع نفوذه داخل أروقة الحكومة المركزية بدعم من سوكارنو نفسه؛ حيث كان يرغب في تشكيل حكومة جديدة متنوِّعة المذاهب والمشارب، يهيمن عليها الشيوعيون. وما كان تشدُّق سوكارنو بهذا التنوُّع في الحقائب الوزارية إلا تغطية على الهيمنة الشيوعية، وهي في الأخير كانت لعبة سياسية غير ديمقراطية، لاستئصال المعارضة من المشهد السياسي. [180]

إن الشيء الوحيد الذي لا يمكن تجاهله أن الحزب الشيوعي منذ نشأته صار عدوانيًّا؛ إذْ أصاب أذاه جميع الديانات في المجتمع الإندونيسي، فهو حزب حاقد على الإسلاميين والوطنيين، لا سيما أنه بعد استقلال إندونيسيا، توجَّست جميع الأحزاب الإندونيسية خيفةً من مشاركته في اللعبة السياسية التي لا يحسنها، كونه غير ديمقراطي في توجُّهاته وتطلعاته. ولكن حفاظًا على المبادئ الديمقراطية، ورغبةً في مشاركة الجميع بلا استثناء، فقد أتيحت للحزب الشيوعي فرصة تاريخية للمشاركة في الانتخابات البرلمانية. وعلى الرغم من أن محمد ناصر كان ضد الإيديولوجية الشيوعية جملةً وتفصيلاً، فإنه رأى بأن للشيوعيين الإندونيسيين الحق في الوجود، ومن ثم الحق في المشاركة السياسية وفقًا للشروط الديمقراطية. وهذا ما قال به في مداخلته أمام البرلمان: «سوف نوقف تقدم التيار الشيوعي بوسائل ديموقراطية، وإن الشعب هو من يقرر بنفسه مصيرهم عن طريق صناديق الاقتراع»[181].

وفي الحقيقة إن منذ الخمسينيات من القرن الماضي، والصراع السياسي قائم على أشدِّه بين المعارضين للحزب الشيوعي والمؤيدين. وفي الانتخابات البرلمانية المنعقدة عام 1955م، حصل الحزب الشيوعي على نسبة عالية من الأصوات أهَّلته لاكتساح مقاعد البرلمان والهيمنة على أجهزة الدولة ومؤسساتها بوسائل ديمقراطية؛ ما سبَّب ذلك حرجًا كبيرًا للمعارضة، التي لم تكن يومًا تتوقَّع هذا الانتصار الذي كان فيه انكسار لخاطرها كونه يشكِّل خطرًا على مستقبلها، ويهدِّد مستقبل البلاد أيضًا، ويعصف بها في المجهول.

وكان معظم زعماء حزب ماشومي والحزب الاشتراكي[182] قد بذلوا جهودًا لتقليم أظافر الشيوعية في الدولة، غير أن جميع المساعي باءت بالفشل نظرًا إلى أن الشيوعيين وجدوا سندًا رحيمًا وعظيمًا، هو سوكارنو ذاته. كما ازداد الوضع سوءًا لما أبدى الدكتور محمد حتًّا رغبته في تقديم استقالته من منصب نائب رئيس الجمهورية عام 1957م. هذا وقد اتهم سوكارنو حزب ماشومي

والحزب الاشتراكي بأنهما يخدمان أجندة أمريكية في المنطقة. [183]وقد ردَّ زعماء حزب ماشومي والحزب الاشتراكي على تهم سوكارنو، وعدُّوها أكاذيب تهدف إلى وضع العراقيل والعقبات أمامهم، تمهيدًا للتوسُّع الشيوعي، وانتشار نفوذه في أجهزة الدولة. وقد أكَّد صموئيل أحد قادة الجيش في الحكومة الثورية الموازية بأن المساعدة العسكرية التي تلقوها من أمريكا، جاءت في إطار التعاون على محاربة الفكر الشيوعي الإلحادي في الدولة والمنطقة، وهذا لا يعني أننا ندعِّم أمريكا للتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد، أو ندعوها للتواجد العسكري في أرضنا؛ فهذه ليست من شيِّمنا الأخلاقية والوطنية، كما يفعل الشيوعيون الإندونسيون مع الصين والاتحاد السوفياتي، فهما يتدخَّلان في شؤون الوطن بشكل علني، يكاد يكون مشروعًا في وجود سوكارنو داعمًا لهم. إن الخيانة الشيوعية للوطن لا حدود لها. ونتيجة لهذه التصريحات السياسية، بدأت الحكومة المركزية بمطاردة زعماء حزب ماشومي والحزب الاشتراكي؛ ما أدى بمحمد ناصر إلى اللجوء إلى جزيرة سومطرا الغربية للانضمام إلى الحركة الثورية، التي تزعمها القادة العسكريون الثوريون ضد نظام سوكارنو. [184]

ومما لا شكَّ فيه أن القرارات غير المدروسة من الحكومة المركزية، قد تسبَّبت في تنامي الاحتجاجات والسخط، نتيجة توزيع عوائد الثروات الطبيعية بشكل غير عادل، زيادة على سياسة التنمية المتمركزة في المدن الكبرى، وتجاهل الولايات الفقيرة والمناطق الريفية. لقد استثمر قادةُ الجيش المستاؤون هذه الأخطاء والتجاوزات من قبل الحكومة المركزية، لتأسيس حكومة موازية في سومطرا وجزيرة سولاويسي. كما شعرت المعارضة بالقلق الشديد بعد ما قام سوكارنو بتعيين الجنرال ناسوتيون «Nasution» قائدًا للقوات المسلَّحة، وإتاحة الفرصة التاريخية للحزب الشيوعي، لتولي مناصب وزارية في الدولة.

قام قادة الجيش الثوريون بالسيطرة على المناطق الاستراتيجية في جزيرة سومطرا في 25 نوفمبر 1956م تحت قيادة اللواء أحمد حسين « Ahmad Hussein»، واللواء برليان «Barlian»، وكذلك في جزيرة سولاويسي تحت قيادة اللواء هرمان فينجي. [185]والجدير بالذكر أن قادة الجيش هؤلاء قد حقَّقوا بعض الإنجازات تمثَّلت في رفع مستوى الدخل الاقتصادي، عبر إنشاء علاقات تجارية مع سنغافورا، ومن ثم تمَّ تحسين الوضع الاقتصادي للمنطقة التابعة للحكومة الثورية الموازية. وفي إطار بذل مساعٍ لإيجاد حلول للأزمة السياسية، قام قادة الجيش في الحكومة الثورية الموازية بمقابلة رئيس الوزراء السيد جواندا، أملًا في الخروج من هذا المأزق السياسي عبر التفاهم مع الحكومة المركزية. وأخيرًا وافق كل من الطرفين على عقد اجتماع في جاكرتا بحضور القادة العسكريين والمدنيين.

* * * *

خامسًا: محمد ناصر ومشاركته في الثورة
ضد استبداد الحكومة المركزية

قبل انعقاد جلسة التشاور والتفاهم في مدينة جاكرتا، كانت هناك جلسة أخرى تُعقَد في مدينة فاليمبان «Palembang» بجزيرة سومطرا الشمالية؛ حيث كان محمد ناصر من ضمن المشاركين فيها إلى جانب قادة الجيش الثوريين. وفي واقع الأمر؛ فإن مشاركة محمد ناصر في تلك الحركة الثورية كان الهدف منه إيجاد حلول لأخطاء سوكارنو، التي عنده ليست بأخطاء، مثل: حل البرلمان بطريقة غير مشروعة؛ ما أفضى إلى أزمة سياسية، شلَّت مؤسسات البلاد،كان من نتائجها الخطيرة محاولة اغتيال سوكارنو في جاكرتا يوم 30 نوفمبر 1957م. وقد وجَّه سوكارنو أصابع الاتهام إلى محمد ناصر ورفقائه في حزب ماشومي، مثل: برهان الدين هارهاب، وشفر الدين براوي رنكارا. وقد تبيَّن فيما بعد أن من قام بمحاولة اغتيال سوكارنو هو يوسف إسماعيل «Jusuf Ismail»، وهو عضو في حركة الشباب الإسلامي الإندونيسي، ومع ذلك زادت الضغوط على محمد ناصر وبعض قادة حزب ماشومي اللاجئين في جزيرة سومطرا. [186]

هناك على الأقل ثلاثة أمور كانت وراء مشاركة محمد ناصر في الحركة الثورية ضد الحكومة المركزية. الأول: وجود قادة الحركة الثورية في جزيرة أخرى بعيدة من أنظار جواسيس الحكومة المركزية، والثاني: العمل مع قادة الحركة الثورية على إبعاد عناصر الحزب الشيوعي من الوزارة، والثالث: إن محمد ناصر أراد أن تكون هذه الحركة الثورية غير عنيفة، ومجرد وسيلة لتهيئة بيئة مناسبة للتحاور مع الحكومة المركزية والتفاهم على إيجاد حل معقول ومقبول للأزمة السياسية التي تعصف بالبلاد.

أبدى محمد ناصر وشفر الدين حرصهما على عدم الانفصال عن الحكومة المركزية، والحفاظ على الوحدة الوطنية، غير أنه في 5 فبراير 1958م، أعلن مال الدين سيمبولون «Maluddin Simbolon» واللواء أحمد حسين عن رغبتهما في الانفصال عن الحكومة المركزية؛ ما يدل على أن محمد ناصر كان يرغب في أن تظل الوحدة بين المحافظات قائمة، على الرغم من الخلافات الكبرى مع الحكومة المركزية؛ إذ كان كل همه هو حل المشكلة السياسية من طريق الحوار السلمي بين الأطراف المعنية. وفعلًا هذا ما استنتجه الخبير السياسي الأمريكي جورج كاهن بأن مشاركة محمد ناصر في تلك الحركة الثورية جاءت بتأثير من قادة الجيش الثوريين الذين كانوا يعارضون سياسة سوكارنو في ظل تنامي الوجود الشيوعي المكثَّف في الحكومة المركزية ومؤسساتها الإستراتيجية.[187]

إن الوثائق المهمَّة التي عثرنا عليها حول مشاركة محمد ناصر في الحركة الثورية، وكما أدلى الخبير الأمريكي كاهن في شؤون السياسة الإندونيسية، تدل على أن محمد ناصر وشفر الدين كانا من دعاة الحفاظ على الوحدة الوطنية، بخلاف أعضاء الحركة الثورية لا سيما قادة الجيش. ومن

المؤكَّد أنه كانت هناك نوايا وأطماع لدى قادة الجيش الثوريين، لتأسيس دولة في جزيرة سومطرا، موازية للدولة الاتحادية التي يرأسها سوكارنو، كما خطَّط لذلك برليان في مدينة فاليمبان؛ حيث أكَّد شفر الدين بأن نتائج الجلسة المنعقدة في مدينة فاليمبان، قد تمخَّضت عن وثيقة فاليمبان «Piagam Palembang» التي تدعو إلى الانفصال بحجة أن الاجتماع الوطني المنعقد في جاكرتا قد باء بالفشل، ولأنه لم يأخذ باقتراحات الثوريين فيما يتعلَّق بمسألة إيجاد حلول عاقلة للأزمة السياسية، علاوة على عدم اهتمام الحكومة المركزية بنتائج اجتماع مدينة فاليمبان. وكان من بين أسباب الدعوة إلى الانفصال من قبل قادة الجيش الثوريين، هو الموقف السياسي السلبي تجاههم، الذي أبداه محمد حتًّا نائب رئيس الجمهورية، وهو موقف يساند سياسة سوكارنو؛ حيث كان، في نظرهم، أنه من المفترض أنه يقوم بدور الوساطة في بحث الوسائل الممكنة لحل الأزمة السياسية بين سوكارنو ومعارضيه. وفي المحادثة التي جرت بين أحد قادة الجيش الثوريين وبين شفر الدين، فإن اللواء برليان طلب منه الدعم السياسي لقيام دولة قائمة بذاتها في سومطرا، التي تختزن بداخلها ثروات طبيعية هائلة، أمكنها أن تكون عونًا اقتصاديًّا للدولة الناشئة. 188

واعتمادًا على المصادر والمعلومات التي أدلى بها اللواء برليان، اتَّضح أن الحركة الثورية هي من بنات أفكار قادة الجيش الانفصاليين، ردًّا على سياسة الحكومة المركزية، التي أهملت المحافظات الأخرى، وتركتها عرضة للفقر والجهل والتخلف، مثل: مدينة فاليمبان وسولاويسي وجزيرة سومطرا. كما تبيَّن أن الحكومة المركزية كانت مسؤولة مسؤولية مباشرة عن ظهور تلك الحركة الثورية، التي كشفت عن نواياها الانفصالية، وأن محمد ناصر وشفر الدين وبرهان الدين هارهاب لم يفكروا البتة في تأسيس دولة جديدة في جزيرة سومطرا. ولأجل المزيد من الوضوح، ننقل قول كاهن الخبير الأمريكي في الشؤون الإندونيسية: يبدو لي بأن الإنجازات والإسهامات الكبرى لمحمد ناصر تجلَّت في مشاركته في الثورة ضد الحكومة المركزية، حتى صارت هذه الحادثة التاريخية حديث وسائل الإعلام العالمية، زيادة على أن محمد ناصر أسهم بشكل كبير في الحفاظ على وحدة الدولة، نائيًا بنفسه عن الانفصاليين. وإني كباحث في الشؤون السياسية الإندونيسية، وبناءً على المعلومات التي جمعتها، والتي تخالف تأويلات الآخرين المسيَّسة، فإني أرى أن إسهام محمد ناصر في الحركة الثورية كان محل تقدير؛ إذ كان أكثر وطنية من الوطنيين أنفسهم في الحفاظ على استقرار إندونيسيا، والإبقاء على الجزر الأخرى متحدة. وإن محمد ناصر، إلى جانب مساعي شفر الدين وبرهان الدين هارهاب، قد قدَّم جهدًا مشكورًا في إثناء قادة الجيش الثوريين عن تأسيس دولة داخل دولة. ونظرًا إلى المساعي التي بذلها محمد ناصر، فإن الحركة الثورية استهدفت في الأخير الحفاظ على وحدة الدولة.

واعتمادًا على تلك الوثائق التاريخية، فإن محمد ناصر كان وطنيًّا مخلصًا، ولم يكن يريد أن تكون البلاد تحت قبضة الشيوعيين، الذين لا يرقبون في المسلمين إلًّا ولا ذمَّة، وظل يدافع طوال حياته عن وحدة البلاد التي إن حكمها الشيوعيون سلموها للصين، وكذلك هم يفعلون. وقبل ذلك كان محمد ناصر ثائرًا في وجه الاستعمار الهولندي قبل الاستقلال وما بعده لما انسحبت إدارة الاحتلال

الياباني، ومن ثم فإن مشاركته في الحركة الثورية لم تكن مشاركة انفصالية؛ وإنما كانت مشاركة لأجل لم الشمل السياسي وإعادته إلى مساره الديمقراطي. وإن رجلًا ديمقراطيًّا مثل محمد ناصر لا يمكن أن يكون ثائرًا عنيفًا، وإنما طبيعة المرحلة اقتضت ذلك، ومع ذلك كان حكيمًا في قراراته وتحركاته وتصريحاته، ولم يشهد له التاريخ الإندونيسي بأنه أساء لوطنه، مثلما أساء له الشيوعيون أزلام سوكارنو.

ومن مواقفه السياسية الوطنية المخلصة، أنه لما أعلن كارتو سويرجو عن تشكيل الجمهورية الإندونيسية الإسلامية عام 1949م، قام محمد ناصر بإثنائه عما عزم عليه، وأقنعه بأن تأسيس دولة إسلامية لا تتحقَّق إلا برضا الشعب. وإضافة إلى ذلك كان محمد ناصر صاحب أهداف نبيلة، تصب في مصلحة الجميع، كما كان يتمتَّع بقيم أخلاقية عالية؛ حيث قام بمعالجة الخلاف الذي حدث بين كارتو سويرجو وبين كبار الدولة، وهم جميعًا مسلمون. ورأى أن قيام الدولة الإسلامية ليس أمرًا مستحيلًا، ولكن يكون ذلك عبر الانتخابات، وأن هذه هي الطريقة الوحيدة لتأسيس الدولة الإسلامية، إذ يمكن تحقيقها بموافقة الأكثرية من طريق صناديق الاقتراع.

أما زميله محمد روم، فحاول أن يزيل التكهنات الخاطئة عن انضمام محمد ناصر إلى الحركة الثورية، برفقة شفر الدين وهارهاب؛ إذ يرى أنه قبل التحاقهم بالحركة الثورية لم يناقشوا أمرهم مع مجلس قيادة حزب ماشومي، وهذا ما يدل على أن مشاركتهم في الحركة الثورية لم تكن لها علاقة بموافقة الحزب من عدمه. ولأجل استبعاد كل التكهنات السياسية المغرضة والكشف عن الحقيقة، فإن ما أقدم عليه محمد ناصر كان إقدامًا فرديًّا واعيًا بفعله ووطنيته، يبرئ ساحة حزب ماشومي من تهمة المشاركة الفعلية في الحركة الانفصالية. [189]

وأضاف محمد روم بأنه في الوقت الذي كان سيعقد فيه اجتماع الثوار في مدينة فاليمبان في شهر يناير من عام 1958م، سافر إلى سومطرا لحضور اجتماع الجامعة الإسلامية بسومطرا الشمالية، بوصفه رئيسًا لها. وأنه أبلغ محمد ناصر قبل مغاردته إلى مدينة ميدان «Medan»، وخلال الاجتماع التقى محمد روم بمحمد ناصر الذي جاء في وقت لاحق. وفي الأخير عادا معًا من طريق مدينة فادانج «Padang»، وبعد ما وصلا إلى تلك المنطقة التقيا مع شفر الدين وهارهاب؛ حيث أبلغهما بأن السيد سوميطرو هادي كوسومو «Soemitro Djojohadikusumo» رئيس الحزب الاشتراكي والسيد دحلان جمبيك قد وصلا أيضًا، وأن اجتماع الثوار سيكون في سونغاي داريه «Sungai Dareh» في إحدى مناطق ولاية فاليمبان.

ونظرًا إلى المعلومات التي كان يحوزها محمد روم حول طبيعة الاجتماع وأغراضه السياسية، اعتذر عن الحضور. وقبل مغادرته إلى سونغاي داريه تساءل محمد ناصر: «وماذا عن محمد روم؟ هل يذهب معنا؟» فأجاب الأعضاء الموجودون: «يذهب معنا وكيف لا؟» ثم سأل محمد روم، قائلًا: «من صاحب القرار المرتبط بالمشاركة من عدمها؟»؛ إذْ كان على علم بأن محمد ناصر وشفر

الدين وهارهاب، لا يمتلكون سلطة اتخاد القرار فيما يتعلّق بالحضور. ومن ثم فقد قرَّر عدم الحضور، وواصل رحلته رفقة زوجته إلى بوكتيت تنغي «Bukit Tinggi».[190] وفي اليوم التالي عاد محمد ناصر من ذلك الاجتماع؛ حيث سأله محمد روم عن نتائج الاجتماع، فأجاب محمد ناصر بأن برليان كان غائبًا، فتبيَّن لمحمد روم، من خلال إجابة محمد ناصر، بأن الاجتماع مني بالفشل.

بعد هذا اللقاء طلب محمد ناصر من محمد روم، إذا ما هو وصل إلى جاكرتا، أن يُعلم زملاءه في حزب ماشومي بما جرى في الاجتماع. لقد شعر محمد روم بخطورة الموقف بعد فشل الاجتماع، وفور وصوله إلى جاكرتا عقد مجلس قيادة حزب ماشومي اجتماعًا طارئًا، واتخذ قراره بأن يلتقي بقائد الأركان الجنرال ناسوتيون، ومقابلة السيد سارتونو «Sartono» الذي يتولى منصب رئيس الجمهورية بالنيابة، نظرًا إلى وجود سوكارنو خارج البلاد، علاوة على طلب الدكتور سوكيمان مقابلة الدكتور محمد حتًّا، والسيد جواندا رئيس الوزراء. [191]

أصدر مجلس قيادة حزب ماشومي بيانًا يدعو فيه إلى احترام القانون وإجراء مصالحة بين أنصار تأسيس الحكومة الثورية في جزيرة سومطرا مع الحكومة المركزية في جاكرتا؛ ما يعني أن حزب ماشومي بريء من تجاوزات تلك الحركة الثورية. وقد بذل محمد روم جهدًا مشكورًا في إقناع الجنرال ناسوتيون بأن الثوريين مستعدون للحوار مع الحكومة المركزية؛ ما يؤكد أيضًا على أن رغبة محمد ناصر وشفر الدين في المشاركة في الحوار، كانت تهدف إلى الوقوف بحزم أمام دعاة الانفصال، الذين لا تربطهم علاقة سياسية بحزب ماشومي. لقد كان انضمام محمد ناصر إلى الحركة الثورية محل انتقاد بعض السياسيين الكبار، أمثال الدكتور محمد حتًّا، وكذلك زميله الحميم الحاج عبد الملك كريم أمر الله المعروف باسم حمكا أحد أبرز علماء إندونيسيا. [192]

إذًا خلاصة القول: إن البيئة السياسية وقتذاك لم تكن ملائمة؛ إذ إن سوكارنو مال ميلًا عظيمًا إلى الشيوعيين، وبات بين عشية وضحاها واحدًا منهم؛ حيث أتاح لهم الفرصة التاريخية للإمساك بمؤسسات الدولة، والوقوف على أسرارها، والاطلاع على ملفاتها، والتحكم في مخابراتها؛ ما عُدَّ ذلك خطرًا على المجتمع الإندونيسي ذي الأغلبية المسلمة. وما كان من محمد ناصر الخبير بألاعيب الشيوعيين؛ إلا توجيه تحذير وطني لسوكارنو الذي للأسف ظل متمسِّكًا بآرائه، وهو العنيد العتيد؛ إذ قام، كما أسلفنا القول، بتعيين أحد أنصاره هو الجنرال ناسوتيون قائدًا لأركان الجيش؛ ما جعل المشهد السياسي أكثر عفونة ورعونة؛ حيث لم يكن أمام رجل وطني مطعون في وطنيته خيار غير الانضمام إلى الحركة الثورية لأسباب وطنية؛ إذ لا أحد يزايد على وطنية محمد ناصر، إلا إذا كان مبغضًا أو حاقدًا أو ناكرًا للمعروف.

لقد رأت الحكومة المركزية في جاكرتا بأن مشاركة زعماء حزب ماشومي في الحركة الثورية له علاقة بمحاولة اغتيال سوكارنو بالتعاون مع المخابرات الأمريكية. وإنْ أكَّد محمد ناصر بأن انضمامه إلى الحركة الثورية كان بهدف منع المحاولات الانفصالية عن الحكومة المركزية. ولمزيد

من التوضيح ننقل قوله: «دعني أقول، إذا كان هناك من يتهم بأن الحركة الثورية كانت تهدف إلى الانفصال عن الحكومة المركزية، فلم يكن ذلك في حقيقة الأمر لدوافع شخصية. نحن نرغب في أن يحتكم سوكارنو إلى القانون، ويبدأ بنفسه أولًا. وكما قال السيد شفر الدين: إذا كان سوكارنو راغبًا في احترام القانون، فنحن مستعدون للانضمام إلى الحكومة المركزية في جاكرتا، بل في هذه الحالة نكون أول من يخدم الحكومة المركزية باسم القانون. إن ما لا يمكن تجاهله، والسكوت عنه، هو مساعدة سوكارنو للشيوعيين في الاستيلاء على الحكومة». [193]

أما الجنرال ناسوتيون، فكان رأيه أن مشاركة محمد ناصر في الحركة الثورية سببه الاختلاف السياسي مع سياسة الحكومة المركزية، لا سيما فيما يتعلَّق بتوزيع الثروات الطبيعية بشكل غير عادل في الولايات الفقيرة والمناطق الريفية، وقلَّة اهتمام الحكومة المركزية بتنمية هذه الولايات والمناطق. والسبب الآخر هو عدم رضاه عن الشيوعيين، الذين استقروا في الحكومة برغبة دفينة من سوكارنو. وبعد سيطرة الحكومة المركزية على الثوريين، استفاد الراغبون في المصالحة مع الحكومة المركزية من عفو عام. وكان الجنرال ناسوتيون قد قدَّم تسهيلات خاصة لمحمد ناصر، وطالب معاونه الشخصي بأن يلازم محمد ناصر القادم من جزيرة سومطرا، حفاظًا على سلامته من غدر الشيوعيين. وبالفعل بعد عودته استضافه الجنرال ناسوتيون في منزله، أملًا في نسيان الماضي، غير أن الصحف الناطقة باسم الشيوعيين نشرت أخبارًا كاذبة، واتهمته بأن يخطِّط من جديد لمعارضة حكومة سوكارنو.

نعود إلى صلب الموضوع لمناقشة ما تمخَّض عن اجتماع قادة الجيش الثوريين المنعقد في مدينة فاليمبان يوم 7 أغسطس 1957م. وفي ظل رغبة قادة الجيش الثوريين في تأسيس حكومة موازية للحكومة المركزية، صدر عن الاجتماع جملة من الشروط للدخول في المصالحة، وهي على النحو الآتي: [194]

الأول: إعادة الدكتور محمد حتًّا إلى منصبه نائبًا لرئيس الجمهورية.

الثاني: إبعاد الشيوعيين من الحكومة، وإقالة الجنرال ناسوتيون من رئاسة أركان الجيش.

الثالث: منح الحرية للولايات في التخطيط الاقتصادي والعمل السياسي.

الرابع: تشكيل لجنة وطنية تشرف على التنمية الاقتصادية في المناطق الريفية

الخامس:
حظر النشاط الشيوعي الذي يتعارض مع فلسفة الدولة بنتشاسيلا، ويشكِّل خطرًا داهمًا على المجتمع الإندونيسي، الذي غالبيته تدين بالإسلام العدو اللدود للشيوعية والإلحاد.

وفي غرة 6 يناير 1958م، عقد اجتماع في مكتب محافظة فاليمبان لتقييم تطورات الوضع السياسي؛ حيث نوقشت فيه الكثير من القضايا السياسية والاجتماعية، مثل كيفية رفع مستوى الدخل، وإعادة النظر في هيكل الحكومة الفيدرالية كوسيلة لإزالة التفرقة في سياسة التنمية الاقتصادية التي تنتهجها الحكومة المركزية في المناطق النائية. ومن ضمن الأمور الأساسية التي ناقشوها، أيضًا، الاستمرار في الوقوف ضد الحكومة المركزية حتى تستجيب للمطالب الديمقراطية. وفي الأخير اتفق المجتمعون على شيء واحد، وهو أن تعيين جواندا رئيسًا للوزراء كان بطريقة غير شرعية، ومن ثم هو يخالف القانون. لا سيما أن جواندا لا يمتلك سلطات رئيس الوزراء حتى يوظِّفها؛ لأن السلطة الفعلية بيد سوكارنو الذي يتوجه نحو بسط الاستبداد في الدولة. وعليه فقد اقترحوا أن يكون رئيس الوزراء البديل هو محمد حتًّا على أن يكون سلطان هامنكو بوونو «Sultan Hamengkubuwono» نائبًا له؛ حتى يحصل التوزيع العادل للسلطة بحيث لا تكون حكرًا على نخبة جزيرة جاوا حيث توجد العاصمة جاكرتا.[195] كما نسجل أن هناك غموضًا شاب الاجتماع المنعقد في منطقة فاليمبان بين القادة العسكريين والزعماء المدنيين؛ ولكن الأمر الذي لا يمكن تجاهله أنهم اتفقوا على ضرورة استقالة جواندا من منصب رئيس الوزراء، وعودة سوكارنو إلى الدستور لإدارة الحكم بشكل ديمقراطي كما كان شأنه في بداية تقلده منصب رئيس الجمهورية.

في 10 فبراير 1958م، وذلك قبل بضع أيام من إعلان تأسيس الحكومة الثورية، أعلن اللواء أحمد حسين عن «وثيقة الجهاد» التي قرأها السيد سيمبولون على الحضور؛ حيث إن محتوى هذه الوثيقة كان ينص على الوسائل التي يتحقق بها الأمن والاستقرار في الدولة. ومن ضمن الأمور المهمة التي وردت في تلك الوثيقة: أنها طالبت جواندا رئيس وزراء إندونيسيا بتسليم السلطة إلى القائم بأعمال الرئيس السيد سارتونو، بحيث يقوم بتعيين الدكتور محمد حتًّا وسلطان هامنكو بوونو لتشكيل حكومة جديدة، يكون وزراؤها من أصحاب الكفاية والدراية والخبرة لتحقيق العدالة في المجتمع، وتطهير الدولة من الشيوعيين الملحدين. طالبت الوثيقة، أيضًا، بعودة سوكارنو إلى الشرعية في إدارة الدولة، وطلب العفو من الشعب عن تصرفاته الخاطئة، بحيث يكون ذلك أمام البرلمان. وإضافة إلى ذلك طالب المعارضون الثوريون منح كامل الحرية للدكتور محمد حتًّا وسلطان هامنكو بوونو لممارسة وظيفتهما. علمًا أن تلك المطالب جاءت مقرونة بالتهديدات في حال عدم الوفاء ببنودها، ومن ثم يكون سوكارنو في حِلٍّ من الرئاسة، وعلى المواطنين عدم السمع والطاعة لأوامره التي هي في حقيقتها أوامر الشيوعيين الملحدين.[196]

ردًّا على تلك التصرفات السياسية للمعارضين الثوريين، وعلى المطالب الثورية التي بدت أنها تفتقر إلى الحكمة، عقدت الحكومة المركزية اجتماعًا طارئًا، انبثقت عنه قرارات ترفض تلك الإملاءات الثورية جملةً وتفصيلًا. وفي اليوم التالي تمَّ تعطيل شبكة الاتصالات، ومراقبة الخطوط البرية، وإغلاق المجال الجوي؛ حيث أصدر سوكارنو تعليمات صارمة، تدعو إلى القبض على الزعماء السياسيين المعارضين. وفي الحقيقة إن شفر الدين أبدى رأيه في عدم موافقته على إعلان تأسيس

حكومة موازية كما أسلفنا الذكر، وذلك خوفًا من نشوب حرب أهلية. ومن أسفٍ أن القادة العسكريين الثوريين تمادوا في إصرارهم على قراراتهم غير المدروسة وغير المشروعة. لقد أعلنوا في 15 فبراير 1958م عن إقامة الحكومة الثورية الموازية لأمرين مهمَّين بالنسبة إليهم، وهما: إقالة جواندا رئيس وزراء إندونيسيا، وإن الحكومة الثورية الموازية هي المخولة بإدارة دولة إندونيسيا بحكم ما جاء في وثيقة الجهاد.[197]

إن الأمر الذي لا يمكن تجاهله أن قرار اللواء أحمد حسين بتأسيس الحكومة الثورية الموازية لحكومة جاكرتا، قد قابله شفر الدين بالرفض وعدم التوقيع عليه. وهذا ما يدل على أنه لم يكن راضيًا على ذلك المشروع السياسي والعسكري الانفصالي. ولكن على الرغم من ذلك فإن شفر الدين قد أُسنِد إليه منصب رئيس الوزراء في الحكومة الثورية الموازية؛ إلا أنه تعهَّد بممارسة عمله بناء على كفايته السياسية والإدارية لمصلحة إندونيسيا. ومن اللافت للانتباه أن تلك الحكومة قد خلت من اسم محمد ناصر، وفي هذا، أيضًا، ما يدل على أن مشاركته في تلك الحركة الثورية كانت بوصفه عضوًا مناصرًا لا أكثر ولا أقل، ولم تكن له طموحات ثورية إلا إزالة الشيوعيين من مؤسسات الدولة. فلم يكن محمد ناصر ثوريًّا هدَّامًا للوطن، وهو الخبير السياسي المحنَّك الذي يقرأ المستقبل، ويعي الحاضر، ويستفيد من خبرات الماضي.

في ضوء الأزمة السياسية المتصاعدة بين جاكرتا وسومطرا، شهدت مدينة جاكرتا نقاشًا سياسيًّا جمع قيادة الحزب الوطني وقيادات حزب ماشومي وأحزاب سياسية أخرى؛ حيث كان الاتفاق على عدم قبول تشكيل حكومة ثورية موازية في جزيرة سومطرا. إضافة إلى ذلك فإن قادة حزب ماشومي ظلوا متمسِّكين بقرارهم المتمثِّل في رفض أعضاء الحكومة المركزية المشكَّلة من غالبية شيوعية؛ حيث عدُّوا تشكيلها مخالفًا للدستور.[198]

ويبدو أن حزب ماشومي في تلك الفترة كان أكثر حذرًا فيما يتعلَّق بالحركة الثورية، الذي تزعمها قادة الجيش الثوريون؛ حيث طالبهم قادة الحزب بضرورة العمل السلمي مع الحكومة المركزية في جاكرتا. وفي 15 فبراير 1958م، قدَّمت الكتل السياسية التماسًا إلى البرلمان، يطالبون فيه اللواء برليان بالآتي: بناءً على نتائج اجتماع الحزب الوطني وحزب ماشومي وجميعة نهضة العلماء وحزب شريكة إسلام والحزب الكاثوليكي، المنعقد في 15 فبراير 1958م، نطالب رجالات الحركة الثورية بالتهدئة، وتجميد نشاطاتهم السياسية والعسكرية؛ فنحن في جاكرتا كأحزاب معارضة نجتهد جهدنا في إيجاد حل سلمي للمشكلات الوطنية العالقة.[199] ثم بعد ذلك أصدر حزب ماشومي بيانًا توضيحيًّا على النحو الآتي:

- ضرورة استمرار بذل الجهود وإجراء حوار عاقل وعادل بين قادة الجيش والزعماء السياسيين، لإيجاد مخرج سلمي لما أصاب الدولة من شلل في مؤسساتها السياسية والاقتصادية.

- الشكر البالغ لمن أبدوا تفاهمًا من رجالات الحركة الثورية تجاه سياسات الحكومة المركزية.

- علينا التأكد من مراعاة الأمور الآتية:

أ. الالتزام بمبادئ الدستور.

ب. احترام العملية الديمقراطية، حفاظًا على الأمن والاستقرار.

ج. التروي وإبداء الحذر أمام خطورة الانفصال عن الحكومة المركزية في جاكرتا.

د. الابتعاد من استخدام وسائل القوة لحل الأزمة السياسية.

يرجو حزب ماشومي من سوكارنو رئيس الدولة تغليب المصلحة العامة على طموحاته الشخصية.

يطلب مجلس قيادة حزب ماشومي جميع المواطنين بالدعاء للسيد الرئيس؛ عسى أن يهديه الله لاتخاذ القرار المناسب حفاظًا على سلامة الدولة.

بناءً على تلك الشروط، بذل حزب ماشومي جهودًا محمودة في الوفاق بين الحكومة المركزية في جاكرتا، وبين رجالات سومطرا الثوريين، حفاظًا على مؤسسات الدولة من الفشل والانهيار. ثم بعد ذلك أصدرت لجنة الجهاد التابعة للحكومة الثورية بيانًا تحذيريًّا في 10 فبراير 1958م، تطالب فيه بحل حكومة جواندا، واستقالة سوكارنو، وتسليم السلطة إلى الدكتور محمد حتًّا، وسلطان هامنكو بوونو، لتشكيل حكومة مركزية جديدة من أهل الأمانة والأخلاق، مع عدم السماح بوجود الشيوعيين في هذه الحكومة.

كما أصدر حزب ماشومي بيانًا عاجلًا حول التطورات السياسية، وذلك في 13 فبراير 1958م، وقد نصَّ على الآتي:

نظرًا إلى التحديات الخطيرة التي تواجهها الدولة، ندعو إلى بذل الجهود من أجل التفاهم الجاد بين الحكومة المركزية في جاكرتا، وبين الولايات الإندونيسية الأخرى.

بعد الاطلاع على البيانات الصادرة من اللواء أحمد حسين والحكومة المركزية؛ فإن حزب ماشومي يظل يؤمن بأن الحلول السياسية واردة، وأن طريق التفاهم والتواصل ما زال مفتوحًا غير مسدود.

مجلس قيادة حزب ماشومي يتطلع إلى إيجاد حل سلمي للمسألة السياسية، ويطالب الدكتور محمد حتًّا بالقيام بدور الوسيط بينها وبين الحكومة المركزية.

ظل حزب ماشومي متمسِّكًا برفضه القاطع لتشكيل دولة في سومطرا قد تكون بادرة خطيرة للانفصال. ويمكن الوقوف على هذا الرفض من قول الدكتور سوكيمان ومعاونه السياسي السيد يونان ناسوتيون «Yunan Nasution» في 17 فبراير 1958م، بأن من المواقف السياسية لحزب ماشومي هي الدعوة إلى الحفاظ على وحدة الوطن والاحتكام إلى الدستور، كما جاء في بيانه

الصادر يوم 24 يناير 1958؛ والثانية: أن قيادة حزب ماشومي وقفت ضد الحكومة الثورية الموازية، وعدَّتها تسير ضد القانون، وطالبت من سوكارنو تشكيل خلية وطنية، لمناقشة المسائل السياسية العالقة والمختلَف حولها؛ والثالثة: أن مجلس قيادة حزب ماشومي أكَّد من جديد بأن حل المأزق السياسي يكون ببدء الحوار الفوري المثمر بين الحكومة المركزية وبين الثوريين؛ والرابعة: رفض التدخل الأجنبي جملةً وتفصيلاً؛ والخامسة: أنه من أجل تحقيق الحل السلمي من المفترض أن يكون هناك تعاون بين سوكارنو والدكتور محمد حتًّا؛ والسادسة: أن مجلس قيادة حزب ماشومي عبَّر عن احترامه لما جاء في خطاب سوكارنو، بعد عودته من السفر لحل المشكلة السياسية بطريقة حكيمة. [200]

غير أنه بعد إذاعة البيانات السياسية الصادرة من مجلس قيادة حزب ماشومي، قام سوكارنو بإصدار قرار بسجن كل من شفر الدين وبرهان الدين هارهاب والدكتور سوميطرو هادي كوسومو. وفي ظل هذا التصعيد السياسي رضي الدكتور محمد حتًّا بالقيام بدور الوسيط وعقد اجتماع مع سوكارنو.[201] غير أنه في غمار بذل المحاولات الجادة لإيجاد حل سلمي، شرعت طائرات القوات العسكرية في إلقاء القنابل على مدينة فاليمبان وسومطرا الغربية وجزيرة مانادو «Manado». ونظرًا إلى تلك التطورات غير المسبوقة في تاريخ الدولة المستقلة، تراجع محمد حتًّا عما عزم عليه من عقد اجتماع مع سوكارنو.[202]

ومنذ ذلك الحين عزمت الحكومة المركزية على محاربة الثوريين واستئصال شأفتهم على بكرة أبيهم، وذلك على الرغم من الاستماتة التي أبداها الثوريون؛ حيث بدأت الحكومة المركزية هجومها العسكري على الثوريين في 17 أغسطس1958 وتوقفت عام 1961م، بعدما أبدى الثوريون والمعارضون رغبتهم في وقف المعركة. هذا وقد سيق كل من محمد ناصر وشفر الدين وبرهان الدين هارهاب إلى السجن العسكري في سومطرا الغربية، عقابًا لهم على مشاركتهم في الحركة الثورية ضد الحكومة المركزية.

الفصل التاسع دور محمد ناصر في الحكومة الثورية

هناك تساؤلات حول الأسباب التي دفعت محمد ناصر للانضمام إلى الحركة الثورية، التي تزعَّمها قادة الجيش المنشقون؛ حيث يرى بعض المحلِّلين أن هذه الحركة الثورية لم تكن ديمقراطية، بل انعكست سلبًا على محمد ناصر، الذي خالف مبادئه الديمقراطية بمجرد الاعتراف بها. لقد سلف القول بأن محمد ناصر ظل من دعاة الوحدة الوطنية، والرافضين للانفصال، مهما كانت الأسباب الداعية إلى ذلك. كان محمد ناصر مستاءً مصلحًا أكثر منه ثوريًّا عنيفًا، نظرًا إلى ما كان يقوم به نظام سوكارنو ومن بعده سوهارتو، من تجاهل للولايات الفقيرة والريفية المحيطة بجاكرتا، الأكثر تقدُّمًا من غيرها؛ حيث إن معظم الدخل القومي استغله سوكارنو وسوهارتو، لتطوير المدن الكبرى خاصة جاكرتا وجزيرة جاوا.

لقد استاء محمد ناصر من التوزيع غير العادل للثروة، زيادة على الاهتمام بمناطق دون غيرها، استجابةً لمطالب النخبة التي تنتمي إلى جزيرة جاوا، مثل سوكارنو وسوهارتو. لقد عدَّ محمد ناصر أن تركيز التنمية في العاصمة جاكرتا والمدن الكبرى، يزيد من رقعة الظلم والسخط، وأن الحكومة المركزية تحت قيادة سوكارنو مسؤولة عن هذا العصيان والغليان في مناطق مثل جزيرة سومطرا؛ حيث إن مثل هذه التصرفات السياسية والاقتصادية غير الحكيمة، قد أدت إلى الظهور العلني للمعارضة في شكل حركة ثورية، قادها الجيش المنشق، كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الثامن.

والسؤال المثار، لماذا لم يتشاور محمد ناصر وشفر الدين وبرهان الدين هارهاب مع مجلس قيادة حزب ماشومي قبل انخراطهم في الحركة الثورية؟ مثل هذا الأمر قد أدى إلى فتح باب التكهنات أمام المحللين والمهتمين؛ ولعل محمد ناصر كان على وعي بأن ما أقدم عليه، وعزم عليه أمره، من غير التشارور مع قيادات حزب ماشومي، سيجلب له المتاعب التي هو في غنى عنها. وهناك أيضًا من يرى أن مشاركته في الحركة الثورية كانت مسألة شخصية، لا علاقة لها بالحزب. ومع ذلك في رأينا، هو تصرف مواطن مسؤول، لم يكن راضيًا كل الرضا عن سياسة سوكارنو المنحرفة، وخطط الشيوعيين غير الوطنية، التي ليست في مصلحة الوحدة الوطنية؛ فكان من الأولى أن ينضم إلى الحركة الثورية؛ عسى أن ينصلح حال نظام سوكارنو، عبر الحوار والإقناع؛ غير أن سوكارنو، الذي لم يكن يتشاور مع عقلاء الأمة، قد جعل الحركة الثورية تخرج هي الأخرى عن مسارها الوطني؛ حيث مالت إلى الدعوة إلى الانفصال.[203]

وفي ظل إعلان حالة الطوارئ في البلاد وتهديد الشيوعيين للمخالفين لسياستهم لا سيما من القادة المسلمين، ونظرًا إلى عصيان بعض قادة الجيش، لم يكن أمام محمد ناصر وشفر الدين وهارهاب إلا الانضمام إلى الحشود الغاضبة، زيادة على هروب السيد سوميطرو هادي كوسومو رئيس

الحزب الاشتراكي إلى سنغافورا. لقد كان الجميع يطمع في أن تكون الحركة الثورية طريقًا يبسًا إلى الخروج من المأزق السياسي، الذي نجم عن الانقلاب على الشرعية السياسية من قبل سوكارنو وأزلامه الشيوعيين، كما اتخذ المعارضون من الحركة الثورية وسيلة للضغط على الحكومة المركزية للاهتمام بتنمية المناطق الفقيرة والمحافظات المتخلفة.

* * * *

أولًا: دور محمد ناصر في الحركة الثورية

إن الدور الذي قام به محمد ناصر كان محل نقاش واسع وتحليل مستفيض من قبل الخبراء والمؤرخين، الذين اعتنوا بشؤون إندونيسيا واهتموا. لقد وقف المؤرِّخ المشهور ر.ز ليرزا «R. Z. Leirissa» على أن مشاركة محمد ناصر في الاجتماع التحضيري قبيل إعلان ظهور الحكومة الثورية الإندونيسية، المنعقد في 8 سبتمبر 1957م كان سببًا مهمًّا من أسباب نجاح المؤتمر، وأنه، أيضًا، وبسبب ما يتمتَّع به من نفوذ سياسي واجتماعي، تمَّ الاتفاق على تشكيل مجلس الجهاد؛ ما جعل محمد ناصر مرجعًا دينيًّا؛ حتى إنه لقِّب بالإمام طوال فترة الجهاد ضد العناصر الشيوعية في نظام سوكارنو. ومن ناحية أخرى وجدناه متحدِّثًا رسميًّا باسم الحركة الثورية التي استهدفت تصحيح أخطاء سوكارنو، التي جنت على مبادئ الدستور.[204]

هناك من القادة السياسيين من نظروا إلى مواقف محمد ناصر في الحركة الثورية بأنها قد اتصفت بالهدوء في معالجة الأمور الاجتماعية والسياسية، وهو إنْ صار راديكاليًّا، في فترة ما، إلا لأنه لم يكن يحبِّذ سيطرة الشوعيين على الحكومة المركزية. ومن جانب آخر وجدنا أن مشاركته في الحركة الثورية، كانت تستهدف قطع الطريق عن الانفصاليين في معسكر الحركة الثورية، وعدم تمكينهم من بسط أفكارهم، حول تشكيل دولة في جزيرة سومطرا، تكون موازية للدولة المركزية في جاكرتا، كما رأى الخبير الأمريكي كاهن.

وبالنسبة إلى أهداف الثورة، فيمكن الإشارة إلى ما قاله فينجي صموئيل بأنه لا مجال للمقارنة بين الحركة الثورية الوطنية، وبين حركة تحرير آتشيه، التي قامت على فكرة الانفصال عن الحكومة المركزية، وصارت هدفًا رئيسًا من أهدافها. وأما الحركة الثورية التي قمنا بها، على حد قول محمد ناصر، كانت وسيلة نبيلة للضغط على الحكومة المركزية، لإعادة المسار الديمقراطي إلى سابق عهده، وتذكير الحكومة المركزية بالمناطق الإندونيسية النائية التي كانت، ولا تزال، عرضة للفقر والأمية والحرمان والاستبعاد والتخلف.

لقد أدَّى محمد ناصر دورًا مهمًّا من خلال الحركة الثورية بوصفه متحدِّثًا رسميًّا باسمها، حيث أصدر تعليمات ملهمة لجميع أعضاء الحركة وأنصارها، وحصر تطلعاتها في إطار تصحيح المسار غير الديمقراطي، الذي سلكه سوكارنو، وتوجيه اهتماماتها الجهادية ضد الشيوعيين الملحدين، الذين يقلقون المجتمع بتصرفاتهم العفنة وقراراتهم المتعسِّفة. وتأثُّرًا بالبيانات الرسمية التي كان يصرِّح بها محمد ناصر، فقد رأى اللواء وارو «J. Warrouw» الملحق العسكري بالسفارة الإندونيسية في الصين بعد مقابلته لسوكارنو في طوكيو، بأن الأزمة السياسية في إندونيسيا يفترَض أن تعالج بطريقة سلمية بمشاركة جميع الأطراف المعنية؛ لكن سوكارنو، وبعد عودته، أصدر تعليمات إلى جواندا رئيس الوزراء، حيث طالبه باستخدام القوة في وجه المعارضين والثوريين. فبدأ اللواء سوريا دارما «Suryadarma» أحد قادة الحزب الشيوعي، والذي تولى منصب قائد القوات

الجوية، بإلقاء القنابل على منطقة بوكيت تنغي، التابعة لولاية سومطرا الغربية، في الوقت الذي كان فيه الحوار قائمًا لبحث الحلول الممكنة بطرق سلمية.[205]

وفي الحقيقة إن الحركة الثورية التي أخذت طابعًا جهاديًّا، لم تكن تستهدف إلا من عاثوا في الأرض فسادًا أمثال الشيوعيين، أملًا منها في تصحيح أخطاء سوكارنو السياسية. وإن مثل هذا التوجُّه الفكري السليم يمكن تلمسه من خلال خطبة محمد ناصر في عيد الفطر يوم 20 أبريل 1958م؛ إذ طالب المسلمين الإندونيسيين وغيرهم بإعمال الوعي والفكر في الوضع السياسي المتأزِّم. وقد أكَّد على أن سوكارنو هو الذي أوقف المسار الديمقراطي بالتعاون مع الحزب الشيوعي، الذي لم يهدأ حتى يستأصل شأفة الإسلام والمسلمين في هذه البلاد ذات العمق الحضاري الإسلامي، التي ورثناها أبًا عن جد.

لقد ظل محمد ناصر متحرِّجًا من تصرفات سوكارنو التي لا تدل بأنه رئيس مسؤول، سبق وأن عرفه واقترب منه؛ حيث تغيَّر تغيُّرًا غير معقول ولا مقبول. ولأجل المزيد من الوضوح نبسط قول محمد ناصر: «لقد بذلنا جهودًا كبرى لبناء الدولة على أساس الإيمان بالله وحده والالتزام بالشورى ،كما ورد في تعاليم ديننا، كما لم نألو جهدًا في احترام القانون، وبسط العدل، واستتباب الأمن، وتحقيق الاستقرار، ودفع الضغوط الأجنبية عن الدولة المستقلة. نعم، لقد بذلنا كل ما في وسعنا لبناء حياة اجتماعية أفضل، تقوم على التوازن الروحي والمادي، وها نحن نسير في اتجاه واحد، تحقيقًا لما جاء في القرآن الكريم { بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ } [سبأ:١٥]».[206]

لقد اجتهد محمد ناصر جهده، وهو يذكِّر وينذر ويحذِّر سوكارنو بالرجوع إلى القانون في إدارة الحكم من أجل الحفاظ على كيان الدولة ومؤسساتها.[207]ولكن اتَّضح أن سوكارنو مرَد على الفساد، وتمادى في عناده، واستمر في غيِّه؛ حيث استخدم القوة لصدِّ المعارضة، التي كانت تطالب بالعدل والمساواة وحقوق المواطنين في المشاركة في الأنشطة السياسية. يقول محمد ناصر: «لقد أدركنا ما قام به سوكارنو من أخطاء جسيمة، ووقفنا على طريقته غير الديمقراطية، في تعامله مع اقتراحات المعارضة وقادة الأحزاب. لم يلقِ السمع لتلك الاقتراحات الغيُّورة على مستقبل الوطن، بل نراه قد قام بالضغط على من لهم جرأة على تقديم النصيحة والجهر بالحق. لقد أصدر تعليماته للقيادات العسكرية بضرب المعارضة جوًّا وبرًّا، وتكميم جميع الأفواه التي تطالب ولو بالحد الأدنى من الحرية والتنمية».[208]

لم يتراجع محمد ناصر عن اتهام سوكارنو بالوقوف ضد الشرعية في إدارة الحكم، وبالسطو على بنود في الدستور تلزِم الرئيس باحترام القانون. لقد استند محمد ناصر إلى آيات قرآنية تعزِّز من هجومه على سوكارنو، بوصفه وليًّا لأمر المسلمين بحكم الدستور؛ حيث عدَّه، في حالاته المنحرفة، حاكمًا فاسدًا، يفترَض من المواطنين المسلمين وغير المسلمين عدم طاعته والالتزام بأوامره، التي هي في الحقيقة أوامر الشيوعيين العابثين بحاضر البلاد ومستقبله. وقد كانت مواقف محمد ناصر

السياسية واضحة في خطبة عيد الفطر التي ألقاها في مدينة فاليمبان؛ حيث دعا إلى جهاد الشيوعيين، لتغيير الوضع السياسي نحو الأحسن ومن أجل الصالح العام؛ لأن الإسلام أمانة في عنقنا، لتوصيله سليمًا إلى الأجيال القادمة.

لقد اعتبر محمد ناصر أن المعارضة ضد الحاكم الجائر هي شكل من أشكال الجهاد في سبيل الله، وهي فريضة إسلامية مطلوبة، لدفع الظلم عن المسلمين. وقد لخَّص خصائص الجهاد في خطبته، قائلًا: نؤكد لجميع أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك أتباع الأديان الأخرى، ولجميع أنصار الحق، أن جهادنا يستخدم جميع الوسائل الممكنة من المال والأنفس، ولا يطلب الجاه أو المناصب؛ وإنما هو من أجل مستقبل البلاد؛ حيث إن الثمرة يقتطفها الجميع من غير تفرقة عنصرية أو دينية.[209] وقد استشهد بقوله تعالى: { إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [التوبة:٤٠].

لقد أكَّد محمد ناصر على أن الجهاد ضد الحاكم الظالم، الذي يستعين بالشيوعيين المفسدين في الأرض، يصير فريضة على القادرين؛ ولهذا فإن إزالة الظلم والمنكر والفساد يعد فريضة لإنقاذ الأمة من شرور الشيوعيين الفاسدين. يقول محمد ناصر: «الجهاد الذي من المفترض أن نقوم به، هو من أجل الحفاظ على العقيدة الإسلامية سليمة، واستجلاب السلام للجيل القادم، بعد تحريره من ظلم الاستعمار الجديد، وتخليصه من تعنُّت الظالمين ممن يحاربون القيم الربانية».[210]

* * * *

ثانيًا: المعارضة ضد الشيوعية

كان الاصطدام بين أنصار الحكومة الثورية وبين أنصار الحكومة المركزية أمرًا لا مفرَّ منه. وقد اعتبر محمد ناصر أن الحكومة المركزية تحت قيادة سوكارنو قد استحالت إلى حكومة فاشية، وأن سوكارنو في تخطيه للقوانين والأعراف، يقتفي أثر هتلر في التدمير ونشر الفوضى. لقد اتَّهم سوباندريو «Subandrio» الحركة الثورية بأنها مدعومة من الفلبين وسنغافورا وأمريكا، غير أن تلك الاتهامات كما صرَّح محمد ناصر لا أساس لها من الصحة؛ وإنما تستهدف جذب انتباه الرأي العام إلى عمالة الحركة الثورية، والنيل من سمعتها الوطنية. وقد ردَّ محمد ناصر على تلك الاتهامات بأن سوكارنو يتعاون بشكل مفضوح مع الاتحاد السوفياتي الملحد، لضرب الشعب الإندونسي المؤمن بالله سبحانه وتعالى.[211] كما كشف عن مخالفة سوكارنو للدستور في النقاط الآتية:

أولًا: سوكارنو هو من أقحم الزعماء الشيوعيين في الوزارة عام 1955م، على الرغم من أن الحزب الشيوعي قد احتل المرتبة الرابعة في الانتخابات البرلمانية.

ثانيًا: بعد عودة سوكارنو من موسكو أعلن رسميًّا عن توقيف المسار الديمقراطي المتعدِّد الأحزاب، واستبداله بالحزب الواحد.

ثالثًا: بعد اشتداد المعارضة أعلن سوكارنو حالة الطوارئ في البلاد.

رابعًا: سوكارنو نفسه هو من يصرُّ على الحفاظ على الشيوعيين لاعبيين أساسيين في الحكومة.

خامسًا: قطَع العلاقات الديبلوماسية مع معظم الدول الغربية، ومتَّن العلاقات مع الاتحاد السوفياتي، كما طلب سوكارنو أسلحة نوعية ومساعدات مالية من الصين.

* * * *

ثالثًا: اقتراحات من أجل الحل السلمي

لقد حرص محمد ناصر في جميع محاولاته على تغليب الحلول السلمية على أي حلول أخرى، وتجنُّب الاصصدام العنيف والدموي مع الحكومة المركزية؛ حيث شنَّ هجومًا كلاميًّا على سوكارنو، الذي أصدر قراره العنيف، باستخدم العنف في حل المسألة السياسية، المثار حولها الجدل. وكان سوكارنو قد أبدى رغبته في عدم الاستماع إلى الاقتراحات، التي ساقها محمد ناصر لإيجاد حل سلمي عاجل وعاقل للأزمة السياسية؛ حيث ردَّ سوكارنو بأن محمد ناصر مغرَّر به، ومن السذاجة أن ينضم إلى الثوريين والمعارضين؛ فهذا أمر لا يليق بمكانته الوطنية. إن ما يشير إلى تعنُّت سوكارنو أنه لم يسمع لما قاله محمد رشيد «Muhammad Rashid» الذي كان في ذلك الوقت سفيرًا لإندونيسيا في إيطاليا؛ حيث بعث له برقية ينصحه بعدم استخدام القوة ضد المعارضين، لأن ذلك سيكون فعلاً عبثيًّا لا طائل من ورائه غير تدمير الدولة والعبث بمؤسساتها.

أكَّد محمد ناصر بأن القوات المسلَّحة التابعة للحكومة المركزية ليس بإمكانها مراقبة كل المدن، لا سيما التي هي تحت سيطرة المجلس العسكري التابع للحكومة الثورية، وأن استخدام القوة سوف يؤدي إلى نشوب حرب أهلية تأتي على الأخضر واليابس. أما محمد رشيد، فقد عرض نفسه لأن يؤدي دور الوسط، ولكن سوكارنو رفض بشدَّة بحجة أنه عضو في الحزب الاشتراكي. يقول محمد ناصر: «والأمر واضح لجميع المخلصين وكذلك لمن لديه اهتمام بسلامة الوطن، بأنه ليس هناك خيار أمام سوكارنو، إلا استخدام القوة ضد المعارضة. وأن هذا الخيار السيِّء يعد من ضمن الأسباب الرئيسة التي دفعت الدكتور أسعد «at'Ass»، وهو من الزعماء الوطنيين البارزين إلى مغادرة جاكرتا، والانضمام إلى الحركة الثورية ضد نظام سوكارنو».[212]

* * * *

رابعًا: سوكارنو زعيم دكتاتوري

لقد أصدر محمد ناصر بيانًا حول سلوكيات سوكارنو إثر تشكيله ما يسمى بنظام الحكم الجديد، أو الديمقراطية الموجَّهة. وقد وجَّه بيانه إلى جميع أعضاء البرلمان المنخدعين بآرائه الشيوعية؛ حيث أشار محمد ناصر إلى أن الديمقراطية الموجَّهة ما هي إلا وسيلة خسيسة لتحقيق طموح سوكارنو الديكتاتوري، والاستيلاء على مؤسسات الدولة لصالح الشيوعيين. لقد أكَّد بأن سوكارنو قد أهدر جميع المكتسبات الديمقراطية لا سيما بعد رجوعه من الاتحاد السوفياتي، وبعدما أغراه الزعماء الشيوعيون بالأخذ بسياسة الحزب الواحد؛ حيث استفاد الحزب الشيوعي الإندونيسي من طموحات سوكارنو السياسية للسيطرة على مفاصل الدولة.

لقد حذَّر محمد ناصر من خطورة سياسة الحزب الشيوعي، كما هو حاصل في الدول الشيوعية التي أصبحت تحت تصرف الاتحاد السوفياتي؛ إذ نلفي سفير الاتحاد السوفياتي في جاكرتا قد عبَّر عن ارتياحه للتعاون الأخوي بين نظام سوكارنو وموسكو في المجالات الأمنية والاقتصادية والسياسية. وقد أبدى محمد ناصر مخاوفه من الإجرام الشيوعي في المجتمع الإندونيسي، ومن خطورة السياسة الشيوعية على الدولة في ظل الجو السياسي السائد في جاكرتا، الذي هو في صالحهم كونهم ينشطون في المناطق التي تسود فيها الفوضى وينعدم فيها النظام.[213]

هذا وقد انتقد محمد ناصر أعضاء البرلمان الذين لم يكن لديهم الجرأة على معارضة انحرافات سوكارنو السياسية، نظرًا إلى إن نظام الديمقراطية الموجَّهة ليس له أساس، لا في الشرق ولا في الغرب. كما انتقد موافقة البرلمان على استيراد الأسلحة من الاتحاد السوفياتي وأمريكا، وتساءل لمن توجَّه هذه الأسلحة؟ أليست توجَّه إلى التنكيل بالشعب الساخط وإبادة المعارضين لنظام سوكارنو؟ ومن ثم اعتبر تغاضي أعضاء البرلمان عن انحرافات سوكارنو لا يستجيب إلى وظيفتهم القانونية والدستورية المتمثلة في إصلاح الدولة وحماية الشعب.

* * * *

خامسًا: المخططات العسكرية الإستراتيجية

رأى محمد ناصر أن استخدام القوات المسلَّحة التابعة للحكومة المركزية بإيعاز من سوكارنو رئيس الجمهورية، هو تصرُّف يفتقر إلى الشرعية من منظور الدستور. ولأجل مواجهة هذه التحديات العسكرية، قدَّم محمد ناصر للحركة الثورية توجيهات عسكرية بديلة، هي على النحو الآتي:

1. انسحاب القوات العسكرية التابعة للحكومة الثورية من المدن والتمركز في الأرياف.

2. الهجوم على قوات نظام سوكارنو في الوقت المناسب.

3. مواجهة قوات الحكومة المركزية في الشوارع الرئيسة المؤدية إلى المدن الكبرى.

لقد وجَّه محمد ناصر اللوم لسياسة الحكومة المركزية بعدما خطب جواندا رئيس الوزراء في المواطنين بمناسبة عيد الاستقلال في 17 أغسطس 1958م، حيث ادعى أن الحكومة بذلت جهودها لرفع مستوى الاقتصاد من طريق التنمية الشاملة. وعلى الرغم من حسن نوايا الحكومة المركزية تجاه التنمية الاقتصادية؛ إلا أنه لا يمكن، في نظر محمد ناصر، تحقيق الأهداف الإنمائية إن لم يكن هناك حوار ديمقراطي مع المعارضين للنظام، الذين لا شكَّ في أن لهم مخاوفهم تجاه مستقبلهم ومستقبل بلادهم، لا سيما أن الديكتاتوري غير مقبول في كل الأحوال وإن هادنوه؛ إذ رفض سوكارنو رئيس الدولة كل الحلول السلمية، التي عرضها زعماء الأحزاب المختلفة، بل إنه استغل سلطته للهجوم على المناوئين لسياسته. [214]

سادسًا: سوكارنو وجهله بإدارة الحكم

جدَّد محمد ناصر هجومه على سياسات سوكارنو، ووصفه أنه غير قادر على إدارة الحكم بمجرَّد انقلابه على الشرعية الديمقراطية. كما عدَّ تفكيره غير عقلاني، وهو يخرج على الأمة الإندونيسية بفكرة الديمقراطية الموجَّهة، التي ازَّينت لدى رئيس الوزارء واستحسنها المناصرون، بعد أن فصَّل لباسها الشيوعيون. ولا شكَّ في أن سارتونو نائب الرئيس يشارك، هو الآخر، في التمثيل السياسي المكشوف، الذي يؤدي بالدولة إلى الكشف عن سوءاتها، ومن ثم تفكيك مؤسساتها، لا سيما أن فكرة الديمقراطية الموجَّهة باتت نغمة شاذة في القصر الجمهوري، يرقص على أنغامها الناشزة أعوانه الشيوعيون، ووزراؤه المنتفعون، بحجة أن الديمقراطية الموجَّهة تعتمد على مبادئ بنتشاسيلا في الحفاظ على الوحدة الوطنية.

يكاد محمد ناصر يصرخ بأن الديمقراطية الحقيقية ليست خاضعة للحاكم أو من تدبير رئيس الدولة، بل هي التي تخضعه لتحقيق مطالب الأمة؛ إذ يقول: «إن حركتنا الثورية تتسم بالشرعية في معارضة سياسة سوكارنو، الذي تخلى عن المبادئ الديمقراطية، وأضاع حقوق الشعب المكفولة في الدستور؛ ما جعل الدولة الآن مثل الغابة المظلمة الأجواء، والظالمة بقانون الغاب؛ حيث بات الأقوى هو من يستطيع البقاء في الحكم». [215] إلا أن محمد ناصر كثيرًا ما كان يأسف لعمل البرلمان غير الديمقراطي؛ إذ يفترَض من البرلمان أن يكون صوت الشعب، وليس من يسكِت هذا الصوت الذي يطالب بحقوقه المشروعة، التي كفلها الدستور. فعندما يخالف النظام والبرلمان الدستور، فلا أمل إلا في المعارضة التي شاءها سوكارنو أن تكون معارضة ثورية يقمعها بالحديد والنار.

سابعًا: استغلال سوكارنو للقوات المسلَّحة

بمناسبة ذكرى عيد الميلاد الثامن للقوات الإندونيسية المسلَّحة، أصدر محمد ناصر بيانًا يخاطب فيه جميع المنتسبين إلى القوات المسلَّحة، ويشيد بجهودهم التاريخية في تحرير البلاد من الاستعمار الهولندي، ويطالبهم بحماية الدولة من شرور الشيوعيين وأزلام النظام الفاسدين. كما قام بالتصريح في بيان عام بأن ما قام به سوكارنو يعدُّ عملًا غير دستوري، جرَّاء استغلاله للقوات المسلَّحة في قمع المعارضة بما يخالف القانون، ويعرِّض أفراد القوات المسلَّحة للمثول أمام القضاء، ومن ثم تعريض حياتهم المدنية للخطر.

وقد ذكر محمد ناصر بأن القوات المسلَّحة التي هي الآن تحت وصاية وزارة الدفاع، قد تشكَّلت نواتها الرئيسة قبل الاستقلال؛ فكانت محاربة للاستعمار الهولندي، وكثيرًا ما قضَّت مضجعه، وسبَّبت له القلاقل، وأثارت فيه المخاوف. وبناءً على هذه المصادر الموثوقة، وفي 5 أكتوبر 1945م، تمَّ الإعلان رسميًّا عن تشكيل ما بات يعرف بالأمن الشعبي. وفي 17 ديسمبر 1945م، صارت القوات المسلَّحة وحدة رئيسة في الحفاظ على أمن الدولة والشعب بقيادة الجنرال سوديرمان «Sudirman» الأب الروحي للقوات المسلَّحة.

كرَّر محمد ناصر هجومه على سوكارنو وأعوانه، ورأى بأنه لم يكن لهم دور مهم في طرد الهولنديين من أرض الوطن. وقال بأن سوكارنو كان يرفض أوامر الجنرال سوديرمان في مواصلة الجهاد ضد الهولنديين وعدم مغادرة مدينة يوكياكرتا، التي كانت في ذلك الوقت تمثل عاصمة الدولة، والتي كانت تنطلق منها شرارات الجهاد ضد إدارة الاحتلال الهولندي. وكان رفض سوكارنو يعني عدم رغبته في تحمُّل المسؤولية، وفضَّل البقاء خوفًا على حياته، بينما غيره فضَّل الشهادة في سبيل الله أو العيش في كرامة وعزَّة. وكانت القوات المسلَّحة، وقتذاك، تحت قيادة شفر الدين الذي تولى منصب رئيس الدولة بالنيابة؛ حيث حاربوا جميعًا الاستعمار الهولندي، وحققوا عليه انتصارات تاريخية.

تأسيسًا على ما سرد محمد ناصر من روايات تاريخية، تبيَّن لنا أن سوكارنو لم يكن مجاهدًا ولا محاربًا، بل كان هيَّابًا متردِّدًا، مقبلًا على الحياة، وجِلًا من الموت. لقد كان هدف سوكارنو من المشاركة الشكلية في صدِّ العدوان الهولندي، هو الوصول إلى سدَّة الحكم بشكل من الأشكال، وتحت أي شعار أو انتماء يحقِّق من خلاله آماله، ولو على حساب آلام الآخرين، الذين ضحوا بأموالهم وأنفسهم من أجل أن يكون سوكارنو حاكمًا؛ حيث شاءه القدر أن يكون كذلك.

لقد غيَّر سوكارنو اسم القوات المسلَّحة، وأطلق عليها اسم القوات الحربية للجمهورية الإندونيسية. كما واجهت القوات المسلَّحة فتنًا كقطع الليل؛ إذ رغب سوكارنو في استخدام القوات المسلَّحة، لأغراضه الخاصة، وتحقيق طموحاته الشخصية، بدلًا من أن تكون أداة مشروعة للدفاع عن الوطن

من كيد الكائدين. وقد قام سوكارنو بتنصيب الكولونيل بمباغ أوتويو «Bambang Utoyo» قائدًا للجيش من غير مراعاة قوانين الاختيار والرفض؛ حيث احتجَّ أفراد القوات المسلَّحة، واعتبروا هذا التعيين لا يراعي المراتب القيادية والتقاليد العسكرية. [216]لقد مارس سوكارنو ديكتاتوريته على القوات المسلَّحة، وجعلها هدفًا وطنيًّا لخدمة مصالحه الشخصية، التي تتمثل أيضًا، في استعباد المعارضة واستبعادها من المشهد السياسي، ليخلو له الجو، هو وأعوانه من الشيوعيين، الأشد عداوة للذين أسلموا وسالموا.

ومما لا شكَّ فيه أن القوات المسلَّحة قد قامت بتوحيد صفوفها، وأنقذت نفسها من التفكيك أو العمل لجهة نافذة في الدولة؛ حيث توصَّلوا في الأخير إلى إصدار وثيقة يوكياكرتا. وقد بيَّن محمد ناصر أن تشكيل اللجنة كان من مهامها الأساسية، هو الدفاع عن نفسها ضد من يرغب في استغلال دورها الوطني لأغراض سياسية. [217] وقد سعى أعضاء اللجنة إلى تحقيق أهدافهم في الحفاظ على سلامة الشعب والوطن، والقضاء على المحاولات الخبيثة من أصحاب المصالح السياسية في الحكومة المركزية.

لقد شعر سوكارنو بخيبة أمل، نظرًا إلى ما قام به قادة الثورة في محاولتهم الجادة لتفعيل الدور التاريخي والوطني للقوات المسلَّحة، والوقوف على مهامها الحقيقية؛ فمن غير استغلال سوكارنو للقوات المسلَّحة ما كان يمكن له القضاء على المعارضة، ومن ثم لم يكن أمامه غير وضع العقبات أمام تلك المحاولات الوطنية من قبل المعارضة في استرجاع الدور الوطني للقوات المسلَّحة. وقد توقَّع محمد ناصر بأن سوكارنو يعمل جاهدًا لاستغلال القوات المسلَّحة في تحقيق مآربه، لاتخاذ الحزب الوحيد محورًا رئيسًا تدور حوله الدولة. وفي الحقيقة إن سوكارنو هو الذي غيَّر من وجهة الجيش، فلم يقم بمهامِّه الوطنية المتمثلة في عدم التدخل في الشأن السياسي لصالح الرئيس أو الوزير أو المعارض؛ حيث اقتفى سوهارتو أثر سوكارنو في تطويع الجيش لصالحه بعد تولي الحكم. لقد ذكر محمد ناصر عدد القتلى الكبير من أفراد القوات المسلَّحة، التي خاضت حربًا داخلية ضد الحكومة الثورية الموازية؛ بينما أخفى سوكارنو عدد القتلى واستهان بعددهم؛ إذ هو في الواقع أكثر مما صرَّح به.[218]

لقد خاطب محمد ناصر أفراد القوات المسلَّحة بمناسبة الذكرى الخامسة للحركة الجهادية التابعة للحكومة الثورية الموازية، قائلًا: «عليكم بإدراك وظيفتكم النبيلة المتمثلة في حماية الوطن من الشيوعيين والوقوف مع المظلومين وليس ضدهم. واعلموا أن كل قطرة دم منكم تسهم في نمو ثمرة العدالة والحرية والديمقراطية والتنمية، التي لا تعجب صنَّاع الديكتاتورية في البلاد. إنكم أنتم حماة الوطن وروح الثورة، التي انطلقت شرارتها منذ أمد بعيد تحت قيادة الجنرال سوديرمان، لطرد الاستعمار الهولندي من غير رجعة».[219]

* * * *

ثامنًا: بيان حول حركة الجهاد

وبمناسبة حفلة تخرُّج طلبة جامعة دار الحكمة، أكَّد محمد ناصر على أهمية المعارضة في وجه نظام سوكارنو الفاسد. وقد نبَّه محمد ناصر جميع الطلبة لأهمية العدل والحق في حياة الأمم والدول، وطالبهم بعدم الاغترار بألاعيب سوكارنو السياسية وأباطيله الفكرية. وتأكيدًا على كلامه أشار محمد ناصر إلى قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «من رآى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».[220] كما حذَّر محمد ناصر من أن إيمان المسلمين في إندونيسيا ليس بذلك المستوى المطلوب في ظل سكوتهم عن المنكر، على الرغم من أنهم غير راضين بما يحدث في البلاد من حرب شعواء على الإسلام من قبل الشيوعيين، وأن كثيرًا منهم ليست لهم الجرأة على دفع الظلم عن أنفسهم وعلى المستضعفين في الأرض. وفي خطابه طلب من جميع الخريجين رفع أيديهم بالدعاء لنصرة الحق في وجه الباطل.[221]

* * * *

تاسعًا: اختفاء النظام الديمقراطي

عبَّر سوباندريو الذي تولَّى منصب وزير الخارجية الإندونيسية عن اعتزازه بإدارة سوكارنو للحكم، كما عبَّر عن تقديره لسوكارنو بوصفه رجلاً حكيمًا تميَّز بكفاية عالية في حل المشكلات السياسية الناجمة عن أزمة الديمقراطية في البلاد. وقد تبجَّح سوباندريو بالقول: إن التعدد الحزبي يعوق طموحات الدولة، نظرًا إلى أن النظام الديمقراطي لا يتلاءم مع البيئة والثقافة والتقاليد والعادات في إندونيسيا. وقد ردَّ محمد ناصر على أقوال سوباندريو التي تفوح منها رائحة الشيوعية والديكتاتورية بأن الدولة الطامحة للعلا تبنى على أساس ديمقراطي بيئي صحيح، لا علاقة له بالنظام الديمقراطي الليبرالي. وأضاف محمد ناصر بأن تحركات سوكارنو السياسية تفتقد إلى الشرعية الوطنية والدولية، مؤكِّدًا للجمهور بأن الدولة منذ نشأتها قامت على المبادئ الدينية «الإيمان بالإله الواحد»، وفي هذا دلالة على أننا مسؤولون أمام الله الواحد القهَّار.

أكَّد محمد ناصر على أن كل فرد في الوجود له الحق في الحياة، وهذا الحق هو من يدفع بعجلة تقدم الدولة نحو الأمام. والأهم من ذلك أن جميع المشكلات السياسية لا بد من معالجتها بطرق سلمية، وعلى جميع أعضاء البرلمان الالتزام بمسؤوليتهم في تحقيق العدالة والتنمية؛ فقد اختارهم الشعب لخدمته وليس لخدمة رئيس الجمهورية، ولا يتحقق لهم مرادهم من خدمة الشعب إلا بالإخلاص في أعمالهم لله سبحانه وتعالى. وبعكس ما يروِّج له سوكارنو وأنصاره من أن تعدُّد الأحزاب يعدُّ سببًا رئيسًا من أسباب ظهور الأزمة السياسية، فإن حاكمية الحزب الواحد هي حاكمية غير ديمقراطية؛ لأن الإنسان لا يحكم بمفرده، ومن غير مشورة غيره؛ وإلا عاث في الأرض فسادًا، كما هو حال الأنظمة الشيوعية الشمولية في العالم.

إن مثل هذه السياسية التي يتبعها سوكارنو ويفرضها فرضًا على مؤسسات الدولة، ما هي إلا طغيان سياسي، لا مرجعية سياسية له في العالم الحر. وقد عبَّر محمد ناصر عن أهمية الحفاظ على المبادئ الديمقراطية في الدولة؛ حيث أوغل في الهجوم على حيل سوكارنو على العملية الديمقراطية في البلاد، والالتفاف على مكتسباتها الوطنية والتاريخية. وإن الدولة من غير معارضة، في نظر محمد ناصر، ستكون دولة فاشية في الداخل وفاشلة أمام العالم الديمقراطي.

إن ظهور حركة الجهاد المنبثقة عن قرارات الحكومة الثورية الموازية، هدفت إلى التصحيح لما قام به سوكارنو من تجاوزات خطيرة في حق العملية الديمقراطية السلمية، وإخراس صوت المعارضة، والإلقاء بهم في غيابات السجن. وهي مخططات خبيثة لإشغال القوات المسلَّحة عن دورها الرئيس وهو حماية الدستور من عبث العابثين، وعلى رأسهم سوكارنو وأنصاره من الشيوعيين؛ فلا يوجد مسمَّى الديمقراطية الموجَّهة إلا في خيالاته، وهي من بنات خزعبلاته. وكما صرَّح رسلان عبدالغني «Ruslan Abdul Ghani» المتحدث باسمه؛ فإن رئيس الدولة يعتزم تقليص الأحزاب المعارضة إلى حزب واحد، يكون هو الحاكم بحيث يوجِّه الديمقراطية بأوامر الرئيس نفسه، كما

يدعو إلى تغيير البرلمان إلى مجلس استشاري، يتكوَّن أعضاؤه من المحترفين. ومن ثم فإن سوكارنو يرغب، من وراء هذه التغييرات السياسية والقانونية، البقاء رئيسًا لإندونيسيا مدى الحياة، وقائدًا عامًّا للقوات المسلَّحة، ورئيس الحزب الواحد. وقد ألمح إلى ذلك في خطاب ألقاه في ذكرى عيد الاستقلال في 17 أغسطس 1958م، مفاده: إن الحق في المشاركة السياسية -عبر التعدد الحزبي- المنصوص عليه في القرار الجمهوري لعام 1945م، يعاد النظر في بنوده تمهيدًا للتخلي عنه نهائيًّا لصالح الحق في المشاركة عبر الحزب الواحد. [222]

* * * *

عاشرًا: حدود الدكتور محمد حتًّا ودوره السياسي المتوقَّع

لقد رسم محمد ناصر الدور الذي كان يفترَض أن يقوم به الدكتور محمد حتًّا بوصفه نائبًا لرئيس الجمهورية، إثر استقلال الدولة من قبضة الاستعمار الهولندي. وإن ما رسمه محمد ناصر لا يمكن فصله عن البيانات الصادرة من قبل الحكومة الثورية في 10 يناير 1958م، ويمكن إجماله في الآتي:

1.طالبت حركة الجهاد من سوكارنو العودة إلى القانون في إدارة الحكم، وإتاحة الفرصة إلى كل من السيد الدكتور محمد حتًّا لتشكيل حكومة تكنوقراطية.

2.طالبت من أعضاء البرلمان تأييد مطالبهم.

كان هذان المطلبان من المطالب التي أمكنها أن تشرع الباب أمام الحلول السلمية من قبل الحكومة الثورية الموازية للخروج الآمن من الأزمة السياسية، التي تعصف بكيان الدولة. ومن المؤسف أن سوكارنو رفض هذه المطالب والاقتراحات، وردَّ عليها بعنف عسكري في ظل صمت مطبق من البرلمان، الذي لم يؤدِّ مهمته التي تتمثل في التهدئة والحوار والإقناع. وفي الحقيقة إن محمد حتًّا قدَّم اقتراحًا في شهر مارس 1957م، ينصح فيه سوكارنو بإجراء حوار مباشر مع مجلس حركة الجهاد، بوصفه حلًّا سلميًّا قد يفضي إلى انفراج الأزمة السياسية والعسكرية، غير أنه لم يتلقَّ ردًّا مباشرًا على اقتراحه الإنساني. وفي اليوم التالي جاءت تقارير من الصحف الشيوعية تتهم الدكتور محمد حتًّا بأنه يتعاون مع المعارضة ويدعمها، على الرغم من أنه أبدى عدم استعداده لمواصلة الحوار مع زعماء المعارضة إذا هو لم يتلقَّ ردًّا إيجابيًّا من سوكارنو.[223]

بناءً على تلك الحقائق التاريخية، يمكن القول: إن محمد حتًّا لم يكن له موقف ثابت تجاه تصرفات سوكارنو المخالفة لروح القانون. هناك أيضًا تساؤلات من قبل المحلِّلين: لماذا لم يعارض محمد حتًّا ما قام به سوكارنو من إيقاف للمسار الديمقراطي، وطرح فكرة الديمقراطية الموجَّهة؟ وقد اتَّضح أن سوكارنو كان حازمًا مع مخالفيه، وكان يستعمل القوة في ثنيهم عن معارضته، بل كان له جواسيس من المخابرات، يعلم من خلالها كل صغيرة وكبيرة تحدث في محيطه، ومن ثم لم يكن لأحد أن يعارضه بينما هو يجاوره.[224]

ولأجل معرفة مدى ولاء الدكتور محمد حتًّا لسوكارنو، قام محمد ناصر بتذكيره بالتصريحات التي أدلى بها في خطابه بمناسبة ذكرى عيد الاستقلال عام 1958م؛ حيث طالب حتًّا بمراجعة مقدمة الدستور بهدف تحقيق مزيد من العدالة والدفاع عن حقوق المواطنين. وإضافة إلى ذلك أشار محمد ناصر إلى ما قاله حتًّا بأن الدولة حصلت على استقلالها بعون الله سبحانه وتعالى ورحمته، وبمساندة كاملة من شعبها. وفي هذا ما يدل على مدى تواضع الدكتور حتًّا أمام الشعب؛ فما زال يعد من المسؤولين القلائل، الذين يتذكرون دور الشعب في حصول إندونيسيا على الاستقلال. والخير في

مثل هؤلاء باقٍ ما داموا يشكرون الله على ما أنعم عليهم من نعمة الاستقلال، وتخليصهم من الظالمين والمستعمرين والمحتلين. لقد طالب محمد ناصر من المواطنين التأمل في معاني «البركة ورحمة الله» بوصفها حلًّا آخر للأزمة السياسية التي تعانيها الدولة؛ إذ لا بد من التكاتف والتراحم في مثل هذه الأيام العصيبة.

وقد أورد محمد ناصر ما قاله الدكتور حتًّا في تصريحاته الحكيمة التي يتساءل فيها: «كيف نفوز ببركة الله ورحمته في المستقبل؟ ولماذا تعاني الدولة من الأزمة، وكأن الله سبحانه وتعالى غير راضٍ عنا؟». [225] وللإجابة عن تلك التأملات، في نظر محمد ناصر، يفترَض الوعي بأهمية التعاليم الربانية التي هي مصدر العدالة والتنمية، بحيث على كل واحد منا أن يطبّقها في حياته، سواء أعلى مستوى الأفراد أم المجتمع، ثم تفعيلها في مؤسسات الدولة.

لقد تأكَّد لمحمد ناصر أنه من أجل تجاوز الدولة للأزمة السياسية والاقتصادية والحصول على بركة المولى سبحانه وتعالى، لا بد من الإخلاص في العمل والالتزام بالقيم الدينية. واعتبر محمد ناصر أنه من ضمن أسباب قلَّة البركة في مجتمعنا أن الدولة يقودها ظالم ليس له رغبة في تحقيق العدل في المجتمع؛ حيث استشهد بقوله سبحانه وتعالى: { وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا } [الإسراء:١٦]. وإن هذه الآية الكريمة، كما يرى محمد ناصر، هي إنذار من الله سبحانه وتعالى للدول الظالمة، التي يغرقها الله في مآزق سياسية واقتصادية من جرَّاء أفعالها السيِّئة، ونسأل الله ألا يأخذنا كما أخذ الظالمين.

لقد قام الدكتور محمد حتًّا بنقد سياسة سوكارنو، كما قام بمسؤوليته التاريخية أحسن قيام، وبما يفرضه الواجب الوطني، وذلك طبعًا في حدود ما يسمح به قانون الظالمين. وفي الحقيقة إن الدكتور محمد حتًّا نبَّه الجميع لإيجاد حل سلمي للأزمة السياسية والعودة إلى الشرعية السياسية، والالتزام بمبادئ الدستور، والاحتكام إلى البرلمان في أجواء ديمقراطية تسمح له بأداء وظيفته القانونية.

جاءت فكرة الديمقراطية الموجَّهة لإضعاف المعارضة؛ حيث عدَّها سوكارنو سياسة حكيمة تستجيب للمبادئ الديمقراطية التي تمَّ صياغتها في بداية الاستقلال. وكانت هذه السياسة في ظاهرها دعوة للممارسة الديمقراطية بما يتناسب مع طبيعة التحولات الإقليمية والدولية؛ ولكن في واقعها، كما يرى محمد ناصر، تنطوي على حيل ديموقراطية لترسيخ الاستبداد في مؤسسات الدولة، ومن ثم السيطرة الكاملة على مفاصلها باسم القانون.

قبل ذلك قام سوكارنو باستبعاد اللجنة الاستشارية التي تمَّ تشكيلها إثر الانتخابات العامة عام 1955م، ومن ثم لم تستمر في أداء مهمتها الوطنية، التي تتمثل في إعادة صياغة دستور 1945م. وفي المرحلة التالية قام سوكارنو بالتدخل في عمل البرلمان والالتفاف على ما يصدره من قوانين قد لا تكون في صالحه؛ حيث طلب من جميع أعضاء البرلمان إيقاف اللجنة الاستشارية عن عملها، والالتزام بقانون الطوارئ الذي نص عليه دستور 1945م. ولا شكَّ في أن مثل هذه التصرفات المنفردة قد أساءت لمؤسسات الدولة وأصابتها بالشلل.

كان في إمكان الديمقراطية الموجَّهة أن تتوصَّل إلى حلول للأزمة السياسية لو حدث تنوُّع في الأفكار وتبادل في الآراء؛ لكن كل ذلك بدا مرفوضًا عند سوكارنو، حيث لم يعد يقبل إلا برأيه. كما وجدنا أن اللجنة الاستشارية ظلت من غير شرعية قانونية، وأن بعض أعضاء هذه اللجنة قد مالوا إلى سوكارنو، واستجابوا إلى مطالبه وإن بدت غير مقبولة دستوريًّا.

وردًّا على سياسة سوكارنو المنفردة بآرائها، وجدنا محمد ناصر يقدِّم التماسًا لأعضاء البرلمان، أملًا منه في مراعاة الأمور الآتية:

1. عرض الآراء الثابتة لمواجهة الضغوط المستمرة من رئيس الدولة مع عدم التنازل عن حقوق الشعب الإندونيسي والدفاع عن مطالبه.

2. ضرورة وعي أعضاء البرلمان بدورهم التاريخي والوطني، وأن يأخذوا على عاتقهم مسؤولية إعداد قوانين تضمن تحقيق العدل والأمن في الدولة.

3. الطاعة واجبة لرئيس الدولة؛ ولكن ليس على حساب القانون الذي هو فوق الجميع.

ولا شكَّ في أن هناك تساؤلات من قبل السياسيين، حول مدى تدخُّل رئيس الدولة في تعديل دستور 1945م، عبر تدخلاته غير المشروعة في عمل البرلمان. وكانت إجابة محمد ناصر أن ما يقوم به سوكارنو ما هو إلا مناورة سياسية لتهيئة الرأي العام للتغييرات القادمة، التي هي أشدُّ وطأة على العملية السياسية ومسارها المتعدِّد الأحزاب. [226]

وكان سوكارنو في ذلك الوقت يشعر بالإحباط من جرَّاء انتقادات المعارضة اللاذعة، التي ناشدته بالعودة إلى القانون. وإن مثل هذه المناشدة يمكن ملامستها مما قام به محمد ناصر؛ حيث أصدر تصريحات ينتقد فيها نظام الديمقراطية الموجَّهة، كما انتقد تشكيل سوكارنو للجنة قومية تتعارض تمامًا مع المبادئ الديمقراطية.

ومع ذلك جاء سوكارنو بلعبة سياسية جديدة على حسب قول معاونه السيد رسلان عبدالغني، وهي على النحو الآتي:[227]

1.إيقاف نظام التعدد الحزبي، وشطب القرار الجمهوري رقم 9 لعام 1945م.

2.حل البرلمان المنتخَب عام 1955م وتبديله بنظام برلمان جديد، يكون أعضاؤه ممن يختارهم الرئيس سوكارنو بنفسه.

قام سوكارنو بتسليم مسوَّدة الدستور الجديد إلى البرلمان لاتخاذ الإجراءات اللازمة والمصادقة عليه. طبعًا لم يسلم سوكارنو من الانتقادات، وقد انتقده محمد ناصر واعتبره أنه يرغب في تغيير وظيفة البرلمان الوطنية، والتنصُّل من مهامِّه الحقيقية التي تتمثل في الاستجابة لإرادة الشعب. وبالفعل فقد استغل سوكارنو ضعف البرلمان وولائه لنظامه الفاسد، الذي لم يسلم منه الدستور التوافقي لعام 1945م. ومهما تبجَّح سوكارنو بالعودة إلى القانون عبر إدخال تعديلات على الدستور، وإجراء إصلاحات في البرلمان ومؤسسات الدولة، فهي مجرَّد خدعة سياسية يخدع بها الرأي العام، الذي كان يكافح من أجل اكتساب لقمة العيش كما كان يعتقد محمد ناصر.

زيادة على ذلك يقول محمد ناصر: إن جميع البنود المنصوص عليها في دستور 1945م، لا تنص إطلاقًا على أن أعضاء البرلمان يعيَّنون من قبل رئيس الدولة، بل عبر انتخابات حرَّة ونزيهة. وهذه هي أهم المراحل التي سلكها سوكارنو في خداعه السياسي للأمة والبرلمان:

1.الانقلاب على الدستور.

2.التضييق على الذين طالبوه بالالتزام بمبادئ الدستور وعدم اتباع هواه؛ إذ لا يليق ذلك برئيس دولة.

3.مراقبة أعمال البرلمان، وفرض سلطته على قراراته الوطنية، التي لا تنسجم مع سياسته.

4.تشكيل برلمان جديد يكون أعضاؤه من المحترفين، بحيث يقوم المجلس القومي بمراقبة أعماله.

ثاني عشر: تأسيس الحكومة الفيدرالية

بعد أن قام سوكارنو بتغييرات سياسية وبرلمانية وقضائية خطيرة، تمهِّد لفترة ديكتاتورية كما كان يتوَّقع السياسيون والمحلِّلون، اقترح محمد ناصر فكرة تأسيس الحكومة الفيدرالية لإنهاء الأزمة الناجمة عن انفراد سوكارنو بالمؤسستين التشريعية والتنفيذية في البلاد. وجاءت فكرة محمد ناصر على النحو الآتي:[228]

1.الالتزام بمبادئ الديمقراطية مع الإيمان بالله الواحد.

2.تشكيل نظام حكم قادر على إجبار الحكومة المركزية باتباع سياسة التوزيع العادل للثروات الطبيعية، بحيث يستهدف هذا النظام تحقيق التوازن بين الحكومة المركزية والولايات الأخرى، فيما يتعلق بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

3.تشكيل حكومة فيدرالية يكون من مهامها الخاصة مراقبة خطط التنمية الاقتصادية والسهر على نجاحها. إضافة إلى إتاحة الحرية الدينية للجميع؛ وبذلك تهدف الحكومة الفيدرالية إلى الحفاظ على الوحدة الوطنية بين الولايات الإندونيسية، تماشيًا مع شعار الدولة «الوحدة في ظل التنوع العرقي والديني».

* * * *

ثالث عشر: انتقادات محمد ناصر لجواندا
رئيس الوزراء

وإذْ طالب محمد ناصر في 21 مارس 1959م من جميع أعضاء البرلمان الالتزام باللوائح القانونية لعام 1945م؛ فقد عارضه جواندا رئيس الوزراء، وعدَّ أن تعديلات الدستور ستكون وفقًا لرغبة سوكارنو، ومن ثم طالب البرلمان بالموافقة على وثيقة باندونج للتخلص من جميع أعضائها. وبناءً على تلك السياسة المنفردة، توقَّع محمد ناصر أن ذلك من بوادر السيطرة على البرلمان. وفي الحقيقة إن مجلس الشعب والبرلمان لهما نظامهما الخاص في كيفية اختيار الأعضاء، وأن سياسة التدخل في اختيار أعضاء البرلمان من غير انتخابات، هي نفسها السياسة التي سلكها سوهارتو بعد توليه السلطة.

وفي 27 مايو 1959م أصرَّ جواندا على نصرة سياسة سوكارنو في تعديل دستور 1945م. ومن المستغرب أن الطريق التي سلكها جواندا في إقناع الآخرين كانت مليئة بالكذب والخداع. وعندما اقترح السيد سيف الدين تشكيل لجنة الوفاء بمطالب الولايات الإندونيسية، تمَّ رفض هذه الفكرة بحجة أنها تتناقض مع روح القانون. وإن هذه الحجج كانت هي الأخرى خدعة قانونية، كما صرَّح بذلك محمد ناصر في معرض انتقاداته لجواندا رئيس الوزراء. كما حاجج محمد ناصر بأن تشكيل المجلس القومي من قبل سوكارنو هو عمل يتنافى مع أدنى مبادئ القانون، ولا يستجيب لإرادة الشعب.

أما فيما يتعلق بأعضاء البرلمان الذين تمَّ تعيينهم من قبل سوكارنو هم في الغالب من قادة الجيش، على الرغم من أنه محظور على الجيش ممارسة السياسة بموجب القانون. وإن هذه المخاوف من أفعال سوكارنو الارتجالية كانت في محلها؛ إذ يفترَض دستوريًّا أن أعضاء البرلمان ينتخبون من الشعب، ولا يعيَّنون من رئيس الدولة. وردًّا على انتقادات محمد ناصر، قال جواندا رئيس الوزراء، إنه ما دام الدستور لا ينص بشكل واضح على النظام البرلماني في هذه المسألة المثار حولها الجدل، فإن تعيين أعضاء البرلمان من قبل رئيس الجمهورية لا يحيد عن الشرعية الدستورية.

رأى محمد ناصر أن سوكارنو استغل جميع وزرائه بما فيهم رئيس الوزراء في الترويج لتغييراته السياسية والقانونية، تمهيدًا للطريق للبقاء في منصب الرئاسة مدى الحياة. وإن التصريحات التي كان يردِّدها بشأن الاحتكام إلى الدستور، ما هي في نظر محمد ناصر إلا مناورة لتحقيق مآربه. وإن السيد براوتو مانكو ساسميتو من حزب ماشومي قد رأى هو الآخر أن احتكام سوكارنو لدستور عام 1945م، ما هي إلا وسيلة غير نبيلة يهدف من ورائها إلى الاستمرار في حكم البلاد بأفكاره، التي بات يفرضها قسرًا على الجميع بما فيهم البرلمان.

* * * *

رابع عشر: سوكارنو ضد زعماء أحزاب المعارضة

في ظل انتقادات المعارضة لسياسته الخاطئة، وجَّه سوكارنو إنذارًا شديد اللهجة لزعماء المعارضة بوصفهم أعضاء في البرلمان، وسعى جاهدًا إلى مضايقة كل من يقف عقبة كأداء أمام طموحاته السياسية. وحسب الحقائق التاريخية فإن سوكارنو قد واجه هو الآخر تحديات جسام من المعارضة، نظرًا إلى الآتي:

1.وجود زعماء سياسيين لديهم جرأة بالغة لمعارضة سياسة سوكارنو الفاشية.

2.هناك أمر غير متوقَّع لدى سوكارنو بأن الإسلاميين إذا واجهوا ظلمًا سياسيًّا، قابلوه بتوحيد صفوفهم دفاعًا عن الحق والعدالة.

وإن مثل هذين الموقفين تحديا سوكارنو فلم يتمكَّن من الحصول على الموافقة المجانية لمطالبه من أعضاء البرلمان. ومن المؤكَّد أن سوكارنو أصرَّ بعناده على حل البرلمان، بما تكفله سلطته غير العادلة، وليس بما يكفله الدستور؛ إذ هو رأس الدولة وأول المخالفين للدستور.

لقد أعرب محمد ناصر عن شكره لما أبدته المعارضة في البرلمان من مواقف سياسية ووطنية، وأن التزام المعارضة بمبادئ الحرية والعدالة هو محل تقدير يزيد من تعزيز الديمقراطية في مؤسسات الدولة؛ إذ يقول: «وفي الواقع أن الالتزام الثابت بالمبادئ الديمقراطية الذي نحن بصددها، لا يمكن تحقيقها إلا إذا كان كل واحد منا له قابلية عالية للتضحية. والأمر الذي لا يمكن تجاهله أن المبادئ الديمقراطية والإيمان بالله سبحانه وتعالى لا يمكن تفعيلها في المجتمع السياسي والمدني، إذا لا توجد جرأة الرد على جميع التحديات العدوانية».[229]

وبوصفه الناطق الرسمي باسم حركة الجهاد ضد الحكومة المركزية، أوضح محمد ناصر أن الهدف الأخير من الكفاح هو استعادة الشرعية السياسية وعودة المسار الديمقراطي إلى سابق عهده، مع الاعتماد الكلي على مبدأ الإيمان بالله الأحد في منطقتنا ذات الموقع الاستراتيجي في جنوب شرق آسيا. وإن نجاح حكم الإسلام في إندونيسيا يفضي إلى نجاحه لدى دول الجوار. ولا نخفي سرًّا إذا قلنا: إن بعض الدول المجاورة قد عرضت رغبتها في مساعدتنا في التغلُّب على مشكلاتنا الاقتصادية».[230]

وقد عبَّر محمد ناصر عن تقديره البالغ لجميع أعضاء البرلمان، لا سيما المعارضة، على عرض أفكارهم التي تتضاد مع سياسة سوكارنو. واعتبر أن معظم المواطنين على إيمان راسخ بأن الحق سوف يتغلَّب على الباطل إنْ عاجلًا أم آجلًا، مستشهدًا بقوله تعالى: { وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا } [الرعد:١٧].

* * * *

خامس عشر: محمد ناصر وخطابه إلى العالم الإسلامي

وجَّه محمد ناصر خطابًا سياسيًّا في المؤتمر الدولي المنعقد في دمشق عام 1960م لمعالجة قضايا الأمة بما فيها قضية فلسطين، واستقلال الجزائر، والمشكلات التي يعاني منها العالم الإسلامي بسبب الاستعمار.

لقد ركَّز محمد ناصر على دور العلماء ومسؤوليتهم في بناء الأمة الإسلامية؛ حيث تطرَّق إلى العدالة والديمقراطية من منظور إسلامي. وشدَّد في القول بأن حديثه المتكرِّر عن الديمقراطية، لا يعني استحضار الديمقراطية الليبرالية ببجورها وفجورها، كما يؤمن بها علماء الغرب. وإن مبادئ الديمقراطية في رأيه لا بد أن تتماشى مع القيم، التي جاء بها المصطفى صلى الله عليه وسلم، لا سيما أن إندونيسيا تنص في الدستور وفي أول بند للبنتشاسيلا على الإيمان بالله الواحد.

لقد حذَّر محمد ناصر في خطابه من خطورة الشيوعية في العالم؛ حيث قال: «لقد بذلنا جهودًا جبَّارة، وما زلنا نبذل الغالي والنفيس لاستئصال جميع الرواسب الاستعمارية من أرضنا وفي حياتنا أيضًا. ومع الأسف الشديد أن الشيوعية قدَّمت نفسها إلينا بأسلوب جديد، هو الأكثر خطورة على المسلمين، مثلها كمثل السارق يدخل البيت من الباب الخلفي في منتصف الليل. وإن هؤلاء الشيوعيين الملحدين يستخدمون جميع الوسائل المنوِّمة والمتنوِّعة لدغدغة مشاعر الناس، مثل الوحدة الوطنية والعصبية، وهم بأسلوبهم هذا ينتهزون الفرصة التاريخية لضرب الآخرين، لاسيما المسلمين، الضربة القاضية».[231]

كما تطرَّق محمد ناصر في خطابه الذي ألقاه في المؤتمر إلى تغلغل الفكر الشيوعي في مفاصل الدولة بمباركة من سوكارنو رئيس الدولة، حيث في هذا التغلغل الناعم خطورة على المسلمين في إندونيسيا، وفيه خطورة أيضًا على دول الجوار ذات الأغلبية المسلمة. وإن الحكومة الثورية الموازية في سومطرا تعمل جاهدة على توقيف هذا الزحف الشيوعي نحو مؤسسات الدولة، وهي بذلك تدافع عن المكتسبات التاريخية والحضارية للشعب الإندونيسي، ليعيش مسلمًا كريمًا وحرًّا. كما أكَّد في خطابه على تضامن المسلمين الإندونيسين فيما بينهم، لدفع ظلم سوكارنو وأعوانه في الحزب الشيوعي، الذين يحرصون كل الحرص على اقتلاع مبادئ العدالة والديمقراطية؛ ما يجعلنا يدًا واحدة في مواجهة مخططاتهم التدميرية مهما كان الثمن.[232]

أوضح محمد ناصر بأن الجهاد ضد الحكومة المركزية في جاكرتا هو مجرَّد وسيلة لإيجاد حل سياسي توافقي في البلاد؛ إذ علينا أن نتعاون فيما بيننا لمأسسة الجهاد دفاعًا عن حقوقنا إلى أن يشاء الله، لا سيما أننا نواجه شيوعيين ملاحدة، لا يرقبون في المسلمين إلًّا ولا ذمَّة.

* * * *

استمرت حركة الجهاد ضد الحكومة المركزية حتى عام 1961م؛ حيث خلعت الحكومة المركزية في جاكرتا رداء العفو العام على جميع المشاركين، استفاد منه محمد ناصر وزملاؤه. ومن خلال البحث صادفتنا بعض الأحداث العجيبة، وهو أن محمد ناصر قد لاقى ترحيبًا أخويًّا من أفراد الجيش التابعين للحكومة المركزية؛ حيث قدَّموا له يد العون، وسألوا عن أحواله، وأجروا له فحوصات طبية مجانية للاطمئنان على صحته.[233] وإنْ ينم ذلك عن شيء، فإن محمد ناصر كان لا يزال محترمًا عندهم على الرغم من معارضته غير المهادنة لنظام سوكارنو.

حينما وصل مدينة بوكيت تنغي يرافقه السيد بوخاري تمام، اتصل هذا الأخير بالمسؤول العسكري، الذي كان يقضي ورديته في ذلك الوقت، وفجأة ظهر السيد والويو «Waluyo» ولما اقترب من محمد ناصر صرخ بصوت عالٍ: «يا سيِّد ناصر! أنا أحد أتباعك ومحبيك.. وأنا الذي قمت بحراستك يوم كنت في يوكياكرتا». لقد عامل هذا الرجلُ محمد ناصر بكل احترام، وبما يقتضيه الواجب تجاه زعيم في مكانة محمد ناصر. جلب لمحمد ناصر ولزملائه ما يسدُّون به رمقهم، ثم اصطحبه إلى مدينة سومطرا الغربية لملاقاة زوجته نور النهار.

ومن الأمور الإنسانية التي حدثت لمحمد ناصر أنه بعد ما وصل إلى مدينة بوكيت تنغي في جزيرة سومطرا الغربية، صادف أن السيد نور الدين يلح على مقابلته، وهو الموظف العسكري المعروف بشدَّته في تعامله مع الآخرين، ويبدو في ذلك الوقت أن كل واحد كان يحرص على التقرب من محمد ناصر؛ إذْ كانوا يطلبون حراسته. وحينما قام أحد أفراد الجيش بطرح أسئلة على الموقوفين، قام أحدهم بإبلاغه أن محمد ناصر هو رئيس الجماعة الموقوفة، ولما سمع اسم ناصر، انسحب خفية إلى الخارج حياءً منه؛ بينما هو الرجل الشديد في مجموعته العسكرية، وأثناء عودته جلب طعامًا ووسادة وبطانية.

وفي الأخير قام أفراد الجيش بنقل محمد ناصر وزملائه إلى مدنية فادانج تحت حراسة مشدَّدة، وكان الجنرال ناسوتيون قد أصدر تعليمات صارمة بحراسة محمد ناصر بصورة خاصة، حتى يصل بسلامة، وقيل: إنه كان خائفًا عليه من تهديدات الشيوعيين، الذين كثيرًا ما منُّوا أنفسهم باغتياله. وأخيرًا وصل محمد ناصر إلى المكان الموعود، ثم بعد ذلك نقل إلى جاكرتا؛ حيث سجن لمدة أربع سنوات من عام 1962 إلى 1966م.

* * * *

الفصل العاشر محمد ناصر وموقفه من حركة دار الإسلام

نناقش في هذا الفصل موقف محمد ناصر من حركة دار الإسلام التي عزم قائدها كارتو سويرجو على تأسيس دولة إسلامية بعد استقلال إندونيسيا. وفي ذلك الوقت كان محمد ناصر رئيسًا للوزراء،؛ حيث كما أسلفنا القول، قد أسهم إسهامًا عظيمًا في الحفاظ على اللحمة الوطنية متماسكة، لا سيما بعد أن حاول الهولنديون استعادة دورهم الاستعماري بعد نجاح حلفائهم في الحرب العالمية الثانية؛ فوقف محمد ناصر مدافعًا في الداخل وفي المحافل الدولية عن أحقية إندونيسيا في تقرير مصيرها بيدها، تحت اسم الجمهورية الإندونيسية، وليس كما كان يروِّج له الاستعمار الهولندي باسم اتحاد إندونيسيا.

وكان من نتائج المؤتمر الذي تمَّ الموافقة عليها من قبل اللجنة المركزية لاتحاد إندونيسيا، أن يكون سوكارنو رئيسًا لدولة إندونيسيا، وأن يكون الدكتور محمد حتًّا نائبًا للرئيس، وفي الوقت نفسه تمَّ اختيار السيد أسعد لتولي منصب القائم بأعمال رئيس الحكومة الفيدرالية. ومما لا شكَّ فيه أنه بعد تشكيل حكومة إندونيسيا المتحدة، كانت معظم الولايات مهدَّدة بالانفصال، وأن الدولة الإندونيسية المستقلة كانت تواجه صعوبات بسبب السياسة الهولندية، التي وقفت ضد استقلال إندونيسيا، الذي صادقت عليه إدارة الاحتلال الياباني قبل أن تنسحب بعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية. ونظرًا إلى تلك الأوضاع السيِّئة، قام محمد ناصر بوصفه رئيسًا لحزب ماشومي بعرض رأيه أمام البرلمان في 3 أبريل 1950م، مطالبًا إياه بالاختيار بين الإبقاء على إندونيسيا المتحدة، كما روَّج لها الاستعمار الهولندي، وبين اسم الجمهورية الإندونيسية. وكانت هذه الفكرة قد لاقت الاستحسان، ونالت التأييد الكامل من جميع أعضاء البرلمان، ومن ثم بات اسم الجمهورية الإندونيسية علامة ناصرية بامتياز، نسبة إلى محمد ناصر، حيث اقترن اسم الجمهورية الإندونيسية باسم محمد ناصر، وصار ذلك متداولًا في الذاكرة الشعبية، ومنقوشًا في تاريخ إندونيسيا المعاصر. وفي 17 أغسطس 1950م، وبعد خمس سنوات من استقلال إندونيسيا تمَّ الإعلان رسميًّا عن الاسم الجديد: الجمهورية الاتحادية الإندونيسية، وأن دستورها تم تبديله بالقانون المؤقت، بحيث إن جميع الاستعدادات قد تم الموافقة عليها من قبل البرلمان في 20 أغسطس 1950م.[234]

وكان معظم السياسيين، بغض النظر عن انتماءاتهم الفكرية والإيدولوجية، يكنُّون الاحترام لمحمد ناصر، ويقدرون عطاءه الفكري؛ إذ تمَّ تعيينه رئيسًا للوزراء من قبل رئيس الجمهورية يوم 5 سبتمبر 1950م.[235] قام محمد ناصر بعد ذلك بتشكيل الوزارة، والتخطيط المحكم لسياسته الجديدة، التي كانت تهدف إلى الحفاظ على الأمن والاستقرار في الدولة. وفي الواقع أن تعيين محمد ناصر

رئيسًا للوزراء من قبل سوكارنو، جاء في وقت كان فيه الوضع السياسي والاقتصادي في غاية التعقيد؛ نظرًا إلى ارتفاع أصوات ناشزة كانت تنادي بالانفصال عن الحكومة المركزية في جاكرتا.

* * * *

أولًا: الصراع العسكري في بعض المناطق

ومما لا شكَّ فيه أن محمد ناصر، وهو يتولَّى منصب رئيس الوزراء، كان في غاية القلق نظرًا إلى حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه؛ حيث كانت الدولة الحديثة الاستقلال تواجه تحدياتٍ جسامًا في ظل تهديد بعض الولايات بالانفصال عن الحكومة المركزية. وفي 23 أغسطس 1950م، ظهرت الحركات الانفصالية في الولايات الإندونيسية، مثل: باندونج في جاوا الغربية، وسولاوسي، وجزيرة مالوكو الشمالية «Maluku Selatan». وبالإضافة إلى ذلك برزت إلى الوجود حركة جهادية تحت قيادة محمد كارتو سويرجو، الذي أعلن رسميًّا عن تأسيس الدولة الإسلامية في جاوا الغربية عام 1948م. كما تشكَّلت حركة إسلامية في منطقة آتشيه تحت قيادة داود بريوئيه «Daud Beureueh». طالبت هي الأخرى بالانفصال عن الحكومة المركزية في جاكرتا.

كانت تلك أهم التحديات التي واجهت محمد ناصر في بداية مشواره السياسي. وعلى الرغم من توليه منصب رئيس وزراء إندونيسيا في فترة قصيرة؛ إلا أنه حقق إنجازات عبَّر عنها هربيرث فيث «Herbeth Feith» الخبير السياسي في الشؤون الإندونيسية من جامعة موناش بأستراليا؛ إذ يقول: «رغم الفترة القصيرة التي قضاها محمد ناصر في منصبه الحكومي، إلا أنه تحقَّق تقدمٌ ملموس في فترة رئاسته للحكومة؛ فقد مهَّد الطريق الإنمائي ودفع بعجلات الوطن نحو التقدم وتحسين الشؤون الإدارية، وكذلك نعمت الدولة في عهده بالأمن والاستقرار والنمو الاقتصادي».[236]

قبل الاستقلال كان معظم زعماء المسلمين قد شاركوا في النقاش، الذي سبق صياغة الدستور تمهيدًا للاستقلال، الذي ظهر أن كل الطرق باتت تؤدي إليه؛ ولهذا خططوا لدولة مستقلة كانت على وشك البروز، بحيث تقوم على مبادئ إنمائية وإنسانية، مثل العدالة والمساواة بعيدًا من التفرقة العنصرية. ولكن مع كل هذه الجاهزية إلا أنه اشرأب الصراع الفكري والإيدولوجي بين القادة المسلمين والزعماء القوميين، حول هيكل الدولة المفترَضة بعد استقلالها من قبضة الاحتلال الياباني، الذي أعقب الاستعمار الهولندي. وكان قبل سنوات قلائل من الحصول على الاستقلال، قد يئست إدارة الاحتلال الياباني من جهاد الإندونيسين وكفاحهم من أجل تقرير مصيرهم واستقلال بلادهم. لقد تأكَّدت إدارة الاحتلال الياباني من استماتة المجاهدين وبسالة المناضلين، وأن لا فرق عندهم بين الموت والحياة، دفاعًا عن كرامتهم وحقوقهم ووطنهم، أو العيش في كرامة بعيدًا من الظلم والطغيان. وما إن وقفت القوات اليابانية بجدية على استبسال الإندونيسيين وبذل التضحية بالنفس؛ حتى جاءت التعليمات اليابانية الرسمية لجميع قادة التجمعات السياسية تخطرهم بالتحاور مع الإدارة اليابانية، حيث أتاحت لهم فرصة تاريخية لتشكيل لجنة مختصة، يكون أعضاؤها من مختلف التيارات الفكرية لإعداد مسوَّدة عن الدستور تمهيدًا لاستقلال إندونيسيا.

كانت تلك الأوامر محل ترحيب حار من دعاة الاستقلال. لقد تشكَّلت لجنة مكلَّفة بالإعداد لاستقلال إندونيسيا؛ حيث تكوَّنت هذه اللجنة من ثلاث كتل سياسية مهمَّة في البلاد، هي: أنصار القومية الإسلامية، وأتباع القومية الغربية، والنصرانية التي تمثل أقلية في المجتمع الإندونيسي. احتدم النقاش واشتدَّ للغاية، وكادت عناصر الاتفاق تكاد تكون مستحيلة بين دعاة القومية الإسلامية من ذوي الأغلبية في المجتمع الإندونيسي، وبين أنصار القومية الغربية بزعامة سوكارنو؛ حيث أصرَّ الإسلاميون على أن يكون الدستور متضمِّنًا للأحكام الشرعية في تفاصيله وبنوده؛، بينما مال القوميون من ذوي النزعة الغربية إلى العلمانية، ومن ثمَّ همَّشوا الدين كمنظومة كلية من بنود الدستور باعتبار الدين، في نظرهم، من الأمور الشخصية.[237]

ولتجنب الشقاق وافق جميع الأعضاء والممثلين للتيارات الإيديولوجية الثلاثة على صياغة الدستور بمبادئه الخمسة المعروفة باسم بنتشاسيلا أو فلسفة الدولة، التي ينص مبدؤها الأول على الإيمان بالإله الواحد، مع الإقرار بتنفيذ الأحكام الشرعية على كل مسلم ومسلمة؛ أما غير المسلمين فيخضعون للقوانين المدنية. وقد عدَّ الزعماء المسلمون أن الموافقة على حكم الشرع الإسلامي يمثِّل أحد الإنجازات الكبرى في تاريخ الدولة المستقلة، وأنهم بذلك يكونون قد حقَّقوا آمالهم في أسلمة الدولة الجديدة، بغية تحقيق العدالة والأمن والاستقرار، ونبذ التفرقة العنصرية أيًّا تكن الأجناس والديانات والطبقات. والأهم من ذلك أن العضو النصراني المشارك في الاجتماع، الذي يمثل الأقلية

المسيحية، قد عبَّر عن شكره وتقديره البالغ للتوصُّل إلى ذلك الاتفاق التاريخي، الذي توِّج بعد نقاش مستفيض واختلاف متباين، من باب أن المسلمين أكثرية ولا داعي لمعارضتهم.

لم تستمر فرحة زعماء المسلمين طويلًا؛ إذ في 18 أغسطس 1945م، أي في اليوم الثاني بعد إعلان الاستقلال، أبلغ ممثل المسيحيين الإندونيسيين المندوبَ الياباني، كما أسلفنا القول في الفصل الثاني، بعدم موافقة النصارى على ما جاء في البند الأول من الدستور، الذي ينص على تنفيذ الأحكام الشرعية، وجعلها مصدرًا أساسيًّا في التشريع، حيث هدَّدوا بالانفصال إذا أصرَّ زعماء المسلمين على تثبيت هذا البند في الدستور.[238]

وعلى الرغم من محاولة الدكتور محمد حتًّا توضيح الخلاف، والفصل في الأمر بأن المسلمين هم الأكثرية، وأن حد الشرع الإسلامي لا ينطبق إلا على المسلمين، وليس على سواهم؛ إلا أن الوفد الياباني أصرَّ على مطالب الكتلة المسيحية الإندونيسية. وخوفًا من تعكير صفو فرحة الاستقلال، أو حصول انتكاسة تجعل من الاستقلال حالة من حالات الاستعمار بشكل من الأشكال، فقد حدث نوع من التنازل للكتلة المسيحية في شكل إعادة نظر في بنود الدستور، والعمل على صياغته صياغة جديدة، وفقًا لما طرأ من ظرف داخلي لم يكن متوقعًا، بل كان مفاجئًا للجميع.

* * * *

ثالثًا: الانشقاق والتمرد

كل المحاولات التي بُذلت من أجل تشكيل دولة إسلامية تتخذ من الشريعة الإسلامية مصدرًا رئيسًا من مصادر تشريعاتها وأحكامها، قد باءت بالفشل. وإنْ أكَّد سوكارنو بأن احتمالات قيام دولة إسلامية ما زالت راجحة إذا وافق البرلمان على ذلك. ولهذا وجدنا أن حزب ماشومي الذي تمَّ تأسيسه في 7 نوفمبر 1945م، بعد الاستقلال مباشرة تحت قيادة محمد ناصر، قد قدَّم اقتراحاته أمام البرلمان في اتخاذ الشريعة الإسلامية مصدرًا أساسيًّا للحكم، ولكن عبر صناديق الاقتراع، حيث خالف بعض الزعماء الإسلاميين احتكام محمد ناصر للديمقراطية والانتخابات في إقامة الدولة الإسلامية. كما ظهر اتجاهٌ أكثر تطرفًا تزعمه كارتو سويرجو، الذي كان يعتقد بأن الدولة الإسلامية يستحيل قيامها بموافقة البرلمان، بل لا داعي لأخذ الإذن من أحد، لأن الحكم الإسلامي فريضة على كل مسلم قادر، وهذا هو الجهاد الأكبر.[239]

وعلى الرغم من أن كارتو سويرجو لم يشارك في صياغة الدستور؛ إلا أن فكرة الدولة الإسلامية ظلَّت تراوده منذ أن كان عضوًا في حزب الاتحاد الإسلامي؛ حيث إن طموحه القيادي أدى به إلى اقتراح لزوم البيعة الجهادية لتأسيس الدولة الإسلامية، التي عدَّها أمانة في عنق كل عضو من أعضاء حزب الاتحاد الإسلامي. ومن ثم فقد استعدى حزب ماشومي، واعتبره حزبًا منافقًا، وأنه باع نفسه للعلمانيين، أمثال سوكارنو بعد أن قبل بمبادئ بنتشاسيلا حاكمة، بدلاً من الشريعة الإسلامية، وهي في نظره مبادئ غامضة، صدَّروها بمبدأ غامض هو «الإيمان بالإله الواحد»، وهي في نظره مفاهيم علمانية ومسيحية عن الألوهية، غير كافية للاعتماد عليها في قيام الدولة الإسلامية. ونظرًا إلى عدم الرغبة في تأسيس الدولة الإسلامية، سواء من واضعي الدستور أو من محمد ناصر الذي يحتكم إلى صنادق الاقتراع، أعلن كارتو سويرجو عن تأسيس «دار الإسلام» عام 1949م في منطقة جاوا الغربية.[240]

لقد نالت فكرة قيام الدولة الإسلامية بعد الاستقلال تأييدًا من المجاهدين للاستعمار الهولندي في آتشيه وجزيرة سولاوسي وكاليمنتان وجاوا الوسطى. وعليه قد حارب أنصار الدولة الإسلامية الدولةَ المستقلة التي عدُّوا القائمين عليها خائنين للعهد؛ حيث اتفقوا على أن يقيموا دولة إسلامية، بعد أن اشتركوا معًا في قتال الاستعمار الهولندي، ثم الاحتلال الياباني. أعلنوا الجهاد ضد القوات العسكرية الإندونيسية، بحجة أنهم خانوا العهود. وفي أثناء قتال أنصار الدولة الإسلامية للحكومة المركزية، قام محمد ناصر رئيس الوزراء وبوصفه رئيس حزب ماشومي بالتوسط من أجل المصالحة بين الطرفين، للتوصل إلى حل سلمي؛ ولكن باءت محاولاته بالفشل؛ حيث إن الجهاديين أصرُّوا على القتال، ومن ثم استحلوا دماء الجيش الوطني. لقد استمر الجهاد ضد الحكومة حوالي ثلاثة عشر عامًا؛ حيث اعتقل كارتو سويرجو وحكم عليه بالإعدام.

وفي الحقيقة فإن كلا من محمد ناصر وكارتو سويرجو كانت لهما طموحات بأن تكون الشريعة الإسلامية مصدرًا للتشريع في الدولة، غير أنهما اختلفا في الوسائل للوصول إلى الأهداف المرجوة. لقد أكَّد محمد ناصر في بعض كتاباته بأن الدولة الإسلامية لا يمكن تأسيسها من طريق الانفصال عن الحكومة المركزية، بل يكون ذلك باستخدام الوسائل الديمقراطية وعبر انتخابات نزيهة.[241]

ويبدو أن الإعلان عن تأسيس الدولة الإسلامية تحت مسمى «دار الإسلام» له ما يبرره لدى كارتو سويرجو؛ حيث كان سبب معارضته للحكومة المركزية الجديدة، هو انصياعها لمطالب الحكومة الهولندية عام 1948م؛ إذ طالب فان موك «Van Mook» جميع الجهاديين والمناضلين والعسكريين بمغادرة مناطق جاوا الغربية، التي كانت لا تزال تحت السيطرة الهولندية على الرغم من حصول إندونيسيا على استقلالها عام 1945م. وكان كارتو سويرجو مصمِّمًا على البقاء وعدم المثول لأوامر فان موك، وفضَّل البقاء ومواصلة الكفاح لطرد الهولنديين مهما كان الثمن، وقد أخذ على عاتقه تحرير جاوا الغربية، تحت راية حزب الله الذي كان قائدًا له. وعليه فقد رأى بأن الحكومة المركزية قد خانت القضية الوطنية بمجرَّد امتثالها لأوامر الهولنديين، بإخلاء جاوا الغربية من القوات العسكرية الإندونيسية.

كل هذه الأحداث أسهمت في عقد اجتماع مع بعض زعماء المسلمين، واتفقوا في 10 فبراير 1948م على تشكيل قوات عسكرية إسلامية إندونيسية، دفاعًا عن المنطقة التي تمَّ إخلاؤها من قبل الحكومة المركزية. ولا شكَّ في أنه أعقبت هذه الأحداث معركة بين قوات الجيش في الحكومة المركزية، وبين أفراد جيش حزب الله تحت قيادة كارتو سويرجو؛ ما أدى إلى سقوط عدد كبير من القتلى من الجانبين، بل استمر أفراد الجيش الإسلامي باسم حزب الله إلى جانب أفراد جيش حركة الجهاد في سبيل الله، في قتال قوات جيش سوكارنو. ومن ثم لم يكن أمام الدكتور محمد حتًّا بوصفه نائبًا لرئيس الجمهورية، إلا أن يقوم بتكليف محمد ناصر للقيام بدور الوساطة، لا سيما أن هناك علاقة صداقة قديمة كانت تجمع بين محمد ناصر وكارتو سويرجو لما كانا طالبين يدرسان عند الأستاذ أحمد حسن في مدينة باندونج.[242]

وفي 4 أغسطس 1949م، قام محمد ناصر بإيفاد الأستاذ أحمد حسن لمقابلة كارتو سويرجو، وإنهاء المواجهة الدموية بين الجانبين، وإقناعه، أيضًا، بالانضمام إلى الحكومة المركزية، وتركيزه على الكفاح ضد الهولنديين، الذين ما زالوا يحاولون السيطرة على البلاد مرة أخرى.[243] غير أن الأمر كان قد فات بعدما أعلن عن تأسيس الدولة الإسلامية الإندونيسية؛ حيث تأكَّد لمحمد ناصر بأنه ليس من السهولة بمكان مقابلته خاصةً بعد الإعلان عن الدولة الإسلامية، التي تجعل منه قائدًا رفيعًا يصعب الوصول إليه؛ إذ هو تحت حراسة مشدَّدة من قبل أنصاره ومؤيديه.

ومع ذلك وبعد رحلة مضنية في أدغال الغابات الكثيفة، تمكن الأستاذ أحمد حسن من الوصول إلى حيث تتواجد إمارة «دار الإسلام». غير أنه لم يكن مسموحًا له بمقابلته، بل طلب من معاونيه

والقائمين على أمنه إبقاء المبعوث على بعد مئات الأمتار من الإمارة. في البداية تأمَّل في الرسالة جيدًا، ولم يصدِّق عينيه؛ لأنها رسالة رسمية باسم فندق هوفمان في مدينة باندونج. وبعد طوال تأمل تأكَّد من أن المبعوث هو الأستاذ أحمد حسن الذي درس العلوم الدينية على يديه. وفي أثناء حديثه مع أستاذه السابق والترحيب به، قدَّر عِظم المهمة، التي جاء من أجلها، وشكر النوايا الحسنة لمحمد ناصر، وعبَّر عن تقديره لشخصه وأفكاره ومواقفه. وفي الأخير تأسَّف كارتو سويرجو بأن الرسالة جاءت متأخرة بعد إعلان تأسيس الدولة الإسلامية، ولو أن الرسالة جاءت قبل ذلك، فلربما تنازلت عما أقدمت عليه احترامًا لكم، ووجهنا كامل قوتنا نحو بقايا الاستعمار الهولندي، الذي ما زال طامحًا في السيطرة من جديد على الدولة المستقلة. [244]

قبل ذلك كانت هناك علاقة ودٍّ وتعاون بين كارتو سويرجو وبين الحكومة المركزية كما يذكر محمد ناصر. وقد قام كارتو سويرجو نفسه بزيارة العاصمة يوكياكرتا؛ حيث طلب الدعم المادي لمحاربة الهولنديين، وقد لبَّى له محمد حتًّا نائب رئيس الجمهورية جميع مطالبه. غير أنه في 15 يناير 1949م، حدث اصطدام دموي بين قوات الجيش التابع للحكومة المركزية، وبين مجاهدي الدولة الإسلامية تحت قيادته، غير أن المصادر لم تكشف بشكل واضح عمن بدأ القتال. [245]ولكن الأمر الذي لا يمكن تجاهله أن عدم تواجد القوات الإندونيسية في تلك المنطقة التي طالب الهولنديون بإخلائها لحسابهم، كانت بمثابة الفرصة الذهبية لكارتو سويرجو للإعلان عن قيام الدولة الإسلامية المجاهدة. وفي الواقع قبل الإعلان عن قيام الدولة الإسلامية أبلغ كارتو سويرجو مجلس قيادة حزب ماشومي في مدينة يوكياكرتا وقتذاك.[246] ويعود سبب الإعلان عن قيام الدولة الإسلامية بتاريخ 7 أغسطس 1949م، إلى أنه في هذا اليوم سافر الدكتور محمد حتًّا إلى هولندا لحضور مؤتمر يناقش حيثيات استقلال الدولة.[247]

نعود إلى صلب الموضوع، وهو العلاقة السياسية التي جمعت بين كارتو سويرجو ومحمد ناصر لمدة عام تقريبًا، إثر الإعلان عن تأسيس الدولة الإسلامية. وقد أرسل كارتو سويرجو خطابًا مهمًّا إلى الرئيس سوكارنو، كما أرفق صورة منها إلى محمد ناصر. وقد أوضح في رسالته أن الدولة المستقلة ستسلك مسارًا سليمًا، إذا هي اعتمدت على المبادئ الإسلامية، واتخذت من الشريعة مصدرًا للحكم. وقد أكَّد من جديد أن مبادئ الديمقراطية الغربية لن تحقق السعادة الدنيوية؛ إذ إنها من منتجات الفكر البشري، الذي لا نضمن صحَّة نماذجه. وقد طالب في رسالته من كبار السياسيين والمسؤولين في الدولة العدول عن فلسفة الدولة بنتشاسيلا، نظرًا إلى أن مبادئها مستقاة من الفكر القومي الغربي، الذي يفتقد إلى الصحة في أحكامه. وعلى الرغم من ذلك، فقد عبَّر كارتو سويرجو عن ارتياحه لاستقلال إندونيسيا، واعتراف هئية الأمم المتحدة بها. وقد طالب، أيضًا، المسؤولين في الحكومة المركزية بطرد الشيوعيين من مؤسسات الدولة الاستراتيجية.[248]

أشرنا سابقًا أنه منذ البداية كانت سياسة محمد ناصر تسعى إلى الحل السلمي للقضية المختلَف حولها مع أنصار «دار الإسلام» تحت قيادة كارتو سويرجو، وذلك بإيفاد من هو محل ثقة كارتو سويرجو

مثل الأستاذ أحمد حسن. كما بعث محمد ناصر في عام 1950م السيد والي الفتاح «Wali Al-Fatah» لمقابلة كارتو سويرجو، غير أن كل ذلك باء بالفشل بسبب سقوط دماء بين الجانبين. زيادة على ذلك قام محمد ناصر في 14 أغسطس 1950م بتكثيف مساعيه لإنهاء الصراع بين أنصار الدولة الإسلامية والقوات المسلَّحة التابعة للحكومة المركزية؛ إذ إنه قام بالإعلان عن عفو عام عن جميع المتمردين الذين ينضمون إلى الحكومة المركزية ويعترفون بها. وفي المرة الثالثة بعث محمد ناصر السيد مصلح «Muslich» لمقابلة كارتو سويرجو في إمارة «دار الإسلام» المتواجدة في أعماق الغابات الكثيفة في إحدى مناطق جاوا الغربية، غير أن كارتو سويرجو رفض مقابلته على الرغم من الصداقة التي جمعتهما، منذ أن كانا عضوين في هيئة شريكة إسلام، مبررًا موقفه بأنه لا يمكن مقابلة شخص لا يتمتَّع بمنصب رفيع في الحكومة المركزية. لقد كان كارتو سويرجو طامحًا في المشاركة في الحكم، ولهذا اشترط ألا يستقبل إلا كبار المسؤولين في الحكومة المركزية؛ إذ تبيَّن من خلال المصادر الرسمية أنه اشترط اعتراف الحكومة المركزية بالدولة الإسلامية تحت قيادته قبل أي بدء في الحوار مع مبعوثيها الكبار. [249]

ولكن على الرغم من رفضه مقابلة مبعوث محمد ناصر، غير أنه أرفق معه خطابًا يطالب فيه محمد ناصر رئيس الوزراء بتغيير الجمهورية الإندونيسية إلى اسم الجمهورية الإسلامية الإندونيسية.[250] وكان من نتائج فشل المبعوثين التي ظهر أنه لا جدوى من ورائها، أنْ أصدر محمد ناصر رئيس الوزراء عفوًا غير مشروط عن كل من يترك إمارة «دار الإسلام» حقنًا للدماء وجمعًا لصفوف المسلمين في وجه العدو الحقيقي من بقايا الاستعمار الهولندي.

هناك تساؤلات من قبل المحلِّلين السياسيين والخبراء في الشؤون الإندونيسية، لماذا لم تكن لمحمد ناصر قابلية للدولة الإسلامية بقيادة كارتو سويرجو، لا سيما أن معظم قيادة حزب ماشومي، وهو واحد منهم بوصفه رئيسًا للحزب، يطالبون باتخاذ الإسلام عقيدة ونظامًا في الدستور الإندونيسي؟ لعل هناك مبررات كانت تحكم رؤية محمد ناصر للكيفية التي تشكَّلت بها الدولة الإسلامية. الأول: إنه الأمر المهم الذي لا بد من أخذه في الحسبان ، وفوق كل حسبان، وهو ضرورة التكاتف وتجميع الجهود من أجل صدِّ طموحات الهولنديين في السيطرة على الدولة المستقلة، وعدم تمديد بقاء الاستعمار الهولندي لأمد طويل؛ ثانيًا: إن تأسيس الدولة الإسلامية بأساليب غير ديمقراطية هو إضعاف لقوة الأمة الإندونيسية، لا سيما الأغلبية المسلمة؛ حيث إن الدولة، في نظر محمد ناصر، تقام على أسس شرعية، أولها رضا الشعب كمطلب شرعي في إعادة البناء.

ومن المؤكَّد أن هناك خلافًا حصل في التصور الفكري السياسي بين محمد ناصر وكارتو سويرجو حول طبيعة الدولة الإسلامية وكيفية تأسيسها من حيث الزمان والمكان، وذلك على الرغم من أن تحكيم الدولة للشرع الإسلامي هو القاسم المشترك بينهما. يمكن القول إن محمد ناصر هو صاحب مواقف اعتدالية فيما يتعلَّق بنظام الحكم الإسلامي وقد أشرنا إلى ذلك في أكثر من موضع؛ حتى إنه اختار أشخاصًا غير مسلمين أو ليس لهم ميول إسلامية وزراءَ في حكومته.

وفي الواقع أن الاصطدام الدموي بين الحكومة المركزية وحركة دار الإسلام، قد صبَّ في صالح الشيوعيين الذين استغلوا انشغالات سوكارنو بأكثر من قضية، ووطَّدوا علاقتهم به، ومن ثم صار لهم نفوذ عسكري وسياسي في حكومة جاكرتا. زيادة على ذلك انتهزوا الفرصة لنشر أفكارهم وإيديولوجيتهم في أوساط الشعب. ومن نتائج تحالفهم مع نظام سوكارنو أنهم حصلوا على المرتبة الرابعة في الانتخابات البرلمانية عام 1955م؛ بينما هم قبل ذلك لم يكونوا شيئًا يُذكر، بل كانوا نسيًا منسيًّا. والسؤال هل وقوف محمد ناصر ضد حركة دار الإسلام يعد خيانة للقضية الإسلامية، ولتحكيم الشرع في المجتمع الإندونيسي؟ ولعل الإجابة لها علاقة بموقف محمد ناصر من الديكتاتورية والظلم، وأن ما يأتي من غير رضا وقناعة ينتهي إلى عدم الرضا، ما يؤدي إلى طغيان بشكل مختلف، وإنْ لبس لبوسًا إسلاميًّا. إن الوصول إلى الهدف ديمقراطيًّا، في نظر محمد ناصر، هو الشيء الذي يستحق منا الدفاع عنه إذا أصابته انتكاسة داخلية أو خارجية؛ ولكن الأمر الذي لا يمكن تجاهله أن الصراع بين الحكومة المركزية وأنصار الدولة الإسلامية، أدى إلى تنامي قوة الشيوعيين الذين قاموا بمحاولة انقلاب فاشلة على مؤسسات الحكومة المركزية عام 1965م، انتهت بقتل ستة جنرالات مسلمين من خيرة النخبة الإندونيسية.

ولكن بغض النظر عن نوعية الخلاف بين محمد ناصر وكارتو سويرجو حول كيفية تفعيل مواد الشريعة الإسلامية في الدستور؛ إلا أن كارتو سويرجو عبَّر عن تقديره لأفكار محمد ناصر، وأثنى على جهوده الحميدة ومواقفه الدينية وإخلاصه للوحدة الوطنية؛ حتى إن أحد أبناء كارتو سويرجو نقل عن أبيه: «إذا وقعتُ شهيدًا في المعركة، فعليكم بالاقتداء بمحمد ناصر في مواقفه الدينية والسياسية».[251]

* * * *

رابعًا: محمد ناصر وعلاقته بداود بريوئيه الزعيم الروحي لمجتمع آتشيه

علينا بتوضيح الأمر، وهو أن الإعلان عن قيام الدولة الإسلامية بقيادة كارتو سويرجو في جاوا الغربية، كان بتأييد من الزعيم الروحي في منطقة آتشيه السيد داود بريوئيه. لقد حصل التعارف بين كارتو سويرجو وداود بريوئيه بعد ما ظهرت شجاعته في محاربة الاستعمار الهولندي. وفي عام 1953م، بعث كارتو سويرجو معاونه مصطفى رشيد «Mustafa Rasyid» للقاء داود بريوئيه في آتشيه لمناقشة إمكانية انضمام منطقة آتشيه إلى إمارة «دار الإسلام»، على أن يكون داود بريوئيه رئيسًا لحكومة آتشيه؛ ولكن قبل ذلك كانت هناك علاقة تجمع بين الزعيمين؛ إذ قام السيد داود بريوئيه رفقة معاونه السيد أمير حسين المجاهد «Amir Husin Al-Mujahid» بالسفر إلى مدينة باندونج لمقابلة كارتو سويرجو؛ إذ عقدا لقاءً سريًّا بينهما في 13 مارس 1953.[252]

كما أن هناك تساؤلات حول طبيعة المقارنة بين كارتو سويرجو ومحمد ناصر خاصة في الوقت الذي تولى فيه منصب رئيس الوزراء. وكما هو معلوم، فقد تولى محمد ناصر منصب رئيس الوزراء خلفًا للسيد عبدالحليم الذي كان معروفًا عنه إصدار قرارات تتعلَّق باللوائح الانتخابية لأعضاء البرلمان في جميع الولايات الإندونيسية، وقد تمَّ في الأخير اعتبار آتشيه منطقة تابعة لسومطرا الشرقية، غير أن الحقائق التاريخية تدل أن السيد شفر الدين بوصفه نائب رئيس الوزراء، أصدر قرارًا وزاريًّا بأن يقسِّم جزيرة سومطرا الشمالية إلى منطقتين: سومطرا الشمالية ومنطقة آتشيه. وبالإضافة إلى ذلك اتخذ قرارًا بموجبه يتولَّى السيد داود بريوئيه منصب حاكم منطقة آتشيه؛ ولكن بناءً على الاتفاق بين الجمهورية الإندونيسية والحكومة الإندونيسية الفيدرالية تحت رعاية هولندا في ذلك الوقت، اتخذت الحكومة الإندونيسية الفيدرالية قرارًا في 22 يوليو 1950م، بأن آتشيه باتت تابعة لولاية سومطرا الشرقية؛ ما أثار غضب الشعب في محافظة آتشيه.[253]

قام زعماء آتشيه بتوجيه تهديدات للحكومة المركزية في جاكرتا بتاريخ 1 يناير 1951م، وأصرُّوا على أن آتشيه باقية محافظة قائمة بذاتها ليست تابعة لغيرها، وما على المسؤوليين الكبار في حكومة جاكرتا إلا تقديم استقالتهم لما قاموا به من تقسيم إداري غير قانوني. وردًّا على تلك التهديدات، بعث نائب رئيس الجمهورية الدكتور محمد حتًّا كلًّا من السيد شفر الدين والسيد أسعد وزير الداخلية إلى آتشيه بحثًا عن حلول سلمية لما جرى من تقسيم إداري جديد للولايات الإندونيسية بما فيها آتشيه. وللأسف الشديد لم يتحقَّق أي تقدم في حل المشكلة الإدارية، بل ازداد الوضع سوءًا. وفي 27 نوفمبر 1951م، سافر محمد حتًّا إلى آتشيه للوقوف على المشكلات الإدارية بنفسه؛ ولكن عاد إلى جاكرتا بخفي حنين، ثم سافر محمد ناصر بنفسه حيث التقى بمعظم زعماء آتشيه، وعلى رأسهم الزعيم الروحي السيد داود بريوئيه.

لقد عبَّر محمد ناصر عن أسفه تجاه ما يحصل في منطقة آتشيه من انقسامات ليست في صالح مستقبل وحدة التراب الإندونيسي؛ لأنه لم تكن له سطلة عليا تسمح له بالتدخل المباشر، والعمل على

تصحيح الوضع، وإعادة الأمور إلى نصابها، قبل أن يحصل العصيان والغليان في مجتمع آتشيه؛ وإنما رأى أن ذلك يستدعي عرض قضية آتشيه على البرلمان، لمناقشتها والبت في مسألتها الإدارية. وقد تأكد لزعماء آتشيه أن وزارته لا تستطيع أن تفعل شيئًا، كونها رهينة النظام الذي عدوه نظامًا ديكتاتوريًّا؛ ولكن على الرغم من ذلك فقد تبيَّن لهم أن محمد ناصر يبذل جهودًا جريئة لإعادة آتشيه إلى سالف إدارتها.

وفي اليوم الأخير، وقبل عودته إلى جاكرتا، قام محمد ناصر بمقابلة داود بريوئيه لأخذ رأيه النهائي في القضية المثار حولها الجدل، وذلك قبل تقديم تقريره إلى رئيس الجمهورية. وعن تهديدات زعماء آتشيه رأى محمد ناصر بأنه لا ينبغي أن تقابلها حكومة جاكرتا بتهديدات عسكرية. وهناك موقفان وقفهما محمد ناصر تجاه قضية آتشيه؛ الأول: عدَّ القيام بعمل عسكري ضد مجتمع آتشيه بمثابة جريمة تقترفها الحكومة المركزية في جاكرتا. [254] الثاني: احتمالات تقديم استقالته من منصبه كرئيس وزراء إذا اتضَّح له ولغيره أنه غير قادر على حل المشكلة الإدارية في آتشيه.

لقد أكَّد محمد ناصر من جديد أمام داود بريوئيه أن الحل العسكري لحل مشكلة آتشيه غير وارد تمامًا، لا سيما أن مجتمع آتشيه وزعماءه قد سبق وأن ضحوا بأنفسهم وأموالهم من أجل طرد الهولنديين. وبعد استماع الزعيم الروحي لمنطقة آتشيه السيد داود بريوئيه لما قاله محمد ناصر، طلب منه تأجيل موعد عودته إلى جاكرتا، لعقد جلسة استثنائية مع زعماء آتشيه، وأذيع بيان أقواله في الإذاعة، حتى يتمكَّن مجتمع آتشيه من سماعها والوقوف على نقاطها المهمَّة؛ حيث شكر محمد ناصر شعب آتشيه المجاهد، الذي كان له النصيب الأوفر في طرد الغزاة عبر التاريخ، وطمأنهم بأن آتشيه لن تكون مجرد منطقة تابعة لولاية سومطرا الشرقية. وطالب في الأخير جميع أفراد مجتمع آتشية بالتحلي بالصبر حتى تعود المياه إلى مجاريها. ولا شكَّ في أن مجتمع آتشيه كان مقتنعًا بكلام محمد ناصر، وممتنًّا لمواقفه الوطنية. وعندما عاد محمد ناصر إلى جاكرتا وجد بيت الحكومة ليس على الحال الذي تركه عليه؛ حيث وقفت محاولات جادة لإسقاطه من منصبه، وتولية الدكتور سوكيمان مكانه رئيسًا للوزراء.

بعد هذه الحادثة بدأ سوكارنو في تغيير نظامه الديمقراطي الحر إلى نظام الديمقراطية الموجَّهة، الذي صار محل خلاف بينه وبين محمد ناصر؛ حيث استعان سوكارنو بالشيوعيين في تشكيل الحكومة الجديدة؛ فبرزت إلى الوجود معارضة فعلية لنظام سوكارنو، قادها حزب ماشومي والحزب الاشتراكي.

بقيت مشكلة آتشيه من غير حل، وقدَّم محمد ناصر استقالته من منصبه في ظل عدم قدرته في الإيفاء بتعهداته التي قطعها على نفسه أمام سكان آتشيه. وفي أثناء تلك الأزمة السياسية، وفي 1 أغسطس 1953م، تمَّ تشكيل حكومة جديدة تحت قيادة علي أميجويو الذي هو في الواقع أحد أبرز المعاونين المخلصين لسوكارنو، والذي شرع باب حكومته أمام الزعماء الشيوعيين؛ فتقلدوا مناصب وزارية حسَّاسة.

كانت تصرفات علي أميجويو السياسية تتعارض تمامًا مع آمال سكان آتشيه خاصة فيما يتعلق بتطبيق الشريعة الإسلامية في المنطقة تحت قيادة داود بريوئيه؛ إذ عُدَّ هذا التجاهل لقضيتهم المثار حولها الجدل، من ضمن الأسباب الرئيسة التي دفعت داود بريوئيه إلى التفاهم مع علماء آتشيه على الإعلان عن الجهاد ضد الحكومة المركزية في جاكرتا، وكان ذلك في 21 سبتمبر 1953م. وبالإضافة إلى ذلك فإن داود بريوئيه قد أعلن أن منطقة آتشيه جزء لا يتجزأ من الدولة الإسلامية بقيادة كارتو سويرجو. وجدير بالذكر أيضًا أن آتشيه كانت سلطنة إسلامية ذات نفوذ كبير في عهد الدولة العثمانية، وأن زعماءها أعلنوا الجهاد دفاعًا عن الإسلام، الذي تمَّ تجاهل أحكامه في الدستور الإندونيسي.

وكان محمد ناصر من موقعه الوزاري يطمح إلى إيجاد حل سلمي لمعضلة حركة دار الإسلام. ولما صار السيد برهان الدين هاراهاب العضو القيادي في حزب ماشومي رئيسًا للوزراء، تطلَّع هو الآخر إلى حل مشكلة حركة دار الإسلام من طريق الحوار والإقناع والتفاهم. ولكن باءت كل محاولاته بالفشل، نظرًا إلى أن فترة رئاسته لم تدم إلا شهورًا. ومن إنجازاته وإسهاماته أنه في فترة رئاسته جرت انتخابات عامة لأول مرة بعد استقلال الدولة بطريقة شفافة وحرة؛ حيث أتيحت لمعظم الأحزاب المشاركة من غير قيد ولا شرط، غير أنه في ظل الضغوط المتكررة من المعارضين لسياسته الحكيمة قدَّم استقالته من منصبه. وقد زادت الأزمة السياسية تعقيدًا بعد ما تمَّ تعيين السيد علي أميجويو رئيسًا للوزراء حتى تاريخ 22 يوليو 1955م؛ وكانت حلول سوكارنو لهذه المشكلات السياسية، هو تقليص الأحزاب السياسية تمهيدًا للاستغناء عن نظام التعدد الحزبي، لصالح نظام الحزب الواحد.

قاد محمد ناصر معارضة شديدة لنظام سوكارنو، قائلًا: «ولأجل الحفاظ على المبادئ الديمقراطية، لا بد من التزامنا جميعًا بنظام التعدد الحزبي، حتى يكون لكل أحد منا الحق الكامل في المشاركة السياسية. وإذا اعتمدت الدولة على نظام الحزب الواحد، فهي تسلك نظام الحكم الاستبدادي. وإن حزب ماشومي سوف يسعى بكل الوسائل المشروعة إلى ثني سوكارنو على ما أقدم عليه من تغيير للمسار الديمقراطي إلى مسار ديكتاتوري؛ وإنا له بالمرصاد». [255]

لقد بلغت الأزمة السياسية ذروتها بعدما قدَّم السيد محمد حتًّا استقالته من منصب رئيس الجمهورية؛ فلم يصبر على النوايا الخبيثة للشيوعيين في قلب نظام الحكم إلى صالحهم برضا سوكارنو نفسه، وهم العدو الأول للمجتمع المسلم في إندونيسيا. وفي 15 يناير 1957م، سحب حزب ماشومي وزراءه من التحالف السياسي، احتجاجًا على سياسة رئيس الوزراء علي أميجويو في تعامله البارد مع الأزمة السياسية الساخنة. وفي 15 فبراير 1957م، عقد قادة الجيش المنشقون اجتماعًا في مدينة فاليمبان بجزيرة سومطرا الشمالية، حيث قاموا بتأسيس الحكومة الثورية الإندونيسية، الموازية للحكومة المركزية في جاكرتا، وكان من مطالبهم الرئيسة طرد الشيوعيين من الحكومة. [256]

نعود إلى صلب الموضوع عن الدور الذي قام به محمد ناصر في تلك الحركة الانفصالية، وكذا مواقفه من قيادة حركة دار الإسلام خاصة كارتو سويرجو وداود بريوئيه الزعيم الروحي لمنطقة آتشيه. والأمر الذي لا يمكن تجاهله أن محمد ناصر وبعض القادة في حزب ماشومي قد شاركوا في تلك الحركة الثورية؛ إذ ألفينا محمد ناصر كانت له القابلية للتعاون مع أي مواطن إندونيسي يرنو إلى إقامة العدل بغض النظر عن انتمائه الحزبي. وفي هذه الحالة، ألفينا محمد ناصر يؤمن إيمانًا قاطعًا بأن اللعبة الديمقراطية ما هي إلا وسيلة لتحقيق العدالة في الدولة والتنمية في المجتمع. وكما عارض محمد ناصر ديكتاتورية سوكارنو عارض أيضًا ديكتاتورية سوهارتو، التي انقلبت هي الأخرى على اللعبة السياسية، وحوَّلتها إلى فوضى لا يحسن إدارتها، في رأيها، إلا الحزب الواحد الذي هو الحزب الحاكم؛ فذاك من ذاك؛ حيث «لجأ سوهارتو عام 1973 إلى إجبار مختلف الأحزاب على التجمع في حزبين أساسيين: أحدهما حزب التنمية المتحد ذو الاتجاهات الإسلامية. والآخر الحزب الديموقراطي الإندونيسي العلماني النزعة، الذي ضم عناصر إسلامية وأخرى مسيحية إلى جانب من تنظيمات إسلامية أخرى غير حزبية».[257]

إن جهود محمد ناصر -بعد عام من الحوار مع قيادة أنصار دار الإسلام لتشكيل الجمهورية الإندونيسية المتحدة- باءت بالفشل بعد رفض كارتو سويرجو لمقترح محمد ناصر؛ ولكن بعد ذلك أبلغ محمد ناصر السيد عبدالقهار مذكِّر الزعيم الروحي لحركة دار الإسلام في جزيرة سولاويسي بفكرة تأسيس الجمهورية الإندونيسية الفيدرالية؛ حيث تردَّد في اتخاذ القرار بمفرده، وأشار بذلك إلى السيد داود بريوئيه الزعيم الروحي لمنطقة آتشيه.[258]

في البداية رفض بريوئيه مقترح محمد ناصر، واقترح بأن يجعل الدولة الفيدرالية في جزيرة سومطرا. وقد رفض مثل هذه الفكرة مبرّرًا بأنها تضيِّق على حركة دار الإسلام الاهتمام بالجزر الأخرى؛ ولكن بعد نقاش طويل بين بريوئيه ومحمد ناصر تفتَّقت فكرة الجمهورية الإندونيسة الفيدرالية، التي تكون فيها لله السلطة العليا. وبالإضافة إلى ذلك فهي، في نظر داود بريوئيه، تجسِّد نظام الحكم الإسلامي في كل المناطق؛ حيث إن كل الولايات يسهل عليها إيجاد إمكانية تطبيق الأحكام الشرعية، التي سوف تؤدي في الأخير إلى إقامة الدولة الفيدرالية الإسلامية.

وجدير بالذكر أن الجمهورية الإندونيسية الفيدرالية تمَّ الإعلان عنها في 8 فبراير 1960م؛ حيث استجابت لندائها بعض الولايات الإندونيسية على غرار الجمهورية الإسلامية لمنطقة سومطرا الشرقية، والجمهورية الإسلامية لمنطقة رياو «Riau» والجمهورية الإسلامية لمنطقة سومطرا الغربية مينغكابو «Minangkabau»، والجمهورية الإسلامية لمنطقة سولاويسي الشمالية، والجمهورية الإسلامية لمنطقة فاليمبان «سومطرا الشمالية».[259] وأن مثل تلك الحقائق التاريخية قد أسهم محمد ناصر في رسم معالمها، وهو يكافح من أجل تأسيس دولة تنشد تطبيق الأحكام الشرعية في كل مناحي الحياة وفي زاويا المؤسسات.

لم يدم عمر الجمهورية الإندونيسية الفيدرالية إلا فترة قصيرة؛ ففي عام 1961م قام معظم قادة الجيش المنشقِّين من غير المسلمين بتسليم أنفسهم إلى الحكومة المركزية؛ ما جعل مستقبل الدولة الإسلامية على المحك. وزاد إيمان أنصار الدولة الإسلامية بأن الزعماء غير المسلمين لا يرضون دائمًا بكل ما هو إسلامي، وسوف يبذلون كل جهودهم لمحاربة أي شكل من أشكال الدولة الإسلامية والعمل على إسقاطها بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة. وكذلك نبَّه محمد ناصر في الأخير لعدم موالاة غير المسلمين، مشيرًا إلى ما قال الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ } [آل عمران:١١٨].

أعقب ذلك العفو العام عن الذين سلمَّوا أنفسهم بعفو آخر عن كل من شاركوا في الحركة الثورية إذا ما هم سلَّموا أنفسهم أيضًا. استجاب السيد شفر الدين رئيس الجمهورية الإندونيسية المتحدة المفترَضة لنداء العفو الشامل، وأعلن بدوره عن الدخول في مصالحة غير مشروطة مع الحكومة المركزية في جاكرتا، تجعل من الحركة الثورية مجرَّد حدث تاريخي قضى ومضى.

* * * *

خامسًا: خطاب خاص من داود بريوئيه إلى محمد ناصر

بعد عودة زعماء حزب ماشومي من منفاهم الاختياري بسبب مشاركتهم في الحركة الثورية ضد الحكومة المركزية؛ حيث استفادوا من قانون المصالحة والعفو العام، تفقَّد داود بريوئيه أحوال محمد ناصر وزملائه؛ حيث بعث شخصًا لمقابلته في مدينة فادانج، وتسليمه الخطاب يدًا بيد. وهذا فحوى الخطاب الذي وجَّهه داود بريوئيه إلى محمد ناصر، يقول فيه:

تحية جهادية لمحمد ناصر وزملائه في الحركة الثورية، راجيًا ألا تقلِّل أوضاعكم الحالية من حماستكم الجهادية. وأنا بوصفي أولَ شخص قمت بالإعلان عن قيام الدولة الإسلامية في منطقة آتشيه، يستحيل أن أقوم بتسليم نفسي للحكومة المركزية في جاكرتا. ومن الخطأ الفادح، وهو أمر محرَّم في ديننا، أن أتوقف عن الجهاد ضد الحكومة المركزية الكافرة. إن ما نقوم به هو فريضة دينية؛ فإما النصر أو الشهادة؛ ولكن الاستسلام أعدُّه من المحرَّمات.

وفي الحركة الجهادية لا يكفي أن نرفع أيدينا تضرُّعًا إلى الله بأن ينصرنا؛ ولكن لا بد لنا من الكفاح الجاد والمستمر لتحقيق أهدافنا. ومهما كانت الظروف الصعبة التي نمرُّ بها؛ إلا أنه ينبغي أن نتمالك ونصبر من أجل رسم مستقبل إسلامي أفضل لبلادنا وأجيالنا. كما يفترَض أن نعمل يدًا واحدة للحفاظ على المناطق العسكرية التابعة للدولة الإسلامية، وأن نبذل الغالي والنفيس من أجل تطويرها. إن الدولة الإسلامية في آتشيه كيان حيوي وإستراتيجي ينبغي الدفاع عنه لا التفريط فيه.

ومن الخطأ الفادح أن يفكِّر الشخص بأن قانون العفو العام الصادر عن الحكومة المركزية تحت قيادة سوكارنو هو نهاية المطاف. لا شكَّ في أن سوكارنو على وشك أن يسلك تصرفًا سياسيًّا خبيثًا تجاهكم، وسوف تواجهون المحن التي لا يمكن تخيُّلها أبدًا.

في اعتقادي، وأظن هذا هو الصحيح، أن سوكارنو يتوجه نحو أعداء الإسلام، يطلب تعاونهم لحصار أعدائه من المسلمين. وهو الآن يتحرَّك دوليًّا لمضايقة الدول المجاورة. وإذا نجح في محاولاته الخبيثة؛ فلا مستقبل للحكم الإسلامي في إندونيسيا.

إن الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية سوف تستمر أمدًا طويلًا، تسقط فيها الأرواح وتسيل الدماء، ومنطقتنا ستكون من أكثر المتضرِّرين. ومن ثم علينا أن نستبق الأحداث برسم خطط عسكرية استراتيجية لمواصلة الكفاح ومواجهة ما يحاك ضد المسلمين في الجلاء والخفاء.

* * * *

كتب محمد ناصر:

نوافق بالكامل على ما قاله الوالد داود بريوئيه، باستثناء الفقرة ما قبل الأخيرة من خطابه حول الحروب الجارية في مناطق جنوب شرق آسيا. تحية جهادية مني للوالد داود بريوئيه الذي ليس من السهولة أن يتنازل عن قضيته الجهادية تحت أي ظرف كان.

طبعًا، أنا من ضمن الأشخاص الذين يدعون إلى قيام الدولة الإسلامية في إندونيسيا. وأن من يظن أني استسلمت لنظام سوكارنو لأتنازل عن مبدإ من مبادئي فهذا ليس صحيحًا. أنا أعارض سوكارنو منذ أن كنت شابًّا؛ حيث دامت معارضتي له إلى ما يزيد على ثلاثة عقود من الزمن، ومن ثم لا يمكن أن أُخدَع سياسيًّا بسهولة، وأجاري الظالمين في ظلمهم وغيِّهم. علمًا أنه بعد فرار الهولنديين وقدوم الاحتلال الياباني، طالب سوكارنو من الشباب الإندونيسي إبداء روح التعاون مع القوات اليابانية المحتلَّة، ولكني كنت أخالفه في ذلك الوقت؛ إذ «تنحصر الانتقادات التي وجهت لسوكارنو في ثلاثة انتقادات: الأول خاص بسياسته الداخلية، والثاني في موقفه من الغرب، والثالث في اتهامه بالتعاون مع اليابانيين».[260]

يقول محمد ناصر: صحيح أني كنت إلى جانب سوكارنو في إدارة الحكم، ولكن مواقفه الظالمة اقتضت مني أن أعارضه. وحينما كنت رئيسًا للوزراء خالفته فيما رأيته غير صواب منه؛ حيث طالبت منه عدم إصدار بيانات سياسية في أثناء زيارته لدولة الفلبين في مانيلا. وإن الأمر الذي هو محل خلاف جذري بيني وبين سوكارنو، هو أنه وقف ضد الفكرة التي طرحتها أمام البرلمان بأن يكون الإسلام مصدرًا أساسيًّا في التشريع الإندونيسي؛ حيث كان ذلك في 12 نوفمبر 1957م. وكنا في ذلك الوقت نمثِّل الأغلبية في البرلمان؛ إلا أن سوكارنو قام باستبعادنا بطريقة غير شرعية تخالف مبادئ الدستور.

كنت مجبرًا على سلوك طريق النضال ضد الحكومة المركزية. في البداية عقدنا العزم على الذهاب إلى مدينة آتشيه للانضمام إلى مسيرة الكفاح التي يقودها الوالد داود، يحدونا الأمل في إقامة الدولة الإسلامية، كما تصورناها في حكمها وتشريعها؛ ولكن للأسف وقف الشيوعيون لنا بالمرصاد، وتربَّصوا بنا الدوائر، عليهم دائرة السوء. كما فكرنا في الذهاب إلى الخارج لمواصلة الكفاح من المنفى؛ ولكن كل الطرق كانت مسدودة في وجهنا. ولهذا اتخذنا قرارنا، واخترنا أن نقيم كرهًا في سجون سوكارنو التي لا مفرَّ منها. وعلى كل حال نشكر الله سبحانه وتعالى على أنه أنعم علينا بالسلامة، وأننا استطعنا مقابلة مبعوثك إلينا. ولا شكَّ في أننا سنواجه ابتلاءات عظيمة، كما توقَّع الوالد داود في خطابه الموجه إلينا.

دعني أعبِّر عن شكري لله من جديد على أننا، وإلى هذ الوقت العصيب، ما زلنا على قيد الحياة. كنت أفكِّر في أنني سأسقط شهيدًا، كما حدث للسيد دحلان جمبيك الذي قتله الشيوعيون. كنا في ذلك الوقت في طريق العودة إلى مدينة فادانج، كنا نبحث عن الطريق المؤدي إلى أندالس «Andalas»؛ ولكن في أثناء السير طالب منا جنود سوكارنو الاستسلام، وقد قلت لهم: إن كنتم تريدوننا فاقبضوا علينا، وإن كنتم تريدون قتلنا فافعلوا؛ ولكن لا تطلبوا منا أن نستسلم. وبعد ذلك أخذنا هؤلاء الجنود إلى إحدى المناطق العسكرية. ومن حسن حظنا أن الجنرال ناسوتيون أصدر تعليمات إلى اللواء سيتومبول «Sitompul» بالبحث عنا؛ حيث قال له: «اذهب وابحث عن ناصر وزملائه، ولا يمكن لك العودة إلا بمرافقة ناصر إلى سومطرا الشمالية». فجاء اللواء سيتومبول مع مرافقيه، وطلب فورًا من الضابط العسكري المسؤول بتسليم محمد ناصر وزملائه. فقال له الضابط: «محمد ناصر وزملاؤه استسلموا لنا، ولا أحد له الحق في انتزاعهم منا». فرد عليه اللواء سيتومبول قائلًا: « ولا أحد له الحق في حبس ناصر، وأنه لم يستسلم لأي أحد منكم، وقد أمرنا الجنرال ناسوتيون بألا نغادر هذا المكان من غير اصطحاب ناصر معنا، ولو كلَّفنا ذلك ما كلَّفنا». لقد كانت التهديدات الكلامية وتوصية الجنرال ناسوتيون كافية، ليسمحوا لنا بالمغادرة رفقة اللواء سيتومبول، متوجهين بسلام إلى مدينة سومطرا.

قال محمد ناصر لمبعوث داود بريوئيه: بلِّغ الوالد داود بأنه لو لم يكن هناك خيانة من أحمد حسين وسيمبولون لاختلف الوضع تمامًا. وحتى لو لم ننجح في مهمَّتنا الدينية والوطنية، على الأقل ستكون إندونيسيا دولة فيدرالية، وأن روح الدستور الجديد لن يكون بعيدًا مما جاء في الشريعة الإسلامية. إن الجنرال ناسوتيون وافق مبدئيًّا على شكل الدستور الجديد في نقاشه مع السيد شفر الدين. وهذه هي الطريقة الوحيدة لمواجهة خطط الشيوعيين الخبيثة.

وبناءً على شهادة مبعوث داود بريوئيه فقد رأى بنفسه أن محمد ناصر قد انتبته حالة من البكاء، وهو يقرأ خطاب داود، ويتمعَّن في أفكاره.[261]

* * * *

الفصل الحادي عشر محمد ناصر وموقفه السياسي من نظام سوهارتو:نظام العهد الجديد

يناقش هذا الفصل تولي سوهارتو سدَّة الحكم في إندونيسيا خلفًا لسوكارنو، كما يتطرَّق أيضًا إلى نظامه السياسي وأسلوبه في إدارة الدولة. إن الفترة التي قضاها سوهارتو رئيسًا لجمهورية إندونيسيا يمكن القول: إنها فترة اتسمت بالديمقراطية، ولكن على طريقته الخاصة كما سنرى، وهي مرحلة جديدة في إدارة الحكم، جاءت لتصحيح أخطاء سوكارنو السياسية، لا سيما إصراره على اتخاذ الديمقراطية الموجَّهة سبيلًا أوحدَ للتعاطي مع المجتمع السياسي، والبحث عن حلول له من منظورها.

* * * *

أولًا: نهاية الشيوعية والشيوعيين

لم يستطع سوكارنو التحكم في نظامه بعد أن زاحمه الشيوعيون في إدارة الحكومة طوعًا وكرهًا؛ فامتدَّ نفوذهم إلى أبعد حد. لقد تسلَّموا حقائب وزارية، مهَّدت لهم الطريق لأن يستولوا على مؤسسات الدولة؛ حيث انتهت مغامرتهم السياسية والعسكرية إلى تدبير انقلاب عسكري عام 1965م بالتعاون مع قادة الصين الشيوعيين. لقد سقط في هذا الانقلاب الفاشل قتلى من كبار الضباط، وغالبيتهم كانوا من المسلمين؛ إذ إن الشيوعيين قد رصدوهم من مدَّة، ثم استهدفوهم واحدًا واحدًا؛ ولكن جعل الله كيدهم في نحورهم. لقد قاتلهم المسلمون حتى آخر شيوعي وأعدموهم؛ ما أدى إلى حظر أنشطتهم الوجودية والسياسية إلى يوم الإندونيسيين هذا.

* * * *

ثانيًا: سوهارتو بوصفه بطلًا قوميًّا

لقد أدار سوكارنو البلاد بطريقة فيها الكثير من الغموض الإيديولوجي، مستعملاً ما يسمى بالديمقراطية الموجَّهة. وقد أتاح سوكارنو للحزب الشيوعي فرصًا عديدة للتمدُّد والتوسُّع؛ إذ تبوَّأ بعض أفراده مناصب وزارية، ثم زاد نفوذهم بعد تدبيرهم لانقلاب عسكري؛ ما نتج عنه تصادم عنيف بالجماهير، واندلعت المظاهرات في أنحاء إندونيسيا يحرِّكها الشباب وطلاب الجامعات، الذين كانوا ينادون بحل الحزب الشيوعي وسجن قادته.

شارك في هذه المعركة الدموية ضد الشيوعيين معظم شباب المسلمين الإندونيسيين، وتمكَّنوا من البطش بأتباع الشيوعيين الانقلابيين. وقد أبلى سوهارتو بوصفه جنرالًا في الجيش الإندونيسي بلاء حسنًا في الدفاع عن الدولة ومؤسساتها، ضد ما أصابها من خيانة الشيوعيين وأنصارهم. وفي 1 أكتوبر 1966م أعلن سوهارتو رسميًّا عن حل الحزب الشيوعي الإندونيسي، وحظر جميع أنشطته السياسية والاجتماعية والوجودية في أرض إندونيسيا. وفي هذه الظروف لمع نجم سوهارتو بوصفه بطلًا ساعد في القضاء على الانقلاب الشيوعي المدعوم من الصين.[262]

لقد حظي سوهارتو بقبول جميع أفراد الشعب بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والسياسية؛ إذ رأوا أن الالتفاف حوله يفضي إلى استقرار البلاد، واستئصال الوجود الشيوعي. ووجد سوهارتو دعمًا من الطلاب الذين ساعدوا على تصفية جيوب الحزب الشيوعي؛ فعمل العامة من الشعب على معاقبة قادة هذا الحزب وإعدامهم بعد أن أذن لهم القادة المسلمون بذلك.

وجَّه سوهارتو نداءً تاريخيًّا ووطنيًّا لكل فئات المجتمع، لمحاربة الشيوعية واستئصال شأفة الشيوعيين من مؤسسات الدولة. وكان طلبة الجامعة قد شاركوا في الحشود الغاضبة ضد الوجود الشيوعي في البلاد، وطالبوا بحل الحزب الشيوعي في المدن الإندونيسية الكبرى، حيث يتواجد الشيوعيون بكثافة. إن الاحتجاجات الغاضبة التي عمت البلاد، لاسيما جاكرتا، قد أدت إلى قتل آلاف الشيوعيين، بعدما أجاز العلماء المسلمون الإندونيسيون، وأفتوا بقتلهم جزاءً وفاقًا. ومما لا شكَّ فيه أن المسلمين الإندونيسيين قد أبلوا بلاءً حسنًا في معركتهم التاريخية ضد الشيوعيين الإندونيسيين؛ ما جعلهم أبطالًا في مجتمعهم المتعدِّد الأعراق والديانات، وجلب لهم ذلك المزيد من الحب والود والامتنان كونهم حافظوا على مؤسسات الدولة قائمة، وأبقوا على المجتمع مستقرًّا وآمنًا.[263]

وعلى العموم وجد سوهارتو قبولًا حسنًا من عامة الشعب؛ لأنه قضى على الحركة الشيوعية الثورية. غير أن بعض المصادر ذكرت أنه استخدم سياسة الترقُّب والانتظار؛ حيث كان يترقَّب ما يسفر عنه الوضع، فلما رأى أن الانقلاب لا محالة فاشل تظاهر بمساندة الإسلاميين؛ ما يدل على أن نواياه تجاه الإسلام لم تكن صادقة؛ إذ سرعان ما قام بتهميش المبادئ الإسلامية، والاعتماد على مبادئ العلمانية التي كان يؤمن بها، ويعتقد بأنها الأمثل لإدارة دفَّة النظام. ويلاحَظ أن الفرق بين

سوكارنو وسوهارتو، أن الأول اعتمد على الشيوعية مرجعًا في إدارة الدولة، وذلك بإبعاد الإسلام علانية؛ أما سوهارتو فاعتمد العلمانية في إدارة الدولة، وهي لا تختلف عن الشيوعية في شيء؛ إلا أن الفارق هو أن سوهارتو عمل على ضرب الدين الإسلامي بصورة خفية. فما كان يجمع بين الزعيمين هو العمل على تهميش المبادئ الإسلامية وتشويهها تمهيدًا للقضاء عليها.

ويجب أن نشير هنا إلى أن سوهارتو في بداية حكمه عمل على توحيد السياسة، وصهر جميع الإيديولوجيات في بوتقة واحدة، وقد وجد قبولًا شعبيًّا لا مثيل له. وكانت العلاقة بينه وبين الشعب تتسم بالهدوء والارتياح الشديدين، بل كان شهر عسل على رأي بعض المحلِّلين.

في أول عهده بالحكم، كانت علاقة سوهارتو بالإسلاميين علاقة يسودها الاحترام والتراحم. وعلى الرغم من إعلان سوهارتو عن القيام بحل الحزب الشيوعي، وتجريم وجوده في مؤسسات الدولة، فإنه استمر في انتقامه غير المسبوق من كل شيوعي يصادفه؛ حيث قتل من أنصار الشيوعية وأتباعها ما يقرب من مليون شيوعي، بمساندة من الإسلامين بخاصة والمجتمع الإندونيسي المسلم بعامة. وهذا العدد الضخم من القتلى الشيوعيين جلب عليه سخط هيئة حقوق الإنسان، وعدوا ما فعله سوهارتو في حق الشيوعيين عملًا عديم الرحمة، وإجرامًا يحاسب عليه دوليًّا.

أما عن المجتمع الإندونيسي فلم يكن ينتظر من سوهارتو غير استتباب الأمن، وتحقيق الاستقرار، ودفع عجلة التنمية إلى الأمام. لقد ساند العلماءُ والخبراء وأساتذة الجامعات وطلابها وعامة الناس النظامَ الجديد الذي بشَّر به سوهارتو. ومن ثم أجمع الشعب بكل فئاته على سوهارتو حاكمًا مخلِّصًا، وربَّانًا مخلصًا لسفينتهم التي اغتصبها الشيوعيون، وما زالت تصيبها أمواج الماضي الشيوعي بين فترة وأخرى. لقد التفَّ المجتمع الإندونيسي حول سوهارتو أملًا في مشاركة حاضره السياسي، ونسيان جراح الماضي، والتطلع إلى مستقبل أفضل.

ما من شكٍّ في أن محمد ناصر قد أيَّد سوهارتو فيما قام به من تجريم للشيوعية في البلاد، وحرمانها مدى الحياة من المشاركة السياسية، بعدما عاثوا في أرض إندونيسيا فسادًا. وقد عبَّر محمد ناصر عن ارتياحه؛ حيث أحسن الظن بنظام سوهارتو الجديد، وتوسَّم فيه الخير للشعب الإندونيسي على مختلف أعراقه ودياناته؛ ما دام الشيوعيون وهم الأعداء التقليديون للمسلمين قد انزاحوا إلى الأبد من غير رجعة؛ إنهم سبب الوجع السياسي الذي أصاب الإسلاميين في عهد سوكارنو.

لقد ناشد محمد ناصر رئيس وزراء إندونيسيا الأسبق، أبناء الوطن بالالتفاف حول القائد سوهارتو، وتقديم يد العون له للخروج في أسرع وقت ممكن من الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي ما زالت راسبة في أعماق مؤسسات الدولة. لقد لبَّ الشعب بجميع طبقاته النداء، حيث تفاءلوا بنظام عادل تحت قيادة رشيدة؛ إذ حققت تلك الفترة نوعًا من الاستقرار، ساعدت الشعب على مواجهة التحديات من غير خوف ولا وجل.[264] ولكن سرعان ما ساءت الأمور، وتمزق حبل الثقة بين النظام وبين المسلمين ذوي الأغلبية الساحقة.

يجمع المحلِّلون والخبراء على أن وصول سوهارتو إلى دفَّة الحكم، ما كان له أن يتحقَّق لولا نصرة المسلمين ومساندته له، من الذين رأوا فيه خلاصًا من الشيوعية الملحدة. إذ قدِّر لهذا التقارب أن ينهار، ولهذا الحب الذي كان في قلوب المسلمين أن تخفت ناره. وقد حدث كل ذلك بعد ظهور النوايا السيئة تجاه الدين الإسلامي من قبل سوهارتو وبطانته الفاسدة؛ فانفكَّت صلات القربى بين الحكومة الجديدة وبين الإسلاميين الذين لم يكونوا قد نكأوا جراحهم بعد.[265]

ولا شكَّ في أن سوهارتو هو صاحب عقيدة إسلامية، إلا أن نظرته إلى الإسلام ودوره في الحياة كنظام، تختلف بحسب المكانة التي يحتلها سوهاتو في الدولة؛ فهو يحصر الإسلام في التقاليد وفي أمور شخصية أو تزينية؛ إذ نلفيه يقول في إحدى مهرجانات استقلال إندونيسيا: «كان لحضور الإسلام في إندونيسيا ولا يزال يؤثر بعمق في مختلف نواحي الحياة حتى يومنا هذا. ويمكننا أن نشاهد ذلك في فن الهندسة المعمارية، وفي أنماط الزخارف والأعمال الأدبية، وغير ذلك من الفنون الأخرى، بل حتى في تقاليد المجتمع الإندونيسي».[266]

ثالثًا: حرمان الإسلاميين من المشاركة السياسية

كما ذكرنا سابقًا، إن شهرة سوهارتو ترجع إلى قدرته على حلِّ الحزب الشيوعي ومحاربته؛ ما أدى إلى التفاف جميع الإسلاميين حوله، وظنوا أنه المخلِّص من كل المشكلات، وأن عهده سيشهد نظامًا ديمقراطيًّا جديدًا يتيح العدل والمساواة للجميع، ولهذا كوفئ حزب ماشومي بالاشتراك في إدارة الدولة في الفترة الانتقالية، وقد جاءت هذه المكافأة مقابل ما بذله هذا الحزب من جهد في الكفاح ضد الشيوعيين. هذا وقد كان حزب ماشومي محرومًا من المشاركة السياسية منذ 6 أكتوبر 1966م.

رأى رئيس الحزب براوتو مانكو ساسميتو «1910-1970م» ضرورة مشاركة حزبه في السياسة وإدارة الدولة بصورة فاعلة؛ حيث كتب إلى سوهارتو خطابًا في هذا الشأن، فكان رد سوهارتو غريبًا ومخيبًا لآمال الإسلاميين؛ إذ قال: إن حزب ماشومي لا يختلف عن الحزب الشيوعي؛ لأنه يعمل على تغيير فلسفة الدولة وتشكيلها وفق الإيديولوجية الإسلامية. وكان هذا الرد بمثابة القشَّة التي قصمت ظهر البعير، فبدأ التنافر بين سوهارتو وعامة الناس من المسلمين؛ إذ رأوا في عدم الاختلاف بينهم وبين الحزب الشيوعي إهانة. لم يسكت حزب ماشومي على هذه الإهانة، بل أرسل خطابًا للسلطة عبَّر فيه عن غضبه وسخطه مستندًا إلى مذكرة اتحاد المحامين التي تقول بعدم شرعية حل حزب ماشومي والحزب الاشتراكي.

وبناء على ذلك، طالب حزب ماشومي من رئيس الدولة إعادة النظر في القرار والسماح لحزب ماشومي بالمشاركة السياسية؛ لأن مشاركة هذا الحزب ستزيد من شعبية الرئيس، فضلًا عن أنها ستقود إلى المحافظة على الوحدة الوطنية، وانتعاش الحالة الاقتصادية، وجلب الأمن والاستقرار للبلاد. وكان رد الرئيس سوهارتو صارمًا بعدم منح أي فرصة للحزب بالمشاركة السياسية، وذلك بناء على مذكرة تلقاها من رئيس أركان الجيش. [267] ولكن التحجج برئيس أركان الجيش كانت حيلة لجأ إليها سوهارتو، ليظهر بأن القرار ليس قراره وحده، بل يشاركه الجيش في اتخاذ هذا القرار، وهي الجهة المنوط بها حفظ الأمن.

عندما شعر زعماء حزب ماشومي بصلابة موقفه، اتجهوا إلى تأسيس حزب جديد، أطلقوا عليه حزب مسلمي إندونيسيا «Partai Muslimin Indonesia, Parmusi»، وجاءت فكرة إنشاء هذا الحزب بعد سلسلة من اللقاءات بين مجموعة من الهيئات الإسلامية، ومن ثَمَّ أرسلوا خطابًا جديدًا إلى سوهارتو في 24 أغسطس 1967م، أعلموه بقيام حزب جديد وفقًا للقوانين واللوائح، وتمَّ عقد سلسلة من اللقاءات بين الزعماء السياسيين والسلطة؛ ولكن فشلت في النهاية كل محاولات إنشاء الحزب الجديد؛ لأن سوهارتو أبدى رفضًا شديدًا لتولي أي زعيم من حزب ماشومي منصبًا قياديًّا في الدولة. [268]

لقد علّل سوهارتو رفضه إنشاء حزب جديد، وإقصاء زعماء ماشومي عن قيادته، بأن حظره لنشاط حزب ماشومي هو أمر مؤقَّت، فقد يتوقف الحظر في وقت لاحق، لذا كان يرى أنه ليس من الضرورة إنشاء حزب جديد. وننقل من أقواله ما يأتي: إن قادة حزب ماشومي ليسوا بحاجة لتولي مناصب قيادية في هذه الفترة، وعليهم أن يؤدوا أدوارهم من خلف الكواليس، وأن يتحلوا بالصبر إلى حين عقد المؤتمر الأول للحزب، وإجراء الانتخابات. وأكد بأنه لن يتدخَّل وقتها، بل سيترك للشعب اختيار ما يراه مناسبًا. وتمَّ عقد المؤتمر في نوفمبر 1968م، وأسفرت الانتخابات عن اختيار محمد روم «1908-1983م» رئيسًا نظرًا إلى ما عرف عنه من اعتدال، فضلًا عن إسهاماته الوطنية والسياسية، فقد تولى منصب وزير الخارجية في عهد سوكارنو، وكان يتوقَّع أن يحترم سوهارتو قراراته، وذلك بعدم التدخُّل في أعمال المؤتمر؛ ولكنه قلب لهم ظهر المجن، وأبدى علانية نواياه السيئة؛ إذ أرسل إلى المؤتمرين تعليمات خلاصتها: أن الحكومة لن تقبل ترشيح أي زعيم من زعماء ماشومي لتولي رئاسة الحزب. [269]

لم يقف زعماء الحزب مكتوفي الأيدي، بل سعوا إلى مقابلة سوهارتو من طريق زعيمهم براوتو مانكو ساسميتو، وسأل الأخير سوهارتو عن أسباب رفضه، فأكَّد له الرئيس أن سبب الرفض يرجع إلى ما جاء في مذكِّرة قائد الجيش، فهو نفسه متخوِّف من خطط الحزب الرامية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وفي ذلك تعارض مع ما تمَّ الاتفاق عليه مع الزعماء الوطنيين ما قبل الاستقلال، ورأى أن مبادئ حزب ماشومي تتعارض مع دستور عام 1945م. والغريب في الأمر أن ماشومي لم يكن الحزب الإسلامي الوحيد، فهناك حزب إسلامي آخر تحت قيادة الدكتور محمد حتَّا مؤسس الحزب الديمقراطي الإسلامي. ويلاحظ أن سوهارتو بدأ يتصرف منذ البداية وكأنه رئيس منتخب من الشعب، وتناسى أنه نصِّب رئيسًا للجمهورية بصفة مؤقتة عام 1968م، إلى حين إجراء الانتخابات العامة لاختيار الرئيس الرسمي عام 1971م. [270]

لقد قام سوهارتو بدءًا من عام 1971م، بتقليص عدد الأحزاب؛ فقد قلَّصها من عشرة أحزاب إلى سبعة فقط، ثم اختزلت الأحزاب السبعة إلى ثلاثة أحزاب إسلامية، والحزب الديمقراطي الإندونيسي «Partai Demokrasi Indonesia, PDI» الذي يضم جميع العناصر النصرانية، وحزب العمال «Golongan Karya, Golkar» المدعوم ماديًّا ومعنويًّا من قبل الحكومة. وقد عملت الدولة -كما أشرنا سابقًا- على السير على هدى المبادئ الخمسة المعروفة ببنتشاسيلا في جميع النشاطات السياسية والاجتماعية. وغير خافٍ أن الدولة كانت قلقة من المجموعات التي كانت تعمل سرًّا من أجل جعل دستور الدولة مستلهمًا من الشريعة الإسلامية. ولكسر شوكة هذه المجموعات، رأت الدولة ضرورة استخدام مبادئ بنتشاسيلا عند ممارسة الأعمال الدينية، وهي مبادئ غامضة وغير واضحة.

هذا وقد قامت الدولة ببناء المساجد المعروفة من حيث المنارة والقبَّة؛ ولكن في شكلها كانت تعبِّر عن مبادئ فلسفة الدولة. فضلًا عن ذلك فإن بعض العبادات مثل الزكاة والصدقات أطلق عليها اسم

زكاة بنتشاسيلا؛ إذ أنشأ سوهارتو مؤسسة الزكاة تحت بنتشاسيلا، وهي زكاة تخصم من مرتَّبات موظفي الدولة شهريًّا. كما نلاحظ اختفاء رمز الكعبة من شعار الحزب الإسلامي «اتحاد»«Partai Persatuan Pembangunan, PPP»، الذي كان معمولًا به حتى عام 1977م، وذلك نظرًا إلى خوف أعضائه من الطرد من البرلمان. كانت الحكومة تتدخَّل أيضًا في ترشيح بعض القيادات لتولي المناصب القيادية العليا. ويلاحظ أن كل ما له علاقة بالإسلام بدا مرفوضًا من قبل السلطة؛ حتى الأحزاب التي غيَّرت أسماءها الدينية لم تسلم من الحظر والتهميش.[271]

وعندما حان موعد المؤتمر السنوي نشطت الحكومة لوضع العراقيل، ولم تسمح بمرور الأجندة إلا ما كان يتماشى مع سياستها، وظلت عين الحكومة ساهرة تراقب نشاطات الأحزاب لا سيما الحزب الإسلامي؛ بل تم حظر جميع النشاطات والمؤتمرات الدينية التي لم تكن متوافقة مع برامج الدولة وسياستها. فأحزاب المعارضة صارت لا حول لها ولا قوة، وحزب العمال كان لا يمت للسياسة بشيء؛ إلا أنه كان يمارسها بمباركة السلطة، بينما الديمقراطية كانت مزيَّفة وغير صادقة. لقد لوحظ أن حزب العمال المدعوم حكوميًّا هو صاحب الأغلبية في البرلمان، وهذا وحده كان دليلاً واضحًا على عدم نزاهة رجالات السلطة. وعملت الحكومة سابقًا على تغيير رمز الحزب الإسلامي، فأزالت «الكعبة»، ووضعت مكانها «نجمة»؛ حتى لا يجد مناصرة من أفراد الشعب في الريف، وهم فئة تجهل القراءة والكتابة. وكل هذه الأفعال كان الهدف من ورائها إقصاء الإسلاميين من السلطة، ومن اتخاذ القرار.[272]

كما كان سوهارتو في إدارته للدولة يعوِّل كثيرًا على المخابرات والنظام البوليسي، والعمل على إبعاد الإسلام من السياسة. ولتنفيذ هذه الخطط عيَّن علي مورتوبو «A. Murtopo» «1924-1984م» مستشارًا شخصيًّا له للشؤون السياسية. وهذا الرجل قد قام بتنشيط التنمية مستعينًا بمجموعة من الليبراليين. كما تقرَّب سوهارتو من داود يوسف «D. Jusuf» «1926-للآن» العلماني فعيَّنه وزيرًا للتربية والتعليم. كما وجد تأييدًا ومباركة من طائفة اليهود بقيادة بيتر بيك الهولندي «P. Beeck»، وهو أحد زعماء الكنائس، ومن المدربين للطلاب في يوكياكرتا.[273] هذا وقد عرِف بيتر بتعصبه للنصرانية، وعمل على إنشاء خلية من الشباب المسيحيين، هدفها إعانة المخابرات في جميع المؤسسات الحكومية، بهدف مراقبة الحركات الإسلامية ونشاطاتها. وقد قام علي مورتوبو بتعيين معاون له اسمه فيتوت سوهارتو «P. Suharto»، وكان من واجباته القضاء على التيارات المناوئة لإيديولوجية الدولة لا سيما الأحزاب الإسلامية، مثل: حزب الاتحاد، وجمعية نهضة العلماء «Nahdatul Ulama, NU»، وغيرهما.[274]

واضح أن الحكومة كانت تسعى من وراء إبعاد التيارات الإسلامية من السلطة إلى علمنة الدولة، وبث الأفكار المعادية للدين الإسلامي الذي تبتغيه الأغلبية في إندونيسيا. وقد نجحت الدولة إلى حد ما في تطبيق سياستها المتعلقة ببنتشاسيلا؛ ولكن نظرًا إلى غموض المبادئ كما ذكرنا سابقًا، فإنها لم تحقِّق نجاحًا كاملًا.

* * * *

رابعًا: إقصاء الإسلام من النشاطات السياسية والاجتماعية

كانت سياسة الحكومة في بدايتها قد خاطبت جميع الهيئات الاجتماعية بغض النظر عن نزعاتها الدينية؛ إلا أنها أقصت الإسلام دين الأغلبية، ساعية بذلك إلى منع أتباع هذه الديانة من ممارسة السياسة، وذلك خوفًا من سعيهم إلى تطبيق الشريعة الإسلامية.

إن المراحل التي مرَّت بها الحكومة في اتخاذ بنتشاسيلا مصدرًا أساسيًّا في جميع الأنشطة الدينية والسياسية، ظهرت منذ إلقاء سوهارتو كلمته أمام القادة العسكريين في مدينة فاكن بارو «Pakan Baru» عام 1980م. وفي أثناء كلمته تلك عبَّر عن مخاوفه من ظهور بعض العناصر التي ترغب في تغيير الدستور الصادر عام 1945م. [275]وقد كرَّر سوهارتو مثل هذا الادعاء أمام أعضاء البرلمان في 6 أغسطس 1983م؛ ما كان يعبِّر عن رغبته في الإبقاء على فلسفة الدولة ومبادئها ومحاولة تطبيقها. وبعد فترة مصيرية من العام نفسه، وافق البرلمان على مشروع سياسي، يلزم جميع الهيئات الإسلامية أو غيرها باتباع مبادئ فلسفة الدولة، وقد لاقى هذا القرار معارضة من قبل طلاب الجامعات.

لقد كانت الدولة تعد دستور البلاد أمرًا مقدَّسًا، لا يجوز المساس به، وكل من يحاول المساس بذلك فهو في موضع اتهام. وقد رأى أحد زعماء المسلمين، وهو عبدالقادر جيلاني، أن تطبيق فلسفة الدولة في جميع النشاطات الدينية وغيرها، يعد شركًا صريحًا، ونشرًا للأفكار العلمانية في الدولة. [276]وفي هذا الصدد نلفي الباحث الإندونيسي أمل فتح الله زركشي، يقول: «كان عيسى أنصاري وجمعية الاتحاد الإسلامي أول من هاجم بنتشاسيلا بشجاعة، لما فيها من سلبيات. ورأى عيسى أنصاري في كتابه الأمة الإسلامية تواجه الانتخابات العامة «Umat Islam Menghadapi Pemilihan Umum»، قائلاً: إن بانتشاسيلا إيديولوجية غير واضحة في تفسيرها، واستخدمت كشعار فقط. وإني أشك في أساس الديمقراطية، هل هي ديموقراطية غربية أم ديمقراطية أوربية شرقية، أم ديمقراطية على أساس الأغلبية. وأكد أن الإسلام وضع مفهومًا معينًا للديمقراطية... وقد ذكر عدم وضوح الأساس الأول، وهو عقيدة التوحيد عند المسلمين. إن عقيدة التوحيد في أسس بنتشاسيلا لا تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطبيق العقيدة ومحاربة الشرك، وكذلك لا يمكن أن تستخدم معيارًا لعلاج كل المشكلات والقضايا». [277]

والسؤال الذي يفرض نفسه: لماذا ظل النظام الجديد تحت قيادة سوهارتو في عداء دائم للهيئات الإسلامية واتهامها بأنها تعمل ضد مبادئ الدولة وفلسفتها؟ والحق أن عداء الحكومات للهيئات الإسلامية ليس مقتصرًا على إندونيسيا، بل هو ظاهرة عامة في معظم دول العالم الإسلامي؛ ولعل توجه النظام في إندونيسيا نحو استخدام بنتشاسيلا لمنع النشاطات الإسلامية، مرده الخوف من حدوث بعض الصراعات الدموية ضد النظام كما حدث في عقود سابقة.

ويرى بعض المحلِّلين بأن فرض فلسفة الدولة على الأنشطة الدينية، أدَّى إلى حصول توتر واختلاف بين الحكومة والمعارضة. وقد بذلت الحكومة أموالًا باهظة لكي يتقبل أفراد الشعب هذه السياسة التي تتعارض مع العقيدة الإسلامية. ولم يجد المعارضون متنفَّسًا لإبداء آرائهم نظرًا إلى ما تمارسه الحكومة من رقابة شديدة على الصحف ووسائل الإعلام العامة. وفي النهاية قاد الاضطهاد الحكومي إلى توحيد كلمة زعماء المعارضة؛ فاجتمعوا على اختلاف طوائفهم وانتماءاتهم الدينية والعرقية، حيث رفعوا مذكرة طالبوا فيها بسحب الثقة من سوهارتو بوصفه زعيمًا للأمة؛ لأن ما يقوم به فعلاً على أرض الواقع، يتعارض تمامًا مع ما أعلنه أمام أعضاء البرلمان لحظة توليه السلطة.

وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التي أبدتها الهيئات الإسلامية ضد اعتماد مبادئ بنتشاسيلا، بوصفها مصدرًا للنشاطات السياسية والدينية، نلفي عبدالرحيم وحيد «A. Wahid» «1940-2009م»، زعيم أكبر جمعية يطلق عليها اسم نهضة العلماء المسلمين، يبدي موافقته الصريحة على الالتزام بهذه المبادئ، وقد صرح بذلك عام 1973م، ورأى أن الأخذ بهذه المبادئ ييسر العمل مع الحكومة. ويبدو أن الليونة التي أبدتها نهضة علماء المسلمين نابعة من اعتقادها أن مهادنة الحكومة والعمل معها، سيساعد على دفع عجلة التنمية إلى الأمام.[278]

لقد ساند سوهارتو مجموعة من الجمعيات، منها: مجلس الدعوة الإسلامية الإندونيسي، وهذا المجلس تأييده لم يكن غريبًا، لأنه مؤسسة تابعة للدولة، وكذلك كان مجلس العلماء الإندونيسي من المؤيدين لذلك؛ أما الجمعية المحمدية، فقد وقفت موقفًا معارضًا منذ البداية، وتبعها كثير من الهيئات الإسلامية التي أخذت على عاتقها نشر الدعوة الإسلامية الخالية من الشوائب. وهذه الهيئات الرافضة وجدت في مبادئ الدولة بنتشاسيلا كفرًا وإلحادًا يناقض ما كانوا يدعون إليه من مبادئ إسلامية سامية.

على العموم، إن مبادئ بنتشاسيلا في رأي هذه الهيئات الإسلامية ما هي إلا علمنة للدولة، ونشر للكفر والإلحاد. وليس بغريب أن يصدر وزير الداخلية في ذلك الوقت مرسومًا يمنع فيه نشاط هذه الهيئات داخل المجتمع الإندونيسي؛ أما الطلاب فقد عارضوا مبادئ بنتشاسيلا معارضة صريحة ممثلين في جمعية الطلبة الإندونسيين؛ بينما الشق الآخر من الطلاب المسمى اتحاد الطلبة الإندونيسي، فقد انقسم إلى قسمين: القسم الأول سار مع ركب الحكومة نظرًا إلى الضغوط التي فرضت عليه من قبل الحكومة، أما القسم الثاني فأعلن رفضه ومعارضته. ونشير هنا إلى أن الجمعيات الإسلامية أدت دورًا كبيرًا في محاربة الشيوعية في عهد سوكارنو، وكان لها الفضل في تنصيب سوهارتو رئيسًا للدولة؛ ولكن تنكَّر لها فيما بعد.

وقد أدى كل من عبدالغفور، وأكبر تانجونج «A. Tanjung» «1945-للآن» وغيرهم دورًا عظيمًا في الضغط على فئات الشعب المختلفة لقبول مبادئ بنتشاسيلا. كان عبدالغفور وزيرًا للشباب، وكان بمثابة المتحدث الرسمي باسم نظام سوهارتو؛ أما أكبر تانجونج فكان يتولى مجلس قيادة الحزب

الحاكم، وظل في هذا المنصب حتى بعد سقوط نظام سوهارتو، وتنحى عن منصبه بعد فشله أمام يوسف كالا «J. Kalla» نائب الرئيس.[279]

ظلت الهيئات الإسلامية تكرر رفضها القبول بمثل هذه المبادئ، لكونها ستقود إلى زعزعة العقيدة الإسلامية عقيدة الأغلبية الإندونيسية. وتوالت اجتماعاتهم إلى أن هجم عليهم العسكر، الذين تلقوا الأوامر من القائد المسيحي الجنرال بيني مورداني «B. Murdani» «1932-2004م»، وهو جنرال معروف بإجرامه وحبه لإراقة الدماء. وتربطه صلات مشبوهة بأعداء الأمة الإسلامية. وقد أصدر تلك الأوامر ردًّا على محاضرة ألقيت في جمع من الناس في 12 سبتمبر 1984م. أعقب تلك المحاضرة مظاهرة تطالب بفك أسر أربعة من أعضاء جماعة المسجد الذين تمَّ اعتقالهم من قبل جهاز أمن الدولة. لقد كانت المظاهرة سلمية؛ ولكن لما اقترب المتظاهرون من مركز الشرطة قام رجال الأمن بإطلاق الرصاص عليهم دون رحمة، فتساقطوا كأوراق الشجر في يوم عاصف، ولم يكتفوا بذلك، بل أخذوا يسبون ويشتمون الموتى، وداسوا على جثثهم بالشاحنات، فسالت الدماء أنهارًا، وحاول الجيش إخفاء معالم الجريمة، حيث طلبوا من رجال المطافئ سحب الجثث ومسح آثار الدماء بالماء.[280]

* * * *

خامسًا: بنتشاسيلا بوصفها فلسفة الدولة

قلنا آنفًا: إن حكومة سوهارتو قد طالبت الجماهير الالتزام بقانون 1945م، والتمسك بفلسفة الدولة المعلنة. وقد تمسك النظام الجديد بمبادئ الدولة المسماة بنتشاسيلا. و«بانتشا» تعني خمسة، و«سيلا» تعني مبادئ، وهي لغة سنسكريتية؛ أما المبادئ الخمسة -كما أجزلنا القول في الفصل السابع- فهي على النحو الآتي:

1. الألوهية الربانية الواحدة.

2. الإنسانية العادلة المتمدنة.

3. إندونيسيا المتحدة.

4. الشعبية الحكيمة.

5. العدالة الاجتماعية «لجميع شعب إندونيسيا».

الألوهية الواحدة هي الحرية التامة لجميع الأديان؛ والإنسانية المتمدنة تعني إبعاد العقوبات الواردة في الشريعة الإسلامية، لأنها تخالف التمدن في زعمهم؛ والشعبية الحكيمة تعني الديمقراطية. وقد اتضح للجميع بعد تولي سوهارتو السلطة بأن الديمقراطية التي وعد بها لا وجود لها، ولم يحصل المواطنون على حقوقهم التي وعدهم بها.

ظل نظام سوهارتو يقاتل من أجل إرساء دعائم بنتشاسيلا والعمل على غرسها في نفوس الشباب والجيل الصاعد، بحيث تصير إيديولوجية ثابتة وراسخة في النفوس؛ فأخذت الحكومة تبذل جهدها لشرح المبادئ الخمسة شرحًا تفصيليًّا، بل ذهبت أبعد من ذلك فأدخلتها ضمن المناهج التربوية في جميع المستويات التعليمية، بدءًا من المرحلة الابتدائية وانتهاءً بالمرحلة الجامعية. وأدرجت مادة الأخلاق، وهي مادة بديلة عن المواد الدينية.

واضح أن الحكومة كانت تسعى لنزع بذرة الإيمان من قلوب المؤمنين، وزعزعة عقائدهم، ونشر الأفكار الهدَّامة الباطلة المنافية لتعاليم الإسلام. إن الحكومة جريًا وراء الحفاظ على القومية، كانت تضحِّي بالدين؛ ولعل هذا الاتجاه هو الذي قاد إلى ثورة شديدة ضد الدولة ليس من المسلمين فقط، بل شاركهم في العداء والثورة غيرهم من أهل الديانات النصرانية والبوذية والهندوسية؛ لأنهم رأوا استحالة أخذ الأخلاق من مبادئ غامضة ومبهمة، مثل مبادئ بنتشاسيلا. إن مثل هذه السياسة الغامضة كانت تتوجه نحو تشكيك الشعب في دينه؛ لذا توحدت جميع الديانات على عدائها للدولة، ورأى أصحابها أن تلك المبادئ غايتها نشر الفكر الليبرالي ومحاربة كل شيء يدور في فلك الأديان.

فنَّد محمد ناصر رئيس الوزراء الأسبق تلك السياسة الخرقاء، التي انتهجها نظام سوهارتو في تطبيق مبادئ بنتشاسيلا، ونقدها نقدًا شديدًا، ورأى فيها عدوانًا ظاهرًا على الدين ومبادئه؛ ما حدا به إلى توجيه خطاب إلى رئيس البرلمان، يطالب فيه بإلغاء مادة الأخلاق؛ لأنها تخالف أصول العقيدة وتسعى لتدميرها، وهذه المبادئ هي مبادئ إلحادية بعيدة من الدين والروحانيات. [281] وهي أيضًا مبادئ تدعو إلى توحيد الأديان بغض النظر عن كونها سماوية أو غير سماوية، ولا شك في أن مثل هذا المفهوم له خطره على الشباب المسلم، الذي يدين بدين سماوي يعد آخر الأديان السماوية، وهو ناسخ لغيره من الأديان، وفاتهم قول المولى عزَّ وجل: { إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } [آل عمران:١٩].

* * * *

سادسًا: إعادة النظر في نظام الزواج الإسلامي وعلمنته

بعد مضي ست سنوات في الحكم، تفتَّق ذهن سوهارتو عن نظام جديد للزواج، يسعى إلى فرض قانون علماني ينافي الطبيعة البشرية، ويتعارض مع المبادئ الإسلامية، أطلق عليه اسم «نظام الزواج الوطني».[282] وعللت الحكومة هذه الخطوة بأن الدولة متعددة الأديان والأعراق، فلا بد من إيجاد مظلة تجمع بين هذه الأشياء المختلفة. وقد تم عرض هذا القانون في 22 ديسمبر 1973م على البرلمان. ومن الأشياء الغريبة في هذا النظام أو القانون، الدعوة إلى السماح للمخطوبين بأن يعيشا معًا في بيت واحد قبل عقد القران، وتعد هذه الفترة فترة تجريبية، ليتعرف كل منهما إلى الآخر، كما هو سائد في الدول الأوربية؛ فأرادوا بذلك نقل هذه التجربة المريضة إلى بلد يعد من أكثر البلاد المأهولة بالسكان المسلمين.

لم يجد هذا النظام العابث والهاتك قبولًا لدى أعضاء البرلمان، فرفض جملةً وتفصيلًا، ومن ثم تنازلت الحكومة عنه. ومن الطرائف أن الحكومة ظنت أن نظام الزواج غير الإسلامي هذا فيه دعوة للمساواة والقضاء على نسبة الطلاق، وفاتهم أنه نظام يدعو للإباحية والفساد.[283]

ومن الأشياء التي نقدها نظام سوهارتو نظام الميراث في الإسلام؛ إذ قالوا: إنه دعوة للظلم، لأن المرأة لها نصف الميراث. وقد أوكلت الدولة إلى رجل علماني هو موكتي علي «M. Ali» «1923-2004م» وزير الشؤون الدينية وقتئذ، بوضع خطة لنظام الزواج، وهو رجل ليس بكفء لأداء هذه المهمَّة، فهو خريج جامعة كندية عرفت بدورها في نشر الأفكار العلمانية بين الشباب المبتعثين لنيل درجة الماجستير أو الدكتوراه. وكان موكتي علي يدعو دائمًا إلى فتح باب الاجتهاد، ومحاولة جعل الإسلام مواكبًا لواقع العصر على حد زعمه الباطل. وأخيرا أقرَّ البرلمان نظامًا للزواج عام 1975م، حاز على موافقة علماء المسلمين الإندونيسين.[284]

وعلى الرغم من موافقة بعض العلماء على ذلك النظام؛ إلا أنه لم يخل من بعض العيوب، لا سيما فيما يتعلق بتعدد الزوجات، فقد وضعوا له شروطًا منها:

1. إذا ثبت عدم صلاحية الزوجة الأولى في القيام بواجباتها بوصفها ربة بيت.

2. إذا كانت الزوجة الأولى تعاني من مرض ميؤس منه.

3. أن تكون عاقرًا.

واشترطوا في الزوج ما يأتي:

- الحصول على موافقة مكتوبة من الزوجة الأولى.

-أن يكون لديه دخل كافٍ للزوجتين وأولادهما.

-أن يكون قادرًا على العدل بين الزوجات والأولاد، وعلى الزوج أن يحصل على الموافقة الرسمية من الجهات المسؤولة.

لقد أشرنا سابقًا إلى فساد هذا النظام، لأنه تبنَّى المناداة بالفترة التجريبية بين المخطوبين، وليس هنالك نص في فلسفة الدولة بنتشاسيلا يمنع الزواج بين أهل الديانات المختلفة. وكل هذا يتعارض مع الفقه الإسلامي؛ فنظام الزواج الذي روَّج له نظام سوهارتو هو نظام ليبرالي فاسد، هو أبعد ما يكون من الدين الإسلامي.

* * * *

الفصل الثاني عشر نظام سوهارتو في ميزان فكر محمد ناصر الديني والسياسي: انتقادات وإسهامات

نناقش في هذ الفصل الفكر السياسي لدى محمد ناصر، وموقفه من نظام سوهارتو؛ حيث كان في بداية تولي سوهارتو دفَّة الحكم، قد توسَّم محمد ناصر الخير في سوهارتو، واعتقد أنه يحوز على كفاية عالية في إدارة الدولة، إذا ما هو سلك وجهة الديمقراطية الحقيقية. وإن مثل تلك البشائر بنظام سوهارتو الجديد قد جاءت في كتابه الموسوم بـ: «إندونيسيا في مفترق الطريق»؛ إذ يقول فيه: «بالتزامن مع تشكُّل نظام حكم جديد، نتوقع حصول إصلاحات تصحيحية لأخطاء سوكارنو السياسية وجرائم الحزب الشيوعي».[285]

لقد لخَّص محمد ناصر نقاط رؤيته للتغيير الإيجابي، الممكن حصوله في عهد سوهارتو على النحو الآتي:[286]

أولًا: إحياء العملية الديمقراطية من جديد، بعد أن أصيبت بالشلل في عهد سوكارنو.

ثانيًا: العودة إلى العمل بالدستور الأول، وإعادة نظرة شاملة لما أدخل عليه من تحريفات في عهد سوكارنو وحكم الحزب الشيوعي.

ثالثًا: تقوية مؤسسات الدولة بعدما استباحها الشيوعيون بمباركة من سوكارنو.

إن تولي سوهارتو دفَّة الحكم لا يمكن فصلها عن المخططات الانقلابية الدموية، التي قام بها الحزب الشيوعي عام 1965م؛ حيث بلغت الأزمة السياسية ذروتها، بعد تدخل سافر من الصين والاتحاد السوفياتي في الشؤون الداخلية لإندونيسيا. وفي معترك الأحداث غير المسبوقة في تاريخ إندونيسيا، تمَّ اغتيال أبرز قادة الجيش الإندونيسي من ذوي الأصول الإسلامية، بل وتمَّ التمثيل بهم؛ حيث قطَّع الشيوعيون الانقلابيون أجساد المسلمين إرْبًا إرْبًا بلا رحمة ولا شفقة؛ وهكذا يفعل الشيوعيون الملاحدة ولا يزالون. وفي الحقيقة قبل حدوث ذلك الإجرام، قام محمد ناصر بتحذير الأمة والدولة من خطورة عناصر الحزب الشيوعي على إندونيسيا بخاصة، وجنوب شرق آسيا بعامة.

* * * *

أولاً: حفل شكر وتقدير

بعد تولي سوهارتو الحكم عام 1966م، قام بإطلاق سراح معظم السجناء السياسيين، لا سيما ممن شاركوا في حركة الجهاد ضد الحكومة المركزية. وما قام به سوهارتو من تصرف إنساني تجاه السجناء عدَّه العارفون بأحوال الطغاة: أنه يندرج ضمن إستيراتيجية متبَّعة من قِبله لكسب دعم الإسلاميين لمشروعه السياسي الجديد.

قام زعماء المسلمين بمسجد الأزهر في جاكرتا بالاحتفال بهذه المناسبة؛ حيث بلغ عدد الحاضرين ما يقرب من ستين ألفًا. [287] ألقى محمد ناصر كلمته التاريخية أمام الجماهير، معبِّرًا عن ارتياحه وشكره، راجيًا أن تكون هذه المرحلة الجديدة في تاريخ إندونيسا هي مرحلة الديمقراطية الحقيقية تحت قيادة سوهارتو.

يعد السيد براوتو مانكو ساسميتو من بين الذين تمَّ تسريحهم من السجن. وعلى الرغم من أنه لم يشارك في حركة الجهاد ضد الحكومة المركزية في عهد سوكارنو؛ إلا أنه كان عضوًا قياديًّا في حزب ماشومي، وعضوًا في البرلمان ممثلًا للحزب. وحينما كان سوكارنو يدعِّم الحزب الشيوعي، كان يمنع قيادات الحزب الإسلامي «ماشومي» من الكلام في السياسة، ومنهم من رماهم في غيابات السجن من غير جريرة إجرامية اقترفوها مثل السيد ساسميتو.

لقد كافأ سوهارتو السيد ساسميتو بتعيينه قائمًا بأعمال رئيس الجمهورية، سعيًا منه إلى كسب عطف المجتمع المسلم. وفي الحفلة التي أقيمت في مسجد الأزهر عبَّر السيد براوتو مانكو ساسميتو من خلال كلمته التي ألقاها أمام الحضور، عن تقديره للحكومة الجديدة تحت قيادة الجنرال سوهارتو، وقال: إنه عهد جديد نتوسَّم فيه الخير للمسلمين بخاصة وللمجتمع بعامة، كما نأمل من سوهارتو أن يعيد قطار الديمقراطية إلى مساره الحقيقي، وإتاحة الفرصة لجميع المواطنين للمشاركة في السياسة والتنمية، وتهيئة مناخ الحرية، وتجريم التفرقة العنصرية، والتقليل من الضغوطات الاجتماعية.

ذكر أيضًا بأن الحكومة الجديدة تحت نظام جديد وقيادة جديدة، تسعى إلى إنصاف بعض مبادئ فلسفة الدولة بنتشاسيلا، وكذلك الحفاظ على دستور عام 1945م. كما عبَّر السيد ساسميتو عن حزنه الشديد لما قام به الحزب الشيوعي من انقلاب دموي، من أجل نشر أفكاره الإلحادية في مجتمع مسلم عريق في حضارته الإسلامية، وطلب من النظام الجديد الوقوف بحزم شديد أمام المناورات الداخلية والخارجية، التي تستهدف أمن إندونيسيا، أو تعيد التفكير في العبث بمؤسسات الدولة. لقد اختتم السيد ساسميتو كلمته بتوجيهات سديدة إلى الحكومة الجديدة، قال فيها: وبكل تواضع نرجو بأن تكون أجندة الحكومة الجديدة قد أخذت في الحسبان إصلاح المنظومة السياسية، وإتاحة الفرصة للإسلاميين للمشاركة الفعلية من أجل الصالح العام.

جاء دور محمد ناصر لإلقاء كلمته في تلك المناسبة المهمَّة؛ حيث عبَّر عن ارتياحه وتقديره البالغ لما قام به الزعماء المسلمون لإقامة هذا الحفل الكبير في باحة مسجد الأزهر الضخم بمدينة جاكرتا. في البدء أشاد محمد ناصر بالأهمية الكبرى للمسجد منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو في نظره ليس مكانًا لأداء الصلوات وحسب، وإنما هو المكان الذي تتأسَّس فيه الجماعات العاملة والمتمسِّكة بالتعاليم الربانية، يحدوها الأمل في إقامة العدل والمساواة في المجتمع تحت قيادة شخص حريص كل الحرص على خدمة أمته قبل كل شيء.

أضاف قائلًا: إن المسجد يكاد يكون الوسيلة الوحيدة لجمع الأمة وتوحيد صفوفها في وجه من يريد بها سوءًا، ثم أشار إلى ما قاله الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن دور المسجد في حياة المسلم: «وإنكم اليوم على خلافة النبوة ومفرق المحجة، وسترون بعدي ملكًا عضوضًا، وملكًا عنودًا، وأمة شيعًا، ودمًا مفاحًا، فإن كانت للباطل نزوة ولأهل الحق جولة، يعفو بها الأثر، ويموت لها البشر، فالزموا المساجد، واستشيروا القرآن، واعتصموا بالطاعة، ولا تفارقوا الجماعة، وليكن الإبرام بعد التشاور، والصفقة بعد طول التناظر». [288]هذا وقد نبَّه محمد ناصر للأهداف الحقيقية من إقامة هذا الحفل الكريم، وهو الشكر الدائم على ما أنعم الله علينا من نعم، وأننا نستمد قوتنا من الله القوي الجبَّار الذي ليس كمثله شيء؛ ولهذا يجب علينا أن نشكره في كل وقت، ونتقيه في كل حين، ونعبده خوفًا وطمعًا. فالقوة ليست عندنا نحن الضعفاء بل هي عند الله العزيز القهَّار، ثم استشهد بقوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } [البقرة:١٧٢].

أفاض محمد ناصر في القول، وأضاف بأن من الواجب على كل مسلم أن يشكر الله في كل آن؛ وحتى بعد أن يتحقَّق النصر في الكفاح ضد الأعداء؛ حيث أشار إلى سورة النصر، كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } [النصر:١–٣]. وأكَّد في معرض خطابه على أن الله سبحانه يهب النعم الوفيرة لعباده على مختلف أشكالها في كل وقت وحين من غير انقطاع؛ حتى إن هناك من ينظر إليها بأنها أمر طبيعي وروتيني؛ ما يجعلهم يتناسون شكر الله. زيادة على أن الصحَّة تعد من أكبر النعم، التي وهبها الله تعالى للإنسان، وقد لا يشعر بهذه النعمة إلا بعد أن يتمكَّن المرض والهزال من جسده؛ ولهذا ينبِّهنا القرآن لمزيد من الشكر على ما وهبنا الله من نعم العبودية؛ فبها نذكره ونشكره في السراء والضراء؛ حتى لا نكون كمن قال فيهم الله سبحانه وتعالى: { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } [العنكبوت:٦٥-٦٦] ، وقوله تعالى: { وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [يونس:١٢]، وقوله سبحانه وتعالى: { نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [الحشر:١٩].

إن شكر النعمة واجب وهو من المروءة؛ حتى لا يكون المسلم لئيمًا أمام الله الكريم، يقول محمد ناصر: إن شكر الله تعالى قد نجانا مما كانت تواجهه الدولة من تحديات فرضها علينا الشيوعيون الملحدون؛ حيث إن إيماننا الكبير بالله ألهمنا الصبر وبذل الجهد في آنٍ، للتغلُّب على الأعداء في الداخل، ممن يقاسموننا البيت الإندونيسي الواحد؛ فلم يراعوا لقمة العيش التي اجتمعنا عليها معًا، لنعيش في سلام جميعًا؛ ولكن انقلبوا على النعمة، وفضَّلوا التدمير والإفساد في الأرض، وهذا حال من لا يؤمن ولا يشكر. شكرنا ففزنا، ولم يؤمنوا فخسروا الخسران المبين، والحمد لله رب العالمين، يقول الله سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [المائدة:١١]. لقد نزع الله السلطان من سوكارنو وأزلامه الشيوعيين، بعدما عاثوا في الأرض فسادًا، وهمَّوا بقتل الموحِّدين على بكرة أبيهم، ومن يستعصي منهم كانوا سيجعلونه من الصاغرين؛ ولكن كان الله لهم بالمرصاد، يقول ملك الملك: { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران:٢٦].

أشار محمد ناصر في خطابه إلى أن كلمة الشكر في القرآن مسبوقة بلفظة ذكر الله. ومن ثم فإن ذكر النعمة يعقبها التفكُّر والتدبُّر العميقان؛ كيف جاءت هذه النعمة، ولمن ولماذ وهكذا. ووفقًا لهذا التمعُّن في مصدر النعمة، فإن الشخص لا يكتفي بذكر النعمة وحسب، وإنما يدرك رحمة الله وإحسانه وعطفه على عباده؛ ما يجعله يرفع يديه وهو يتضرَّع إلى ربه، وفقًا لما علَّمه في هذه الآية الكريمة: { رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [آل عمران:١٩١]. وإذا ذكرنا النعمة وشكرنا فإن الله يحفظنا من أعدائنا، الذين كفروا بالنعمة ولم يشكروا. إن السلام شكر، وخدمة الوطن شكر، ومن يحيي إنسانًا ولا يقتله فهو شكر أيضًا؛ وإلا فإن الله يمهل ولا يهمل، فلا يظلم الله أحدًا، إلا إذا ظلم نفسه بإنكار النعمة والجحود بها، لقوله تعالى: { ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الأنفال:٥٣].

وجدنا في هذا العرض السياسي الدعوي الكثير من المعاني والدروس والعبر. وعلى حد قول محمد ناصر، فإن التفكُّر في النعمة يفضي إلى تحمُّل الإنسان الشاكر لأنعم الله كاملَ المسؤوليات الملقاة على عاتقه، حسب مكانته في المجتمع والدولة؛ حيث استشهد بقول محمد عبده: «وما الشكر إلا استعمال المواهب والنعم فيما وهبت لأجله». كما قدَّم تصورًا فكريًّا للشكر، وعلاقة ذلك بالاستخدام الحسن للعقل والوجدان بشكل سليم، نظرًا إلى أن العقل، في نظره، يعد من النعم الكبرى، التي وهبها الله تعالى للإنسان؛ إذ به يستطيع أن يفرِّق بين الحق والباطل بشكل واضح. ولا شكَّ في أن من يشكر يهتدي، ولذا علينا أن نشكر الله على أنه بعث لنا نبيًّا رحيمًا، كان مصدر هدايتنا؛ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حبيبنا وشفيعنا.[289]

خاطب محمد ناصر الحضور قائلًا: تأكَّد أيها الجمع الكريم أن الشكر، أيضًا، هو أنْ نصحِّح أخطاءنا؛ فكلما قمنا بذلك باستمرار ونجحنا في تجاوز هذه الأخطاء، فرحنا بما أنجزنا، وإذا تذكَّرنا

من أعاننا على الإنجاز شكرنا. إن التخلص من الشيوعيين الملحدين أعداء المسلمين الموحِّدين إنجاز هذه الأمة الصابرة والشاكرة؛ فالشكر لله وحده قاهر الجبابرة. وإن حالنا كان كحال المذكورين في هذه الآية الكريمة { وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [آل عمران:١٤٧].

تطرَّق محمد ناصر إلى واقع الحياة السياسية منذ الاستقلال، وكيف سلك المسار الديمقراطي مسلكًا آخر، خالف كل القيم السياسية ومبادئ الدستور؛ إذ ظل يؤكِّد على أنه بالذكر والشكر استطاع المجتمع المسلم أن يتغلَّب على كثير من المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وأصرَّ، محمد ناصر، بأننا سنظل من الشاكرين العاملين، بحيث نشارك سياسيًّا بما يمليه علينا حسن التصرف تماشيًا مع التعاليم الربانية واحترام الدستور. كما يفترَض أن يبتغي رجالات الدولة مرضاة الله سبحانه وتعالى؛ حتى نخدم الوطن بشكل منسجم وسليم؛ لا يطغى أحد على الآخر، لمجرد أنه يختلف معه في التصور والمعتقد والعرق. قد نختلف ولكن لنتفاهم ونتواصل أيضًا. إن المسلمين، وعلى الرغم من الاختلافات السياسية التي قطَّعت أمرهم بينهما زبرًا وأحزابًا، مطالبون اليوم قبل الغد بتضييق فجوة الاختلافات بينهم استجابة لله ورسوله، كما جاء في هذه الآية الكريمة: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } [الأنفال:٢٤].

طالب محمد ناصر الجميع بالالتزام بمبادئ القيم الربانية، والتعاون من أجل بناء الوطن، والدفاع عنه أمام ما يواجهه من تحديات داخلية وخارجية. كما طالب من المسلمين رفع مستوى الوعي في التعامل مع الأحداث والأحوال، وعليهم ألا ينجروا إلى الأشخاص مهما أعجبتهم ألسنتهم وأجسامهم؛ عليهم أن يتبيَّنوا قبل أن ينخرطوا في عمل ما، والتأكُّد إن كان هذا الفعل يبتغي وجه الله في المقام الأول؛ وإلا أفسدوا من حيث لم يريدوا، يقول الله سبحانه وتعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ } [البقرة:٢٠٤–٢٠٦].

إنه بتهيئة مناخ ديمقراطي يستطيع المواطنون أن يكونوا أحرارًا في حكمهم على من يحكمهم؛ ولهذا فإن الديمقراطية، عبْر الشفافية والصراحة والمسؤولية، تكشف عن محاسن الزعيم السياسي ومساوئه، قبل أن يصل إلى سدَّة الحكم؛ فنحن، على حد تعبير محمد ناصر، نريد أن نعيش في المجتمع، ونشارك فيه من غير أن نشعر بضغوطات رجالات الدولة على أعمالنا المشروعة وأفعالنا المسؤولة؛ فالطاعة واجبة، لكن عن قناعة ورغبة. إن الديمقراطية التي لا يسعى الحاكم من خلالها إلى تنمية البلاد وتوزيع الثروة بعدالة، نعدُّها شكلًا من أشكال الهيمنة والسيطرة. ولهذا على الحاكم بوصفه مواطنًا أن يكون مسؤولًا أمام رعيته الذين سلَّموه أمانة الحاكمية؛ فليكن في مستواها، يرعانا ويرعاها.

إذًا المجتمع المسلم في نظر محمد ناصر، وكما جاء في خطبته التاريخية، مطالب بأن يكون عاملًا وشاكرًا؛ فمن لا يعمل لا يشكر. إننا نشكر الله من أجل شيء أنجزناه، وحققنا من خلاله فوائد لنا وللمجتمع وللعالم أيضًا. وكثير من الناس من يعمل ولا يشكر، وهذا هو الفرق بين المسلم وغير المسلم، والفرق أيضًا بين المسلم والمسلم نفسه. فإن لم يكن المسلم مسؤولًا أمام ربّه يتقيه في كل صغيرة وكبيرة؛ فإنه لا يشكر النعمةَ؛ لأن الخشية من الله تجعل المسلم يتذكَّر الله خالقه؛ ومتى تذكَّره شكره. إن في الشكر زيادة، ومهما عانينا من إحباط سياسي، سنظل نشكر الله على ما أنعم علينا من صبر مصحوب بالعزيمة، يعقبه نصر يأتي بالشكيمة؛ وما النصر إلا مكافأة على الصبر والشكر، يقول الله سبحانه وتعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم:٧]، وقوله تعالى: { لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ } [سبأ:١٥].

اختتم محمد ناصر خطابه التاريخي أمام جمهوره ومحبيه بضرورة إمعان النظر في قول الصحابي الجليل حذيفة رضي الله عنه حول إخلاص المسلم لنفسه ولغيره؛ حيث يقول: «استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا، لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا».[290] كما ذكَّر الجميع مرة أخرى بنعم الله، ورجاهم الدعاء بإدامة هذه الخيرات، وأن يحافظوا عليها بصبر العاملين، ويزيدوا فيها بشكر الله سبحانه، امتثالًا لقوله تعالى: { رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [الأحقاف:١٥].[291]

* * * *

ثانيًا: انتقادات محمد ناصر لنظام سوهارتو

من خلال حفلة الشكر التي سقناها أعلاه، قام محمد ناصر بالتصريح للصحفيين عن مواقفه تجاه الحكومة تحت قيادة الجنرال سوهارتو؛ حيث ذكر بعض محاسن الحكومة وإنجازاتها، وفي الوقت نفسه تطرَّق إلى مساوئ الحكومة، لا سيما فيما يتعلَّق بالرشاوى والاختلاسات، التي يقوم بها كبار رجالات الدولة. كما أشار إلى أن عوائد التنمية الاقتصادية تذهب إلى فئة قليلة ممن يحكمون البلاد؛ بينما الشعب يعاني من الفقر والأمية والحرمان والاستبعاد بشكل منظَّم، لم يكن بهذا الحال ما قبل الاستقلال. والسبب في نظر محمد ناصر أن خطط التنمية ركَّزت على الجوانب المادية، ولم تولِ اهتمامًا للعناصر الروحية والدينية.[292]

كشف محمد ناصر أن سوهارتو، ومنذ توليه الحكم، وبغض النظر عن التقدم المادي الذي حققته حكومته، قد تصرَّف تصرُّفًا سياسيًّا غريبًا، يتعارض مع مبادئ القيم الدينية في المجتمع الإندونيسي؛ حيث نلفي سوهارتو يستحوذ على ثروة الأمة لصالح عائلته، والمحيطين به من رجالات الأعمال وجنرالات الجيش. إضافة إلى ذلك فإنه قد فصَّل لباس الديمقراطية على مقاس نظامه الجديد؛ فلم يسمح بحرية التعبيير والمشاركة السياسية لمن يقومون بمعارضة نظامه ولو معارضة سلمية.[293]

لقد انتقد محمد ناصر التصرفات السياسية لسوهارتو، وأبان عن ألاعيبه في استخدام فلسفة الدولة بنتشاسيلا، لضرب الأحزاب المعارضة، والتشكيك في مبادئها الديمقراطية. ويقول: إنه منذ استقلال الدولة عن الاستعمار الهولندي لم نجد في الدولة من يستخدم نظرية ديموقراطية بنتشاسيلا. زيادة على ذلك، قام سوهارتو بعد هذه الفترة القصيرة من حكمه بتقليص عدد الأحزاب، والتمكين لحزب جولكار من إدارة اللعبة السياسية بشكل منفرد، كما استفاد من التسهيلات الحكومية في كسب أصوات الناخبين لصالح نظامه. ولهذا وجدنا محمد ناصر يوجِّه انتقادات صريحة لسياسة سوهارتو لا سيما فيما يتعلق بالتوظيف السياسي لبنتشاسيلا في مناهج التعليم وفي جميع المراحل الجامعية؛ حتى كادت تكون دينًا جديدًا لطلبة العلم كما يقول محمد ناصر.[294] لا سيما أن بنتشاسيلا أسهمت في انتشار الليبرالية في أوساط الطلبة والنخبة في المجتمع الإندونيسي، كونها مبادئ «تتسع لكل التأويلات الإيديولوجية، وتتكيَّف مع كل البدائل العملية المثارة».[295]

انتقد محمد ناصر حكومة سوهارتو نقدًا شديدًا لا سيما فيما يتعلق بالتوأمة التي شاءها سوهارتو أن تكون بين المؤسسة العسكرية والحزب. [296]حيث أعلن سوهارتو عن نواياه في المزج بين العسكري والسياسي في خطابه يوم 27 مارس 1980م أمام قادة الجيش في مدينة فاكن بارو. وقد كانت حجة سوهارتو أن هناك من الإسلاميين من يحاول استبدال مبادئ بنتشاسيلا بالمبادئ الإسلامية. هذا وقد كرَّر قوله في الحفل السنوي لقادة الجيش في جاكرتا؛ حيث عبَّر عن مخاوفه من أفكار قيادات الحزب الإسلامي.[297] كان محمد ناصر وقتذاك في تركيا لحضور المؤتمر الإسلامي، بحثًا عن حلول للأزمة السياسية بين تركيا وسيبروس، ولما بلغ سمعه ما ارتآه سوهارتو من مخالفة صريحة

للدستور؛ حتى عاوده المرض بعد عودته إلى إندونيسيا، واعتبر أن ما عزم عليه سوهارتو لا يمكن أن يكون أبدًا في صالح استتباب الأمن في المجتمع واستقرار مؤسسات الدولة.

لم يكن محمد ناصر وحده من يعارض سياسة سوهارتو، بل كان هناك أحزاب سياسية وتيارات فكرية وقادة عسكريون ينتقدون أقواله، ويعارضون أفعاله. لقد انضمَّ محمد ناصر إلى كتلة المعارضة التي تكوَّنت من أعضاء بارزين في المجتمع المدني والسياسي؛ حيث قام بدور فعال داخل الكتلة المعارضة، زيادة على أنه قدموه بوصفه متحدثًا رسميًّا خلال مقابلته لرئيس البرلمان. وهذا السيد كريس سينر تيمو أحد زعماء النصارى الإندونيسيين قد عبَّر عن إعجابه بما قاله محمد ناصر خلال المقابلة التي استخدم فيها الكلمات الحكيمة والعبارات المناسبة، التي تليق بعِظم تلك المقابلة.[298]

ردَّ سوهارتو على تلك الأفكار المعارضة وعدَّها من ضمن المحاولات المغرضة لإزاحته من رئاسة الجمهورية، ومن ثم استعدَّ إلى اتخاذ إجراءات عنيفة ضد هذه الكتلة المعارضة؛ إذ حرمها من ممارسة النشاطات التجارية؛ فحارب أعضاءها في معيشتهم وأرزاقهم. كما منع محمد ناصر من السفر إلى خارج البلاد، وحرمانه من حضور كثير من المؤتمرات الدولية في جامعة أكسفورد، بوصفه أحد المؤسسين والمستشارين، وفي العالم العربي كونه نائب رئيس المؤتمر الإسلامي في مكة المكرمة وكراتشي بباكستان. وبالإضافة إلى ذلك فقد وضعه تحت الإقامة الجبرية؛ فكان يتعامل معه تحت ضغوط شديدة من قبل المخابرات الإندونيسية. ومع ذلك تعاطف معه الكثير من علية القوم، وكان من ضمنهم الجنرال ناسوتيون قائد القوات المسلَّحة أيام سوكارنو.[299]

وعلى الرغم من أن محمد ناصر قد تمَّ حرمانه من السفر خارج إندونيسيا، فقد تنامت شهرته وعلت سمعته. وظل العالم العربي والإسلامي يحتفي به ويستفيد منه؛ إذ منحته الجامعة الوطنية الماليزية «UKM» وجامعة العلوم الماليزية «USM» درجة دكتوراه فخرية عام 1990م احترامًا لجهوده ومواقفه تجاه الأمة الإسلامية، وتثمينًا أيضًا لأفكاره الإسلامية المعتدلة.[300]

* * * *

ثالثًا: إسهامات محمد ناصر

لقد مرَّت الأيام والشهور والسنوات من غير حصول تغيير سياسي مأمول؛ حيث سلك سوهارتو مسلك خلفه سوكارنو في إقصاء الإسلاميين من المشاركة السياسية؛ ما جعل محمد ناصر يثور على هذه القرارات السياسية، التي رأى أنها تعيد الإسلاميين إلى ملعبهم السياسي القديم، الذي يئسوا منه. وجاهر محمد ناصر بالقول: إنه لا فرق كبير بين سوهارتو وسوكارنو في العداء للإسلاميين، إلا من حيث الاستراتيجية والتكتيك.[301] وبهذا يكون محمد ناصر قد وضع نفسه في مرمى انتقادات رجالات الدولة؛ إذ عدُّوه ناقدًا شرسًا ومشاكسًا لحكومة سوهارتو، واتهموه بأنه ليس لديه أي اهتمام بالمشاركة الفعلية في تنمية الدولة وتطويرها. [302]

وفي الحقيقة إن محمد ناصر رئيس الوزراء الأسبق، سبق وأن رهن نفسه لخدمة وطنه منذ شبابه، وقدَّم النصح للإنسان سوكارنو، وفسح في الإحسان لسوهارتو؛ ولكن هذا الأخير أبى إلا الانفراد بالحكم، لأنه منَّ على شعبه أنْ أنقذهم من بطش الشيوعيين؛ فلا عجب إذًا، وصفحات التاريخ تكاد تصرخ بأن الانقلاب على الشرعية إثخانٌ في استلاب الرعية. والأمر الذي لا بد من توضيحه للتاريخ أن مشاركة محمد ناصر السياسية كانت تبغي خدمة الصالح العام؛ وإلا لعضَّ على منصبه الوازري المرموق بالنواجذ يوم أن كان سوكارنو لا يرفض له طلبًا، فرحًا بنفسه رئيسًا للجمهورية حديثة الاستقلال، ولو طلب محمد ناصر الدنيا من سوكارنو لكان قد وضعها بين يديه، كما وضعها بين يدي الشيوعيين؛ فأنَّى يلتقيان؟ لا مزايدة على محمد ناصر في مدى حبه لوطنه والإخلاص له. إن مشاركته في السياسة كانت لتصحيح الأخطاء، والوقوف في وجه الظلم والاستبداد، تطبيقًا لمبدأ إسلامي وإنساني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[303]

بعد تسريحه من السجن وبمنٍّ من نظام سوهارتو، وجد محمد ناصر نفسه إلى جانب زملائه في حزب ماشومي محرومًا من ممارسة النشاطات السياسية. واجه محمد ناصر هذا الحرمان السياسي، الذي يخالف مبادئ الدستور بتأسيس هيئة دعوية عام 1967م، تحت اسم المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية. وقد هدف من خلال هذا المجلس إلى العمل على تطوير الأمة على مستويات عدَّة سياسية واجتماعية. [304]كما اعتبره وسيلة بديلة للعمل السياسي بالطرق المشروعة في ظل الحرمان غير المشروع لزعماء حزب ماشومي من ممارسة حقوقهم السياسية التي كفلها الدستور. [305]وكان شعار المجلس: «وإذْ كنا في الماضي قد استخدمنا السياسية وسيلة نبيلة للعملية الدعوية؛ فإننا في حاضرنا هذا، نستخدم الدعوة وسيلة حكيمة للنشاطات السياسية».[306]

لقد توافق هذا الشعار مع طبيعة المرحلة؛ حيث جاء هذا المجلس في فترة كان المجتمع المسلم بحاجة إلى الدعوة، أكثر من أي وقت مضى؛ فهو بين فكي الشيوعية والليبرالية، ولا ملجأ له إلا بيت الدعوة، لتصحيح ما علق بالنفس من أخطاء وانحرافات.

استخدم محمد ناصر جميع الوسائل السلمية للإسهام الوطني في تقديم الدعم المعنوي لحكومة سوهارتو، التي استعدت الديمقراطية الحقيقية. وكما هو معلوم فإنه في سبعينيات القرن الماضي، قام محمد ناصر برفقة زملائه في حزب ماشومي، بزيارة منزل سوهارتو المفتوح بمناسبة عيد الفطر المبارك، أملاً منهم في تسوية الأوضاع السياسية، وكثيرًا ما كانت تتكرَّر هذه الزيارات من أجل الإبقاء على الاحترام والزيادة في التراحم؛ ولكن في كل عام كان يلتقيهم سوهارتو يتصافحون ويتبادلون التهاني، ثم يختفي عن أنظارهم، ليتركهم لشأنهم، مثلهم مثل بقية الناس العاديين.[307]

وجَّه محمد ناصر انتقادات لاذعة لحكومة سوهارتو، بعدما زاغت أبصارها عن الأهداف الوطنية، وافتقدت أجندتها السياسية للحكمة الديمقراطية، لا سيما فيما يتعلق بمهام القوات المسلَّحة، التي وضعها في خدمة أجندته السياسية. نظرًا إلى أن وظيفة الجيش الرئيسة هي حماية البلاد، وليس حكم البلاد. ولكن الجنرال سوهارتو اعتبر القوات المسلَّحة بإمكانها أن تمارس الحكم، كما يفعل هو بالذات وبوصفه سليل المؤسسة العسكرية؛ ما يفترض، في نظره، أن يكون الجيش سندًا عسكريًّا لسياسة الحزب الحاكم. إن هذا التداخل بين رجالات المؤسسة السياسية وجنرالات المؤسسة العسكرية، زيادة على استبعاد حزب ماشومي السياسي العريق من المشاركة السياسية، أدى إلى مخاوف عبَّر عنها قادة الجيش المتقاعدون، وقدموا التماسًا في هذا الشأن الخطير، يطلبون من سوهارتو عدم الزج بالمؤسسة العسكرية في المعترك السياسي، كون أن رجالاتها لم يعدوا لهذا؛ حيث اشتهر التماس العسكريين المتقاعدين بالتماس الموقعين الخمسين.[308]

هناك إسهامات لمحمد ناصر غير معروفة لكثير من المتابعين للشأن الإندونيسي؛ إذ قام بتقديم يد المساعدة لسوهارتو على الرغم من الخلاف السياسي الذي يجمعهما؛ حيث كان محمد ناصر بسيطًا في تعامله مع غيره، وكان يخلص في عمله غير راغب في الشهرة أو الجري وراء مناصب فانية تخدم أصحابها وتقتلهم قبل أن يخدموا من أوصلهم إلى المنصب وأجلسهم. كان هدف محمد ناصر من مساعدة الحكومة يتوجه نحو الصالح العام.

حينما كان محمد ناصر سجينًا بسبب مشاركته في الحركة الثورية ضد الحكومة المركزية تحت قيادة سوكارنو قبل تولي سوهارتو الحكم، كانت العلاقة الديبلوماسية مع ماليزيا منهارة تمامًا، وقد دفع سوهارتو بنظامه الجديد إلى إجراء مصالحة مع حكومة كوالالمبور غير أن محاولاته باءت بالفشل الذريع؛ فقد رفضت حكومة كوالالمبور المصالحة رفضًا قاطعًا. [309]بعد ذلك، بعث سوهارتو أحد مساعديه اسمه صوفيار «Sofyar» لمقابلة محمد ناصر الذي كان وقتها يقبع في سجنه بسبب مشاركته في الحركة الثورية ضد الحكومة المركزية وقت سوكارنو. أبلغ صوفيار محمد ناصر بأنه مبعوث سوهارتو، وأن حكومته ترغب في تحسين العلاقة بين البلدين الجارين، وقد اختارك لهذه المهمة الإنسانية. طلب محمد ناصر قرطاسًا وقلمًا وكتب إلى تنكو عبدالرحمن «Tengku Abdul Rahman» «1957-1970م» رئيس وزراء ماليزيا: إن هناك نوايا حسنة من حكومة إندونيسيا

الحالية لإجراء مصالحة تجبُّ ما قبلها، والتطلّع إلى بناء علاقة ديبلوماسية مع جارتها ماليزيا. الرجاء من السيد تنكو المحترم قبول هذه النوايا.

كان هذا الخطاب المانع الجامع الذي كتبه محمد ناصر من داخل سجنه سببًا في تنمية دول وتطورها. لقد أخذ صوفيار الخطاب إلى كوالالمبور، وبمساعدة من غزالي شافعي «Ghazali Shafie» وصل الخطاب إلى يد تنكو عبدالرحمن رئيس وزراء ماليزيا في ذلك الوقت، وبعد نظر وتدقيق في فحوى الخطاب تعاطى تنكو عبدالرحمن بإيجابية مع هذا الالتماس، بمجرد ما تعرَّف إلى شخصية الكاتب والموقِّع الذي هو محمد ناصر رئيس وزراء إندونيسيا الأسبق. وكان الأمر أنْ عادت العلاقات الودية بين البلدين إلى مجاريها وسابق عهدها. [310]

هناك إسهامات قدَّمها محمد ناصر لحكومة سوهارتو، منها مساعدة بلاده على الحصول على مساعدات من الحكومة اليابانية؛ فبعد أن عاد مبعوث الحكومة الإندونيسية خالي الوفاض من اليابان، تمكَّن محمد ناصر من مقابلة تيكو فوكودا «Fukuda Takeo» رئيس وزراء اليابان في الفترة «1976-1978م»؛ حيث أبلغ المسؤوليين اليابانيين بأن مبعوث حكومة سوهارتو قد جاء إلى اليابان في وقت غير مناسب، وقد اقترح كبار المسؤولين اليابانيين تأجيل الزيارة إلى اليابان عدة شهور، قبل الانتهاء من مناقشة الميزانية المرتبطة بتعديلات لوائح المساعدة للدول المعنية بالأمر. ومن خلال الجلسة التي جمعت محمد ناصر بالمسؤوليين اليابانيين اقترح تشكيل لجنة مختصة شبيهة بمشروع مارشال من أجل مساعدة الدولة الإندونيسية، على تجاوز أزمتها الاقتصادية التي هي من مخلفات نظام سوكارنو البائد. وبالفعل وافقت الحكومة اليابانية على فكرته، وتمَّ في الأخير تشكيل لجنة مشتركة بين البلدين، تبحث في مسائل المساعدات الاقتصادية. وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على أن محمد ناصر كان جادًّا ومخلصًا ومتفانيًا في السعي الحثيث إلى إيجاد حل سريع للمشكلة الاقتصادية في بلاده، التي كانت في ذلك الوقت تحت قيادة سوهارتو. [311]

وفي يوم وفاة محمد ناصر، بعث فوكودا رئيس وزراء اليابان برقية عاجلة عبَّر فيها عن حزنه العميق؛ حيث أثنى على جهوده السياسية، وأكَّد على دوره الإنساني في مساعدة بلاده، وشهد له بأنه الشخص الذي أوصاه بمساعدة حكومة سوهارتو، بحثًا عن حل لأزمتها الاقتصادية. كما اعترف فوكودا بأنه استفاد كثيرًا من آراء محمد ناصر في الحكم وأسلوبه في إدارة الدولة، وأضاف بأنه قام بتغيير سياسته تجاه حكومة إندونيسيا الجديدة، بمجرَّد ما استمع إلى اقتراحات محمد ناصر التي كانت معقولة ومقبولة. [312]

هناك شهادات قيِّمة لكبار العلماء، تثني على دور محمد ناصر التاريخي؛ حيث نلفي حاج عبدالملك كريم أمر الله «حمكا» الرئيس الأول لمجلس العلماء الإندونيسيين [313]يذكر بخير إسهامات محمد ناصر ويبارك عطاءه الفكري ويقف على جهوده المحمودة؛ إذ يورد حمكا حادثة تاريخية كان فيها لمحمد ناصر دور محمود في إزالة اللَّبس، التي شابها وتشاكل أمرها لدى العارفين من أهل الإسلام

والمهتمين بأمر المسلمين. يذكر حمكا أنه لما تمَّ ضم جزيرة تيمور الشرقية إلى إندونيسيا، اتهم معظم رؤساء الدول العربية والإسلامية إندونيسيا واعتبروها دولة احتلال مارقة وعدوانية؛ إلا أن محمد ناصر وبوصفه عضوًا في مجلس أمناء رابطة العالم الإسلامي ونائب رئيس المؤتمر الإسلامي في كراتشي ومكة المكرمة، شرح سياسة بلاده للمؤتمرين، وأقنعهم بأن سياسة إندونيسيا في مثل هذه الحادثة تتوجه نحو الحفاظ على أمن الدولة واستقرارها من تهديدات الشيوعيين. وإذا لم تقم الدولة الإندونيسية بضم تلك المنطقة، فقد يحدث ما حدث في أنجولا حيث سيطر عليها الشيوعيون بشكل كامل. لقد أقنع معظم المؤتمرين بسياسة الدولة الإندونيسية الحكيمة في هذا الشأن.

يذكر التاريخ أن إكي شهر الدين «Ekki Syahruddin» مبعوث علي مورتوفو رئيس جهاز المخابرات الإندونيسية، قد أبلغ محمد ناصر بطلب مورتوفو بزيارة بيته لاستشارته في مدى إمكانية الحصول على مساعدات مالية من دولة الكويت والدول العربية الأخرى. وخلال حضور محمد ناصر مؤتمر في الكويت، ناقش مع المسؤولين في دولة الكويت إمكانية الحصول على دعم مالي في الأجل القريب؛ حيث وجَّه محمد ناصر خطابًا إلى الجهات المعنية في الكويت، يشرح فيه أهمية استثمار شركات الكويت في إندونيسيا، بدلًا من تركيز استثماراتها في الدول الغربية، حيث المستفيد الأكبر هو اللوبي اليهودي. وفي يوم من الأيام قام رئيس المخابرات بزيارة لمنزل محمد ناصر، الذي ظنَّ أن محاولته باءت بالفشل؛ إلا أن رئيس المخابرات بشَّره بأن الحكومة الإندونيسية استلمت خطابًا رسميًّا من دولة الكويت ترحِّب فيه بالاستثمار في إندونيسيا، لا سيما في مجال الزراعة والأسماك.[314]

تأسيسًا على ما سبق، نلفي حكومة سوهارتو مدينة لمحمد ناصر في كثير من المواقف السياسية والإنسانية المشرِّفة لبلاده إندونيسيا، على الرغم من الخلاف الكبير الذي كان بينهما؛ حيث قام سوهارتو بحرمان محمد ناصر من المشاركة السياسية، ومع ذلك فإن سوهارتو ظل يذكره بخير في سرِّه، ويقدِّر جهوده وإسهاماته التي لا يجحدها إلا مكابر علا واستعلى. وحتى في الوقت الذي كانت فيه العلاقات الدبلوماسية بين إندونيسيا والمملكة العربية السعودية في غاية الحساسية، تحاور محمد ناصر مع جلالة الملك فيصل، وتبادلا الآراء في أثناء زيارته للسعودية، وبعدها وافق الملك فيصل على عودة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.[315]

بعد هذا الذي نقَّبناه من مناقب محمد ناصر ووثَّقناه، ألا يستحق الرجل التكريم الوطني وليس التغريم المعنوي؟ ألا يستحق أن يؤخذ بالأحضان لا أن يعاقب بالحرمان؟ أليس محمد ناصر بمواقفه السياسية الدولية وعلاقته الإنسانية بالملوك والرؤساء، يستحق المكانة العالية في نظام سوكارنو ومن بعده سوهارتو؟ إنه رجل نبيل وكريم، ينطبق عليه بحق ما جاء في هاتين الآيتين الكريمتين: { نْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } [هود:٨٨]، فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ [يونس:٧٢].

* * * *

الفصل الثالث عشر محمد ناصر وموقفه من النشاطات التبشيرية في إندونيسيا

بعد ما تمَّ تسريحه من السجن ركَّز محمد ناصر جهوده في تنمية المجتمع الإندونيسي عبر الدعوة الإسلامية، من غير أن يتخلَّى عن العمل السياسي الحر، وذلك على الرغم من أن نظام سوهارتو حظر حزب ماشومي رسميًّا من المشاركة السياسية.

كما أسلفنا القول، قام محمد ناصر مع زملائه في حزب ماشومي بتأسيس المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية، وذلك في وقت استغلَّ فيه المغرضون مبادئ بنتشاسيلا فلسفة الدولة لاستعداء المسلمين، والتشكيك في معتقداتهم بحجة أن الإسلام دين متطرِّف. وللأسف كان نظام سوهارتو يقاسمهم هذا العداء للإسلاميين. وكان من ضمن استراتيجية المتربِّصين الدوائر بالمسلمين، أنهم قاموا ببناء كنائس ومراكز صحية ودور رعاية الأيتام ومدارس في معاقل المجتمع المسلم من غير استئذان الحكومات المحلية.[316]

* * * *

وقف محمد ناصر ضد النشاطات التبشيرية، واتَّهم سوهارتو بمساعدة القائمين عليها بشكل من الأشكال؛ فقد شرع في وجههم باب حكومته، مما سهَّل عليهم دعم النشاطات التبشيرية، وإضفاء الحماية القانونية على تجاوزاتها.[317]

إن وقوف محمد ناصر على خفايا النشاطات التبشيرية في إندونيسيا يرجع إلى خبرة تاريخية وميدانية، اكتسبها من النقاش المستفيض مع المسيحيين منذ أيام الاستعمار؛ حيث قاموا وقتذاك بالإساءة للإسلام عبر مؤلَّفاتهم بلْه ألسنتهم.[318]

في هذا الصدد، أكَّد بروكمان الخبير الهولندي في شؤون المجتمع الإندونيسي: أن ما تقوم به جمعية المحمدية من نشاطات في مجال التعليم والخدمات الصحية ومساعدة الفقراء، هو تقليد واضح لما يقوم به المسيحيون من نشاطات اجتماعية وإنسانية. كما رأى أن التبشير أثَّر بشكل ملحوظ في التقدم الاجتماعي في الهيئة المحمدية. وقد ادعى بروكمان أن التخلف في المجتمع المسلم سببه عدم اهتمام زعماء المسلمين بالتعليم النوعي، وتطوير الخدمات الاجتماعية، يقول: «إن الإسلام لا يعترف بالرهبانية، كما هو الشأن لدى النصرانية؛ غير أن الدين المسيحي يركز على النشاطات التعليمية تماشيًا مع المصادر الإنجيلية. وبالعكس نلفي الدين الإسلامي يبحث في سبل التغلب والسيطرة على بلدان أخرى لاعتناق الإسلام غير عابئ بخدمة المجتمع، وتنتهي مهمَّته عند النطق بالشهادة. لم نجد الإسلام مهتمًّا بتعليم الناس مثلما تهتم النصرانية».[319]

أثارت هذه الكتابات وغيرها غضب محمد ناصر؛ ما جعله يرفض هذه الاتهامات التي يتفوَّه بها رؤساء الكنائس، الذين يجهلون تعاليم الإسلام جهلاً مبينًا، زيادة على أنهم لم يقرأوا كتاب الإسلام، ولو قرأوه لأسلموا. إن بروكمان وغيره، في نظر محمد ناصر، يجهلون عن قصد، أو يتجاهلون عن عمد إسهامات الإسلام والمسلمين في قيام حضارة، دانت لها الإنسانية في لحظة تاريخية كان الغرب يموج في ظلام وجهل وأمية واقتتال.

رأى محمد ناصر أن غالبية النصارى قد عجزوا عجز الجاهل عن فهم شمولية الإسلام، نظرًا إلى موقفهم الديني من رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإن لم يقبلوا رسول الإسلام فأنَّى لهم أن يفهموا رسالة الإسلام؟ وإذْ إن الاعتراف شيء يختلف عن الإيمان؛ فإن هناك من غير المسلمين من يعترفون بإنجازات الإسلام العلمية والحضارية، كما عبَّر عن ذلك المشتشرق هـ. ر جيب، الذي يقول: «إن الدين الإسلامي ليس مجرد نظام رباني وحسب، بل هو أيضًا تعاليم حضارية تفيد البشرية».[320] وهذا المؤرخ الإنجليزي سير توماس أرنولد يعترف بأن الإسلام هو مصدر رئيس من مصادر التقدم الحضاري الذي لا يماثله دين آخر في العالم. وأكد بأن تعاليم الإسلام لا تتوقف

عند النطق بالشهادة؛ وإنما هي جوهر الأنشطة البشرية، إذ في ظلها يتحقق قانون التوازن بين العقل والروح.[321]

لقد أفاض محمد ناصر في الحديث عن الأنشطة الإصلاحية في مجال التعليم والخدمات الطبية، التي تقوم بها جمعية المحمدية، واعتبر أنه لا علاقة لها بتقليدهم لغيرهم في العمل الجاد، وما تنتهجه جمعية المحمدية لم يكن من واقع ردِّهم على جماعات التبشير في إندونيسيا. وإنما ذلك سابق في الإسلام، ولو اطلع عليها النصارى لوجدوها قائمة بذاتها، وهي تندرج في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، علاوة على أن التدافع أمر فطري في البشر، وأن الدفاع عن الإسلام في وجه التيارات المعادية فريضة تتراوح بين الدعوة والجهاد.

ويرى محمد ناصر أن ما حقَّقه نصارى إندونيسيا من تفوق في الخدمات التربوية، ما كان له أن يحصل لولا الدعم المادي والمعنوي، الذي تلقوه من إدارة الاستعمار الهولندي. هذه الفرص الاقتصادية والتسهيلات الاجتماعية لم تتح للمسلمين بسبب التفرقة العنصرية والدينية، التي ينتهجها المستعمرون الغزاة للبلاد الإسلامية. زيادة على أن الاستعمار الهولندي كان هدَّامًا في بلاد غيره؛ فقد عمد إلى هدم ما له علاقة بالحضارة الإسلامية، بل سعى سعيًا حثيثًا إلى اقتلاع جذوة الإيمان من قلوب الإندونسيين، وهم على بؤسهم وفقرهم. [322]

إنه من العبث القول: إن الدين هو سبب تقدم النصارى الإندونسيين في مجال التعليم وتأخر المسلمين. يقول محمد ناصر: «إن المسلمين ليسوا بحاجة إلى استشارة زعماء الديانة النصرانية فيما يتعلق بكيفية إدارة التعليم. إن المسلمين يستنيرون بالتعاليم الربانية في أمور حسَّاسة مثل التربية والتعليم، وهم بحاجة إلى دعم الحكومة لتحقيق الأهداف المنشودة».[323]

ثانيًا: حرق بعض الكنائس

إن الأمر الذي أدى إلى حساسية أكثر، أن الحركة التبشيرية في إندونيسيا لم تراع مشاعر المسلمين؛ فكانت أفعالها الاستفزازية سببًا في تأجيج مشاعر المواطنين. وفي شهر يونيو عام 1967م، قام المسلمون في مدينة آتشيه بإحراق كنيسة، تبعها بعد ذلك إحراق كنائس أخرى في مدينة أجونج فاندانج «Ujung Pandang» بجزيرة سولاوسي؛ أما في العاصمة جاكرتا فقد قام المسلمون بإحراق المؤسسة التعليمية النصرانية. [324]

لا بد من أن هناك أسبابًا وراء حرق الكنائس. في الواقع أن المسلمين قد اشتكوا إلى الحكومة من خطورة النشاطات التنصيرية في معاقل المجتمع المسلم، غير أن الحكومة تجاهلت ذلك؛ ما أدى في الأخير إلى قيام المواطنين بفعل ما رأوه يطفئ غضبهم.

ومما لا شكَّ فيه أن مثل هذه النشاطات التبشيرية كانت سببًا في توسيع فجوة العداء بين أبناء الوطن من مسلمين ونصارى؛ ولكن بعد الذي حدث من تصادم بين المواطنين المختلفين في دياناتهم، تدخَّلت الحكومة وعقدت اجتماعًا بين ممثلي الأديان، بحثًا عن حلٍّ لهذه المشكلة. ومن المؤسف أن المجتمعين لم يتوصلوا إلى حل يرضي كل الأطراف؛ فقد رفض ممثلو النصارى التعليمات الرسمية لوزارة الشؤون الدينية، التي تحصر التبشير في الذين ليس لهم دين أو الذين لم يعتنقوا دينًا من الديانات السماوية.

لقد أجمع معظم ممثلي الأديان على تعليمات الوزارة بخلاف النصارى، الذين أصروا على نشر ديانتهم في مجتمع غالبيته مسلمة. وجدير بالذكر أن سوهارتو كان على وعي بوجود هذه النشاطات التبشيرية، وأنه قام ببذل جهود مشكورة من أجل حل المشكلة التي كانت قد تحوَّلت إلى قضية رأي عام. وتأكيدًا لجهوده ننقل نُتفًا من خطابه الذي استفتح به الجلسة: «من واجب الحكومة أخذ الإجراءات اللازمة تجاه اللوائح الخاصة بنشر الأديان في الدولة، وتقديم جميع التسهيلات القانونية ضمانًا لسلامة المجتمع؛ إذ لا ينبغي للحكومة التدخل في اعتناق شخص لدين دون سواه. وبالعكس إن التعايش السلمي بين الأديان بات ضروريًّا للإبقاء على الاحترام قائمًا بين المواطنين، ولا يمكن لأي فئة فرض اعتناق دين معيَّن خارج ما ينص عليه القانون. إن الحكومة غير معنية بوضع عراقيل أمام نشر تعاليم الدين، بشرط أن يحترم كل واحد منكم لوائحها وأنظمتها. وهذا من ضمن مساعي الحكومة للتأكيد على أن كل واحد لديه الحق في دعوة من ليس لهم دين أو دعوة الذين لم يعتنقوا دينًا من الأديان». [325]

* * * *

ثالثًا: مواقف المسلمين من النشاطات التبشيرية

استهدفت عملية التنصير في إندونيسيا المجتمع المسلم لسببين رئيسين: الأول: إندونيسيا بوصفها أكبر دول العالم الإسلامي؛ الثاني أن دعاة النصرانية يعلمون أن المسلمين ملتزمون بدينهم، ولا بد من القيام بعمل جاد لإقناعهم بما جاء في الإنجيل، ولأجل تحقيق أهداف التنصير يتطلب التخطيط المستمر من غير توقُّف، لتكون معظم مناطق إندونيسيا تحت رحمة النصارى؛ ما يجعل بناء الكثير من الكنائس أمرًا مقبولًا.

ولتأكيد تلك المحاولات التنصيرية، ننقل ما جاء على لسان أحد المبشرين النصرانيين: «يمكن القول: إن إندونيسيا أرض خصبة، وإن لأهلها قابلية لتعاليم الإنجيل. وبسبب تلك الجهود التي نقوم بها، فإن عدد البروتستانت قد بلغوا 13 مليونًا. فالأمر الذي يهمنا هو تكثيف المحاولات الجادة، لنشر تعاليم الإنجيل في بلد يكثر فيه المسلمون بشكل لافت للانتباه؛ ولهذا نحن مطالبون ببذل جهد دعوي أكبر، بحيث لا نستهدف الناس العاديين وحسب، بل علينا أن نستهدف، أيضًا، المثقفين وكبار الموظفين في الدولة».[326]

إن طموحات النصارى في نشر ديانتهم في إندونيسيا المسلمة هي أبعد ما تكون من التبشير، وهو أن تكون إندونيسيا تحت قبضتهم الكافرة؛ لهذا ظلوا يلعبون على وتر الدستور، الذي يكفل أحد بنوده حرية الديانة. وعليه فقد قام محمد ناصر بالوقوف أمام نواياهم الخبيثة، مبررًا بأن حجتهم الدستورية داحضة، وما هي إلا خدعة، ليس من السهولة أن تنطلي علينا نحن المسلمين العارفين بأساليب الطاعنين في الإسلام. إن الحرية الدينية كما جاءت في بنود الدستور، لا تعني استباحة الدين الإسلامي الذي هو دين الأكثرية؛ إذ لا يعقل أن يكون الذين وضعوا الدستور بهذا الغباء، وهم أكثر الناس معاناة من الاستعمار ورجالاته المبشرين؛ وهل حاربوا الاستعمار والغزاة إلا ليبقوا على دينهم ووطنهم؟ إن القانون الذي لا يمكن القفز عليه هو أن معظم ممثلي الأديان قد اتفقوا على أن التبشير يكون في أوساط الذين لا دين لهم.[327]

رأى محمد ناصر أن مثل هذه التصرفات الخبيثة، تتعارض تمامًا مع مبادئ فلسفة الدولة بنتشاسيلا، كما جاءت في دستور 1945م، وذلك حفاظًا على التعايش السلمي بين المواطنين.كما رأى أن سياسة تنصير المسلمين تخالف أيضًا مبادئ التسامح والاحترام، لا سيما أن المسلمين أكثرية في المجتمع الإندونيسي المتعدِّد الأديان والأعراق؛ وإلا فإن عناد النصارى سيكون خطرًا على أمن إندونيسيا واستقرارها، فمثل هده التصرفات الدينية التي ليست من الدين تتوجه نحو تأجيج الصراعات لأمد طويل.

لقد اتهم محمد ناصر ممثلي النصارى بأنهم لم يحترموا القانون أو يلتزموا به؛ إذ إن التبشير الديني عندهم فوق القانون الذي ليس من الدين؛ وإلا لماذا يقيمون كنيسة في قلب مدينة آتشيه، بينما لا يوجد

في آتشيه مواطن مسيحي؟ أليس في هذا تعدٍّ على القانون؟ إن تفكيرهم مادي للغاية من منطلق: أن المزيد من التبشير هو مزيد من المال القادم من الغرب المسيحي. وإن مما لا شكَّ فيه أن هذه السلوكيات الشيطانية تزيد من غضب المسلمين، وتدفعهم إلى حرق الكنائس التي أقيمت بشكل استفزازي غير قانوني.

أشار محمد ناصر إلى أن دعاة الإسلام احترموا جيرانهم المسيحيين، ولم يتجرأوا على نشر تعاليم الإسلام في المجتمع النصراني؛ بينما يقوم دعاة النصرانية بتوزيع التعاليم والمنشورات والمجلات والصحف والدوريات والأناجيل في أوساط المجتمع المسلم. [328] لم يحترم النصارى القانون الذي كفل حرية نشر الدين في الأماكن التي يتواجد فيها المسلمون، الذي ينهاهم الدين عن الردة، ويبشِّرهم إن فعلوا ذلك بنار جهنم خالدين فيها، لقوله تعالى: { وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة:٢١٧]، ومن ثم فإن المسلمين يفهمون قوله تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } [البقرة:٢٥٦] من منظور الآية 217 من سورة البقرة؛ فلا يكرِهون النصارى على تغيير دينهم، ومن ثم هم يحترمون القانون؛ ولكن هذا لا يعني أنهم يتساهلون أمام الردَّة؛ فالمسلمون رحماء فيما بينهم، يخافون على أنفسهم من عذاب النار والخلود فيها إن ْهم ارتدوا. ومثل هذا الإيمان لدى المسلمين يجهله النصارى، بل ويتعجَّبون من غضب المسلمين الحارق إذا أقيمت كنيسة في مجمَّعاتهم.

تذمَّر محمد ناصر من الوجود المكثَّف للمبشرين الغربيين في المجتمع الإندونيسي المسلم؛ حيث انتقد سياسة الحكومات الغربية، التي تنافق بأن الدين ليس من اختصاصاتها؛ بينما هي تبعث المبشرين وتدعمهم معنويًّا وماديًّا لنشر تعاليم المسيحية في أوساط المسلمين. أليس هذا استعمارًا بشكل من الأشكال؟ وإذا كانت الحكومات الغربية تدَّعي أن نواياها سليمة، تتمثل في مد يد العون للفقراء في دول مسلمة مثل إندونيسيا، فعليها إذًا أن تنأى بنفسها عن القيام بذلك عبر الإرساليات التبشيرية؛ ولكن تبيَّن لنا، كما يقول محمد ناصر، أن المساعدات المالية من الحكومات الغربية لا يمكن فصلها عن التبشير بالمسيحية.

لقد طالب محمد ناصر من دعاة النصرانية في إندونيسيا عدم استغلال تعاليم الأناجيل المقتصرة على تبادل الاحترام وحفظ الأمن في المجتمع، كما ناشد المسلمين بعدم الاغترار بهذه التعاليم؛ فتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية أولى من أي تعاليم أخرى تحارب التوحيد والموحدِّين؛ فأين الاحترام إذًا؟ وأين هم من حفظ الأمن إذا حاربوا توحيد الموحِّدين؟ أليس بعملهم الاستفزازي هذا، يتوجَّهون نحو ضرب الاستقرار الذي أقامه الإسلام، وحافظ عليه على الرغم من عنت الاستعمار وخبثه؟ إن النصارى مخادعون ولا يعنيهم التعايش السلمي بين الأديان والأعراق؛ لأنهم يشتغلون في الظلام، وينشطون في مناطق الفوضى، وإذا هم اشتغلوا في وضح النهار افتضح أمرهم وظهر مكرهم. ولهذا فإن إحراق الكنائس له ما يبرِّره قانونيًّا وأخلاقيًّا، يقول محمد ناصر: «المسلمون على وعي تام بأن دينهم الإسلامي مهدَّد من دعاة التبشير بطرق غير قانونية بلْه أخلاقية. وبالنظر إلى تلك

المحاولات الشيطانية، فإن المسلمين مطالبون اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، بالدفاع عن دينهم، في وجه ما يحاك ضدهم من مخططات دينية خبيثة. وإذا استمر الحال على ما هو عليه، فإن ذلك لن يكون في صالح مستقبل الوحدة الوطنية». [329]

لقد ذكَّر محمد ناصر المواطنين بأن اختلافهم الديني والعرقي لم يقف عائقًا أمام المواجهة والمقاومة والجهاد ضد الاستعمار الهولندي، حتى أخرجوه مهزومًا مدحورًا. وإذا نحن نجحنا في طرد الاستعمار أنفشل في الحفاظ على الاستقرار، عبر تبادل الاحترام، وعدم التعدي على الحقوق الدينية المكفولة في الدستور؟ ثم أجاب عن بعض التساؤلات، منها: أن المسلمين ملزمون بمبادئ حرية الديانة، كما جاء في الآية الكريمة: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } [البقرة:٢٥٦].

لقد أكَّد محمد ناصر بأننا ملزمون جميعًا باحترام القانون الواضح في مثل هذه المسائل الخطيرة، التي قد تنسف المجتمع نسفًا، زيادة على أن عملية الدعوة والتبشير لا بد أن تركِّز على تبادل الأفكار والوقوف على أساليب الإقناع، بحثًا عن الحق من غير ضغوطات مالية ومادية؛ لأن معظم الذين يدخلون في المسيحية هم من فقراء إندونيسيا، كما يتوجه دعاة المسيحية إلى الأميين، الذين يجهلون لغة الحوار بلْه لغة الإقناع. إن الإسلام يحترم أهل الكتاب، ويطالب المسلمين معاملتهم بالحسنى، ومن ثم لا خوف عليهم من المسلمين إذا عاشوا بين ظهرانيهم، ينعمون بديانتهم التي ارتضوها لأنفسهم؛ إذ إن حسابهم عند ربهم وليس عند المسلمين. يقول الله تعالى في هذا الصدد: { فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } [الشورى:١٥].

نبَّه محمد ناصر دعاة النصارى بأن هناك توجيهات من الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم باتباع أساليب الحوار والإقناع مع أهل الكتاب، كما جاء في هذه الآية الكريمة: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [آل عمران:٦٤]. كما طالب المبشرين بإبداء الاحترام تجاه جيرانهم المسلمين، وأن يقدروا أغلبيتهم عليهم، وليطمئنوا بأنه لا يوجد في عقيدة المسلمين قتال الأبرياء المسالمين بلْه المجاورين. إن التعايش السلمي قيمة عالية من قيم الإسلام، واستشهد بقول الله سبحانه وتعالى: { إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [الممتحنة:٩].

من يقرأ محمد ناصر قراءة دينية، يلفي أنه كان حريصًا كل الحرص على ترسيخ قيم التعايش السلمي في المجتمع الإندونيسي؛ إذ حذَّر دعاة النصرانية من عدم التوجه بنشاطهم التبشيري إلى المجتمع المسلم؛ لأن ذلك يمس مشاعر المسلمين ويؤذيهم. [330]

ونظرًا إلى حدَّة الصراع بين المسلمين والمسيحيين، عقدت حكومة جاكرتا حوارًا مباشرًا بين الزعماء الدينيين عام 1967م، كما أسلفنا القول. وقد وافق ممثلو الأديان الثلاثة: الإسلام والهندوسية والبوذية على احترام القانون، وانتهزوا الفرصة لتبادل الآراء فيما بينهم، حول نبذ التفرقة العرقية والدينية، بحيث يعيشون جنبًا لجنب في أمن واستقرار. إضافة إلى ذلك فإن معظم ممثلي الديانات المختلفة اتفقوا على أن النشاط الدعوي يشمل غير المعتنقين لدين ما، غير أن زعماء النصارى عارضوا هذا الاتفاق، وأصروا على أن النشاطات التبشيرية لا بد أن تشمل، أيضًا، أصحاب الديانات الأخرى. وإن مثل هذه التصرفات من قبل زعماء المسيحية، تدل على أن حفظ الأمن ليس في حساباتهم الدينية؛ ما أدى بفعلهم الأناني هذا، إلى تجدد الصراع الديني بين المسلمين والمسيحيين.

جدَّد محمد ناصر الدعوة إلى الاحتكام إلى العقل، وذلك في خطبة ألقاها بمناسبة عيد الفطر المبارك في جاكرتا؛ حيث أشار فيها إلى خطاب ألقاه رئيس الكنائس الدولي، نيابة عن بابا الفاتيكان بمناسبة ذكرى العام الجديد 1968م، طالب فيه جميع معتنقي الأديان الاهتمام بمبادئ التعايش السلمي، وتطبيقها على أنفسهم. وأن ما قاله رئيس الكنائس الدولي، قد استحسنه السيد أبو الأعلى المودودي من شبه القارة الهندية، وقام محمد ناصر بتبيانه في خطبته التي ألقاها بمناسبة عيد الفطر المبارك، مستشهدًا بهذه الآية الكريمة: { فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } [الشورى:١٥].

لقد قام محمد ناصر بنقد الحكومة المركزية في جاكرتا، التي لم تهتم بخطورة النشاطات التبشيرية في أنحاء إندونيسيا؛ حيث تغاضت عن بناء الكنائس في أوساط المسلمين من غير استئذان الحكومة. واعتبر محمد ناصر أن عدم تجريم هذه النشاطات غير القانونية، فيه دلالة على أن الحكومة المركزية متغاضية عن هذا الوضع السيِّء وربما راضية؛ حتى تشغِل الإسلاميين عن العمل السياسي.

ناصَر محمد ناصِر قضايا أمته، ووقف في وجه التحديات التي تأخذ بخناقها. ومن ضمن مساعيه المشكورة أنه قام بإرسال خطاب إلى الدكتور فركيول «J. Verkuyl» احتجاجًا على قوله المسيء للإسلام والمسلمين بعد حرق الكنائس على أيدى الغاضبين. [331]

لقد قال محمد ناصر: إن العلاقة بين المسلمين والنصرانيين باتت علاقة غير ودية بسبب نشاطاتهم الاستفزازية، التي لا تحترم مشاعر المسلمين. كما حذَّر المسلمين من أن النصارى في تزايد مستمر، بسبب التسهيلات المالية، والتغطية على نشاطتهم غير المشروعة من مناصريهم في حكومة سوهارتو، التي دعمت هي الأخرى النشاطات التبشيرية منذ أن حكم سوهارتو البلاد. إن الصراع بين المسلمين والنصرانيين لا يمكن إيجاد حلول له بمجرد إصدار أحكام تدين هؤلاء الذين قاموا

بحرق الكنائس؛ إذ يفترَض من الحكومة اتباع سياسة حكيمة تبحث في جذور المشكلة، لا سيما أن السبب الرئيس من وراء غضب المسلمين والهجوم على الكنائس، هي المحاولات المنظَّمة لتنصير المسلمين؛ ولعل هناك أسبابًا أخرى وراء سرعة انتشار المسيحية في البلاد لها علاقة بتعيين النصارى في حكومة سوهارتو؛ حيث تسلموا حقائب وزارية حسَّاسة.

يقول محمد ناصر ما إنْ تولَّى سوهارتو الحكم، حتى بدأ في تطبيق إملاءات غربية في كيفية إدارة حكمه؛ حيث استعان بالمنظور الغربي الليبرالي في صياغة مشروعه الإنمائي، بما فيه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وذلك على حساب جوانب روحية، كانت أساس استقرار المجتمع المتعدِّد الأديان والأعراق. ورأينا أن سوهارتو قد تعامل في أول يوم من حكمه مع الإسلام، بأنه دين رجعي، يعارض كل ما له علاقة بالتقدم والحداثة. ولأجل تحقيق طموحاته السياسية قام بتعيين التكنوقراط من العلمانيين والنصرانيين، وكافأهم بمناصب حكومية مهمَّة. وجدير بالذكر أن محمد راشيدي المفكِّر البارز، لفت الانتباه إلى أن حكومة سوهارتو عرضت قانونًا للزواج، يتناقض تمامًا مع مبادئ الإسلام، واعتبر أن مشروع قانون الزواج هذا،كان في أساسه يخدم أجندة تنصيرية.[332]

نعود إلى القول: إن النشاطات التبشيرية في إندونيسيا امتدَّت إلى الطلبة المسلمين في مدارسهم، لغرس المسيحية في عقولهم عبر تعاليم الأناجيل. ومن المؤسف أن معظم الآباء المسلمين الذين أرسلوا أولادهم إلى مدارس النصارى لم يكن لهم فهمٌ كافٍ بالإسلام، ورأوا أن تعاليم المسيحية تتماشى مع متطلبات الحياة الحديثة، نظرًا إلى التسهيلات التربوية المتاحة. وقد كانت مبرراتهم من ابتعاث أولادهم إلى تلك المدارس، هو الحرص على مستقبلهم الأكاديمي والاجتماعي والاقتصادي.[333] بعد التحاقهم انتهز المدرِّسون النصرانيون فرصة تعليمهم مواد لها علاقة بتعاليم الأناجيل. زيادة على ذلك فإن مدارس النصارى لم تكن تتيح للطلبة المسلمين تسهيلات تمكِّنهم من أداء الصلاة في المدارس، بل وكانت تمنعهم من الذهاب إلى المساجد، لأداء صلاة الجمعة بحجة ضرورة الالتزام بلوائح المدرسة، التي تمنع الغياب من غير مبرِّر مادي.

إن خطط هذه المدارس كانت تندرج ضمن إستراتيجية منظَّمة، معقولة ومقبولة، يتبعها النصارى في تحويل المسلمين الشباب عن ديانتهم؛ فهي بالنسبة إليهم مرحلة مناسبة لترسيخ جذور الإيمان المسيحي في أعماق حياتهم الفقيرة والمحرومة، ومن غير شكٍّ في أن هذه المدارس تتلقى تسهيلات مادية من هيئة الكنائس الدولية.[334] وقد كان لمحمد ناصر، كما أسلفنا القول في الفصول السابقة، مواقف صارمة من المسلمين، الذين يبعثون أولادهم إلى مدارس النصارى؛ فقد وبَّخهم على أفعالهم التي لا تمت للإسلام بصلة.

لقد نبَّه محمد ناصر لمدى خطورة سياسة التنصير منذ سبعينيات القرن الماضي، تنبيه الحريصين على مستقبل الأمة الإسلامية؛ ما يستحق الشكر والتقدير؛ لا سيما أن من وصلوا إلى مكانة محمد

ناصر لم يعودوا يشغلون أنفسهم بمثل هذه المسائل، التي يعدُّونها من تفاهات العامة. لقد شغلتهم الدنيا فانشغلوا عن الآخرة، وأي منقلب سينقلبون؟

والجدير بالذكر، في نظر محمد ناصر، أن عمل النصارى في تحويل المسلمين الفقراء عن دينهم تتعارض مع مبادئ تعاليم الأناجيل، التي تؤكد على أهمية المحبة وتبادل الاحترام، وحفظ السلم المدني في مجتمع متعدِّد الأديان والأعراق؛ حيث إن غالبيته مسلمة. ولعل هناك من يعتقد من دعاة النصارى الغلاة أن النشاطات التبشيرية في أوساط المجتمع المسلم واجب ديني؛ ولكن عليهم أن يعوا بأن استفزاز الأغلبية قد تزيد من هوَّة العداوة بين معتنقي الأديان؛ ما قد يؤدي إلى مزيد من حرق الكنائس، احتجاجًا على خطط التبشير غير الأخلاقية وغير القانونية.

* * * *

ما من شكٍّ في أن اغتيال المبشِّر الأسترالي إيريك كونستابل «Eric Constable» في أرض إندونيسيا كان من نتائج التبشير النصراني غير الأخلاقي وغير القانوني، وكانت الحادثة الدموية هذه قد وقعت عام 1974م، بعد أن تمَّ الكشف عن نشاطاته الدعوية غير القانونية؛ حيث لم يكن يسمح لأحد أن يلقي خطابات دينية، أو يمارس نشاطات دعوية، إلا بمراجعة وزارة الشؤون الدينية. وكان وصول هذا الرجل إلى إندونيسيا بدعوة من إحدى الكنائس في جاكرتا، فلم يراع حساسية المجتمع المسلم؛ حيث أوغل في التنصير حتى اكتشف أمره، ولقي حتفه.

لقد نما التبشير الديني النصراني في إندونيسيا بشكل لافت للانتباه مع مطلع نظام سوهارتو الجديد؛ حيث استغل دعاة النصارى ما قامت به حكومة نظام سوهارتو من إدخال إصلاحات جذرية على مناهج التربية والتعليم، بحجة ملاءمتها للعصر ومتطلباته التكنولوجية. وكانت الحركة الإصلاحية في مجال التربية والتعليم تهدف إلى إعادة النظر في المنظومة التربوية لعام 1989م، التي لم تكن، في نظر صناع القرار التربوي، تلبي حاجات التنمية الاقتصادية والدولية. زيادة على أن منظومة التعليم القديمة كانت مركزية لا تتلاءم مع مبادئ الحكم الذاتي الإقليمي، في الوقت الذي كانت فيه مخططات التنمية في الستينيات من القرن الماضي تركِّز على الجوانب الاقتصادية والقومية.

ومن منظور الإصلاح التربوي باتت مخططات التنمية تركز على الجوانب الاقتصادية والأمنية تحت رقابة مشدَّدة من الحكومة المركزية في جاكرتا، التي وضعت نظام التعليم الديني تحت إطار فلسفة الدولة بنتشاسيلا. غير أن مثل هذه الإصلاحات التربوية لم تكن تهدف في أساسها إلى غرس القيم الدينية في قلوب النشء؛ وإنما ركزت على بنتشاسيلا بوصفها قيمًا بشرية بديلة عن الدين، ومن ثم عملت حكومة سوهارتو على تثبيت مبادئ بنتشاسيلا الغامضة في عقول الطلبة، وهي مبادئ ليست من الدين في شيء. وإذ يفتقد الطلبة إلى الدين؛ فإن مهمَّة التبشير الديني النصراني تكون نخوة ورخوة.

ونظرًا إلى المساعي التي قامت بها حكومة نظام سوهارتو، فقد وجدنا أن بعض الهيئات النصرانية قد احتجَّت في بعض المدن الإندونيسية، وأعلنت جهارًا عن رفضها للمشروع الإصلاحي المرتبط بالنظام التعليمي الديني في مدارس النصارى؛ حيث جاء في منظومة الإصلاح الجديدة حظر تعليم الدين الإسلامي للطلبة المسلمين من قبل المدرِّسين النصرانيين، لا سيما في مدارس النصارى أو المؤسسات التعليمية النصرانية التي يلتحق بها الطلبة المسلمون كما أسلفنا القول. وقد حذَّرت الحكومة الإندونيسية من أن تعليم الدين الإسلامي الذي يقوم به غير المسلمين لا شكَّ في أنه سينجم عنه سوء فهم لدى الطلبة؛ فلا يفهمون دينهم فهمًا صحيحًا، وفي هذا خطر على الأسرة والمجتمع وعلى مستقبل السلم المدني. لقد احتجَّ زعماء النصارى على تلك السياسة التعليمية، واعتبروها تدعو إلى التفرقة العنصرية، وتتنافى مع دستور عام 1945م. [335]

اعتبرت الهيئات النصرانية أن المواد الدينية من العبث إدراجها ضمن المناهج الدراسية؛ لأن الوعي الديني لا يمكن تحصيله إلا من داخل الأسرة. [336]كما طالبت من الحكومة عدم التدخل في أمور التعليم الديني، وشدَّدت على ضرورة شطب البنود المرتبطة بنظام التعليم الديني والاستغناء عنها. [337] وحاججوا بأن إدخال إصلاحات في مجال التعليم يتعارض مع مبادئ فلسفة الدولة بنتشاسيلا، وأن الدين لا يكتسب في المدارس بل يكتسب من الأسرة. [338] وهم بذلك كانوا يهدفون إلى إخلاء المدارس والجامعات من تعاليم الدين الإسلامي حتى يخلو لهم الجو التبشيري؛ وكذلك هم يفكِّرون ويمكرون.

وردًّا على تلك السياسة النصرانية الرافضة للمشروع الإصلاحي في مجال التعليم، وقف اتحاد شباب الطلبة الكاثوليكيين «Persatuan Mahasiswa Katholik Indonesia» معارضًا لبعض مطالب النصارى، وذلك على النحو الآتي: أولًا؛ رأى اتحاد الطلبة الكاثولكيين أن رفض النصارى للمشروع الحكومي فيما يتعلَّق بإصلاح برنامج التعليم يعد مخالفًا لحقوق الإنسان. ثانيًا؛ إن مشروع الإصلاح التعليمي يتجاهل أهمية التطوير الفكري لعقول الطلبة بمجرد التركيز على الجوانب الروحية. ثالثًا؛ على الحكومة ألا تتدخَّل في تطوير برامج التعليم، بل عليها أن تؤدي دور الوسيط في تفعيل التعايش السلمي بين مختلف الأديان والأعراق. رابعًا؛ مشروع إصلاح مناهج التعليم غير عادل كونه يفرض إيديولوجية معيَّنة. [339]

من وجهة أخرى وجدنا أن زعماء النصارى في جزيرة كاليمنتان قد رفضوا مشروع الحكومة الإصلاحي، وطالبوا من كبار المسؤولين في وزارة التربية والتعليم الإندونيسية إعادة النظر في حيثيات المشروع وإعداد برنامج تعليمي جديد، يتماشى مع مبادئ التعددية الدينية والعرقية داخل الدولة الإندونيسية.[340] بل ألفينا أيضًا أن رفض هيئات النصارى لمشروع إصلاح التعليم أدى بهم إلى التعاون مع أقطاب الليبرالية في الدولة من منطلق أن جميع الأديان تعلِّم الخير، وأن لا دين يعلو على دين آخر؛ إلا أن مثل هذه الأفكار اللئيمة، التي لا يحترم أصحابها حق الجوار، هي من تفضي إلى تأجيج الفتنة الطائفية في مجتمع أكثريته مسلمة ظلت دومًا أمة كريمة. [341]

زيادة على ذلك نلفي المبشرين ينشطون في الشؤون الاجتماعية، ومن أهمها:[342]

1. السجون والمعتقلات وزيارة بيوت المسلمين.

2. استغلال الأعياد الرسمية والمناسبات الدينية.

3. استغلال التهجير الداخلي.

4. استغلال حالات الفقر والحاجة.

5. استغلال التبني ومشروع الحكومة بواجب الدراسة.

6.استغلال الكشافات وتكوين المخيمات.

7.دور الأيتام والحضانة.

8.استغلال الحكم الشرعي الإسلامي.

9.استغلال مراكز السلطة.

لقد اقترح عبدالرحمن وحيد «1940-2009م» [343]. -وهو المعروف بمناصرته لمطالب النصرانيين- على النصرانيين اختيار محترفين من طبقتهم لتولي مناصب حكومية. وقد أكَّد لهم بأن الدولة للجميع بغض النظر عن الفوارق الدينية في المجتمع.كما اقترح فكرة إلغاء تعليم المواد الدينية من المدارس والجامعات، واعتبرها مسؤولية الأسرة تجاه أبنائها.[344] وهي فكرة النصارى أساسًا؛ لكنه النفاق لكسب مزيد من الرفاق. زيادة على أن نهضة العلماء المسلمين يغلب عليها الطابع الصوفي والعلماني؛ حيث أسست جمعية أهل الطريقة، كما أن هناك إحدى عشرة طريقة صوفية، حصلت على اعتراف جمعية نهضة العلماء المسلمين.[345] إلى جانب أن «العلمانية التي تعني في النطاق الإسلامي إضعاف تأثير القيم الإسلامية هي المدخل الوحيد للمبشرين».[346]

وجدير بالذكر أن هناك مؤسسة تعليمية قام بإنشائها الدكتور نور خالص مجيد «Nurcholis Majid» هدفت إلى تدريس الديانات المختلفة للتلاميذ في المراحل الابتدائية والثانوية قبل التحاقهم بالجامعة. وفرضت مؤسسته التعليمية على الطلبة المسلمين دراسة تعاليم الديانة النصرانية وثقافتها ومشاركتهم في الاحتفال بالعام الجديد. وكذلك فرضت على الطلبة غير المسلمين الوقوف على الثقافة الإسلامية والتعرف إليها، مثل عيد الفطر وعيد الأضحى المبارك. وكان الغرض من معرفة تلك الأعياد، في نظر المسؤوليين، هو غرس روح التسامح، وتبادل الاحترام بين معتنقي الديانات المختلفة داخل الدولة.[347] ولكن ما خفي أكثر؛ لأن الأعياد منظورة للناس ولا تؤثر في معتقداتهم. وإن كانت نوايا المسلمين حسنة؛ فإن دعاة النصارى الغلاة ومن والاهم مثل نور خالص كانوا يهدفون إلى توسيع دائرة التبشير المسيحي بشكل مؤسسي. وقد نقد محمد ناصر هذا المشروع في كتاباته ومحاضراته.

لقد حذَّر محمد ناصر من أن مشروع الإصلاح قد يؤدي إلى ظهور فتنة طائفية في المجتمع. وكان معظم المعارضين لمشروع الإصلاح التربوي يركزون على التعليم الديني في المؤسسات التعليمية الحكومية أو الأهلية، ورأوا بأنه لا يمكن تنفيذ هذه الإصلاحات الدينية، نظرًا إلى بعض الصعوبات التي تتمثل في إعداد المدرسين الجدد. [348] في هذا الصدد، نلفي رئيس الكنيسة ستيفانوس راي «Stephanus Roy» الذي كان يتولى قيادة الحزب الكاثوليكي إثر سقوط نظام سوهارتو؛ يقول: «إن المشروع الحكومي لإصلاح برامج التعليم ما هو إلا محاولة لإحياء وثيقة جاكرتا التي تدعو إلى تنفيذ الحكم الإسلامي في الدولة. ولِمَ لا؟ لقد لاحظت أن معظم المصطلحات في مشروع

الإصلاح التعليمي إسلامية المصدر. ونحن على وعي بأن نشوء فكرة الإصلاح التعليمي، جاءت بعد تعديل البنود في دستور عام 1945م لا سيما ما تعلَّق بالبند 31 الذي ينص على عنصر غرس التقوى في نفوس الطلبة، بدلاً من عنصر تنمية التفكير العقلاني والنقدي في عقولهم. ونحن على وعي بأن البند رقم 31 جاء بعد الاتفاق مع قيادات حزب إسلامي له علاقة تاريخية بالبند رقم 29، الذي لا يمكن فصله عن محاولة إعادة صياغة وثيقة جاكرتا وإحيائها، والذي ينص بشكل واضح على أهمية تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع. ولهذا وجدنا الهدف من إصلاح التعليم ليس لرفع مستوى التفكير العقلاني في نفوس الطلبة، وإنما لغرس التقوى من منظور إسلامي. ولهذا نكرِّر القول: إن الهدف من إصلاح برنامج التعليم ما هو إلا رغبة حزب إسلامي معيَّن».[349]

* * * *

الفصل الرابع عشر محمد ناصر في عيون العارفين الآسيويين

أعقب انهيار نظام سوهارتو قيام إصلاحات سياسية كبرى، منحت للمحرومين من المشاركة السياسية أملاً في التغيير نحو الأفضل. وفي هذه الأجواء التي يظهر فيها كل ما خفي وجفا، باتت شخصية محمد ناصر محل نقاش واسع في أوساط السياسيين والمثقفين في المجتمع. وإن الإجماع على شخصية محمد ناصر بالذات، يرجع إلى ما يتميَّز به من بساطة في العيش، وإخلاص في التعامل مع الآخرين، بغض النظر عن اختلافهم العرقي والديني.

أجمع معظم المحللين الإندونيسيين على أنه لا يوجد في الوقت الراهن شخصية فكرية دينية في وزن محمد ناصر على المستويين السياسي والاجتماعي؛ حيث وقف جورج كاهن الخبير الأمريكي في الشؤون الإندونيسية حائرًا أمام شخصية محمد ناصر المتواضعة؛ إذ وجد أنه لا فرق لديه في أن يكون وزيرًا أو إنسانًا عاديًا ما دام أنه يخلص لوطنه. وحينما كان رئيسًا لحزب ماشومي رفض أن يتسلَّم سيارة فاخرة، أهداه إياها أحد رجال الأعمال الإندونيسيين احترامًا لمكانته التي وهبها لخدمة أمته. ولهذا يفترَض أن يكون محمد ناصر مثالًا للآخرين في أمانته وبساطته غير المعهودتين، لا سيما لرجال الدولة حتى يحفظوا مصالح الشعب، ويقيموا العدل والمساواة في المجتمع.

أما السيد محمد روم وزير الخارجية الأسبق وأحد زملائه المعجبين بتواضعه، ذكر بأن إصرار محمد ناصر على استقبال زواره للبحث في قضايا الأمة، كان سببًا في اعتلال صحته وتدهورها؛ فقد زاره كثير من الناس بحثًا عن حلول لمشكلاتهم الشخصية، ولمشكلات الأمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. لقد كان يرفض أن يُعرِض عن مقابلة أي شخص يطلبه، وذلك بشهادة زوجته.

محمد ناصر شخصية نادرة في عصر عزَّ فيه الرجال.كان كلما ألمَّت بشخص مشكلة خاصة أو عامة توجَّه تلقاء محمد ناصر، وهو على يقين بأنه سيجد الحل الأفضل هناك. لقد كان محمد ناصر يلقي السمع لمعاناة الناس، ويهتم بها وكأنها مشكلته هو بالذات؛ ما يجعل السائل يشعر براحة نفسية بعد مقابلته، وعرض مشكلته عليه. وكذلك من مميزات محمد ناصر أنه كان خطيبًا مفوَّهًا ومحاورًا مقنعًا، وكان إذا كلَّم الناس في محاضراته وخطاباته، أقنعهم بحججه فيميلون إلى آرائه ميلًا كاملًا.

الرجل الأصيل الذي يعاني في فترة ما، حتمًا سيعاني لمعاناة الناس، ويشعر بوخزها في جوارحه كلها. إنه محمد ناصر الرجل الأصيل، الذي قهرته المشكلات في طفولته وشبابه، فقد نشأ في ظروف اقتصادية صعبة للغاية. كان والده موظَّفًا عاديًا أيام الاستعمار الهولندي، وقد بذل جهودًا مريرة في سبيل الحصول على الدخل المناسب لرعاية زوجته وأولاده. وكان محمد ناصر منذ شبابه

معجبًا بشخصية السيد عمر سعيد شوكرو أمينوتو زعيم حركة شريكة إسلام، والسيد أحمد حسن زعيم الهئية الإسلامية الاتحادية، وإن كليهما قد أثَّرا في شخصية محمد ناصر، وشكَّلا ملامحها الدينية، ورسما معالمها السياسية والاجتماعية. منهما اكتسب محمد ناصر التواضع وحب الناس، والإقبال عليهم لحل مشكلاتهم والوقوف إلى جانبهم. ظل هذا التواضع يلازمه حتى وهو رئيس وزراء؛ لأنه كان مخلصًا لدولته وصادقًا مع أمته. وإذ جمع بين الإخلاص والصدق، فإنه ظل مخلصًا حتى وهو محروم من حقوقه السياسية، واستمر صادقًا وهو يعارض عتاة الدولة معرِّضًا حياته للخطر.

إن رجلاً بهذه الصفات الحميدة والمناقب الشريفة، لا يمكن لمن يعرفه إلا أن يحبه. وإذا أتى على لسان الناس يذكرونه بخير، وإذا كتبوا عنه أثنوا عليه. فمن أتى على ذكره في الغيب أكثر بكثير ممن أتى على ذكره أمام الشهود. كتب عنه خلق كثير في إندونيسيا وخارجها؛ استعادوا حياته ووظيفته ومواقفه ومناقبه وإنجازاته واللحظات الأخيرة من حياته. وكلما سطع معدن محمد ناصر ولمع، حسب تقلُّبات البيئة الإندونيسية وتغيير أوضاعها لاسيما نحو الأحسن؛ فإن المعجبين بفكر محمد ناصر يعيدون سيرته الأولى.

أولاً: محمد ناصر في عيون محمد أمين رئيس الرئيس الأسبق لبرلمان إندونيسيا

يقف أمين رئيس الرئيس الأسبق لبرلمان إندونيسيا بعد انهيار نظام سوهارتو، موقف العارفين بمعادن الرجال، والمنصفين لمسيرتهم الحضارية؛ إذ يعد محمد ناصر من الزعماء البارزين في العالم الإسلامي، ويضعه في مصاف الكبار. وهذا التصنيف يعود في نظر أمين رئيس إلى القاسم المشترك بين محمد ناصر والمودودي وغيره؛ حيث كانوا من دعاة الحكم الإسلامي في بلدانهم، زيادة على أنهم عانوا جميعًا من ويلات السجون، وحرموا من أبسط الحقوق. وفي هذه الأجواء الحالكة اكتسبوا المهارات التي مكَّنتهم من مواجهة الحياة.

وعن محمد ناصر فقد أكسبته المحن التي مرَّ بها مناعة لمواصلة مسيرة كفاحه باتزان وهدوء تامين. لقد عرض أفكاره وآراءه من طريق الكتابة في الصحف والمجلات، زيادة على التأليف المتنوِّع والنوعي في قضايا الإسلام والمسلمين. ومن ضمن مؤلفات محمد ناصر التي لا يمكن تجاهلها كتابه الموسوم بـ: كفيتل سليقتا[350] «Capita Selecta» في جزئين. إضافة إلى ذلك لديه العديد من الكتب عن الإسلام والسياسة في إندونيسيا. ومن أهم مؤلفاته عن الإسلام كتابه فقه الدعوة «Fiqhud Da'wah» الذي صار كتابًا مشهورًا ومتداولًا في العالم، حيث تمت ترجمته إلى عدة لغات. وقد استفاد من هذا الكتاب كثير من الدعاة المسلمين في إندونيسيا وماليزيا، فضلًا عن الأقليات المسلمة في جنوب شرق آسيا. [351]

إن المفكرين العظام، كما يرى أمين رئيس، قد بذلوا جهودًا عظيمة في خدمة الإسلام، وجاءوا بتصور فكري إسلامي مختلف. فسيد قطب مثلًا قد وصف القرن العشرين بالجاهلية؛ إذ إنه، في نظره، يموج في عالم من الإباحية والمادية، زيادة على أن التقدم العلمي المعاصر في نظره لا يخدم الجوانب الروحية للبشرية إلا قليلاً. لقد انتقد سيد قطب الثقافة الغربية التي تسببت في ظهور تصور فكري مادي للعالم، وجعلت الإنسان بوهيميًا يجري وراء تحقيق رغباته الشهوانية من غير مراعاة الآخرين واحترام دياناتهم. بناء على أفكار سيد قطب، فإن الأمة الإسلامية مطالبة برفض التطور الغربي للحياة، الذي لا يستجيب للفطرة البشرية السوية.كما يشدِّد سيد قطب على أن خيار التقدم في العالم الإسلامي هو خيار شرعي، يكون بتحكيم شرع الله في الحياة والمؤسسات والمجتمعات. إن مثل هذه الأفكار أوصلت سيد قطب إلى حبل المشنقة؛ فقد أعدمه جمال عبد الناصر، فضلًا عن اتهامه بتنشيط التنظيم السري للإخوان المسلمين وتفعيله. لقد استشهد سيد قطب وسجَّل التاريخ اسمه بحبر من ذهب؛ إذ لا يزال المسلمون يستفيدون من أفكاره البارعة، كما هي مبسوطة في تفسيره في ظلال القرآن.[352]

ويرى أمين رئيس أن السيد أبو الأعلى المودودي قام بتأليف العديد من الكتب المهمة، التي تتعلق بنظام الحكم في الإسلام،كما ألَّف في نظام الاقتصاد الإسلامي، الذي لا يقبل التعامل بالربا. ومن ناحية وجدناه أيضًا ينتقد الفكر المادي الغربي المدمِّر لجوانب روحية وإنسانية في البشرية. كما انتقد

بشدَّة النظام الرأسمالي الذي لا يحقق مصالح العامة، بل يؤدي إلى التدهور الأخلاقي، ثم عرض رأيه في حل المشكلات السياسية من طريق الديمقراطية الإسلامية.

ما من شك في أن محمد ناصر، في نظر أمين رئيس، قد سلك هذا الطريق الذي سلكه المودودي وسيد قطب؛ إلا أنه لم يكن متشدِّدًا مثلهما؛ فقد رأى محمد ناصر كغيره أن وظيفة نواب البرلمان تكمن في تنفيذ مبادئ القانون المنصوص عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية، وليس وضع قانون جديد من عند أنفسهم. وإن المواطنين غير المسلمين لهم الحرية الكاملة في ممارسة ديانتهم من غير أن يسيئوا للمسلمين بالتبشير والاستهزاء. إن مفهوم الحرية عند محمد ناصر وغيره ممن ذكرنا شأن روحي أكثر منه مادي؛ فالإنسان الحر يحترم غيره معنويًّا ولا يفعل ما يشاء ماديًّا.

رأى أمين رئيس أن محمد ناصر قد جاء بأفكار جديدة فيما يتعلَّق بمبادئ الديمقراطية الإسلامية بخلاف الديمقراطية الليبرالية، ومن ثم لم يتعامل مع الآيات القرآنية حرفيًّا بل نظر في مدلولاتها. وإضافة إلى ذلك، رأى محمد ناصر أن مدلولات الأحكام يمكن تطويرها من منظور بيئي وزمني. كما ظل وفيًّا لفكرته بأن الديمقراطية العلمانية تؤدي إلى كوارث وأزمات، ومن ثم لا بد للعالم الإسلامي من الالتزام بالقيم الديمقراطية من منظور ديني، حتى تتلاءم مع متطلبات الحياة الدنيوية والأخروية؛ حيث أدلى بذلك أمام البرلمان الإندونيسي في خمسينيات القرن الماضي. [353]كما أكد محمد ناصر على أن الديمقراطية الإسلامية تهدف إلى حماية الدولة، حتى لا تقع فريسة لليبرالية غير الأخلاقية، وإن الدولة التي تعتمد على مبادئ إسلامية، تستبعد كل أشكال الظلم والاستبداد والتفرقة العنصرية. [354]

يقول أمين رئيس: إن الحزب الإسلامي الأول في التاريخ الإندونيسي أسَّسه محمد ناصر، وكان هدفه تحقيق الحرية للمواطنين، والمشاركة الفعلية في السياسة. وفي المؤتمر الأول للحزب المنعقد في مدينة يوكياكرتا عام 1949م، أدلى جميع الأعضاء بأصواتهم لمحمد ناصر رئيسًا للحزب في الفترة 1949-1958م. وجدير بالذكر أن محمد ناصر لم يواصل دراسته الجامعية، غير أن قدراته العلمية والسياسية والإدارية كانت محل تقدير الجميع. وقد قال يوسريل إحزا مهندرا أحد أتباعه: لقد احتل حزب محمد ناصر المرتبة الثانية في انتخابات البرلمان عام 1955م. وإن الشيء الذي لا يمكن تجاهله أن حزب ماشومي جمع بين التراث والحداثة، فأتى حزبًا راشدًا في قراراته وتصرفاته.كما نجح محمد ناصر في إدماج ثقافات مختلفة داخل حزبه من أجل تماسك الوحدة الوطنية؛ فلم يعرَف عنه أنه كان عنصريًّا بشهادة المؤيدين والمعارضين؛ ما جعله ينسج علاقة أخوية متينة مع سوكارنو على الرغم من الاختلافات السياسية التي جمعتهما. لقد استطاع محمد ناصر إحداث توازن بين أصحاب الاتجاه العلماني والديني داخل قيادة حزبه؛ حتى أنه قام بالتعاون السياسي مع الزعماء الاشتراكيين، حينما كان يتولى منصب رئيس الوزراء في الفترة 1950-1951م. [355]

يورد أمين رئيس قول محمد شودوري «Mohammad Chudori» أحد الصحفيين الإندونيسيين البارزين: إن محمد ناصر خالف كارتو سويرجو الذي أعلن عن قيام الدولة الإسلامية عام 1949م؛ حيث كان الاختلاف في الوسائل والأهداف، بعد أن رأى محمد ناصر أن الدولة الإسلامية لا يمكن قيامها على أنقاض الانفصال عن الدولة، وإنما لا بد لقيامها حصول رضا الشعب الذي يتحقق عبر الانتخابات الحرة.[356]

كما اتفق المؤيِّدون والمعارضون على أن محمد ناصر عاش متواضعًا وبسيطًا حتى وهو رئيس وزراء. وقد اعترفت إحدى بناته بأن والدها قام بنصح أبنائه بألا يطمعوا في الحياة الدنيا، وأن يشكروا الله على ما أنعم عليهم. وفي الوقت الذي كان فيه وزيرًا للإعلام عام 1946م، تقول إحدى بناته: إنه كان يسكن مع جميع عائلته في منزل صديقه السيد فروتو مانجونكو ساسميتو في مدينة جاكرتا، وحينما انتقل إلى يوكياكرتا سكن في منزل المفكِّر الإندونيسي الحاج أغوس سالم، ثم انتقل بعد ذلك إلى منزل حكومي عام 1946م، وقد أثَّث بيته بآثاث منزلية مستخدمة وليست جديدة. [357]

كانت بساطة محمد ناصر محل إعجاب جورج كاهن الخبير في الشؤون السياسية الإندونيسية؛ إذ إنه كان يستغرب من تواضعه، لما كان يقوم بزيارته في مكتبه بالوزارة. وإن هذا الخبير الأمريكي قد سمع عن بساطة محمد ناصر من طريق الحاج أغوس سالم؛ فقد أخبره أن الموظفين في الوزارة يختارون لباسهم الذي يليق بمنصبهم، وأن محمد ناصر لم تكن تعنيه المظاهر الباذخة؛ فكان يقود السيارة بنفسه، وأهله هم من كانوا يخدمونه في البيت وليس غيرهم. لم يغيِّر محمد ناصر من أسلوب حياته على الرغم من أن الدنيا قد جاءت إليه تسعى؛ إذ طلبته ولكن رفض مغرياتها وملذاتها. يقول كاهن: إن إحدى بنات محمد ناصر ذكرت أن الوالد لم يكن يستخدم التسهيلات الحكومية، مثل السفريات مع عائلته داخل البلاد أو خارجها.[358]

وعن أمانة محمد ناصر كما يذكر أمين رئيس، أن السيد حسني موئيس «Husni Muis» ممثل هيئة المحمدية بجزيرة كاليمنتان، قام ذات مرَّة بزيارة مدينة جاكرتا، ولم يكن معه مصاريف العودة. فقصد محمد ناصر عسى أن يعينه على شراء تذكرة العودة إلى جزيرة كاليمنتان. لقد تأسَّف محمد ناصر بأن المبلغ المطلوب غير متوافر لديه، لأنه لم يحصل على راتبه الشهري بعد. ومع ذلك استعان محمد ناصر بصندوق مجلة الحكمة، التي كانت تحت رئاسته لمساعدة موئيس.

لقد تعجَّب أمين رئيس لقصة محمد ناصر هذه، وكيف لرجل عالم في منصب وزاري مرموق، بينما يعاني من قلة ذات اليد! وإن مثل هذه الحادثة بين محمد ناصر وموئيس تدل على أمانة محمد ناصر وإخلاصه لوظيفته.[359]

لقد أكَّدت المصادر التاريخية صحة هذه الحادثة، كما جاء على لسان سكرتيرته ماريا ألفى «Maria Ulfa» يوم أن كان رئيسًا للوزراء، وحينما أنهى خدمته بوصفه رئيسًا للوزراء عام 1951م كانت له مستحقات مالية، فطالبته سكرتيرته بسحب ما تبقى من مستحقاته؛ إلا أنه تبرَّع بها لصندوق

الموظفين. وفي فترة توليه منصب رئيس الوزراء كان محمد ناصر لا يستخدم سيارة الحكومة لأغراض عائلية. وفي فترة رئاسته للمجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية لم يكن لديه غير بدلتين يلبسهما؛ حيث كان معروفًا بهما عند الناس. [360]

يقول أمين رئيس: إن محمد ناصر كان يحضر مؤتمر رابطة العالم الإسلامي كل عام بوصفه عضوًا مؤسِّسًا، إلا أنه لم يستغل هذه الفرصة السنوية لصالح عائلته؛ فقد أخذ زوجته معه مرة واحدة لأداء فريضة الحج .[361] ويوم وفاة زوجته عام 1991م عن عمر يناهز 86 سنة بكاها بكاءً حارًّا ، وحزن عليها حزنًا شديدًا. لقد قال لأبنائه وبناته: «عشت معها لمدة خمسين عامًا فخدمتني دون كلل ولا ملل. عاشت معي مقتنعة وراضية بحالنا؛ بينما أنا لا ذاك الفقير ولا ذاك الغني».[362]

* * * *

ثانيًا: محمد ناصر في عيون أنور إبراهيم نائب رئيس وزراء ماليزيا الأسبق

أنور إبراهيم «Anwar Ibrahim» هو نائب رئيس وزراء ماليزيا في تسعينيات القرن الماضي، وله انطباعات خاصة عن محمد ناصر. اعترف أنور إبراهيم بأنه درس الكثير عن سياسة محمد ناصر الحكيمة، واستفاد من قيادته الرشيدة.

لقد تعرَّف أنور إلى محمد ناصر في ظلِّ توتر العلاقة الدبلوماسية بين إندونيسيا وماليزيا، بسبب سياسة سوكارنو العدائية، وكان أنور إبراهيم في ذلك الوقت رئيسًا لمنظمة الشباب الإسلامي الماليزي «ABIM». وفي اللقاء الأول الذي جمعه بمحمد ناصر أعجب بشخصيته، وتعجَّب لتواضعه، لا سيما أنه زعيم أكبر حزب إسلامي في إندونيسيا. لقد أثنى أنور إبراهيم على مكانة محمد ناصر العلمية، بعد ما قرأ كتابه المشهور كفيتل سليقتا، الذي يضم آراء قيِّمة عن الفكر الإسلامي في مواجهة تحديات الفكر المادي. [363]

شهد أنور إبراهيم بأن مؤلَّفات محمد ناصر قد فتحت له آفاقًا معرفية للتوسع أكثر في فهم الثقافة الغربية، وخاصة آراء هندري فيرين «Henri Pirenne» حول الإسلام؛ حيث اعترف فيرين بإسهامات فلاسفة المسلمين في التقدم العلمي؛ فمن غير الإسلام لم يكن للغرب أن يحقِّق نهضة علمية. هذا وقد التقى أنور إبراهيم بمحمد ناصر عدَّة مرات؛ حيث استفاد من خبراته الناضجة وقيادته الرشيدة، وكيفية معالجته لقضايا الأمة المسلمة. لقد تعامل أنور إبراهيم مع محمد ناصر بأنه مرشده السياسي، حيث استلهمته آراؤه السياسية الحكيمة، كما استفاد من أسلوبه في إدارة النشاطات الدعوية خاصة في مجتمع متعدِّد الأديان والأعراق. [364]

إن الأمر الذي كان محل إعجاب أنور إبراهيم هي آراء محمد ناصر في التنمية الاقتصادية والاجتماعية؛ حيث ينطلق محمد ناصر من فكرة محورية أن البناء الحضاري لا يتحقَّق من غير الاهتمام بالجوانب الروحية. يقول أنور إبراهيم: «حينما نخطط للتنمية الاقتصادية، أتذكَّر ما قاله لي محمد ناصر بأن البناء لا يخلو من الروح وإلا انهار؛ إذ لا بد لنا من تحسين مستوى حياة المواطنين، وفقًا لمبادئ الأخلاق والقيم الربانية». [365]

لقد عبَّر أنور إبراهيم عن أسفه لكون بعض الخبراء الغربيين في الشؤون الإندونيسية ينظرون إلى آراء محمد ناصر بعين السخط، ولو أنهم تدبَّروا فيما قام به محمد ناصر بتأسيس أول حزب إسلامي شارك في النشاطات السياسية في خمسينيات القرن الماضي، لوجدوا آراءه السياسية تكاد تتطابق مع الديمقراطية الغربية. ومع ذلك يرى أنور إبراهيم أن محمد ناصر لم يكن يقبل الديمقراطية الغربية في شكلها الليبرالي الفج وغير البيئي، بل تعامل معها من منظور ديني وبيئي. وأن كل من قام بدراسة سياسية حول حزب ماشومي في إندونيسيا، قد وجد أن هذا الحزب كان مثالاً للديمقراطية الحقيقية في العالم الإسلامي؛ إذ إن مثل هذا الرأي قد تبناه الخبير الأسترالي حربيت فيث

«Herbeth Faith» في كتابه المشهور الموسوم بـ: «إفلاس الديمقراطية الدستورية» «Decline of Constitutioal Democracy».[366]

لقد وقف أنور إبراهيم على الفكر البنائي الديمقراطي لدى محمد ناصر، واعتبره في غاية الأهمية، وطالب بتدريسه للشباب المسلم حتى يترعرع ديموقراطيًا، من غير تأثيرات خارجية تفسد عليه طموحاته في خدمة أمته. ويرى أنور إبراهيم أن الصراع بين محمد ناصر وسوكارنو كان صراعًا بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية، التي عرضت نفسها بديلًا فكريًا وأيدولوجيًا لحل مشكلة التعدد العرقي والثقافي والديني في إندونيسيا.كما يرى أنور إبراهيم أن من ضمن إسهامات محمد ناصر الفكرية، التي أغنى بها المكتبة الإسلامية كتابه فقه الدعوة، فهو ملائم للتعريف بالإسلام بطريقة حكيمة، زيادة على أن أسلوبه الهادئ يجذب الشباب الدعوي ويلهمهم. إن منظمة الشباب الإسلامي الماليزي ما تزال تستخدم فقه الدعوة في نشاطاتها وحلقاتها ومحاضراتها.[367]

لما زار أنور إبراهيم إندونيسيا وهو وزير التربية والتعليم الماليزي في ثمانينيات القرن الماضي، اتَّصل هاتفيًّا بمحمد ناصر يخبره بأنه سيزوره في بيته؛ إلا أن محمد ناصر تواضع له واستبقه إلى الفندق الذي كان يقيم فيه؛ فأكبره أنور إبراهيم؛ حيث لم يكن يتصوَّر أن يأتيه محمد ناصر بنفسه، وهو المفكِّر العظيم صاحب النفوذ الكبير في العالم الإسلامي.

يقول أنور إبراهيم: إن محمد ناصر كان في ذلك الوقت يعيش ضغطًا سياسيًّا من نظام سوهارتو، بسبب توجيه النقد اللاذع لنظامه السياسي المخالف للمبادئ الديمقراطية، وإن زيارتي الرسمية لإندونيسيا كانت مزعجة بسبب لقائي بمحمد ناصر. لقد قلت لسوهارتو في أثناء اللقاء الذي جمعنا بأن محمد ناصر هو بمثابة والدي في إندونيسيا؛ ولكن سوهارتو التزم الصمت، ما يعني أنه لم يكن مرتاحًا لهذه الزيارة الأبوية.

قام أنور إبراهيم بزيارة أخيرة لمحمد ناصر وهو يعاني من المرض الذي أدى إلى وفاته؛ حيث يعترف أنور إبراهيم بأن الحكومة الإندونيسية لم تكن ترعاه وتهتم بصحته ومرضه، على الرغم من إنجازاته الكبرى وإسهاماته العظمى؛ بينما هو مهندس الحفاظ على وحدة جزر إندونيسيا من مخططات الاستعمار الهولندي التفكيكية ما بعد الاستقلال، زيادة على عطائه الفكري والفلسفي المنقطع النظير لأمته الإسلامية بشكل عام.[368]

* * * *

ثالثًا: محمد ناصر في عيون فوكودا رئيس وزراء اليابان الأسبق

أما فوكودا رئيس وزراء اليابان الأسبق «1905-1995م» الذي سبق وأن جمعته علاقة صداقة بمحمد ناصر؛ فإنه كان ينظر إليه بوصفه مرشدًا سياسيًّا وإنسانيًّا عاقلًا وواعيًا لحكومة اليابان، وأنه يمكن الاستفادة من حكمته وخبرته. فعندما تولى دينج شوفينج «Deng Xiaoping» رئاسة الصين، استشار فوكودا زميله محمد ناصر حول مستقبل العلاقة الدبلوماسية بين اليابان والصين؛ حيث اقترح محمد ناصر على فوكودا نسج علاقة دبلوماسية بين البلدين، ومن ثم دعا فوكودا رئيس وزراء اليابان محمد ناصر لزيارته، وناقش معه كثيرًا من القضايا السياسية في المنطقة، وحضر الاجتماع وزير خارجية اليابان. كما استطلع فوكودا رأي محمد ناصر حول دواعي نشوب الحرب بين العراق وإيران، وطالب من محمد ناصر التوسط له لإقامة علاقة مع إيران؛ حيث اتصل محمد ناصر برفسنجاني الذي تولى منصب الرئاسة وقتذاك.

وبناءً على اقتراحات محمد ناصر، قام فوكودا بتشكيل لجنة مكوَّنة من أعضاء البرلمان. لقد اعتبر فوكودا محمد ناصر مرشده السياسي، وأنه هو الشخص المناسب لحل المشكلة السياسية في العالم الإسلامي، لا سيما الحرب الدائرة بين العراق وإيران في ذلك الوقت. لقد ظل يكرِّر في جل اجتماعاته حول العالم الإسلامي بأن محمد ناصر بإمكانه أن يؤدي دورًا مهمًّا في تحسين العلاقات بين العالم الإسلامي والدول الغربية بما فيها أمريكا؛ حيث كان تصوُّره الفكري عن السلام العالمي محل إطراء من جانب فوكودا تجاه محمد ناصر فيما يتعلَّق بتحقيق السلام بين العراق وإيران، وكذلك بين الصومال والدول المجاورة لها. وبعد استماع اقتراحات محمد ناصر قام فوكودا بتشكيل لجنة إغاثة لمساعدة الصومال. وعلى حد تعبير نكاجيما «Nakajima»أحد الصحفيين البارزين في اليابان؛ فإن فوكودا رئيس الوزراء سيتعامل مع اقتراحات محمد ناصر بوصفها حلولًا جاهزة. [369]

وعندما جاءه خبر وفاة محمد ناصر، قال فوكودا: إن وقع الوفاة كانت أشد وقعًا من انفجار قنبلة هيروشيما في اليابان. وقال أيضًا: إنه بوفاة محمد ناصر افتقدنا إلى الإرشادات الإنسانية الحكيمة، في وقت يحتاج فيه العالم إلى حفظ السلام وبسط الأمن. [370]

* * * *

1-كريس سينر تيمو

يعد تيمو أحد أبرز زعماء النصارى في إندونيسيا فضلًا عن أنه سياسي محنَّك؛ إذ سبق له، وأن تعاون مع محمد ناصر، وشاركه في بعض نشاطاته السياسية، لا سيما فيما يتعلق بشجب أفعال نظام سوهارتو غير الديمقراطية. [371]قال تيمو عن محمد ناصر بأنه رجل تاريخي، نظرًا إلى أنه أسهم في حفظ وحدة إندونيسيا بعد الاستقلال.كما أشاد تيمو بمواقف محمد ناصر التاريخية ضد سوكارنو الذي ساند الحزب الشيوعي، وضد سوهارتو الذي قمع معارضيه ونكَّل بهم.

يرى تيمو أن مواقف محمد ناصر واضحة لا لبس فيها؛ فهو يدافع عن الوطن، لمصلحة الجميع بغض النظر عن انتمائه الديني والعرقي والثقافي. إن محمد ناصر كان مستعدًّا للتعاون مع أي شخص يتمتَّع بالفكر الصحيح لتحقيق العدالة في المجتمع.

لقد تعجَّب تيمو من اعتبار محمد ناصر بأن جميع العناصر الدينية والأيدولوجية بإمكانها التعاون لمحاربة الظلم والفساد في الدولة. وإن مثل هذه الاتجاهات الفكرية يمكنها الوقوف ضد سوهارتو، بحيث تثبت له أن اتحادها هو في صالح الدولة، وليس كما يعمل سوهارتو على ضرب بعضها ببعض، وبذلك يمكن لها أيضًا المشاركة الحضارية في صياغة دستور ديمقراطي.

كان تيمو يحرص على حضور الاجتماعات المنعقدة في منزل علي صادقين محافظ مدينة جاكرتا، رغم أن انتماءه السياسي القومي يتعارض مع بعض أفكار الحاضرين، أمثال محمد ناصر؛ ولكن عندما يتعلَّق الأمر بإيجاد مخرج قانوني لتصرفات سوهارتو غير القانونية؛ فإن محمد ناصر لم يكن يتحرَّج من الاستفادة من أفكار المختلفين معه دينيًّا إذا كانت تصب في الصالح العام.

ومن خلال تعامله وجد تيمو أن محمد ناصر رجل مخلص ومتواضع في تعامله مع الناس. وأضاف تيمو بأنه استفاد كثيرًا من أخلاق محمد ناصر؛ فكان إذا تحدَّث مع الناس يجدونه ليِّنًا ورحيمًا؛ فلم يكن يؤذي شعور الآخرين. وقال: إنه كلما أقبل عام جديد، إلا وأتى محمد ناصر لزيارته حاملاً معه الزهور، احترامًا لديانتي النصرانية. وكذلك أنه كلما أقبل عيد الفطر، قمت أنا الآخر بزيارة منزله؛ فنتبادل فيما بينا الاحترام. [372]

2-الجنرال هرمان فينجي صموئيل

لقد شارك الجنرال هرمان فينجي صموئيل في الحركة الثورية ضد الحكومة المركزية في عهد سوكارنو عام 1957م؛ حيث عرف محمد ناصر من قرب، وكلاهما سجنا بسبب التحاقهما بالثوار والمجاهدين. من خلال تعامله مع محمد ناصر وجده يحمل صفات الزعيم الحقيقي الذي يهتم بمصلحة الوطن.

يقول الجنرال فينجي: إنه كلما جاء عام جديد ونحن في السجن، كنا نتمنى أن يأتي عام آخر سعيد ونحن في السجن سعداء بالقرب من محمد ناصر. ومع ذلك يقول الجنرال فينجي كان محمد ناصر يدعو أمام الجميع بأن يخرجنا الله من السجن، وما كانت إلا أيام معدودات من دعائه حتى جاء عدنان بيونج ناسوتيون «Adnan Buyung Nasution» رئيس المحكمة مرفقًا برسالة من الحكومة الجديدة، تنص على إطلاق سراحنا من السجن. [373]

3- جون لي

كانت لمحمد ناصر علاقة طيِّبة بأحد قادة الجيش الإندونيسي اسمه جون لي «John Lie». زار جون لي محمد ناصر في بيته بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك، وكان في البيت أحد المؤرخين الإندونيسيين البارزين اسمه توفيق عبدالله «Taufik Abdullah»، ولما شاهد حضور جون لي تعجَّب لقدومه في مناسبة إسلامية، بينما هو نصراني الديانة، وازداد عجبًا لما وقف محمد ناصر مرحِّبًا به مصافحًا له.

قدَّم محمد ناصر ضيفه جون لي إلى توفيق عبدالله، وقال له: «إنه السيد جون لي، وهو رجل مشهور». ثم جلس محمد ناصر إلى جانب ضيفه النصراني، كل واحد يسأل الآخر عن أحوال الأسرة والأولاد والبلاد. وبعد ذلك أشار محمد ناصر إلى أخطاء المعتقدات النصرانية، لا سيما فيما يتعلَّق بالتثليث؛ فرد جون لي على محمد ناصر وهو يبتسم: «يا ناصر! أنت رجل محترم».[374]

* * * *

خامسًا: محمد ناصر في عيون روبرت مبير

وقف روبرت مبير «Robert J. Meyer» الخبير الأمريكي في شؤون السياسة الإندونيسية موقفًا إيجابيًّا من محمد ناصر، واعتبره زعيم التعددية في البلاد؛ حيث قام مبير بدراسة حزب ماشومي الذي تزعَّمه محمد ناصر في أول انتخابات ديموقراطية، ووجد بأن محمد ناصر حاول بجدية وفعالية تطوير الدولة وتنميتها، بعيدًا من التفرقة العنصرية، بل اجتهد جهده في استيعابها. ويرى مبير أن جميع المساعي التي قام بها حزب ماشومي تحت قيادة محمد ناصر، هدفت إلى خدمة المواطنين، بغض النظر عن الفوارق الدينية والجنيسة والعرقية.

لم يمِل محمد ناصر إلى حزبه على حساب الأحزاب الأخرى في الوقت الذي كان فيه وزيرًا للإعلام عام 1945م. ينقل مبير ما قاله محمد ناصر في هذا الصدد: «نحن نعتز إذْ نقف على درجة واحدة، حيث لا فرق بين هؤلاء الذين يسكنون في المدن والأرياف والمناطق النائية. لقد تركنا جميع الخلافات الثقافية والدينية والعرقية دفاعًا عن وطننا من الاستعمار الهولندي».[375]

وإن مثل هذه البيانات التي أدلى بها محمد ناصر للصحف المحلية، هي في رأي مبير الخبير الأمريكي دلالة على أن محمد ناصر زعيم مهتم بمصلحة الجميع، لتحقيق العدل والمساواة في المجتمع. وإضافة إلى ذلك أن آراءه لم تكن تمثل حزبه وحسب، وإنما كانت تعبّر عن أطياف المجتمع، وتتوجه نحو العمل لمصلحة الجميع. [376]

سادسًا: محمد ناصر في عيون أصدقائه المقرَّبين

احتفل أصدقاء محمد ناصر بذكرى ميلاده في مركز المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية بجاكرتا؛ حيث بلغ محمد ناصر ثمانين عامًا من عمره، وقد حضر لتهنئته معظم زعماء الأحزاب السياسية. وكلهم قام يثني على أدوار محمد ناصر التاريخية والوطنية والسياسية والاجتماعية، التي كانت تصبو إلى تحقيق العدل والقيم الأخلاقية في الدولة. وكان من بين الحاضرين السيد شفر الدين براوي رنكارا الذي تولَّى منصب محافظ البنك المركزي، ورئيس الأركان المشهور الجنرال عبد الحارث ناسوتيون، وكياهي حاجي مشكور الزعيم الروحي لنهضة العلماء، والدكتور سوناريو زعيم الحزب الوطني الإندونيسي.

إن ذلك التجمع الذي انعقد في مركز المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية لم يكن للاحتفال بذكرى ميلاد محمد ناصر وحسب، وإنما كان يحمل أكثر من معنى تاريخي ووطني. ومن المعتاد أن الشخص الذي يبلغ سن التقاعد يقلِّص من نشاطاته العامة؛ إلا أن وجود شخصية وطنية مثل محمد ناصر قادرة على تقديم الإرشادات والنصائح، لا سيما في الأمور الدينية والسياسية، كان محل تقدير الجميع؛ فلم يكن عامل السن مانعًا بل جمع حوله الناس.

إن عمر محمد ناصر المتقدِّم، وهو المصلح الأمين لأمته،كان يزيده إجلالًا وهيبة واحترامًا؛ إذ لا يعد محمد ناصر مرشدًا دينيًّا وسياسيًّا للأمة الإسلامية في إندونيسيا وحسب، وإنما في العالم الإسلامي كونه عضوًا تاريخيًّا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ونائب رئيس المؤتمر الإسلامي في مدينة كراتشي.

تلقى محمد ناصر في هذا الاحتفال بعض الأسئلة التي كانت تخوض في كيفية إعداد جيل المستقبل القائد؛ حتى لا يكون هناك فراغ سياسي وديني. أجاب محمد ناصر بأن القيادة الرشيدة لا يمكن إيجادها إلا من طريق التجارب الطويلة في حياة الشخص، ومدى حبه لهذا الدين وخدمته دفاعًا عن الحق وحقوق الفقراء والمستضعفين. وإن مثل هذه القيادة لا تأتي من المدارس والجامعات وحدها؛ وإنما يكتسبها الشخص وهو في معترك الحياة يغالب التحديات، ويكافح من أجل تحقيق العدل والمساواة بين الناس.[377]

* * * *

الفصل الخامس عشر محمد ناصر في عيون العالم الإسلامي وزعمائه

نال محمد ناصر سمعة طيّبة منذ خمسينيات القرن الماضي، وعلت شهرته بعد ما ألقى محاضرة تحت قبة برلمان دولة باكستان عام 1952م. إذ ركَّز في هذه المحاضرة التاريخية على الأزمة العالمية التي تهدِّد السلام العالمي، كما قام بنقد سوء فهم الغرب لرسالة الإسلام، وهاجم محاولاته اليائسة في محاربة المسلمين انطلاقًا من الاستعمار، وعدَّ أن مثل هذه السياسات العنصرية والإجرامية تتوجه نحو السيطرة على الموارد الطبيعية في الدول الإسلامية.

رأى محمد ناصر أن الفساد هو من عمل الغرب بخاصَّة والبشر بعامَّة، واستشهد بقوله تعالى: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الروم:٤١]. كما أكَّد على ضرورة الالتزام بالتعاليم الربانية للتغلُّب على مشكلات البشر، لا سيما أن الرسالة التي جاء بها المصطفى صلى الله عليه وسلم ما هي إلا امتداد لما جاء به الأنبياء والرسل من قبله، ومن ثم فإن هناك تواصلاً تاريخيًّا وحضاريًّا بين الغرب والعالم الإسلامي، نظرًا إلى أن الدين الإسلامي يكفل حرية الدين لدى الأفراد، وأن تعاليمه تتماشى مع الطبيعة البشرية، يقول محمد ناصر: «في الحقيقة إن مفهوم الخير في الدين الإسلامي موجود في معظم تعاليم الديانات العالمية. وإن الإسلام يهتم بالسلام والأمن والحرية، كما أن رسالة الإسلام يمكن العمل بها في أي عصر حفظًا للكرامة البشرية».[378]

قال محمد ناصر: إن الأمة الإسلامية التي كانت تئنُّ تحت وطأة الاستعمار الغربي، بدأت في تنظيم شؤونها مهتدية بالقيم الربانية في توجيه مسيرتها الإنمائية والحضارية. كما اعتبر أن الاتحاد الإسلامي الذي نادى به زعماء المسلمين، أمثال السيد جمال الدين الأفغاني، يمكن اعتباره من ضمن الوسائل الحكيمة في صدِّ العدوان الخارجي، لا سيما أن الأمة الإسلامية كلما همَّت بالتخطيط لمستقبلها الحر، استقبلها الغرب بالتهديد والوعيد. لقد قام محمد ناصر بالكشف عن أساليب الغرب الماكرة، ووقف يفنِّدها وينقدها حتى لا تكون الأمة الإسلامية ضحية سهلة للاستعمار الجديد.

* * * *

أولًا: الإسلام الذي أسيء فهمه

يقول محمد ناصر: إن الغرب لا يريد لنا أن نخطِّط لمستقبلنا، وفقًا لما جاء في رسالتنا؛ إذ كلما أعلنت الدول الإسلامية عن فكرة تنفيذ الحكم الشرعي في مجتمعاتها، بدأ الغرب بالهجوم عليها والإساءة إليها. ويعود ذلك إلى أن الغرب لديه سوء فهم تجاه الإسلام، ويتعامل مع من يطبّق أحكام الشريعة الإسلامية، كمن يقيم دولة ثيوقراطية. وعلى الغرب أن يفهم بأن علماء المسلمين ليسوا رهبانًا، لا يمارسون وظيفة رسمية في الحكومة. إن العلماء بدينهم هم وعي الأمة، وهذا ما ينبغي للغرب أن يعيه. وعلى حد رأي محمد ناصر؛ فإن من واجب الدول الإسلامية أن توقف جميع تعاليمها، كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية، على سلطة تحميها، ومن ثم لا وجه للمقارنة بين الدولة الإسلامية، التي نريدها لحفظ الحقوق وأداء الواجبات، وبين الدولة الثيوقراطية التي يخافها الغرب، ويعدُّها من المنكرات والمحرَّمات.

ففي الخمسينيات من القرن الماضي وجدنا، على حد تعبير محمد ناصر، أن السكرتير العام للمؤتمر الإسلامي السيد إنعام الله خان «1912-1997م»، قد جاء بمشروع قانون يحث فيه الدول الإسلامية على تنفيذ الحكم الشرعي الذي جاء به الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم، وإن مثل هذا عُدَّ تقنينًا شرعيًّا بإمكانه التمهيد لأجواء العدالة والرفاهية في المجتمع. ومن ثم يرى محمد ناصر أن من واجب الحكومات الإسلامية أن تتعاون مع علماء المسلمين في توعية العالم بأهمية الحكم الشرعي، وعلاقته بتحقيق السعادة البشرية؛ إذ يفترَض من علماء المسلمين العمل الجاد على غرس الفهم الصحيح للإسلام، في جميع نواحيه بكل الوسائل المشروعة والممكنة.

لقد جاء محمد ناصر بأفكار إنسانية تعمل على تقليص الفجوة بين العالم الإسلامي والغرب من أجل تحقيق العدل والمساواة بين الأمم والدول؛ إذ يعد أن الإسلام هو نفسه السلام، حيث يدعو له ويهتم به؛ فقد جاء الإسلام للقضاء على الفوارق العرقية والجنسية والثقافية. كما طالب محمد ناصر زعماء الغرب بالتعامل مع العالم الإسلامي بالحسنى، من منطلق أن تعاليم الديانة النصرانية تدعو هي الأخرى إلى التعايش السلمي. لقد ركَّز في جلِّ أعماله الفكرية على القيم الدولية، بوصفها منجاة للبشرية من أزماتها وحروبها، ويرى أن التوحيد عند المسلمين لا ينحصر في أمور العبادة وحسب، بل يمتد إلى المعاملة الحسنة تجاه المخالفين في الدين.

يعدُّ محمد ناصر أن التقاليد الحسنة التي رسخت في المجتمع مثل التعاون ومساعدة الفقراء لا بد من الحفاظ عليها، وأن جميع عناصر الشر المؤدِّية إلى الفتن وانهيار الأخلاق ينبغي إزالتها. لقد اعتبر أن نصوص الحكم الإسلامي ليست قاطعة كلها، ويمكن التكيُّف معها حسب البيئة المتغيرة، ما دام ذلك لا يتعارض مع مقاصد الشريعة، ويقيم العدل والمساواة بين المواطنين. يرى محمد ناصر أن هناك من الأحكام ما يتلاءم مع الشريعة الإسلامية؛ فلا داعي إلى تغييرها، بل يفترَض الأخذ بها والاستفادة منها، كما هو الشأن في دول تتحقق فيها العدالة مثل بريطانيا وأمريكا وفرنسا؛ وحتى

الدول غير الإسلامية المتحضِّرة، قد صاغت أحكامها وقوانينها من حضارات أخرى، ولا شكَّ في أن الإسلام كان واحدًا منها.[379]

يربط محمد ناصر التوحيد بالمساواة والعدالة والتسامح والتعاون؛ فمن يوحِّد الله لا يتوجَّه نحو تأسيس دولة ثيوقراطية كما يظن الغرب بالإسلام ظن السوء. إن المحاضرة التي ألقاها محمد ناصر أمام برلمان دولة باكستان كانت تدعو إلى إزالة جميع عناصر الاستبداد والاستغلال في العالم، وقد اعتبر الأمريكي جورج كاهن بأن تصور محمد ناصر للتوحيد مرتبط بمدى مسؤولية الأفراد في المجتمع تجاه ربهم، وطريقة بسطهم للمساواة والتسامح فيما بينهم، تجاوزًا للخلافات الدينية والعرقية.

إن الحكمة من وراء التعدُّد العرقي والثقافي والديني، في نظر محمد ناصر، هي إتاحة فرصة للتعارف والتدارس والتفاهم والتواصل. وإن من يقول: إن الدين الذي جاء به المصطفى صلى الله عليه وسلم، والذي حوَّل الإندونيسيين عن ديانتهم الهندوسية القديمة، هو دين غير متسامح مع أديان أخرى؛ فإن رأيه غير صحيح، لأنه يتعارض مع الحقائق التاريخية؛ حيث حافظ الإسلام على حقوق الأقلية في ديار المسلمين، ومنحها الحرية الكاملة في ممارسة شعائرها الدينية من غير حرج. إن التاريخ يكرِّر نفسه؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم عندما جاء إلى المدينة لم يكره الناس على تغيير دينهم، بل عاش مجاورًا لليهود إلى أن أساءوا لحسن الجوار، ومن ثم أساءوا لأنفسهم، وخربوا بيوتهم بأيديهم. [380]

إن الصراع بين العالم الإسلامي والغرب، في نظر محمد ناصر، سببه الجهل وسوء فهم بحقيقة انتشار الإسلام في أنحاء العالم، لا سيما أن الغرب يربط أعمال الإرهاب والإرهابيين في العالم بالإسلام. [381]وعلى الغرب أن يقرأ كتابه المقدَّس الذي يدعو إلى التعاون والاحترام، وأن يجعله مرجعًا رئيسًا في تخطيط سياسته بشكل عادل، كما جاء في كتاب المسلمين: { وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [المائدة:٤٧].

شدَّد محمد ناصر على أن مفهوم التسامح يشمل التعامل الإيجابي لتعميم العدالة والمساواة على الجميع، بغض النظر عن فوارقهم العرقية والدينية. إن الصراع بين الأجناس سببه عدم فهم التعاليم الربانية المنصوص عليها في الكتب المقدَّسة. وإن مثل هذه التعاليم الربانية الصحيحة التي تربط التسامح بالتعاون ونبذ الخلاف نلفيها، أيضًا، في كتاب المسلمين: { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } [المائدة:٤٨].

* * * *

على الرغم من أن جميع الأديان تنشد الأمن؛ إلا أننا لا ننكر حدوث صراعات دموية تهدِّد سلامة الأشخاص. لقد أشار محمد ناصر إلى الآية القرآنية التي تحثُّ على التعايش السلمي، كما قال الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } [البقرة:٢٥١]. وإذا كانت الدولة مهدَّدة من قبل الأعداء، فإن الاصطدام الدموي لا يمكن تجنُّبه.

إن الإسلام في حالة الحرب، يجيز الدفاع عن النفس والدين والمال والعرض والأرض، لقوله تعالى: { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } [الحج:٣٩–٤٠].

إن الهدف من الحرب في الإسلام هو التصدي للقوى العدوانية، التي تهدِّد مصلحة الجميع، وتعطِّل مبادئ العدالة. إن الحرب المفروضة على المسلمين هي لدفع الظلم والطغيان والعدوان، وطلب الحرية والمساواة والعيش في سلام، مصداقًا لقوله تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ } [الأنفال:٦٠]. وعليه فإن الحرب في الإسلام هي الخيار الأخير بعد استنفاد كل السبل في دفع العدوان، ومع ذلك يفترَض تجنُّب الحروب احترامًا لآدمية الإنسان، وتلافي العواقب البيئية الوخيمة من أمراض ونزوح ولوجوء وانتقام؛ فالسلم عدل لا ذل؛ حيث يستشهد محمد ناصر بهذه الآية الكريمة: { وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [الأنفال:٦١]. كما يرى محمد ناصر أن هناك عنصرًا مهمًّا لا بد على كل واحد منا الالتزام به، وهو السعي الحثيث إلى إجراء مصالحة بين الطرفين، تكون قائمة على الاحترام والتراحم؛ لأن الحروب تستنزف الموارد البشرية والطبيعية.[382]

وفي معارك الجهاد التي خاضها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، لم يجبر المهزومين والمستسلمين على اعتناق الدين الإسلامي؛ ما يدل على سماحة الإسلام الذي يمنح الحرية للآخرين المختلفين، ما داموا ملتزمين بعهود الجوار والاحترام والسلم المدني. وبعد فتح مكة مثلًا، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أصدر توجيهات حكيمة بمعاملة الناس بالحسنى. وكذلك وجدنا في فترة الخلفاء الراشدين أن المناطق التي فتحها المسلمون قد شعر أصحابها الحقيقيون بالأمن والاستقرار، مقارنةً بحكم الروم والفرس لهم قبل أن يأتي الإسلام. وإن هناك وثائق تاريخية تثبت بالحجة والبراهين أن زعماء النصارى ودعاتهم قد حرَّضوا أتباعهم على محاربة أتباع الدين الآخر. ومن الأمثلة على ذلك الحروب الصليبية التي دامت أكثر من ثلاثة قرون شملت كل ما هو إسلامي؛ وحتى في القرن الخامس عشر الميلادي، قامت دول مثل البرتغال وإسبانيا على تأسيس مملكة الله

كما كانوا يزعمون. وبخلاف ما أشرنا إليه من عدوانية النصارى في السلم والحرب؛ فإن الإسلام يوصي أتباعه بإقامة العدل مع المخالفين والمحاربين على سواء، كما قال الله في محكم تنزيله: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [المائدة:٨].

لقد نبَّه محمد ناصر لأهمية دور هيئة الأمم المتحدة في تقليص الفجوة بين الأعداء المفترضين، وإتاحة فرصة لكل دولة بتقديم اقتراحاتها الإنسانية والدولية فيما يتعلَّق بالسلام. وفي الأخير قام بنقد تراخي هيئة الأمم المتحدة تجاه الدول الكبرى، التي تسيطر على الأمم المتحدة، وتصنع قراراتها الدولية بحكم مكانتها وقوتها. إن مثل هذه القوى العظمى تعمل نهارًا جهارًا على تكبيل العالم الثالث، والسيطرة عليه بما فيه العالم الإسلامي. مع أن العالم الإسلامي يمكن الاستفادة من دوله الكبرى، ومنح العضوية لها في هيئة الأمم المتحدة؛ إلا إن التزام هذه الدول بتعاليم الإسلام يحرمها من العضوية الدائمة بغير وجه حق.

يعتقد محمد ناصر في ضرورة قيام دول العالم الإسلامي بمساع دولية، تعمل على إقناع العالم بما جاء في الإسلام من سلام وعدالة ومساواة واحترام وتراحم. وفي هذا الصدد عبَّر جورج كاهن عن تقديره البالغ لما رآه محمد ناصر ضروريًّا في إضفاء البعد الإنساني والأخلاقي على العلاقات الدولية. اعتبر كاهن أن محمد ناصر من المفكرين المسلمين المعاصرين الناضجين؛ لأنه جاء بمفهوم جديد حول مستقبل العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي. وبناءً على اقتراح كاهن، قامت جامعة تمبل «Temple University» في أمريكا بنشر فحوى المحاضرة، التي ألقاها محمد ناصر تحت قبة برلمان باكستان. ولمزيد من التوضيح ننقل ما قاله كاهن: «مع الأسف الشديد إن هناك قلَّة قليلة ممن اطلعوا على رأي محمد ناصر حول مستقبل العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب من منظور إسلامي. وإن أفكاره الناضجة ما من شكٍّ في أنها ستساعد المجتمع الغربي على تحصيل الفهم الصحيح للإسلام وتعاليمه، التي تهتم بالعدالة والمساواة والتعايش السلمي بين الناس».[383]

* * * *

ثالثًا: جولات محمد ناصر في العالم الإسلامي

الرسالة الإسلامية التي جاء بها المصطفى صلى الله عليه وسلم، كما يؤمن محمد ناصر، ليست من قبيل العمل الفلسفي النظري؛ بل جاءت لتطبيقها والعمل بها لتحقيق السلام العالمي. وفي عام 1952م، قام محمد ناصر بزيارة مدينة كشمير التي كانت تحت إدارة الحكومة الباكستانية، وفي مدينة لاهور تم اللقاء بينه وبين الزعيم الكبير أبو الأعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية. وكان أثناء وجوده في باكستان قد وجَّه له حكام العرب والمسلمين دعوة رسمية لزيارتهم، فقام بزيارة كل من السعودية والعراق وإيران ولبنان وتركيا. وبعد ذلك وجَّهت له الهند وبورما دعوة لزيارتها والاستفادة من آرائه حول السلام والعدالة. [384]

قام محمد ناصر بزيارة مصر قبل الثورة، وكان خلال لقائه بالملك فاروق قد عبَّر عن تقديره وشكره البالغ لوقوف مصر المشرِّف من استقلال الدولة الإندونيسية من قبضة الاستعمار الهولندي. قام أيضًا بزيارة مفتي فلسطين الشيخ أمين الحسيني، وبعد ذلك عرَّج على تونس والجزائر والمغرب، التي كانت تحت قبضة الاستعمار الفرنسي؛ ما جعله يقوم بعد عودته إلى إندونيسيا بتأسيس لجنة التضامن مع تونس والجزائر والمغرب، لتحريرها من الاستعمار الفرنسي.

لقد زار المملكة العربية السعودية حيث التقى بالملك فيصل، وناقش معه قضايا الأمة الإسلامية. ويبدو أن قيادة محمد ناصر الحكيمة وأفكاره عن السلام العالمي لم تكن محل اهتمام الحكام المسلمين وحسب، بل دعاه رئيس وزراء الهند لإلقاء محاضرة أمام البرلمان الهندي، ومن خلال المحاضرة عبَّر محمد ناصر عن شكره وتقديره للمساعي التي بذلتها الحكومة الهندية لا سيما وقوفها الإنساني والدولي إلى جانب الشعب الإندونيسي في مواجهة الاستعمار الهولندي. وقد استشار نهرو رئيس وزراء الهند محمد ناصر في مسألة حل المشلكة الكشميرية؛ حيث قام محمد ناصر بزيارة الشيخ عبدالله لمناقشة المشلكة المطروحة، وتبادلا الأفكار حول إنشاء دولة كشميرية.

* * * *

رابعًا: محمد ناصر في عيون زعماء المسلمين

في عام 1956م، انتهز محمد ناصر فرصة وجوده في المؤتمر الدولي المنعقد في دمشق؛ حيث قدَّم ورقة حول أزمة العالم الإسلامي وقضية فلسطين. وكذلك حينما قامت الحكومة الباكستانية بالقبض على أبي الأعلى المودودي، وحكمت عليه بالإعدام، قام محمد ناصر بتنظيم مظاهرات في مدينة جاكرتا، احتجاجًا على العنت الباكستاني، وطالب بإطلاق سراحه.

وفي عام 1967م، تسلَّم دعوة رسمية للمشاركة في المؤتمر الدولي المنعقد في الأردن، وبعد اختتام المؤتمر، قامت الجهة المنظِّمة بتشكيل لجنة ضمَّت أعضاء من مصر والأردن وباكستان وإندونيسيا، واتفقت اللجنة على تعيين محمد ناصر رئيسًا لها لمقابلة رؤساء البلدان العربية، ثم قام بعد ذلك بزيارة مصر ولبنان وتونس والكويت، وكان هدفه من هذه الزيارات الوقوف على وحشية العدوان الإسرائيلي على مصر وفلسطين. كما قام أعضاء اللجنة بزيارة رؤساء العرب في السودان ولبنان والعراق والكويت والمملكة العربية السعودية، للبحث في سبل مواجهة السياسة العدوانية لإسرائيل، زيادة على البحث في كيفية مواجهة الإعلام الغربي، الذي يسيء للإسلام وتعاليمه السمحة.

وبوصفه عضوًا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، طالب محمد ناصر في المؤتمر السنوي المنعقد في مكة المكرمة بتوسيع دائرة نشاطات رابطة العالم الإسلامي، بحيث لا تقتصر على العالم الإسلامي، بل اقترح أن تمنح صفة العضوية غير الرسمية لأعضاء من بلدان غير إسلامية.

حينما قام سوباندريو وزير خارجية إندونيسيا في عهد سوكارنو بزيارة المملكة السعودية، فاتحه الملك فيصل حول سجن محمد ناصر، وعبَّر عن استيائه، وقال له بأن محمد ناصر ليس فقط زعيم الأمة الإسلامية في إندونيسيا، وإنما هو زعيم في العالم الإسلامي كله.[385]

إن العطاء الفكري لمحمد ناصر ونشاطاته السياسية والدينية، كانت محل اهتمام زعماء العالم العربي والإسلامي؛ ففي عام 1957م، منح حبيب بورقيبة رئيس تونس نيشان الافتخار «Nichan Iftikhar» لمحمد ناصر، تقديرًا لإسهاماته الإنسانية، ومساندته لكفاح الشعوب الإفريقية، ونيل استقلالها من قبضة الاستعمار الفرنسي. وفي عام 1980م حصل محمد ناصر على جائزة الملك فيصل العالمية في مجال خدمة الإسلام. وفي عام 1991م، منحته الجامعة اللبنانية دكتوراه فخرية، اعترافًا بإسهاماته الإنسانية وعطاءاته الإسلامية. وقد توِّجت إنجازات محمد ناصر بأن جاء اسمه ضمن قائمة عظماء العالم الإسلامي المئة في القرن العشرين. [386]

* * * *

خامسًا: محمد ناصر بوصفه ناقدًا للحداثة التي تسيء للإسلام

في عام 1976م، زار محمد ناصر باكستان لحضور مؤتمر دولي عن الرسالة النبوية تحت رعاية الحكومة الباكستانية. وكان المؤتمر قد حضره معظم العلماء البارزين في العالم الإسلامي زيادة على بعض المستشرقين. وكان من ضمن العلماء المسلمين الحاضرين: الشيخ محمد بن عبدالله السبيل إمام المسجد الحرام، والشيخ عبدالحليم محمود رئيس جامعة الأزهر الشريف، ومفتي لبنان، ومفتي فلسطين. وكانت أوراق المؤتمر تناقش رسالة الإسلام ودورها الإنساني في العصر الحديث.

قام محمد ناصر بتقديم ورقة مهمَّة استعرض فيها مفهوم الحداثة بأنه شيء مبهم ونسبي، وهو إن تضمَّن طموحات فكرية عالمية؛ إلا أنه طموح مادي وعلماني، أهدافه ليست بالضرورة إنسانية وأخلاقية.[387] ثم بعد ذلك قام بتقديم تعريف للحداثة من منظور إسلامي؛ حيث نقد آراء آليكس إنكليس «Alex Inkless» من جامعة هارفارد الأمريكية.

في البدء قام محمد ناصر بتوضيح مفهوم الحداثة، وشدَّد على أن الدين الإسلامي مرن ليس ضد إعمال العقل وتنشيط الفكر، ولا يتوقَّف عند الجمود والتقليد. إن الرسالة التي جاء به المصطفى صلى الله عليه وسلم تدعو إلى التبيُّن من الأفكار، حتى لو كانت من تراث السابقين، وكذلك فرز الأفكار مهما كانت حداثتها وعقلانيتها؛ حيث استشهد بالآية الكريمة: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } [البقرة:١٧٠]. وإن هذه الآية الكريمة، كما يرى محمد ناصر، تنكر على الذين لا يستخدمون عقولهم في تبصُّر الأشياء والحقائق. وإن الرسالة التي جاء بها محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء والمرسلين لا تتعارض مع إعمال العقل للوصول إلى الحقيقة بطريقة صحيحة. وقد جاء في القرآن الكريم أن العقل هو من أكبر النعم التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان؛ حيث أشار محمد ناصر إلى ما حدث لقوم سيدنا إبراهيم عليه السلام كما جاء في هذه الآية الكريمة: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } [الأنعام:٧٤].

أكَّد محمد ناصر بأن الله سبحانه وتعالى خلق العقل في الإنسان للبحث في السنن الإلهية والكونية، فهو يؤدِّي دورًا مهمًّا في نجاح الخلافة في الأرض، مستشهدًا بقوله تعالى: { وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [الجاثية:١٣]، وأن الله سبحانه وتعالى قد هيّأ في هذا العالم كل شيء، وعلى البشر أن يستفيدوا من هذا الوجود، بناء على قيم ربانية ضمانًا لنجاح العملية الإصلاحية في الإنسان والكون.

لقد حاجج محمد ناصر بأن التنمية الاجتماعية والاقتصادية مسؤولية كل إنسان، يخدم الصالح العام ابتغاء لمرضاة الله سبحانه وتعالى. وتعريجًا على آراء الأمريكي إنكليس حول الإنسان الحداثي «Modern Man»، رأى محمد ناصر بأن هناك فرقًا كبيرًا بين التصوُّرين الإسلامي والغربي

للتنمية والحداثة؛ حيث إن تفعيل التقدم التكنولوجي والعلمي في حياة الناس، يكون بناء على مبادئ العدل والتوازن بين الروح والعقل؛ ففي ذلك دافع للإحسان العالمي، ومراعاة لمصالح البشرية، مستندًا إلى قوله تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [القصص:٧٧]. ثم أشار إلى التصور الفكري الذي أدلى به إنكليس عن مفهوم التنمية والحداثة بأن تتجاوز جميع العناصر الإقليمية والجغرافية والفوارق العنصرية.

أكَّد محمد ناصر على أن التعاليم الربانية، التي جاء بها المصطفى صلى الله عليه وسلم لا تنسف إبداعات البشرية، بل تأخذ بيدها إذا كانت منوطة بخدمة البشرية؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء مبشِّرًا وليس معنِّفًا، لقوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [سبأ:٢٨]. ومن المعلوم أن المصطفى صلى الله عليه وسلم بعث خطابات إلى ملوك مصر والفرس والروم والحبشة، دعاهم إلى الإسلام وحل مشكلات البشر، وإن تلك الرسائل الذي بعثها الرسول صلى الله عليه وسلم فيها ما يدل على أن دعوة الإسلام لا تقتصر على العرب أو مكة وحسب، وإنما هي دعوة عالمية تشمل جميع البشر، ولا ترسم لنفسها حدودًا إقليمية. ومن ثم يحاجج محمد ناصر بأن الرسالة الإسلامية ذات طابع دنيوي وأخروي؛ لأن الإنسان يعمل في الدنيا ويحاسب في الآخرة؛ بينما الحداثة تلغي مصطلح الآخرة من قاموسها الفكري والفلسفي، وتحصر اهتماماتها في الجوانب الدنيوية الضيِّقة.

وبالنسبة إلى الديمقراطية التي عدَّها إنكليس ملمحًا عظيمًا من ملامح الحداثة، فقد بيَّن محمد ناصر بأن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان حريصًا كل الحرص على تفعيل الشورى بين أصحابه، بحثًا عن الحلول المناسبة والقاطعة؛ إذ إن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه استشار بعض أزواجه وأصحابه الكرام في اتخاذ قرارات اجتماعية وعسكرية.

وجَّه محمد ناصر النقد للنظام الديمقراطي الغربي الذي يمكن القول عنه إنه رمز الحداثة؛ فهو في نظره شكلي وصوري، وينحصر جهده في البرلمان. وإن مثل هذا الأمر يمكن الوقوف عليه في العملية الانتخابية، حيث يفترض التصويت للمرشحين البرلمانيين، وفي خلال الحملات الانتخابية يأتي هؤلاء المرشحون بتعهدات لا يمكن استيفاؤها بعد فوزهم في الانتخابات. إن الديمقراطية، في رأي محمد ناصر، تستهدف كرامة البشر، وليس ما نراه الآن من الغرب الديمقراطي الذي يعيث فسادًا في أراضي الدول الفقيرة بنماذجه الديمقراطية المفروضة والمشروطة.

أشار محمد ناصر إلى ما قاله إنكليس عن خصائص رجال الحداثة بأن لديهم قدرة وكفاية في تنظيم الوقت تحقيقًا للإنتاجية. وجاء بمنظور إسلامي لتلك الأنشطة الإنتاجية، ورأى إذا هي لم تحقِّق السعادة في حياة الناس فإنها تكون عبثية بجهودهم وكرامتهم، لا سيما أن الغرب ينظر إلى الوقت نظرة مادية فيشبِّهه بالنقود. وقد حاجج محمد ناصر بأن الصلوات الخمس التي فرضها الله سبحانه

وتعالى على جميع المسلمين هي دعوة، أيضًا، لتدريب المسلمين على احترام الوقت في ممارسة حياتهم وأعمالهم؛ بحيث كل ذلك يأتي منسجمًا مع القيم الربانية في وجهيها الدنيوي والأخروي، لقوله تعالى: { وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا } [الإسراء:١٢].

أما عن خصائص الحداثة التي عدَّدها إنكليس، والتي أشار فيها إلى خصيصة التنظيم الإداري لحل الأزمات، فقد وقف أمامها محمد ناصر، وعدَّ الإحسان -كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية- من أعلى مراتب التنظيم. إن مفهوم الإحسان في الإسلام لا ينحصر في الإعانات والصدقات ومساعدة المحتاجين، وإنما يشمل جميع النشاطات المادية بما فيها التنظيم الإداري. وإذ يقوم الشخص بأعماله على وجه حسن مقبول ومعقول؛ فإن النتائج تكون من عند الله سبحانه وتعالى، وقد استدل بما قاله المصطفى صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحَ، وليُحدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته».[388]

ردًّا على ما قاله إنكليس بأن الإنسان الحداثي لديه قدرة فائقة على تسخير الكون لأجل التنمية والتقدم، عقَّب محمد ناصر بأن الإنسان عاجز عن استعمال كل طاقته لأسباب نفسية وفسيولوجية؛ فلا ينجز إلا القليل وهو يحسبه كثيرًا، علاوة على أن عقل الإنسان أصغر بكثير من الطبيعة والعالم، وفي الغالب هو يستنزف الطبيعة بفساده وعنفه، وليس يسخِّرها لنفسه. ومن ثم فإن محمد ناصر لا ينفي أهمية التفكير العقلاني؛ ولكن الأمر الذي ينكره هو أن العقل محدود، وليس هو الوسيلة الوحيدة لحل جميع المشكلات من كل جوانبها. إن التفكير العقلاني لا بد من استعماله استعمالًا سليمًا لا يكون فيه إيذاء للبشر والبيئة والكون، مستشهدًا بالآية الكريمة: { وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } [إبراهيم:٣٢–٣٤]. على هذا الإنسان أن يشكر الله سبحانه وتعالى، فهو الذي سخَّر له عمله وما يعمله، ويكون الشكر بالعبودية لله، وتحقيق العدل، والتعاون بين الناس. وهذا ما يجعل رؤية محمد ناصر للإنسان الحداثي تختلف تمامًا عن رؤية إنكليس.

إن رأي إنكليس الذي كان، أيضًا، محل نقد لدى محمد ناصر، هو رأيه بأن الكون يمكن تسخيره بالاعتماد على معايير التفكير العقلي، ومن ثم السيطرة عليه من قبل الإنسان؛ حيث يرى محمد ناصر أن تدبير العالم من اختصاص الله سبحانه وتعالى، وأن التفكير العقلي عاجز كل العجز عن التنظيم الكلي. لقد وهب الله سبحانه وتعالى للإنسان ميزة العقل، ولا بد من توظيفها توظيفًا إنسانيًّا وبيئيًّا لا يؤذي الكون، من منطلق قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [يونس:٥]. هناك فرق كبير بين الفكر الإسلامي ونظرية الفكر الغربي، كما جاءت في كتابات إنكليس، التي تدَّعي أن التفكير العقلي بمفرده يتحكَّم في أشياء العالم ويسيطر عليها، حيث يراه محمد ناصر أمرًا مستحيلًا؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو واهب العقل للإنسان، وعلى هذا الإنسان -القوي

بخالقه، والسليم بعقله- أن يستخدم تفكيره على وجه صحيح، علمًا أن ما يبدعه الإنسان بعقله وتفكيره، هو سابق عند الله وعلى علم به؛ إذ إن الله هو الخبير العليم. [389]

كما يربط محمد ناصر الإنسان الحداثي عند إنكليس بمبادئ الاحترام وكرامة الإنسان، وإذا كان يرفض هذا الإنسان أخاه الإنسان فهو ليس إنسانًا حداثيًّا. وإن مثل هذا الإنسان المتنوِّر في نظر محمد ناصر، يقف على فكرة الخير، وقد بشَّر به الإسلام منذ خمسة عشر قرنًا من الزمن. إن مبادئ المساواة والعدالة وكرامة الإنسان تشكِّل نواة الرسالة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم، بحيث لا يمكن مقارنتها مع وثيقة هيئة الأمم المتحدة عن حقوق الإنسان لعام 1948م.

وإذْ ربط إنكليس الحداثة بالتقدم العلمي والتقني، فقد أكَّد محمد ناصر على أن التقدم التكنولوجي الذي حقَّقته البشرية لا يمكن فصله عن إسهامات خبراء المسلمين القدامى، علاوة على العقول المهاجرة منها، وتأسَّف للتقدم التكنولوجي الحديث الذي لم يأخذ بالحسبان عامل الأخلاق والقيم نتيجة تأثره بالنظريات الغربية العلمانية. ولهذا يرى محمد ناصر بأن هناك حاجة ماسَّة إلى صياغة نظرية علمية تقف على التوجيهات الربانية، وتأخذ بها كما أخذ بها المسلمون المبدعون الأوائل. ومع هذا، يقول محمد ناصر، نحن بحاجة إلى الجهد المتواصل لتحقيق التقدم العلمي في جميع المجالات الإنسانية؛ حيث أشار إلى الآية القرآنية في تداول الأيام بين الأمم في العلم والمعرفة والتكنولوجيا وأشياء أخرى سوف تأتي، يعلمها الله وحده تماشيًا مع السنن الإلهية والكونية، يقول الله تعالى: { إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } [آل عمران:١٤٠].

اختتم محمد ناصر مداخلته التي ينتقد فيها آراء إنكليس حول الحداثة، وقد جاءت على النحو الآتي:

أولًا: بالنسبة إلى الإنسان الحداثي وموقفه من العالم من منظور غربي، يكاد يتشابه مع ما جاء في التعاليم الربانية حول إعمال العقل وتنشيط الفكر، ومع ذلك تظل النظرية الغربية في هذا الصدد مشوبة بنقص كبير، لأنها تخلو من القيم الدينية والروحية. في الواقع إن المسلمين لديهم التزامات دينية قادرة على تكييف الحداثة وفق التعاليم الربانية، ومن ثم هم ليسوا بحاجة إلى تبني أفكار علمانية صريحة بزعم تحصيل التنمية والتقدم في حياتهم الدنيوية.

ثانيًا: إن الخلاف بين الفكر الإسلامي والفكر العلماني، يعود إلى رؤية كل منهما لله والإنسان والكون؛ إذ إن رؤية الحداثة في الفكر الغربي محدودة بالتقدم المادي؛ أما الفكر الإسلامي فيربط التقدم المادي والعلمي بشروط الاستخلاف في الأرض، مثل شرط العبادة الذي من أجله خلق الإنسان. ومن ثم فإن الهدف الحقيقي من وجود الإنسان هو تفعيل القيم الربانية؛ حتى يرث الصالحون الأرض بصلاحهم وفلاحهم، كما جاء ذلك صريحًا في قوله تعالى: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ } [الأنبياء:١٠٥–١٠٦].

ثالثًا: يتعارض الدين الإسلامي مع الفكر العلماني الذي يروّج لفكرة الإنسان الحداثي الأعلى.

رابعًا: إن التقدم المادي أو العلمي من غير الاهتداء بالتعاليم الربانية، نراه يتوجه بالبشرية نحو انهيار أخلاقها وتشويه إنسانيتها وتعكير حياتها.

خامسًا: إن الدين الإسلامي الذي جاء به المصطفى صلى الله عليه وسلم، سبق وأن أرسى قواعد أفضل لحياة أفضل، تنشد الأمن والسلام والتضامن والاحترام والتراحم. وبالتأكيد نحن المسلمين لا نرفض التقدم المادي في ظل البيت العالمي، الذي يجمعنا ويحدِّد مصيرنا؛ إلا أن عالمنا في مأزق إنساني وروحي، ومن ثم هو بحاجة ماسَّة إلى قيم ربانية، عسى أن يقتدي بها الإنسان في نهاره، ويهتدي بها في ظلامه، لتحقيق المزيد من التعايش السلمي والعدالة الاقتصادية. ومن أسفٍ إن الحقائق التي أمامنا، وبين يدي العالم، تكاد تصرخ بأن الثورة الصناعية وليدة فكر الحداثة، قد وسَّعت الفجوة بين الفقراء والأثرياء على صعيد المستويات الفردية والاجتماعية والدولية. وإن الإنسان الحداثي الذي يبشِّر به إنكليس هو إنسان به خواء روحي، ونراه يشكِّل خطرًا على البشرية في النواحي العسكرية والاقتصادية. لقد أشار محمد ناصر إلى أن الإنسان الذي يستبعد القيم الربانية لا يمكن أن يكون قويًّا في مجاله، وأن المسلم غير مطالب بالاقتداء به أو سلوك مسلكه، واستشهد بقوله تعالى: { ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ } [آل عمران:١١٢].

لقد اهتمَّت نخبة باكستان بأفكار محمد ناصر التي تصدَّت للفكر الحداثي وفنَّدته، كما احتضنتها الصحف والمجلات الباكستانية، التي أبرزت أصالة فكر محمد ناصر، وأثنت على نباهة عقله، وقوَّة ذكائه، واتقاد ذهنه. وفي الجانب العربي كانت أفكار محمد ناصر الراصدة والناقدة محلَّ إعجاب كبير من علماء عرب مسلمين بارزين، أمثال الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الشريف، والشيخ محمد بن عبدالله السبيل إمام المسجد الحرام، والشيخ حسن خالد مفتي لبنان، والدكتور محمد حسين الذهبي أحد أبرز علماء التفسير المعاصر. [390]

لقد نبَّه محمد ناصر جميع علماء المسلمين لخطورة بعض المصطلحات الجذابة، مثل «الإنسان الحداثي»؛ إذ إن الإسلام له خصائص تميِّزه عن الأمم الأخرى فيما يتعلَّق بتصوُّره الوسطي لنماذجه الإنمائية والحضارية، تحقيقًا لقوله تعالى: { وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [البقرة:١٤٣].

* * * *

الفصل السادس عشر وفاة محمد ناصر

حسب رواية إحدى بناته السيدة أسماء فريدة «Asma Faridah»، أن والدها محمد ناصر كان يعاني من مرض بروشيتش «Bronchitis» عام 1971م، وقد تماثل للشفاء منه في مستشفيات جاكرتا؛ ولكن بعد عامين أصيب بمرض القلب، ودخل المستشفى لمدة أسبوعين. وفي عام 1983م دخل المستشفى من جديد بسبب مرض هرنيا «Hernia»؛ حيث أجريت له عملية جراحية. لقد شفاه الله سبحانه وتعالى من الأمراض التي عانى منها، ومن ثم تمكن من ممارسة النشاطات الدعوية، وكذلك متابعة القضايا السياسية في البلاد، والإشراف على إدارة المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية.

عانى محمد ناصر من مرض خطير منذ عام 1991م؛ حيث دخل المستشفى الحكومي لمدة شهرين، وبعد ذلك ظهرت عليه أمارات التحسن؛ إذ أوصاه الأطباء بالعودة إلى منزله لممارسة نشاطاته العادية والرسمية. في شهر نوفمبر 1992م دخل محمد ناصر المستشفى مرة أخرى وأخيرة، وبقي هناك حتى آخر لحظة في حياته.

* * * *

أولًا: زوار محمد ناصر في المستشفى

في أثناء مرضه وعلاجه في المستشفى قام بعض الزعماء البارزين من الخارج بزيارته، أمثال محمد أنور إبراهيم الذي كان في ذلك الوقت وزيرًا للشؤون المالية لدولة ماليزيا. وقد ظهرت على أنور علامات القلق على صحة محمد ناصر، ودعا المولى سبحانه وتعالى بأن ينعم عليه بالشفاء العاجل. إضافة إلى ذلك عبَّر أنور عن أسفه لإخفاء مرض محمد ناصر عنه، ووصول الخبر متأخرًا؛ حيث قال أمام الجموع: «محمد ناصر بمثابة والدي؛ فلماذا لا أحد تكرَّم وأبلغني بمرضه؟».[391]

وكذلك زاره الدكتور مصطفى شريك المفتي المبعوث من رئيس دولة البوسنة. ولم يمنع المرض محمد ناصر من الغوص في القضية البوسنية؛ حيث وقعت وقتذاك مجزرة مروعة لا مثيل لها؛ إذ قتل الصرب آلافًا من المسلمين، وأبادوهم على بكرة أبيهم.[392]

وقبل وفاة محمد ناصر بيومين، قام حاكم ولاية سومطرة الغربية بزيارته، وكان محمد ناصر يستفسره عن الوضع السياسي والاجتماعي هناك، على الرغم من حالته الصعبة والحرجة؛ إذ كان مأخوذًا بأمور الناس، وكان مهتمًّا بقضايا الأمة الإسلامية.

* * * *

ثانيًا: اللحظات الأخيرة

انتقل محمد ناصر إلى رحمة الله سبحانه وتعالى يوم السبت 6 فبراير 1993م في المستشفى المركزي الحكومي بجاكرتا، وذلك في تمام الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق، تزامنًا مع موعد آذان الظهر. تمَّ نقل جثمانه إلى منزله، حتى يتمكن زملاؤه والجموع الغفيرة من إلقاء نظره أخيره عليه، احتراما لجهوده الكبرى والدؤوبة في إصلاح الأمة والدولة.

لقد حضر كبار المسؤولين في الدولة وبعض الوزراء، وكذلك أعضاء البرلمان ورؤساء الأحزاب ورؤساء الجمعيات الإسلامية، لتقديم العزاء في منزله. ومن ضمن الحاضرين: الأستاذ إسماعيل سوني «Ismail Suni»، وهو أحد الأكاديميين البارزين، والسيد علي صادقين المحافظ الأسبق لمدينة جاكرتا، والسيد منور شاذلي وزير الشؤون الدينية وقتذاك؛ حيث اعترف أمام الحاضرين بأنه تربى على يد محمد ناصر، وتعرَّف إليه منذ أيام الاحتلال الياباني من طريق والده بالتبني السيد منور خليل أحد أصدقاء محمد ناصر. لقد عبَّر السيد منور شاذلي عن أسفه وحزنه، حيث خسرت الدولة وكذلك الأمة الإسلامية بوفاته الكثير، كما أثنى على الدور الذي أدَّاه محمد ناصر في خدمة الدولة والأمة الإسلامية بكل أمانة وإخلاص، بوصفه شخصية نادرة في إخلاصه والتزامه بمبادئ الحق والعدل في ظلال تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. كما قام بواجب التعزية رئيس الأركان الأسبق الجنرال ناسوتيون، وكذلك السيدة نيلي زوجة السيد آدم مالك نائب الرئيس سوهارتو ووزير الخارجية الأسبق.[393] وقد عبر الجنرال ناسوتيون عن إعجابه بشخصية محمد ناصر والتزامه بمبادئ الحق والعدالة، وسعيه الحثيث إلى تحقيق العدل، وتفعيل المبادئ الديمقراطية في المجتمع. وأما السيد حسن بصري رئيس مجلس العلماء الإندونسي، فقد أثنى عليه في عزائه؛ إذ عدَّ محمد ناصر رجلًا مكافحًا، وتأسف لخسارة الأمة الإسلامية ودولة إندونيسيا لرجل نبيل، قضى حياته في خدمتها، تحقيقًا لتبادل الاحترام والتعايش السلمي والأمن في المجتمع، بغض النظر عن الفوارق العرقية، وتباين الجنسيات، واختلاف الأديان في المجتمع الإندونيسي.[394]

* * * *

ثالثًا: أكاليل من الزهور في عزاء محمد ناصر

كان الرئيس سوهارتو من ضمن الذين أرسلوا أكاليل من الزهور إلى منزل محمد ناصر، إلى جانب نائب الرئيس السيد سودارمونو «Sudarmono»، وكذلك بعض المؤسسات الحكومية، مثل وزارة الاتصالات والاستعلامات وغيرها. كما وصلت برقيات من رؤساء الجمعيات الإندونيسية على اختلافاتها المذهبية والحزبية.

لقد بدت على الرئيس سوهارتو ملامح الحزن العميق ولو مجاملةً؛ وهو الذي حبس محمد ناصر في البيت، ومنعه من السفر إلى الخارج لحضور بعض المؤتمرات العالمية.

* * * *

رابعًا: البرقيات العزائية من أنحاء العالم

استلم المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية مئات البرقيات العزائية من زعماء المسلمين ورؤساء الجمعيات الإسلامية، أمثال: رابطة العالم الإسلامية في مكة المكرمة، والجميعة الخيرية في الكويت، وكلية أكسفورد للدراسات الإسلامية في بريطانيا؛ حيث كان محمد ناصر أحد أعضاء مجلس أمناء الكلية. كما تسلَّم المجلس برقية عاجلة من هيئة المؤتمر الإسلامي في مدينة كراتشي؛ حيث كان محمد ناصر نائبًا لرئيس الهيئة.

توالت برقيات العزاء على المجلس من أنحاء العالم، فقد أرسل فوكودا رئيس وزراء اليابان الأسبق برقية عزاء، عبَّر فيها عن حزنه الشديد لوفاة الزعيم الكبير الدكتور محمد ناصر؛ حيث قارن وفاة محمد ناصر بسقوط قنبلة هيروشيما، لهول المصيبة التي حلت بالجميع، زيادة على أن العالم خسر بوفاة محمد ناصر، وخاصة الأمة الإسلامية في الوقت الذي نحن بحاجة إلى زعامته وإرشاداته القيادية في مساعيه، لتحقيق الأمن والسلام على المستوى الدولي.[395]

* * * *

خامسًا: صلاة الجنازة في مسجد الفرقان

نقل جثمان محمد ناصر إلى مسجد الفرقان في جاكرتا المركز الرئيس للمجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية، الذي أسسه محمد ناصر بمشاركة زعماء حزب ماشومي. لقد حضر المسلمون بشكل غير مسبوق جنازة محمد ناصر؛ حيث توافدوا من مختلف أنحاء المدن الكبرى، مثل: سورابيا، وجوكياكرتا، وباندونج، وجزيرة سومطرة.

لقد أقيمت صلاة الجنازة في ثلاث دفعات بسبب تدفق الناس، ونظرًا إلى ضيق مساحة المسجد التي لم تستوعب كل هذه الجموع الغفيرة. لم تتوقف الأمطار، بل استمرت دموعها الغزيرة تنزل طوال اليوم؛ كأنها تعبِّر هي الأخرى عن حزنها لوفاة الزعيم، الذي قضى حياته في خدمة الإسلام ونصرة المسلمين.

لقد شارك ألوف من المرافقين في جنازة محمد ناصر وشيَّعوه إلى المقبرة في مدينة جاكرتا. وقد اتفق الجموع على أن محمد ناصر شخصية نادرة ومتميزة، قضى حياته مصلحًا للبلاد والأمة الإسلامية بكل إخلاص وأمانة. وقد قال أحد الحاضرين: إن حضور الناس للجنازة على الرغم من نزول الأمطار بغزارة في جاكرتا لهو دليل على القيمة الروحية للزعيم محمد ناصر، الذي ترك إسهامات عظيمة في خدمة الدولة والأمة الإسلامية بكاملها.[396]

* * * *

سادسًا: المقبرة التي دفن فيها محمد ناصر

دفن محمد ناصر في المقبرة العامة بمدينة جاكرتا، وليس في مقبرة كبار الدولة التابعة للحكومة. لقد كانت هذه وصية محمد ناصر قبل وفاته، وهو يقوم بزيارة قبر زوجته التي توفيت عام 1991؛ كانت وصيته لبناته بأن يدفن بجوار زوجته.

لقد كان من ضمن الحاضرين في أثناء دفنه بعض الوزراء أمثال السيد أزور أنس «Azwar Anas» وزير المواصلات، والأستاذ حسن بصري رئيس مجلس العلماء الإندونيسي. وحضر أيضًا وزير شؤون التعاون الاقتصادي السيد بستان العارفين، والسيد علي صادقين حاكم جاكرتا الأسبق، والسيد إسماعيل ماتاريوم «Ismail Matarium» رئيس الحزب الإسلامي المعارض لحكومة سوهارتو.

ووصل في اللحظات الآخيرة بعد دفنه السيد الحاج إدهام خالد «Idham Cholid» رئيس جميعة نهضة العلماء، ورئيس البرلمان في عهدي سوكارنو وسوهارتو. وبعد وصوله بكى بكاءً شديدًا، وأثنى على الدور الذي قام به محمد ناصر في خدمة الدولة والأمة الإسلامية، وقال أمام الجماهير: إنني أتمنى بعد وفاته إيجاد شخص مثل محمد ناصر يهتم باتحاد الأمة، وينبذ التفرقة لمجرد الانتماءات المذهبية. إن محمد ناصر زعيم معروف لدى الجميع بحكمته السياسية وإرشاداته الدينية والحزبية.

* * * *

خاتمة

عانى محمد ناصر منذ طفولته من ويلات التفرقة العنصرية، التي سلكها الاستعمار الهولندي مع الإندونيسيين؛ حيث شكَّلت عقبة كأداء أمام رغبته في الالتحاق بالمدارس الحكومية. وقد تقلَّب محمد ناصر في مراحله الدراسية على أيدي علماء إصلاحيين، اتصفوا بالتجديد الفكري، ولم ينزعوا إلى التقليد كبقية العلماء الإندونسيين الآخرين.

لقد تبلور الفكر الديني لدى محمد ناصر بالتزامن مع مشاركته في نشاطات الشباب المسلم في مدينة باندونج؛ حيث أتيحت له فرصة التعرف إلى علماء بارزين، أمثال الشيخ أحمد حسن الهندي. وبعد نضوج فكره الديني خاض محمد ناصر في مسائل إسلامية مع سوكارنو وغيره من القوميين والعلمانيين، ووقف يحاججهم ويجادلهم حول مدى صلاحية الحكم الإسلامي، وإمكانية تطبيق الشريعة الإسلامية. كما قام محمد ناصر بالرد على بعض الأفكار الهدَّامة، التي روَّج لها القوميون والعلمانيون، أمثال سوكارنو الذي تأثر بعلمانية مصطفى كمال أتاتورك.

بعد الاستقلال حاول محمد ناصر إقناع زعماء القومية الإندونيسية بأن مبادئ فلسفة الدولة بنتشاسيلا لا تستجيب للغالبية المسلمة في المجتمع الإندونيسي، وأن مؤسسات الدولة بحاجة إلى إضفاء المسحة الإسلامية على أطرها وكوادرها.كما ظلَّ وفيًّا للديمقراطية البيئية؛ حيث ناشد الوطنيين بإعادة النظر في مبادئ الديمقراطية الغربية، وإعادة توجيهها توجيهًا إسلاميًّا يكون في صالح المجتمع المسلم الكبير في إندونيسيا.

عاش محمد ناصر مناضلاً سياسيًّا بوصفه رئيسًا لأكبر حزب إسلامي معتدل في إندونيسيا بشهادة الأصدقاء والأعداء، وهو الوزير ورئيس الوزراء في عهد سوكارنو، كما مارس حياته باعتباره مفكِّرًا ومثقَّفًا ومصلحًا، خدم أمَّته حتى آخر حياته، وعارض نظام سوكارنو وسوهارتو من غير أن يبخل عليهما بالنصائح الوطنية والمساعدات المعنوية.

* * * *

المراجع

1- العربية

كتب

أبو شوك، أحمد إبراهيم «تقديم وتحقيق»، تاريخ حركة الإصلاح والإرشاد وشيخ الإرشاديين أحمد محمد السوركتي في إندونيسيا، «كوالالمبور، مركز البحوث- الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، ط1، 1420هـ/2000م».

أرشد، عبدالرحيم، الإسلام والتبشير في إندونيسيا، «نكري سمبلان: جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، ط1، 1428هـ/2007م».

أفي، يوب وآخرون، بصمات إسلامية على الثقافة الإندونيسية، مراجعة: الدكتور الحاج ترمذي طاهر وزير الشؤون الدينية لجمهورية إندونيسيا، «طبعة عربية، طباعة شركة جايا أغونج للأوفسيت، جاكرتا، إندونيسيا، 1993م».

الأندونيسي، أبو هلال، غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا، «جدة: دار الشروق للنشر والتوزيعوالطباعة، ط4، 1404هـ/1984م».

البهي، محمد، الفكر الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، «القاهرة: مكتبة وهبة، 1982م».

زركشي، أمل فتح الله، الاتجاه السلفي في الفكر الإسلامي الحديث في إندونيسيا، «كوالالمبور: مركز البحوث- الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، ط1، 1431هـ/2010م».

سوهرين، محمد صالحين، الإسلام والفكر الليبرالي في إندونيسيا: النشأة والتطور، «كوالالمبور: مركز البحوث- الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، ط1، 1431هـ/2010م».

شاكر، محمود، إندونيسيا، «بيروت: المكتب الإسلامي، ط8، 1407هـ/ 1987م».

شهاب، محمد أسد، صفحات من تاريخ إندونيسيا المعاصرة، «بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر،ط2، 1391هـ/1971م».

شهاب، محمد ضياء، ونوح، عبد الله، الإسلام في إندونيسيا، «جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط2، 1397هـ/1977م».

صادق، إسماعيل «ترجمة وإعداد»، محنة الإسلام في إندونيسيا، تقديم: محمد يحيى، «القاهرة: الزهراء الإعلام العربي، ط1، 1309هـ/1989م».

صالح، ماجدة علي «محررة»، الإسلام والتنمية في آسيا، «القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية-جامعة القاهرة، 1999م».

___ عظماء آسيا في القرن العشرين، «القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية-جامعة القاهرة، 2000م».

الطنطاوي، علي، في أندونيسيا: صور من الشرق، «جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ط1، 1412هـ/1992م».

عبدالفتاح، سيف الدين، والسيد صدقي عابدين، «محرران»، الأفكار السياسية الآسيوية الكبرى في القرن العشرين، «القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية-جامعة القاهرة، 2001».

غودومان، فرنسوا، نهضة آسيا: القرن الواحد والعشرين-آسيا تطل برأسها، ترجمة: نظير جاهل، «مصراتة-ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1994م».

مجموعة من المؤلفين، إندونيسيا: الإسلاميون-الشيعة-الصوفية، «دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط1، 2013م».

ناصر، محمد، اختاروا إحدى السبيلين: الدين أو اللادينية، «جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط5، 1405هـ/1985م».

مجلات ودوريات

سوهرين، محمد صالحين، وناصر يوسف، «المشهد الليبرالي في إندونيسيا: السياسي والثقافي والاقتصادي،» المسلم المعاصر «القاهرة»، العدد 149، السنة 38 «يوليو-سبتمبر 2013م».

يوسف، ناصر، «حواجز بنيوية في مسيرة التنمية الإندونيسية: من سوكارنو إلى سوسليو»، مجلة عالم الفكر «الكويت»، العدد1، المجلد42 «يوليو-سبتمبر 2013م».

ندوات ومؤتمرات

يوسف، ناصر، «ملامح من التجربة الإندونيسية مع إشارة إلى الأزمة المالية الآسيوية ورابطة الآسيان»، الملتقى الدولي الثاني حول واقع التكتلات الاقتصادية زمن الأزمات، جامعة الشهيد الأخضر حمة، وادي سوف «الجزائر»، معهد العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، 26-27 فبراير 2012م.

أطروحات جامعية

طه، أنيس مالك، «الإسلام وتيار التغريب في إندونيسيا «1971-1991»»، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، 1994م.

2- الإندونيسية

Buku-Buku

Abdullah ,Taufiq ,Yang Terlupakan ,yang Terpingirkan ,«Jakarta: .»Tempo ,20/XXVII ,14 February ,1999

Al-Chaidar ,Pengantar Pemikiran Politik Proklamator Negara Islam Indonesia S.M. Kartosowwirjo: Mengungkap Manipulasi Sejarah Darul Islam/DI-TII Semasa Orde Lama dan Orde Baru ,«Jakarta: Darul Falah .»,1420H/ 1999M

Amnesti International ,‘Fakta Diskiriminasi Rezim Soeharto Terhadap .»Ummat Islam ,«Yogyakarta: Wihdah Press ,1999

Ananda ,Endang Basri «ed.» ,70 Tahun Prof. Dr. H.M. Rasjidi .»,«Jakarta: Penerbit Harian Pelita ,1985

Anshary ,H. Endang Saefuddin ,Piagam Jakarta 22 Juni 1945: Sebuah Konsensus Nasional Tentang Dasar Negara Republik Indonesia «1945- .»1949» «Jakarta: Gema Insani Press ,1422H/2001M

Piagam Jakarta Sebuah Konsensus Nasional tentang »1945-1949« Jakarta: Gema Insani Press ,1997».«Dasar Negara Republik Indonesia

Anwar ,M. Syafii ,Pemikiran dan Aksi Islam Indonesia: Sebuah Kajian Politik Tentang Cendekiawan Muslim Orde Baru ,«Jakarta: Paramadina ,1995».

Asri Abdul ,Mohammad and Mohd. Halimi Abdul Hamid «eds.» ,Mohammad Natsir: Berdakwah di Jalur Politik Berpolitik di jalur Dakwah ,«Selangor-Malaysia: Wadah Pencerdasan Ummat dan Kolej Universiti Islam Antarabangsa ,2009».

Awwas ,Irfan S. ,Diskriminasi Rezim Soeharto terhadap Ummat Islam ,«Jakarta: Wihdah Press ,1999».

Trilogi Kepemimpinan Negara Islam Indonesia: Menguak Perjuangan Umat Islam dan Pengkhianatan kaum Nasionalis-Sekuler ,«Yogyakarta: Uswah ,2008».

Bajasut ,S.u. ,Alam Fikiran dan Djedjak Perjuangan Prawoto Mangkusasmito ,«Surabaya: Penerbit Dokumenta ,1972.

Bastoni Hepi Andi ,M. Natsir Sang Maestro Dakwah ,«Jakarta: Mujtama Press ,2008».

Batubara ,S.S. Djuangga Teungku Tjhik Muhammad Dawud Di Beureueh: Mujahid teragung di Nusantara ,«Medan: Gerakan Perjuangan dan Pembebasan Republik Islam Federasi Sumatera ,1987».

Burhanuddin Daya ,Gerakan Pembaharuan Pemikiran Islam: Kasus Sumatera Thawalib ,«Yogyakarta: Tiawara Wacana Yogya ,1995».

Cahyono ,Heru ,Pangkopkamtib Jenderal Soemitro dan Peristiwa 15 Januari1974 ,«Jakarta: Pustaka Sinar Harapan ,1998».

Damanik ,Ali Said ,Fenomena Partai Keadilan: Transformasi 20 Tahun Gerakan Tarbiyyah di Indonesia ,«Jakarta: Teraju ,2002».

Djaelani ,Abdul Qadir ,Menelusuri Kekeliruan Pembaharuan Pemikiran Islam Nurcholis Madjid ,«Bandung: Penerbit Yadia ,1414H/1994M».

Firmansyah ,Adhe ,SM. Kartosoewirjo: Biografi Singkat 1907-1962 ,«Jogyakarta: Penerbit Garasi ,2009».

Gunawan ,Hendra ,M. Natsir dan Darul Islam: Studi Kasus Aceh dan Sulawesi Selatan ,«Jakarta: Media Da’wah ,1421H/2000».

M. Natsir dan Darul Islam ,«Media Da’wah ,Jakarta ,2000».

Hakiem ,Lukman «ed.» ,100 Mohammad Natsir: Berdamai dengan Sejarah ,«Jakarta: Penerbit Republika ,2008».

Fakta dan Data Usaha-usaha Kristenisasi di Indonesia ,«Jakarta: Media Dakwah ,1411H/1991 M» ,p.24.

Pemimpin Pulang: Rekaman Peristiwa Wafatnya M. Natsir ,«Jakarta: Yayasan Piranti Ilmu ,1413H/1993M».

Perjalanan Mencari Keadilan dan Persatuan: Biografi Dr. Anwar Harjono ,«Jakarta:

Penerbit Media Da’wah ,1414H/1993M» ,pp.214-222 ,and H. Hartono Mardjono S.H. ,Politik Indonesia «1966-2003» ,«Jakarta: Gema Insani Press ,1417H/1966M».

Menggugat Gerakan Pembaruan Keagamaan ,«Jakarta: Lembaga Studi Informasi Pembangunan ,1995».

Harjono ,Anwar «et.al» ,M. Natsir: Sumbangan dan Pemikirannya Untuk Indonesia ,«Media Dakwah ,Jakarta ,1995».

Harjono ,Anwar and Lukman Hakiem «eds.» ,Pemikiran Mohammad Natsir dalam pergumulan Intelektual di Indonesia ,«Jakarta: Majalah Media Dakwah ,1994».

Mohammad Natsir: Pemikiran dan Sumbangannya untuk Indonesia ,«Jakarta: Media Da’wah ,1416H/1995M».

Harjono ,Anwar ,Perjalanan Politik Bangsa: Menoleh ke Belakang Jakarta: Gema Insani Press ,1997».«Menatap Masa Depan,

Hartono ,Ahmad Jaiz ,Bayang-Bayang Suharto and Sukarno: Perjalanan Pemerintah Orde Baru ,«Jakarta: Darul Falah ,2002».

Harvey ,Barbara Sillars ,Permesta Pemberontakan Setengah Hati ,«Jakarta: Grafiti Press ,1984».

Husaini ,Adian ,Mengapa Gereja-Gereja dibakar: Membedah Akar Konflik SARA di Indonesia ,«Jakarta: Dea Press ,2000».

Ibrahim ,Anwar ,Natsir: Politikus Intellektual ,«Jakarta: Tempo Magazine ,20 July ,2008».

Irsyam ,Mahrus ,Ulama dan Partai Politik: Upaya Mengatasi Krisis ,«Jakarta: Yayasan Perkhidmatan ,1984».

Leirisa ,R.Z ,PRRI: Membangun Indonesia tanpa Komunis ,«Jakarta: Tempo Magazine ,20 July ,2008».

Mahendra ,Yusril Ihza ,Modernisme dan Fundamentalisme dalam Politik Islam : Perbandingan Partai Masjumi «Indonesia» dan Partai Jama'at Islami «Pakistan» «Jakarta: Paramadina ,1999.

Tanjung Priok Berdarah Tanggung Jawab Siapa: Kumpulan Fakta dan Data ,«Jakarta:

Gema Insani Press ,1998».

Mohd Asri ,Abdul «eds.» ,Mohammad Natsir: Berdakwah di jalur Politik dan Berpolitik di Jalur Dakwah ,«Kuala Lumpur: Penerbit Bersama Wadah Pencerdasan Ummat Malaysia dan Kolej Universiti Islam Antara Bangsa Selangor «KUIS» ,2009».

Naim ,Mochtar ,Mohammad Natsir dan Konsep Pendidikan Integral. In: Anwar Harjono «ann.» ,M. Natsir: Sumbangan dan Pemikirannya untuk Indonesia ,«Jakarta: Penerbit Media Da'wah ,1416H/1995M».

Nashir ,Haedar ,Gerakan Islam Syariat: Reproduksi Salafiyah Ideologis di Indonesia ,«Jakarta: Pusat Studi Agama dan Peradaban ,2007».

Natsir ,Mohammad dan Prawoto Mangkusasmito ,Sjukur Ni'mah: Jakarta: Penerbit Abadi ,1966».«Tasjakur di Mesjid Agung,

Natsir ,Mohammad ,Agama dan Negara dalam Perspectif Islam ,«Jakarta: Media Da'wah,1422 H/2001M».

Dalam ,Capita Selecta ,«Jakarta: Penerbit Bulan Bintang ,1954».
Masa Pengasingan ,«Jakarta: Majalah Tempo ,Edisi 14-20 July ,2008».

Demokrasi di bawah Hukum ,«Jakarta: Media Da'wah ,1423H/2002M».

Fiqhud Da'wah ,«Singapura:Pustaka Nasional ,n.d».

Indonesia di Persimpangan Jalan ,«Jakarta: Media Dakwah ,1984».

Islam Sebagai Dasar Negara ,«Jakarta: Dewan Da'wah Islamiyyah Indonesia and Universitas Islam Muhammad Natsir ,2000».

Mencari Modus Vivendi antar Ummat Beragama ,«Jakarta: Media Dakwah ,1980».

Politik Melalui Jalur Dakwah ,«Jakarta: Penerbit PT Abadi ,1988».

Uluran Tangan yang tak Terjawab ,«Jakarta: Serial Media Da'wah ,1974».

Noer ,Deliar ,Mohammad Hatta: Biograpfi Politik ,«Jakarta: LP3ES ,1990».

the Modernist Muslim Movement in Indonesia 1900-1942 ,«Singapore: Oxford University Press ,1973».

Panitia Peringatan 75 Tahun Kasman ,Hidup itu Berjuang: Kasman Jakarta; Penerbit Bulan Bintang ,1982».«Singodimedjo 75 Tahun,

Puar ,Yusuf Abdullah ,«ed.» ,Muhammad Natsir 70 tahun: Kenang-kenangan Kehidupan dan Perjuangan ,«Pustaka Antara ,Jakarta»

Rais ,M. Amien ,Natsir Pemikir-Negarawan ,«Jakarta: Tempo Magazine ,21/ XXXVII ,14 April ,2008».

Ridaysmara ,Rizki ,Gerilya Salib di Serambi Mekkah: Dari zaman Portugis hingga Paska Tsunami ,«Jakarta: Pustaka al-Kauthar ,2006».

Rosidi ,Ajib Sjafruddin Prawiranegara lebih takut kepada Allah SWT: Sebuah Biografi ,«Jakarta: Inti Idayu Press ,1986».

Ruhimat ,A. ,Biografi S.M. Kartosoewirjo: Pejuang dan Pemberontak yang Kontroversial ,«Yogyakarta: Penerbit Narasi ,2009».

Saleh S.H ,K. Wantjik ,Hukum Perkawinan Indonesia ,«Jakarta: Ghalia Indonesia ,1976».

Saragih S.H ,Djaren ,Himpunan Peraturan-Peraturn dan Perundang-Undangan di Bidang Perkawinan Indonesia ,«Bandung: Tarsito ,1980».

Sarifuddin ,Kurniawan Zein «ed.» ,Syariat Islam Yes Syariat Islam no: Dilema Piagam Jakarta dalam Amandement UUD 1945 ,«Paramadina ,2001».

Saydam ,Gouzali ,55 Tokoh Asal Minangkabau di Pentas Nasional ,«Bandung: Penerbit Alfabeta ,2009».

Soemarsono ,Soemarso «ed.» ,Mohammad Roem 70 Tahun: Pejuang dan Perunding ,«Jakarta: Penerbit Bulan Bintang ,1398H/1978M».

Yusuf ,H.M Yunan «et.al» ,Ensiklopedi Muhammadiyyah ,«Jakarta: Rajawali Press ,2005».

Majalah-Majalah

No.542 ,June ,1982. Panji Masyarakat,

Panji Masyarakat Magazine ,No.542 ,June ,1982.

Panji Masyarakat ,No.747 ,29 Sya’ban-6 Ramadhan ,1413H/21-28 Februray ,1993M.

Suara Masjid ,No.44 ,May ,1978.

Pembela Islam ,No.41-45 ,January-March ,1931.

Pedoman Masyarakat ,June ,1936.

Panji Islam Magazine ,June 1938.

Pandji Islam Magazine and Pedoman Masyarakat ,October ,1938.

Kedaulatan Rakyat Daily Newspaper ,9 November ,1945.

Aliran Islam ,No.19 December ,1950.

Panji Masyarakat Magazine ,No.19 ,December ,1950.

Aliran Islam ,No.20 January ,1951.

Abadi Newspaper ,30 October ,1956.

Harian Abadi ,15 February ,1957.

Harian Abadi ,28 February ,1957.

Harian Abadi ,13th of April ,1957.

Harian Abadi ,15 April ,1957.

Harian Angkatan Bersenjata «Daily Newspaper» ,16 August ,1966.

Tempo Magazine ,21 August ,1971.

Editor Magazine ,No.47/Thn.1/23 July ,1988.

Panji Masyarakat ,No.291 ,20-29 Muharram 1412H/1-10 August ,1991M.

Panji Islam ,19 December ,1950.

Pelita Daily Newspaper ,10 February ,1993.

Tempo Magazine ,15/XXIII 12 June ,1993.

Sinar Harapan ,17 March ,2003.

Sinar Harapan ,18 March ,2003.

Tempo Interactive ,18 March ,2003

Koran Tempo ,21 March ,2003.

Sinar Harapan ,21 March ,2003.

Sinar Harapan ,24 March ,2003.

Sinar Harapan ,25 April ,2003.

Sinar Harapan ,17 May ,2003.

See Republika ,19 May ,2003.

Tempo ,21/XXXVII 14th July ,2008.

Berpetisi tanpa Caci Maki ,Tempo ,Edisi 14-20 July ,2008.

Tempo ,20 July ,2008.

Tempo ,Edisi 14-20 July ,2008.

Seminar-Seminar

Aini ,Zulkefli Haji ,Gaya dan Ketokohan Bapak Muhammad Natsir Pemimpin Da'i. Kerta Kerja Seminar Serantau Memperingati 100 Tahun Bapak Mohammad Natsir ,«Selangor-Malaysia: Pusat Konvensyen Kolej Universiti Islam Selangor ,2009».

Hasan ,Mohammad Kamal ,Kecendikiawan Bapak Mohammad Natsir «1908-1993»: Satu Model yang amat Diperlukan Dewasa ini. Kertas Kerja Seminar Serantau Memperingati 100 Tahun Bapak Mohammad Natsir ,«Selangor: Pusat Konvensyen Kolej University Islam Selangor ,KUIS ,10 January ,2009».

Timu ,Chris Siner Key ,Pak Natsir Negarawan yang Merakyat dan Santun. Kertas kerja Seminar Serantau Memperingati 100 Tahun Bapak Mohammad Natsir ,«Selangor: Pusat Konvensyen Kolej Universiti Islam Selangor ,KUIS ,2009».

3- الإنجليزية

Books

Boland, B.J., the Struggle of Islam in Modern Indonesia, «The Hague: Martinus Nijhoff, 1982».

Effendy, Bahtiar, Islam and the State in Indonesia, «Singapore: Institute of Southeast Asian Studies, 2003».

Gibb, H.A.R., Wither Islam, «Den Hag: Leiden University Press, 1954».

Ka'bah, Rifyal, Christian Presence in Indonesia, «Leicester, UK: The Islamic Foundation, 1986».

Solihin, Sohirin Mohammad, Copt and Muslim in Egypt: Study on Harmony and Hostility, «Leicester: The Islamic Foundation, 1993».

Emergence and Development of Liberal Islam in Indonesia, «Kuala Lumpur: Research Center International Islamic University Malaysia, 2009».

Islam and Politics: Emergence of Reformative Order in Indonesia, «Kuala Lumpur: Research Center, International Islamic University Malaysia, 2006».

4- الهولندية

Natsir, Mohammad, Indonesische Nationalisme, «Bandung: Pembela Islam, .»No.36, October, 1931

الملاحق

1- افتتاحية رسمية من رئيس المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية



افتتاحية رئيس المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

استفتح كلامي بالشكر لله سبحانه وتعالى، كما أهنيء الدكتور سوهرين محمد صالحين والدكتور ناصر يوسف على هذا الإنجاز التاريخي والحضاري المتجلّي في بحثهما ودراستهما حول أفكار المرحوم محمد ناصر الدينية والاجتماعية والسياسية؛ هذا المفكّر الإنسان الذي ظل طوال حياته يدفع الظلم ويفضح الفساد على المستويين السياسي والاجتماعي بطريقته الدعوية الحكيمة التي هدف من ورائها لتجسيد العدالة والمساواة برؤية إسلامية؛ حيث إن مفهوم العبادة عند محمد ناصر ليس مقصورًا على الجانب الروحي وحسب، بل يحفل بالنشاطات السياسية لأجل إقامة العدل وتحقيق الحرية من منظور التوجيهات الربانية، وذلك من منطلق أن النشاطات الدعوية لا يمكن فصلها عن سياسة الدولة وإدارتها. وبعبارة أخرى رأى محمد ناصر أن الدين والدولة أمران لا يمكن الفصل بينهما؛ إذ إن مثل هذا الفصل سوف يؤدي في الأخير إلى علمنة المجتمع. وعليه فإن الإحاطة العلمية بإسهامات محمد ناصر في جوانبها المختلفة لا سيما فيما يتعلق بأفكاره الإصلاحية والعمل على نشرها، تعد في غاية الأهمية؛ حيث جاء هذه الجهد العلمي المناسب في وقت مناسب.

ومن أسفي أن الحركة الإصلاحية التي ترأسها الخبراء السياسيون، وعلى الرغم من أنها أتت مدعومة من قبل رجال العلم وطلبة الجامعات في إندونيسيا لإسقاط نظام سوهارتو الديكتاتوري؛ لم تحقق الأهداف الحقيقية في دفع عجلة التقدم وتحصيل الرفاهية، بل مرقت منها ديمقراطية حرة ليبرالية استغلتها فئات المجتمع، لا سيما نخبته، لتعزيز كيانها الإيديولوجي على حساب القيم الدينية. وقد ازداد الأمر سوءًا في ظل تنافس الأحزاب السياسية على المناصب الحكومية والبرلمانية؛ حيث باتت غير معنية بالبحث عن سبل التقدم وحماية حقوق الأمة؛ علاوة على أن الأحزاب الإسلامية قد رهنت مبادئها للسلطة الحاكمة؛ فانكشفت سوءاتها، واختفت مظاهر المعارضة لديها حفاظًا على مناصب قادتها، والإبقاء على عضويتهم في البرلمان من غير نقصان.

في ظل هذه الأوضاع السيئة التي يمر بها القادة الإسلاميون والقوميون في إندونيسيا، يُفترض منهم الاستفادة من خبرات محمد ناصر القيادية؛ حيث مارس محمد ناصر السياسة بحنكة العارفين وبأخلاق العابدين وهو وزير إعلام ورئيس وزراء. هناك ضرورة، أكثر من أي وقت مضى، لأن يستعيد أصحاب المناصب الرفيعة في الدولة أمانة محمد ناصر ومدى إخلاصه للأمة وكيفية تعامله مع الآخرين؛ إذ وجدنا محمد ناصر في أيام رئاسته لحزب ماشومي ومعارضته لنظام سوكارنو، يسير جنبًا لجنب مع مبادئ الحرية والعدالة. وإن الأمر الذي لا يمكن

تعامله هي أخلاقه العالية في تعامله مع المختلفين معه، سواء أكانوا ساسة كبار أم أعضاء برلمان بيدهم الحل والربط.

وكما هو معلوم؛ فإن محمد ناصر عاش محرومًا من المشاركة السياسية في أواخر عهد سوكارنو. وبعد تهميشه من الدوائر الحكومية في عهد سوهارتو، ارتأى أن يقضي حياته في النشاطات الدعوية عبر المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية الذي أسسه قادة حزب ماشومي بعد إطلاق سراحهم من سجون سوكارنو عام ١٩٦٦م. لم يكن محمد ناصر يفرّق بين النشاطات السياسية والدعوية؛ إذ كلاهما في نظره مترابطان ومتلاحمان بحيث يهدفان إلى تحصيل العدل وتحقيق الحرية وتعزيز الرفاهية وخدمة المجتمع من غير تفرقة عرقية أو جنسية. ولا غرابة إذًا فبعد أن تمّ حرمانه من العمل السياسي في عهدي سوكارنو وسوهارتو، استمرّ محمد ناصر في خدمة الوطن والمجتمع دعويًا؛ حيث رأى محمد ناصر، أو هكذا كان يؤمن، بأنه لا فرق بين العمل السياسي والدعوي؛ إذ إن الهدف الأسمى هو محاربة الفساد والظلم والاستبداد والاحتكار والاستغلال في الدولة والمجتمع.

وفي أواخر حياته قام محمد ناصر –أمين الأمة– بتحذير المسلمين من خطورة النشاطات التبشيرية؛ حيث طالب باستخدام الوسائل الحضارية لدفع شر التبشير عن المسلمين المسالمين. كما أنذر رؤساء الهيئات الإسلامية ونبّههم لخطورة مخططات التنصير المدعومة من حكومة سوهارتو، لا سيما بعد أن انتهز مجلس الكنائس الإندونيسي فرصة مناخ الديمقراطية الحرة، بل نرى وتيرة التبشير قد تسارعت بعد انهيار نظام سوهارتو ومجيء حكومات إصلاحية أكثر انفتاحًا؛ حيث توسّعت الحركة التبشيرية في الوقت الحالي، وبسطت نفوذها في عهد ميجاواتي سوكارنو التي كانت رئيسة للبلاد في مطلع القرن الحالي.

ومما لا شك فيه أن ما قام به الدكتور سوهيرين محمد صالحين والدكتور ناصر يوسف حول دراسة أفكار محمد ناصر الدينية والسياسية والاجتماعية، يستحق التقدير والتنويه؛ وذلك لإبرازهما القيمة العلمية والعملية لمحمد ناصر ودوره التاريخي والحضاري في تأسيس دولة إندونيسيا الحديثة.

نسأل المولى سبحانه وتعالى أن تستفيد الأمة الإسلامية من هذا الكتاب الرائد، وبالخصوص القادة السياسيين ورؤساء الأحزاب الإسلامية لأخذ العبر والدروس من سيرة المفكّر الجليل محمد ناصر ومسيرته؛ هذا السياسي الإنسان الذي تولّى أوّل منصب رئيس وزراء في تاريخ إندونيسيا المعاصر.

جاكرتا، ٥ فبراير ٢٠١٧م.

دكتور اندوس محمد صديق

رئيس المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية

2-دليل الباحثين في سيرة محمد ناصر ومسيرته بالأرقام

السيرة العلمية

17 يوليو 1908م: ولادة محمد ناصر في بلدة آلحان بانجانج «Alahan Panjang» في سومطرا الغربية.

1916-1923م: التحق بالمدرسة الابتدائية الهولندية الحكومية في سولو «Solok»، وفي الفترة المسائية كان يلتحق بالمدرسة الدينية.

1923-1927م: واصل دراسته في المدرسة المتوسطة الحكومية بمدنية بادانج «Padang».

1927-1930م: التحق بالمدرسة الثانوية العامة الحكومية «شعبة الأدب الكلاسيكي الإغريقي» بمدينة باندونج، جاوا الغربية.

1927-1932م: تعمق في الدراسات الإسلامية بمعهد الإسلامية الاتحادية المعروف بـ «Persatuan Islam» في مدينة باندونج. وجدير بالذكر أنه درس عن الإسلام في ذلك الوقت، تحت إشراف الأستاذ أحمد حسن الذي أثر فيه بأفكاره عن التجديد الإسلامي.

1931-1932م: تلقى دروسًا في التربية والتعليم، حيث تحصل على شهادة الدبلوم العالي في التربية والتعليم.

النشاطات الاجتماعية والسياسية

1928-1932م: رئيس منظمة شبان المسلمين المعروفة في ذلك الوقت باللغة الهولندية تحت اسم «JONG ISLAMITIEN BOND -JIB»

1932-1942م: مدير التعليم الإسلامي في مدينة باندونج، جاوا الغربية.

1937م: عيّن نائبًا لرئيس جمعية الاتحاد الإسلامي، وقام بخدمة التعليم والتربية بوصفه مدرّسًا في المعهد الإسلامي التابع لتلك الهيئة.

1938م: عيّن رئيسًا للحزب الإسلامي فرع مدينة باندونج، جاوا الغربية.

1940-1942م: عضو مجلس النواب في بواح باتو «Buah Batu» بمدينة باندونج.

1942-1945م: مدير مكتب التعليم في بلدية باندونج، جاوا الغربية.

1945-1946م: عضو الهيئة التنفيذية للجنة الوطنية الإندونيسية المركزية «المجلس القائم بأعمال مجلس النواب».

1946-1949م: وزير الإعلام بالجمهورية الإندونيسية.

1950م: عضو البرلمان حيث قدم مقترحًا حول مشروع القرار الوحدوي في الوقت الذي كانت الدولة مهددة بالانهيار والانقسام بسبب سياسة الحكومة الهولندية الغاشمة. وقد وافق أعضاء البرلمان بالإجماع على مشروع الاتحاد بدلًا من دولة الجمهورية الفيدرالية؛ حيث كلِّف محمد ناصر بتشكيل أول وزارة للاتحاد.

1950-1951م: رئيس وزراء دولة إندونيسيا.

1949-1958م: الرئيس العام لحزب ماشومي «مجلس شورى المسلمين الإندونيسي».

1950-1958م: عضو برلمان الجمهورية الإندونيسية.

1958-1961م: عضو المجلس الثوري ضد الحكومة المركزية.

1962-1964م: أودع الحجز السياسي في بلدة بواح باتو، جاوا الشرقية.

1964-1966م: أودع المعتقل العسكري، ثم نقل إلى معتقل كاقونجان «Kagungan» في جاكرتا.

1966م: تمَّ إطلاق سراحه من السجن بدون محاكمة.

1967م: قام بتأسيس المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية.

1967-1993م: رئيس المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية.

1970م: رئيس مؤسسة المعهد الديني التعليمي دار الفلاح بمدينة بوقور «Bogor» «جاوا الغربية»، ورئيس مجلس أمناء الجامعة الإسلامية الإندونيسية بجوكيا كرتا «جاوا الوسطى»، وعضو المجلس التأسيسي للجامعة الإسلامية بمدينة باندونج «جاوا الغربية»، وعضو المجلس التأسيسي للجامعة الإسلامية بسومطرا الشمالية، ورئيس المجلس القيادي لمستشفى ابن سينا بسومطرا الغربية، ورئيس المجلس الإرشادي للجامعة الإسلامية ابن خلدون بجاكرتا، ورئيس المجلس التأسيسي للمستشفى الإسلامي بجاكرتا، والعضو القيادي للجامعة الإسلامية بجاكرتا.

1984م: رئيس المجلس الاستشاري لاتحاد المعاهد الإسلامية بإندونيسيا.

1989م: قام بتأسيس المجلس الأخوي للجمعيات الإسلامية بإندونيسيا بالتعاون مع كياهي الحاج مشكور.

النشاطات الخارجية

1952م: قام بزيارات إلى البلدان العربية ممثلاً لحزب ماشومي.

1956م: ترأس جلسة المؤتمر الإسلامي العالمي في دمشق.

1956م: قام بتعبئة الرأي العام الإندونيسي لمساندة حركة التحرر في شمال إفريقيا.

1967م: قام بزيارة العالم العربي بدعوة من المملكة العربية السعودية والأردن والكويت.

1967م: عيِّن نائبًا لرئيس المؤتمر الإسلامي ومقره كراتشي.

1969م: عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

1976م: عضو الهيئة العليا للمساجد التابعة لرابطة العالم الإسلام بمكة المكرمة.

1978م: رئيس اللجنة الدولية لحل مشكلات المسلمين في الفلبين.

1986م: عضو المجلس التأسيسي للهيئة الخيرية العالمية ومقرها الكويت.

1987م: عضو المجلس التأسيسي لكلية أكسفورد للدراسات الإسلامية، بريطانيا.

1987م: عضو المجلس الاستشاري والإرشادي للجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، باكستان.

الأوسمة والجوائز

1957م: حصوله على نيشان الافتخار «Nichan Istikhar» من الرئيس التونسي حبيب بورقيبة، تقديرًا لجهوده ومساعدته لحركة التحرر في تونس.

1977م: حصل على رتبة أمير الإسلام «Prince D'Islam » من المجتمع الإسلامي العالمي، تقديرًا لمساعيه في مكافحة المجاعة والظلم في العالم من غير عنصرية دينية.

1980م: حاز جائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام والمسلمين.

1990م: منحته الجامعة الوطنية الماليزية «UKM» وجامعة العلوم الماليزية «USM» درجة دكتوراه فخرية.

1991م: منحته الجامعة اللبنانية دكتوراه فخرية اعترافًا بإسهاماته الإنسانية وعطاءاته الإسلامية.

1998م: بعد وفاته منحته الدولة الإندونيسية وسام البطل القومي، تقديرًا لجهوده وإسهاماته في خدمة الوطن والشعب.

2005م: إحياء لذكراه منحه مجلس المساجد جائزة تقديرية، تقديرًا لجهوده التاريخية في تطوير إدارة المساجد في إندونيسيا.

2005م: تكريم رمزي من الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة تقديرًا لمساندته التاريخية لحركة التحرر في الجزائر.

3- صور تاريخية لمحمد ناصر



محمد ناصر طفلاً برفقة عائلته، على اليسار.



محمد ناصر مع زوجته نور النهار.



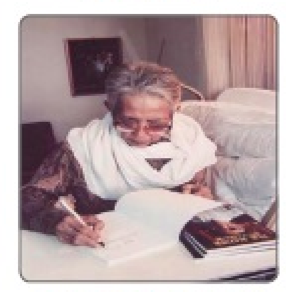
محمد ناصر مع أفراد عائلته.



محمد ناصر في مكتبه.



عام ١٩٥٧م، محمد ناصر يتسلَّم نيشان افتخار من حبيب بورقيبه رئيس تونس.



محمد ناصر يوقع كتابه : الأب ناصر ٨٠ عامًا.



محمد ناصر رئيسًا للمجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية: ١٩٦٧-١٩٩٣م.



محمد ناصر مع تيكوفوكودا رئيس وزراء اليابان وأمم وزرائه في طوكيو عام ١٩٦٨ م.



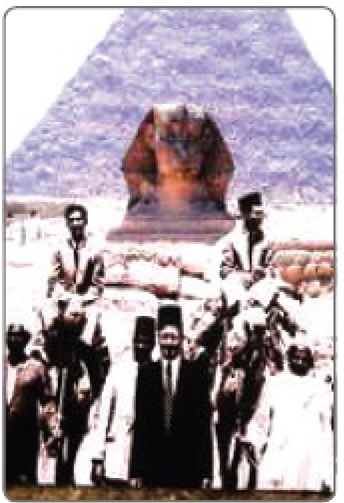
محمد ناصر يتلقى دعوة من سفارة المملكة العربية السعودية بالأردن تكريمًا له وللمشاركين في المؤتمر الإسلامي العالمي في شهر أغسطس ١٩٦٧م.



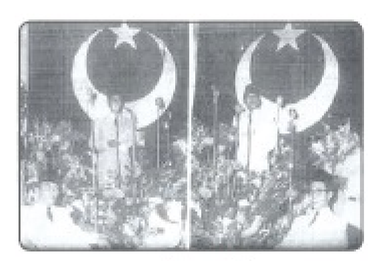
محمد ناصر مع تيكو فوكودا رئيس وزراء اليابان في ٢٤ سبتمبر ١٩٦٨م بطوكيو.



محمد ناصر مع سفير الفلبين بإندونيسيا عام ١٩٧٢م لمناقشة أحوال مسلمي ميندناو بجنوب الفلبين.



محمد ناصر في زيارة لمصر بدعوة من الملك فاروق.



شعار حزب ماشومي.



محمد ناصر في محادثة تاريخية بجوار جلالة الملك فيصل في القصر الجمهوري - جاكرتا ١٩٧٢م.



محمد ناصر في الأردن.



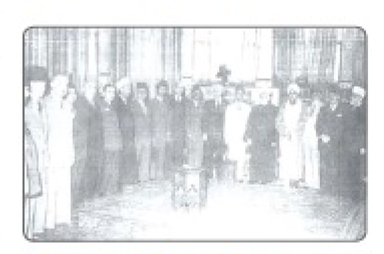
محمد ناصر مع مفتي فلسطين محمد أمين الحسيني رئيس المؤتمر الإسلامي العالمي المنعقد بمصر عام ١٩٥٢ م.



محمد ناصر في محادثة تاريخية مع مفتي فلسطين محمد أمين الحسيني.



محمد ناصر في مكة المكرمة لمناقشة قضايا المسلمين في آسيا وأفريقيا، تنظيم رابطة العالم الإسلامي.



محمد ناصر مع علماء الأمة العربية و الإسلامية - الصادس على اليمن.



محمد ناصر في محادثة مع زعماء أفغان.



محمد ناصر في محاضرة مع الأستاذ محمد قطب.



محمد ناصر في المؤتمر الإسلامي العالمي.



محمد ناصر في العراق ٢٠ سبتمبر ١٩٦٧م.



محمد ناصر مع أحد ضيوفه العرب.



محمد ناصر مع إنعام الله خان رئيس المؤتمر الإسلامي بكراتشي.



محمد ناصر مع الشيخ علي حركان الامين العام لرابطة العالم
الإسلامي في كراتشي عام ١٩٧٧م.



محمد ناصر في جلسة تاريخية مع شفر الدين رئيس الوزراء ووزير المالية
في الحكومة الثورية ..... سومطرة الغربية.



مؤتمر عن محمد ناصر في جامعة باندونج التي أسسها محمد ناصر.



يوم دراسي عن محمد ناصر جاكرتا، ٢٠٠٨م.



محمد ناصر يحاضر الشباب الاندونيسي.



الدكتور مصطفى شريك المفتي مبعوث رئيس دولة البوسنة في زيارة لمحمد ناصر بالمستشفى الإندونيسي.

فهرس المصطلحات والأعلام والبلدان والأماكن

«ب»

«ح»

«خ»

Notes

[1←]

والده هو إدريس سوتن ساري فادو «Idris Sutan saripado»، ووالدته اسمها خديجة. لمزيد التفصيل، انظر:

Muhammad Natsir 70 tahun: Kenang-kenangan Kehidupan ,«.ed» ,Yusuf Abdullah Puar p.1. Deliar Noer, The Modernist ,«Pustaka Antara, Jakarta, 1978» ,dan Perjuangan Singapore: Oxford University Press,» ,Muslim Movement in Indonesia 1900-1942 p.88. At the beginning of twentieth century, Minangkabau was known as the ,«1973 birthplace of Islamic reformatory thought and prominent scholars in the field of religion, intellectualism and politic. Yusril Ihza, Modernisme Islam dan Demokrasi. M. Natsir: Sumbangan dan Pemikirannya Untuk ,«et.al» In: Anwar Harjono Indonesia, Media Dakwah, Jakarta, 1995, p.118. Also see Hendro Gunawan, M. wah, Jakarta, 2000, p.1. Gouzali Saydam, 55'Natsir dan Darul Islam, Media Da ,«Bandung: Penerbit Alfabeta, 2009» ,Tokoh Asal Minangkabau di Pentas Nasional p.184. Compare with Burhanuddin Daya, Gerakan Pembaharuan Pemikiran Islam: pp.11-13. ,«Yogyakarta: Tiawara Wacana Yogya, 1995» ,Kasus Sumatera Thawalib

[2←]

أنشئت المدرسة في 23 أغسطس 1915م، ترأسها الحاج عبدالله أحمد وزملاؤه. لمزيد التفصيل، انظر:

Mohammad Natsir, Pejuang Kharismatis dan Tauladan Ummat. In: Saydam, 55 Tokoh Asal Minangkabau di Pentas Nasional, p.184.

[3←]

انظر:

Sebuah Kenangan. In: :«1908-1993» George Mc Turnan Kahin, Mohammad Natsir ,M. Natsir: Sumbangan dan Pemikriannya untuk Indonesia ,«et.al» Anwar Harjono p.51. ,«Jakarta: Media Da'wah, 1416/1995»

[4←]

انظر:

Noer, The Modernist Muslim Movement in Indonesia: 1900-1942, p.88.

[5←]

انظر:

Muhammad Natsir 70 tahun: Kenang-kenangan Kehidupan dan Perjuangan, «ed.» Puar p.7.

[6←]

Puar «ed.», Muhammad Natsir 70 tahun: Kenang-kenangan Kehidupan dan Perjuangan p. 14.

[7←]

ولد أحمد حسن في سنغافورا عام 1987م، وكان والداه من الهند وإندونيسيا. اسم والده سينا فابور ماريشار «Sinna Vapur Maricar» وهو من كبار العلماء، ربى ولده أحمد على الثقافة الدينية واللغة العربية. وفي عام 1921م، انتقل أحمد حسن السيد إلى مدينة سورابايا لمساعدة عمه الحاج عبداللطيف في تجارة الملابس، وفي أثناء تواجده هناك قام بزيارة مدينة باندونج لدراسة فن الخياطة الحديثة في أحد المعاهد الحكومية؛ حيث أتيحت له فرصة ملاقاة الحاج محمد يونس مؤسس الهيئة الإسلامية الاتحادية. جلس إليه واستمع منه بعض الأفكار الدينية، وأعجب بآرائه. أحمد حسن هو المجاهد الكبير، صاحب المواقف الجليلة في نصرة الإسلام، ويلقبه المتنورون بابن القيم بالنسبة لجزائر الهند الشرقية. وهو العلامة الشجاع المقدام، الذي لا يخاف في الحق لومة لائم، صاحب التآليف الكثيرة العظيمة النفع، وصاحب مجلتي الدفاع الإسلامي واللسان، ولا نعلم في جزائر الهند الشرقية من له مثل أثره الحسن إلا الحاج أحمد دحلان، مؤسس الجمعية المحمدية، والأستاذ الحاج إبراهيم موسى، مؤسس سمطرا طوالب فردى كوك. لمزيد التفصيل، انظر: أحمد إبراهيم أبو شوك «تقديم وتحقيق»، تاريخ حركة الإصلاح والإرشاد وشيخ الإرشاديين أحمد محمد السوركتي في إندونيسيا، «كوالالمبور، مركز البحوث- الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، ط1، 1420هـ/2000م»، ص 49.

[8←]

انظر:

Deliar, The Modernist Muslim Movement in Indonesia 1900-1945, p. 58.

[9←]

انظر:

Muhammad Natsir 70 tahun: Kenang-kenangan Kehidupan dan Perjuangan ,«.ed» Puar p. 18-19.

[10←]

وفي عام 1938م أنشئت فروع للمدرسة في خمس مناطق في جاوا الغربية، وكان معظم الطلبة من المناطق المجاورة، بل إن هناك بعض الطلبة قد جاءوا من جزيرة سومطرا، وبعد تخرج بعضهم قاموا بافتتاح فروع للمدرسة. لمزيد من التفصيل، انظر:

Noer, The Modernist Movement in Indonesia, 1900-1942, p.85.

[11←]

كانت الهيئة تسمى اتحاد الطلبة الإندونيسيين، غير أن هؤلاء بعد عودتهم من هولندا شاركوا في نشاطات هيئة شريكة إسلام، بل وتولوا بعض المناصب المهمة في الهيئة. وبعد الاستقلال تولوا أيضًا مناصب مهمَّة في حزب ماشومي. انظر:

Anwar Harjono, Perjalanan Politik Bangsa: Menoleh ke Belakang Menatap Masa pp.18-19. ,«Gema Insani Press, Jakarta 1997» ,Depan

[12←]
المرجع السابق ص 20.

[13←]
المرجع نفسه، ص20.

[14←]
انظر: محمد ضياء شهاب، وعبدالله نوح، الإسلام في إندونيسيا، «جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط2، 1397هـ/1977م»، ص 35-36. انظر أيضًا:

- H. Endang Saefuddin Anshary, Piagam Jakarta 22 Juni 1945: Sebuah Konsensus Nasional Tentang Dasar Negara Republik Indonesia «1945-1949» «Jakarta: Gema Insani Press, 1422H/2001», p.23.

[15←]
المرجع السابق، ص24.

[16←]
المرجع نفسه، ص7.

[17←]
نفسه، ص7. وعن الحركات الإسلامية، انظر: علي الطنطاوي، في أندونيسيا: صور من الشرق، «جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ط1، 1412هـ/1992م»، ص 117-122.

[18←]
انظر: محمد ناصر، القومية الإندونيسية «باللغة الهولندية».

Mohammad Natsir, Indonesische Nationalisme, «Bandung: Pembela Islam, No.36, «October, 1931

انظر: محمد ناصر، الدين والدولة من منظور إسلامي «باللغة الإندونيسية».

Mohammad Natsir, Agama dan Negara dalam Perspectif Islam, «Jakarta: Media Da’wah, 1422H/2001», pp.12-13.

[19←]
المرجع السابق، ص 12-13.

[20←]
انظر: مجلة الدفاع عن الإسلام

Pembela Islam, No.41-45, January-March, 1931.

[21←]
انظر: ناصر، الدين والدولة من منظور إسلامي.

Natsir, Agama dan Negara Dalam Perspecktif Islam, pp.16-18.

[22←]
المرجع السابق، ص 24-25.

[23←]
ترأَّس هذه اللجنة المختصة كل من راجما وديونعرات وسوروسو؛ حيث تشكَّلت في 29 يناير 1954م. ولمزيد التفصيل انظر:

Anshari, Piagam Jakarta Sebuah Konsensus Nasional tentang Dasar Negara Republik .»Indonesia «1945-1949», «Jakarta: Gema Insani Press, 1997

[24←]
انظر:

Irfan S. Awwas, Diskriminasi Rezim Soeharto terhadap Ummat Islam, «Jakarta: Wihdah Press, 1999», pp.2-3.

[25←]
انظر: ناصر، الدين والدولة من منظور إسلامي.

Natsir, Agama dan Negara Dalam Perspective Islam , p.374.

[26←]
انظر: حوار مع محمد ناصر، في: مجلة راية المجتمع، 1982م.

Mohammad Natsir’s interview with Panji Masyarakat Magazine, No.542, June, 1982.

[27←]
انظر: محمد أسد شهاب، صفحات من تاريخ إندونيسيا المعاصرة، «بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، ط2، 1391هـ/1971م»، ص 150. انظر أيضًا:

- Hendro Gunawan, M. Natsir dan Darul Islam: Studi Kasus Aceh dan Sulawesi Selatan Tahun 1953-1958, «Jakarta: Penerbit Media Dakwah, 1421H/2000M», pp.2-3.

[28←]

انظر:

Amnesti International, ‘Fakta Diskiriminasi Rezim Soeharto Terhadap Ummat Islam,«Yogyakarta: Wihdah Press, 1999» , p.85.

[29←]

انظر: محمد ناصر، الإسلام أساس الدولة «باللغة الإندونيسية»

Mohammad Natsir, Islam Sebagai Dasar Negara, «Jakarta: Dewan Da’wah Islamiyyah Indonesia and Universitas Islam Muhammad Natsir, 2000», p.4.

[30←]

انظر: مجلة الاتجاه الإسلامي

Aliran Islam, No.19 December, 1950, p.13.

[31←]

المرجع السابق، ص 64.

[32←]

انظر: حوار مع محمد ناصر، في: مجلة راية المجتمع، 1950م

Mohammad Natsir’s interview with Panji Masyarakat Magazine, No.19, December, 1950.

[33←]

انظر:

Ihza, Modernisme Islam dan Demokrasi, pp. 130-131.

[34←]

انظر:

Puar «ed.» Muhammad Natsir 70 tahun: Kenang-kenangan Kehidupan dan Perjuangan,pp. 331-332.

[35←]

انظر:

Deliar Noer quoted the statement that appeared in Bendera Islm, 26 February, 1925.

[36←]
انظر: المرجع السابق، ص 258.

[37←]
انظر:

Harjono, Perjalanan Politik Bangsa, p.22.

[38←]
انظر:

Aliran Islam, No.20 January, 1951, p.15

[39←]
انظر:

Aliran Islam, 19 December, 1950, p.13.

[40←]
انظر:

Aliran Islam, 20 January, 1951, p.16.

[41←]
المرجع السابق، ص 17.

[42←]
المرجع نفسه، ص 17.

[43←]
نفسه، ص 17.

[44←]
نفسه.

[45←]
انظر: مجلة الاتجاه الإسلامي.

Aliran Islam, No.37-38, June-July, 1952, p.42.

[46←]
انظر: تقديم نيور لكتاب محمد ناصر، الإسلام أساس الدولة.

Islam Sebagai Dasar Negara by Natsir, Dewan Dakwah Islamiyyah Indonesia, Jakarta, 2000, p.xiv.

[47←]
انظر: ناصر، الإسلام أساس الدولة

Natsir, Islamic Sebagai Dasar Negara, p.7.

[48←]
انظر:

Aliran Islam, 19 December, 1950, p.13.

[49←]
انظر:

Puar «ed.», Muhammad Natsir 70 tahun: Kenang-kenangan Kehidupan dan Perjuangan,p.333.

[50←]
انظر: ناصر، الإسلام أساس الدولة.

[51←]
انظر: محمد ناصر، فقه الدعوة «باللغة الإندونيسية».

Mohammad Natsir, Fiqhud Da'wah, «Singapura: Pustaka Nasional, n.d», p.74.

[52←]
المرجع السابق، ص 75.

[53←]
أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب: وقوله تعالى: { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ } [النساء:٥٩] ، (رقم 7138). ومسلم (رقم1829).

[54←]
أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ (رقم1359). ومسلم (رقم2658).

[55←]

انظر: ناصر، فقه الدعوة.

Natsir, Fiqhud Da’wah, p.83.

[56←]
انظر: ناصر، الدين والدولة من منظور إسلامي.

Natsir, Agama dan Negara Dalam Perspektif Islam, pp.32-33.

[57←]
رواه الإمام أحمد بن حنبل (38/474 رقم23489)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (6/199 رقم2700).

[58←]
رواه أحمد بن حنبل (31/126 رقم18830)، والنسائي، (7/161 رقم 4209)، صححه المنذري في الترغيب والترهيب، وكذا الألباني في صحيح الترغيب (2/284 رقم 2306).

[59←]
انظر: ناصر، الإسلام أساس الدولة.

Natsir, Islam Sebagai Dasar Negara, pp.7-8.

[60←]
المرجع السابق، ص 55.

[61←]
المرجع نفسه، ص 57.

[62←]
انظر:

Sohirin Mohammad Solihin, Copt and Muslim in Egypt: Study on Harmony and .«Hostility, «Leicester: The Islamic Foundation, 1993

[63←]
تحصلنا على هذه المعلومات من صديق أمين «Amien Shidiq» رئيس الجمعية الاتحادية الإسلامية الإندونيسية.

Persatuan Islam» 55 Tokoh Asal Minangkabau di Pentas Nasional, p.185.«

[64←]
انظر: محمد ناصر، مختارات أساسية «باللغة الإندونيسية».

Mohammad Natsir, Capita Selecta, «Jakarta: Penerbit Bulan Bintang, 1954», p.78.

[65←]
المرجع السابق، ص 79.

[66←]
المرجع نفسه، ص 79.

[67←]
سبق تخريجه.

[68←]
لمزيد التفصيل، انظر:

Panji Islam Magazine, June 1938.

[69←]
في أثناء الاجتماع الذي ناقش المنهج التربوي قال الخبير فان دور لوف «Prof. Van Der Lev»: إن الخريجين الذين تحصَّلوا على شهادة عليا في التربية من المعاهد الحكومية، يفتقرون إلى المهارات الأكاديمية، ولا شكَّ في أنهم سيجدون صعوبة في التأقلم مع الحياة الجامعية الجديدة. انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta, p.78.

[70←]
المرجع السابق، ص 78.

[71←]
المرجع نفسه، ص 78.

[72←]
جاء في السجلات التاريخية أن الآباء الذين ابتعثوا أولادهم للدراسة في المعاهد الدينية كان غالبيتهم من الريف والقرى والمناطق النائية؛ حيث إن كثيرًا منهم تمَّ إعفاؤهم من دفع الرسوم الدراسية. انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta, p.97.

[73←]
الجدير بالذكر أن المؤسسات التعليمية التي سلكت المناهج التربوية الغربية تحت إدارة الاستعمار الهولندي، لم يكن بها مواد دينية مقرَّرة في مناهجها. انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta, p.97.

[74←]

انظر:

Mochtar Naim, Mohammad Natsir dan Konsep Pendidikan Integral. In: Anwar Harjono «ann.», M. Natsir: Sumbangan dan Pemikirannya untuk Indonesia, «Jakarta: .Penerbit Media Da'wah, 1416H/1995M», pp.78-79

[75←]

لقد اقترح محمد ناصر توحيد مناهج التعليم في المعاهد المتوسطة والثانوية، بعدما تبيَّن له أن الكفاية التعليمية للطلبة، الذين تخرجوا في المؤسسات التعليمية لم تكن في المستوى المطلوب، لا سيما بعد ما باشروا الدراسة سنة أولى جامعي.

[76←]

من المعلوم أن معظم المعاهد الدينية في إندونيسيا أنشئت وفقًا لتصوُّرات المذاهب الفقهية. وإن الجامعات الأهلية قد هدفت من ذلك غرس القواعد الفقهية المذهبية لدى الطلاب، بحيث بات من الصعوبة بمكان توحيد مناهجها.

[77←]

انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta, p.82.

[78←]

محاضرة غير منشورة ألقاها محمد ناصر في مدينة بوقور «Bogor» يوم 17 يونيو 1964م.

[79←]

انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Mohammad Natsir, Capita Selecta, «Jakarta: Penerbit Bulan Bintang, 3rd Edition, 1973», pp84-85.

[80←]

انظر:

»H.A.R Gibb, Wither Islam, «Den Hag: Leiden University Press, 1954

[81←]

انظر:

Pedoman Masyarakat, June, 1936.

[82←]

هو من قبيل الأحاديث المشهورة على ألسنة الناس؛ إذ لا يصح سندًا، بل هو أقرب إلى الحكمة والأثر. ولا تصح نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[83←]
انظر:

Pedoman Masyarakat, June, 1936.

[84←]
المرجع السابق.

[85←]
المرجع نفسه.

[86←]
انظر:

Puar «ed.», Muhammad Natsir 70 Tahun: Kenang-kenangan Kehidupan dan Perjuangan, p.72.

[87←]
المرجع السابق، ص 67.

[88←]
المرجع نفسه، ص 67.

[89←]
انظر:

Deliar Noer, Mohammad Hatta: Biograpfi Politik, «Jakarta: LP3ES, 1990», p.195. Saydam, 55 Tokoh Asal Minangkabau di Pentas Nasional, pp.185-186.

[90←]
انظر:

Soemarsono «ed.», Mohammad Roem 70 Tahun: Pejuang dan Perunding, «Jakarta: Penerbit Bulan Bintang, 1398H/1978M», p.45. Panitia Peringatan 75 Tahun Kasman, Hidup itu Berjuang: Kasman Singodimedjo 75 Tahun, «Jakarta; Penerbit Bulan Bintang, 1982», pp.135-136.

[91←]
أنيس مالك طه، «الإسلام وتيار التغريب في إندونيسيا «1971-1991»»، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، 1994م، ص 48.

[92←]

انظر:

Mahrus Irsyam, Ulama dan Partai Politik: Upaya Mengatasi Krisis, «Jakarta: Yayasan Perkhidmatan, 1984», p.31.

[93←]

انظر:

Puar «ed.», Muhammad Natsir 70 Tahun: Kenang-kenangan Kehidupan dan Perjuangan, p.80

[94←]

انظر: محمد ناصر، الطريق السياسي عبر الدعوة «باللغة الإندونيسية».

-Mohammad Natsir, Politik Melalui Jalur Dakwah, «Jakarta: Penerbit PT Abadi, 1988», pp.8-9.

-Saat Mesra dengan Sukarno, «Jakarta: Tempo Magazine, 14-20 July, 2008», pp.61-62.

[95←]

انظر:

Mohammad Hatta, Mohammad Natsir dan Mohammad Roem 70 tahun. In: Soemarsono, Mohammad Roem 70 tahun, p.204. Irsyam, Ulama dan Partai Politik: Upaya Mengatasi Krisis, p.31.

[96←]

انظر: المرجع السابق.

[97←]

انظر:

Lukman Hakiem «ed.», Pemimpin Pulang: Rekaman Peristiwa Wafatnya M. Natsir, «Jakarta: Yayasan Piranti Ilmu, 1413H/1993M», p.196.

[98←]

انظر: ناصر، مختارات سياسية.

Mohammad Natsir, Capita Selecta, «Jakarta: Percetakan Abadi, 2008, 4th edition», Vol.1, p.xiv.

[99←]

انظر:

Anwar Harjono and Lukman Hakiem, Mohammad Natsir: Pemikiran dan Sumbangannya untuk Indonesia, «Jakarta: Media Da'wah, 1416H/1995M», pp.20-21.

[100←]
انظر: ناصر، الطريق السياسي عبر الدعوة.

Natsir, Politik Melalui Jaluar Dakwah, p.13.

[101←]
انظر:

Editor Magazine, No.47/Thn.1/23 July, 1988. Tangis untuk Mangunsarkoro, «Jakarta: .Tempo Magazine, 21/XXXVII, 14 July, 2008». p.88

[102←]
المرجع السابق، ص 88.

[103←]
انظر:

Jakob Oetama, Mohammad Natsir: Jujur dalam Sikap, Santun dalam Tindakan. In: Lukman Hakiem «ed.», 100 Mohammad Natsir: Berdamai dengan Sejarah, «Jakarta: Penerbit Republika, 2008», p.39-40.

[104←]
المرجع السابق، ص 72.

[105←]
انظر:

Tangis untuk Mangunsarkoro, «Jakarta: Tempo, Edisi 14-20 Juli, 2008», p.89. Lukman Hakim «ed.», Berdamai dengan Sejarah, pp.72-73.

[106←]
انظر:

Berpetisi tanpa Caci Maki, Tempo, Edisi 14-20 July, 2008, p.102.

[107←]
انظر: ناصر، الدين والدولة من منظور إسلامي.

Natsir, Agama dan Negara dalam Perspektif Islam, pp.88-89.

انظر أيضًا:

Mohammad Natsir: Pejuang Kharismatis dan Tauladan Ummat. In: Gouzali Saydam, .55 Tokoh Asal Minangkabau di Pentas Nasional, p.189

[108←]
انظر:

Bustanuddin Agoes, Mohammad Natsir Demokrat Tulen?. In: Lukman Hakiem «ed.», 100 Tahun Mohammad Natsir: Berdamai dengan Sejarah, «Jakarta: Penerbit Republika, 20080, pp.53-54.

[109←]
انظر:

Audery R. Kahin quoted by Laode M. Kamaluddin. In: Peranan M. Natsir dalam Membangun Demokrasi Pasca kemerdekaan Indonesia. Kertas Kerja Seminar Serantau dalam Memperingati 100 Tahun Bapak Mohammad Natsir, «Selangor: Kolej Unversiti Islam Selangaor, KUIS, 2009», p.1.

[110←]
Ahmad Fauzie Natsir, Kenangan tentang Aba. In: Lukman Hakiem «ed.», 100 Tahun .Mohammad Natsir: Berdamai dengan Sejarah, p.3

[111←]
انظر:

Aba, Cahaya Keluarga, «Jakarta: Tempo Magazine, 21/XXXVII, 14-20 July, 2008», p.100.

[112←]
فرنسوا غودومان، نهضة آسيا: القرن الواحد والعشرين-آسيا تطل برأسها، ترجمة: نظير جاهل، «مصراتة-ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1994م»، ص 263.

[113←]
انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta Vol.3, p.3.

[114←]
المرجع السابق، ص 4.

[115←]

انظر:

Abadi Newspaper, 30 October, 1956.

[116←]

انظر: مقالة لمحمد ناصر بعنوان: «ضبط النفس ومتطلبات الاستقلال».

Mohammad Natsir, Kemampuan Mengendalikan diri Syarat Mutlak bagi Kemerdekaan. In: Harian Abadi, 7 November, 1956.

[117←]

المرجع السابق.

[118←]

المرجع نفسه.

[119←]

نفسه.

[120←]

نفسه.

[121←]

نفسه.

[122←]

انظر:

Harian Abadi, 15 February, 1957.

[123←]

المرجع السابق.

[124←]

المرجع نفسه.

[125←]

انظر:

Harian Abadi, 28 February, 1957.

[126←]
غودومان، نهضة آسيا: القرن الواحد والعشرين-آسيا تطل برأسها، ص 263.

[127←]
انظر:

Harian Abadi, 28 February, 1957.

[128←]
المرجع السابق.

[129←]
المرجع نفسه.

[130←]
انظر:

Harian Abadi, 2 March, 1957.

[131←]
انظر:

M.A. Sairnov, Study about Islam in Soviet Union, 1954, quoted by Natsir as appeared in Capita Selecta Vol.3, «Jakarta: Percetakan Abadi bekerjasama dengan Panitia Peringatan Refleksi Se-abad M. Natsir: Pemikiran dan Perjuangannya, 2009», p.52.

[132←]
المرجع السابق، ص 52.

[133←]
انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta, Vol.3, p.58.

[134←]
انظر:

Harian Abadi, 13th April, 1957.

[135←]
المرجع السابق.

[136←]
انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta, Vol.3, p.63.

[137←]
المرجع السابق، ص 73.

[138←]
المرجع نفسه، ص 73.

[139←]
نفسه، ص 75-76.

[140←]
انظر:

Harian Abadi, 15 April, 1957.

[141←]
الوثائق الرسمية غير منشورة عن جلسة البرلمان المنعقد في 13 نوفمبر 1957م.

[142←]
انظر: لمزيد التفصيل، انظر: ناصر يوسف، «حواجز بنيوية في مسيرة التنمية الإندونيسية: من سوكارنو إلى سوسليو»، عالم الفكر، العدد1، المجلد42 «يوليو-سبتمبر 2013م»، ص379.

[143←]
هدى ميتكيس، «البانتشاسيلا في إندونيسيا: الركائز والتحديات»، في: سيف الدين عبدالفتاح، والسيد صدقي عابدين «محرران»، الأفكار السياسية الآسيوية الكبرى في القرن العشرين، «القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية-جامعة القاهرة، 2001»، ص170.

[144←]
انظر: ناصر، الدين والدولة من منظور إسلامي.

Natsir, Agama dan Negara dalam Perspektif Islam, pp.197-198.

[145←]
المرجع السابق، ص 198.

[146←]
المرجع نفسه، ص 198.

[147←]
نفسه، ص 198.

[148←]
نفسه، ص 198.

[149←]
محمد ناصر، اختاروا إحدى السبيلين: الدين أو اللادينية، «جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط5، 1405هـ/1985م»، ص 67.

[150←]
انظر: ناصر، الدين والدولة من منظور إسلامي.

Natsir, Agama dan Negara dalam Perspektif Islam, p104.

[151←]
المرجع السابق، ص 104.

[152←]
المرجع نفسه، ص 104.

[153←]
انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta, Vol.3, p.110.

[154←]
انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta, Vol.3, p.108.

[155←]
ناصر، اختاروا إحدى السبيلين: الدين أو اللادينية، ص58.

[156←]
نفسه، ص 108.

[157←]
انظر:

Puar «ed.», Muhammad Natsir 70 Tahun: Kenang-kenangan Kehidupan dan Perjuangan, p.193.

[158←]
انظر: ناصر، الإسلام أساس الدولة.

Natsir, Islam sebagai Dasar Negara, p.89.

[159←]
رواه البخاري في الأدب، (رقم الحديث 273). وأحمد في المسند (14/512 رقم8952)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 2349).

[160←]
انظر:

Soemarsono, Mohammad Roem 70 Tahun: Pejuang-Perunding, pp.60-61.

[161←]
انظر:

Anwar Harjono «ann.», M. Natsir: Sumbangan dan Pemikirannya untuk Indonesia, «Jakarta: Media Da’wah, 1416H/1995M», p.56.

[162←]
انظر:

Yusuf «ed.», Ensiklopedi Muhammadiyyah, p.229.

[163←]
انظر:

Noer, Mohammad Hatta: Biograpfi Politik, p.286-287.

[164←]
انظر:

B.J. Boland, The Struggle of Islam in Modern Indonesia, «The Hague: Martinus Nijhoff, 1982», pp.42-43.

[165←]
انظر:

Kedaulatan Rakyat Daily Newspaper, 9 November, 1945.

[166←]

انظر:

Kurniawan Zein Sarifuddin «ed.», Syariat Islam Yes Syariat Islam no: Dilema Piagam Jakarta dalam Amandement UUD 1945, «Paramadina, 2001», pp.4-5.

[167←]

انظر:

S.U. Bajasut, Alam Fikiran dan Djedjak Perdjuangan Prowoto Mangkusasmito, «Surabaya: Penerbit Documenta, 1972», p.21.

[168←]

انظر:

George McTurnan Kahin, Nasionalisme dan Revolusi di Indonesia. Terjemahan Ismail bin Muhammad dan Zaharom bin Abdul Rashid, «Kuala Lumpur: Dewan Bahasa dan Pustaka, 1980», p.375.

[169←]

انظر:

Yusril Ihza Mahendera, Modernisme dan Fundamentalisme dalam Politik Islam: Perbandingan Partai Masjumi «Indonesia» dan Partai Jama'at Islami «Pakistan» «Jakarta: Paramadina, 1999», pp.74-75.

[170←]

المرجع السابق، ص 167-168.

[171←]

انظر:

Mahendra, Modernisme dan Fundamentalisme dalam Politik Islam, p.72.

[172←]

انظر:

Panitia Peringatan 75 Tahun Kasman, Hidup itu Berjuang: Kasman Singodimedjo 75 Tahun, pp.181-182.

[173←]

المرجع السابق، ص 178-179.

[174←]
المرجع نفسه، ص 179.

[175←]
انظر:

Soemarsono, Mohamad Roem 70 Tahun: Pejuang-Perunding, pp.79-80. Bajasut, Alam Fikiran dan Djedjak Perdjuangan Prawoto Mangkusasmito, p.75.

[176←]
إن من شاركوا في إعلان نشأة الحكومة الثورية الإندونيسية من السياسيين والعسكريين، هم: محمد ناصر، وشفر الدين «Prawiranegara Sjafroedin» وبرهان الدين هارهاب «Harahap Burhanuddin» «الثلاثة من حزب ماشومي»، والدكتور سوميطرا هادي كوسومو «Djojohadikusumo Soemitra» «من الحزب الاشتراكي»، وهرمان فينجي «Samuel Ventje Nicolas Herman» «من الحزب الكاثوليكي».

[177←]
انظر:

R.Z Leirisa, PRRI: Membangun Indonesia tanpa Komunis, «Jakarta: Tempo Magazine, 20 July, 2008», pp.76.

[178←]
لمزيد التفصيل عن الحكومة الثورية الإندونيسية التي أعلن عنها السياسيون الثوريون وقادة الجيش المنشقون، انظر:

Gusti Adnan, PRRI: Pemberontakan atau Pergolakan Daerah «Sebuah Tinjauan Historiografis». In: Hakiem «ed.», 100 Tahun Mohammad Natsir: Berdamai dengan Sejarah, pp.225-251.

[179←]
اسمه الكامل هرمان فينجي صموئيل «Samuel Ventje Nicolas Herman» وهو الوحيد من الزعماء الثوريين الذي ما يزال على قيد الحياة، انظر:

Herman Nicholas Ventje Samuel, M. Natsir dan PRRI. In Hakiem «ed.», 100 Tahun Mohammad Natsir: Berdamai dengan Sejarah, p.257. Harjono, Perjalanan Politik Bangsa: Menoleh ke Belakang menatap masa Depan, pp.126-127, Muhammad Rivai Batubara, Kenangan Indah Bersama Bapak Mohammad Natsir. In: Mohammad Asri Abdul & Mohd. Halimi Abdul Hamid «eds.», Mohammad Natsir: Berdakwah di Jalur Politik Berpolitik di jalur Dakwah, «Selangor: Wadah Pencerdasan Ummat dan Kolej Universiti Islam Antarabangsa, 2009», p.111.

[180←]

لأجل استمرار هيمنة الحزب الشيوعي على الحكومة المركزية في جاكرتا، اقترح سوكارنو تشكيل لجنة قومية مكوَّنة من المحترفين، ورؤساء هيئات الشباب وقادة الجيش والشرطة؛ حيث عيَّن سوكارنو نفسه رئيسًا لهذه اللجنة، التي تصنع القرارات العليا في البلاد.

[181←]

انظر: ناصر، الدين والدولة من منظور إسلامي.

Natsir, Agama dan Negara dalam Perspektif Islam, p 165.

[182←]

الحزب الاشتراكي الإندونيسي هو حزب ديمقراطي معارض لسوكارنو وأزلامه الشيوعيين؛ إذ لا علاقة له بالشيوعية لا من قريب ولا من بعيد.

[183←]

بعد الحرب العالمية الثانية كانت الحرب الباردة على أشُدِّها بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تدعِّم الحركات الثورية ضد الشيوعية، ولا شكَّ في أن الحركة الثورية الإندونيسية التي قامت ضد شيوعية نظام سوكارنو قد استفادت من هذا الدعم الليبرالي بشكل من الأشكال، سواء بالدعم المباشر أم غير المباشر. لمزيد التفصيل، انظر:

Yusril Ihza Mahendra, Modernisme dan Fundamentalisme dalam Politik Islam :Perbandingan Partai Masjumi «Indonesia» dan Partai Jama'at Islami «Pakistan», pp.214-215. Barbara Sillars Harvey, Permesta Pemberontakan Setengah Hati, «Jakarta: Grafiti Press, 1984», p.13.

[184←]

إن من أسباب قيام الثورة في سومطرا أنها تعد معقلًا كبيرًا للإسلام، حيث حصل فيها حزب ماشومي على أكثر من 90 بالمئة من الأصوات. لمزيد التفصيل، انظر: محمود شاكر، إندونيسيا، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط8، 1407هـ/ 1987م)، ص 59.

- Saydam, 55 Tokoh Asal Minangkabau di Pentas Nasional, p.189.

[185←]

الإعلان عن قيام الحكومة الثورية الإندونيسية في سومطرا الغربية، قد أثَّر في زعماء الحكومة الإسلامية «دار السلام»؛ ما دعا إلى تعاونهما لمعارضة الشيوعية المهيمنة على الحكومة المركزية في جاكرتا. لمزيد التفصيل، انظر:

Hendra Gunawan, M. Natsir dan Darul Islam: Studi Kasus Aceh dan Sulawesi Selatan, «Jakarta: Media Da'wah, 1421H/2000», pp.50-51. S.S. Djuangga Batubara, Teungku Tjhik Muhammad Dawud Di Beureueh: Mujahid teragung di Nusantara,

«Medan: Gerakan Perjuangan dan Pembebasan Republik Islam Federasi Sumatera, 1987», pp.82-83.

[186←]
انظر:

Irfan S. Awwas, Trilogi Kepemimpinan Negara Islam Indonesia: Menguak Perjuangan Umat Islam dan Pengkhianatan kaum Nasionalis-Sekuler, «Yogyakarta: Uswah, 2008», p.321.

[187←]
انظر:

George McTurnan Kahin quoted by Rosihan Anwar, Natsir: Hati Nurani Umat, Kompas, 10 February, 1993. Hakiem «ed.», Pemimpin Pulang: Rekaman Peristiwa Wafatnya M. Natsir, pp.169-170.

[188←]
انظر:

Ajib Rosidi, Sjafruddin Prawiranegara lebih takut kepada Allah SWT: Sebuah Biografi,«Jakarta: Inti Idayu Press, 1986», p.201.

[189←]
انظر:

Soemarsono, Mohamad Roem 70 Tahun: Pejuang-Perunding, p.88., Hakiem «ed.», Perjalanan Mencari Keadilan dan Persatuan: Biografi Dr. Anwar Harjono, p.207.

[190←]
إن الذين شاركوا في الحكومة الثورية الإندونيسية هم: محمد ناصر، وشفر الدين، وهارهاب «من حزب ماشومي»؛ ولكن مصادر رسمية أخرى تقول: إن هناك آخرين انضموا إلى الحكومة الثورية، أمثال: الدكتور أسعد «Dr. Ass'at» وأملز «Amelz» وسلطان منصور «R.A. Sutan Mansur»وعبدالملك أحمد «A.Malik Ahmad»، انظر:

Batubara, Teungku Tjhik Muhammad Dawud Di Beureueh: Mujahid teragung di Nusantara, p.83.

[191←]
انظر:

Hakiem, M. Natsir, PRRI, dan Masjumi. In Lukman Hakiem «ed.», 100 Tahun Mohammad Natsir, p.290.

[192←]

انظر:

Anhar Gonggong, Pak Natsir di Tengah Krisis Transisional. In: Hakiem «ed.», M. Natsir di Panggung Sejarah Republik, p.24. George Mc. T. Kahin, Pemikiran Mohammad Natsir di Mata Seorang arat. In: Media Dakwah, February 1993, pp.21-.22

[193←]

انظر، ناصر، الطريق السياسي عبر الدعوة.

Natsir, Politik Melalui jaluar Dakwah, pp.18-19.

[194←]

قدَّم الدكتور محمد حتًّا استقالته من منصب نائب رئيس الجمهورية عام 1955م، بعدما استاء من الصراع بين الإسلاميين والوطنيين، فضلًا عن احتجاجه على تحكُّم الشيوعيين في مفاصل الدولة تحت رعاية سوكارنو رئيس الجمهورية. انظر:

H. Azmi, Mohammad Natsir Nasional Sejati. In: Lukman, «ed.», 100 Tahun Mohaammad Natsir, p.127.

[195←]

المرجع السابق، ص127.

[196←]

انظر:

Noer, Mohammad Hatta: Biografi Politik, p.529.

[197←]

تشكَّلت الحكومة الثورية الموازية في جزيرة سومطرا من الآتي: شفر الدين «Prawiranegara Sjafruddin» «رئيس الوزراء ووزير المالية»، واللواء مال الدين سيمبولون «Simbolon Maludin» «وزير الخارجية»، واللواء محمد دحلان جمبيك «Djambek Dahlan Mohammad» «وزير الداخلية»، وبرهان الدين هارهاب «Harahap Burhanuddin» «وزير الدفاع»، وسوميطرو هادي كوسومو «Djojohadikoesoemo Soemitro» «وزير التجارة والاتصالات»، ومحمد شافعي «Mohammad Sjafe'j» «وزير التعليم والصحة»، واللواء وارو «J. Warrouw» «وزير التنمية والصناعة والأشغال العامة»، وصلاح الدين سرمبيت «Saladin M. Sarumpaet» «وزير الفلاحة والعمل»، واللواء صالح لحاد «Lahade Saleh» «وزير الإعلام»، ومختار لنتانج «Lintang Mochtar» «وزير الشؤون الدينية»، وعبدالغني عثمان «Usman Gani Abdul» «وزير الشؤون الاجتماعية». لمزيد التفصيل، انظر:

H.M Yunan Yusuf «et.al», Ensiklopedi Muhammadiyyah, «Jakarta: Rajawali Press, 2005», p.231.

[198←]

انظر:

Bahtiar Effendy, Islam and the State in Indonesia, «Singapore: Institute of Southeast Asian Studies, 2003», p.33.

[199←]

تمَّ توقيع الالتماس من قبل الآتي: سويرجو «Suwirjo» ومونأبا «Manuaba» «من الحزب الوطني الإندونيسي- PNI»؛ الدكتور سيوكيمان «H. Wirjosandjojo Soekiman» وأنور هارجونو «Harjono Anwar» «من حزب ماشومي»؛ عمران روسجادي «Rosjadi Imron» وكياهي حاجي محمد دحلان «M.H.K. Dachlan» وكياهي حاج مشكور «K.H. Masykur» وتناماس «A. A. Tanamas» «من نهضة العلماء- NU»؛ أنور شوكرو أمينوتو «Anwar Tjokroaminoto» وهارسونو شوكرو أمينوتو «Harsono Tjokroaminoto» «من حزب شريكة إسلام- PSSI»؛ وسوتومو «Sutomo» وبونغ تومو «Bung Tomo» «من الشباب الإندونيسي- PRI». لمزيد التفصيل، انظر:

Hakiem, Perjalanan Mencari Keadilan dan Persatuan, p.204.

[200←]

انظر:

S.U. Bajasut, Alam Fikiran dan Jejak Perduangan Prawoto Mangkusasmito, «Surabaya: Penerbit Documenta, 1972», pp.70-71.

[201←]

تزامن قيام الحكومة الثورية بجزيرة سومطرا مع زيارة سوكارنو إلى موسكو. وبالنيابة عن الحكومة الثورية التقى اللواء وارو «J. Warrouw» بسوكارنو في طوكيو لمناقشة مطالب الحكومة الثورية. بعد ذلك بعث سوكارنو برقية إلى جواندا رئيس الوزراء، كانت نتيجتها قيام اللواء سوريا دارما «Suryadarma» بإسقاط القنابل جوًّا على مدينة فادانج «Padang». لمزيد التفصيل، انظر:

H.M. Ventje Sumual, M. Natsir dan PRRI. In: Hakiem «ed.», 100 Tahun M. Natsir: Berdamai dengan Sejarah, p.256.

[202←]

انظر:

.Rosidi, Sjafruddin Prawirenegara lebih takut kepada Allah SWT, p.214

[203←]

انظر:

Harvey, Permesta Pemberontakan Setengah Hati, p.16.

[204←]

انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta, p.268.

انظر: محمد ناصر، أيام المنفى «باللغة الإندونيسية».

Mohammad Natsir, Dalam Masa Pengasingan, «Jakarta: Majalah Tempo, Edisi 14-20 .July, 2008», p.80

[205←]

انظر:

Vintje, M. Natsir dan PRRI. In: Hakiem «ed.», 100 Tahun Mohammad Natsir: Berdamai dengan Sejarah, p.257.

[206←]

انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta, pp.148-149.

[207←]

المرجع السابق، ص 150.

[208←]

المرجع نفسه، ص 150.

[209←]

نفسه، ص 151-152.

[210←]

نفسه، ص 151-152.

[211←]

نفسه، ص 162.

[212←]

تمَّ بث البيان في الراديو يوم 19 مايو 1958م. انظر: ناصر، مختارات أساسية.

[213←]

انظر: البيان الذي أدلى به محمد ناصر لأعضاء البرلمان يوم 23 مايو 1958م، في: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta, Vol.3, p.173.

[214←]
المرجع السابق، ص 191-192.

[215←]
المرجع نفسه، ص 202-203.

[216←]
انظر:

Mahendra, Modrnisme dan Fundamentalisme dalam Politik Islam: Perbandingan Partai Masjumi «Indonesia» dan Partai Jama’at Islami «Pakistan», p.216.

[217←]
يتكوَّن أعضاء اللجنة من الدكتور محمد حتًّا، وسلطان هامنكو بوونو، وجواندا رئيس الوزراء، واللواء ليمانا، والدكتور عزيز صالح، والجنرال ناسوتيون. لمزيد التفصيل انظر:

Mahendra, Modrnisme dan Fundamentalisme dalam Politik Islam: Perbandingan Partai Masjumi «Indonesia» dan Partai Jama’at Islami «Pakistan», p.217.

[218←]
المرجع السابق، ص 217.

[219←]
أدلى محمد ناصر بهذا البيان يوم 5 أكتوبر 1958م بمناسبة الذكرى الثامنة لتأسيس جيش الجمهورية الإندونيسية.

[220←]
رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، (رقم الحديث 49).

[221←]
ألقى محمد ناصر خطابًا في دار الحكمة يوم 10 أكتوبر 1958م. علمًا أن دار الحكمة هي مؤسسة تربوية جامعية، أنشأها زعماء حزب ماشومي، أمثال: نصر الدين طه «Thaha Nashruddin»، ومنصور داود داتو باليمو كايو «Kayo Palimo Datuk Daud Mansur»، وعبدالملك أحمد «Ahmad Malik Abdul»، وبخاري تمام «Tamam Buchari». لمزيد التفصيل انظر:

Hakiem, Menjawab Panggilan Risalah: 70 Tahun H. Buchari Tamam, pp.46-47.

[222←]
انظر:

Mahendra, Modernisme dan Fundamentalisme dalam Politik Islam: Perbandingan party .Masyumi «Indonesia» dan Partai Jamaa'at-i-Islami «Pakistan», pp.234-235

[223←]

المرجع السابق، ص 241-242.

[224←]

أشار محمد ناصر إلى أن المعارضين من أعضاء البرلمان لسياسة سوكارنو قد سجنوا أمثال كسمان سنغوديمجو «Singodimedjo Kasman».

[225←]

انظر:

Mahendra, Modernisme dan Fundamentalisme dalam Politik Islam: Perbandingan party Masyumi «Indonesia» dan Partai Jamaa'at-i-Islami «Pakistan», p.244.

[226←]

المرجع السابق، ص 254-255.

[227←]

انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta, 2008, pp. 66-67.

[228←]

انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta, 2008, pp. 260-261.

[229←]

انظر:

Mahendra, Modernisme dan Fundamentalisme dalam Politik Islam: Perbandingan party .Masyumi «Indonesia» dan Partai Jamaa'at-i-Islami «Pakistan», pp277-278

[230←]

المرجع السابق، ص 279.

[231←]

المرجع نفسه، ص 287-288.

[232←]
نفسه، ص 289.

[233←]
من ضمن الذين خرجوا من مخبئهم وسلَّموا أنفسهم: أحمد حسين، وشفر الدين، والدكتور أسعد. لمزيد التفصيل، انظر:

Haedar Nashir, Gerakan Islam Syariah: Reproduksi Salafiyah Ideologis di Indonesia, «Jakarta: Pusat Studi Agama dan Peradaban, 2007», p.259.

[234←]
انظر:

Noer, Mohammad Hatta: Biografi Politik, p.388.

[235←]
رشَّح حزب ماشومي محمد ناصر لرئاسة الوزراء أمام البرلمان يوم 3 أفريل 1950م، نظرًا إلى تاريخه العريق في مناهضة الهولنديين، زيادة على عطائه الفكري والتربوي والسياسي والاجتماعي. وافق أعضاء البرلمان على ترشيحه، وبعد ذلك عيَّنه سوكارنو رسميًّا رئيسًا لوزراء إندونيسيا. لمزيد التفصيل، انظر:

Harjono and Hakiem, Mohammad Natsir: Pemikiran dan Sumbangannya untuk Indonesia, pp.20-21.

[236←]
انظر:

Herbeth Feith, The Decline of Constitutional Democracy quoted by Puar «ed.», Muhammad Natsir 70 Tahun: Kenang-kenangan Kehidupan dan Perjuangan, p.123.

[237←]
انظر: ناصر، الإسلام أساس الدولة.

Natsir, Islam Sebagai Dasar Negara, pp.107-109.

[238←]
انظر: ناصر، الدين والدولة من منظور إسلامي.

Natsir, Agama dan Negara dalam Perspektif Islam, pp.374-375.

[239←]
انظر:

Panji Masyarakat, No.542, June, 1982.

[240←]
انظر:

Batubara, Teungku Tjhik Muhammad Dawud di Beureueh: Mujahid Teragung di Nusantara, p.81.

[241←]
انظر:

Al-Chaidar, Pengantar Pemikiran Politik Proklamator Negara Islam Indonesia S.M. Kartosowwirjo: Mengungkap Manipulasi Sejarah Darul Islam/DI-TII Semasa Orde Lama dan Orde Baru, «Jakarta: Darul Falah, 1420H/ 1999M», p.92.

[242←]
المرجع السابق، ص 92.

[243←]
يبدو أن محمد ناصر كان على وعي كبير بعزم كارتو سويرجو على الإعلان عن الدولة الإسلامية. لقد سافر محمد ناصر إلى مدينة باندونج، حيث أقام في فندق هوفمان، وكتب خطابًا وبعثه مع أحمد حسن، لمقابلة كارتو سويرجو في مخبئه. لمزيد التفصيل، انظر:

A. Ruhimat, Biografi S.M. Kartosoewirjo: Pejuang dan Pemberontak yang Kontroversial, «Yogyakarta: Penerbit Narasi, 2009», p.107.

[244←]
انظر:

Hepi Andi Bastoni , M. Natsir Sang Maestro Dakwah, «Jakarta: Mujtama Press,2008», p.79.

[245←]
حدث الاصطدام بين الجانبين في منطقة تشيأوي «Ciawi» بجاوا الغربية؛ حيث اتهم كل واحد منهما ببدء الهجوم. لمزيد التفصيل، انظر:

Tempo Special Report, ‘Laporan Khusus 100 Tahun Mohammad Natsir’, 14-20 July, 2008.

[246←]
استشار كارتو سويرجو من أجل تأسيس الدولة الإسلامية كلًّا من أنور شوكرو أمينوتو « Anwar Tjokroaminoto»، وسيوباكين «A.M. Soebakin»، وأبيكوسنو شوكرو سوجوسو «Abikoesno Tjokrosoejoso». في رسالته دعاهم للحضور إلى جاوا الغربية لمناقشة خطوات الجهاد. لمزيد التفصيل، انظر:

Tempo Special Report, ‘Laporan Khusus 100 Tahun Mohammad Natsir’, 14-20 July, 2008.

[247←]

انظر:

Deliar, Mohammad Hatta: Biografi Politik, p.357.

[248←]

انظر:

Ruhimat, Biografi S.M. Kartosoewirjo: Pejuang dan Pemberontak yang Kontroversial, p.107.

[249←]

انظر:

Adhe Firmansyah, SM. Kartosoewirjo: Biografi Singkat 1907-1962, «Jogyakarta: Penerbit Garasi, 2009», pp.113-114.

[250←]

المرجع السابق، ص 113-114.

[251←]

انظر:

Tempo Magazine, in a special report ‘Laporan Khusus 100 Tahun Mohammad Natsir’,14-20 July, 2008.

[252←]

انظر:

Batubara, Teungku Tjhik Muhammad Dawud Di Beureueh: Mujahid Teragung di Nusantara, pp.80-81.

[253←]

انظر:

Awwas, Trilogi Kepemimpinan Negara Islam Indonesia: Menguak Perjuangan Umat Islam dan Pengkhianatan Kaum Nasionalis-Sekuler, p.303.

[254←]

تبدو في نظر محمد الإجراءات العسكرية ضد آتشيه من قبيل الخيانة؛ لأن آتشيه عدَّت تاريخيًّا مركزًا مهمًّا ووطنيًّا في الحركة التحريرية ضد الاستعمار الهولندي. لمزيد التفصيل، انظر:

Zulkefli Haji Aini, Gaya dan Ketokohan Bapak Muhammad Natsir Pemimpin Da'i. Kerta Kerja Seminar Serantau Memperingati 100 Tahun Bapak Mohammad Natsir, «Selangor-Malaysia: Pusat Konvensyen Kolej Universiti Islam Selangor, 2009», .p.5

[255←]
انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta, p.64.

[256←]
انظر:

Endang Basri Ananda «ed.», 70 Tahun Prof. Dr. H.M. Rasjidi, «Jakarta: Penerbit Harian Pelita, 1985», p.59.

[257←]
هدى ميتكيس، «الإسلام والتنمية في إندونيسيا: الركائز والتحديات»، في: ماجدة علي صالح «محررة»، الإسلام والتنمية في آسيا، «القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية-جامعة القاهرة، 1999»، ص90.

[258←]
المرجع السابق، ص 84.

[259←]
المرجع السابق، ص 85.

[260←]
رجاء إبراهيم سليم، «سوكارنو»، في: صالح، ماجدة علي «محررة»، عظماء آسيا في القرن العشرين، «القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية-جامعة القاهرة، 2000م»، ص 105.

[261←]
انظر:

Awwas, Trilogi Kepemimpinan Negara Islam Indonesia: Menguak Perjuangan Umat Islam dan Pengkhianatan Kaum Nasionalis-Sekuler, pp.330-335.

[262←]
حول الدور الكبير للصين في الانقلاب، انظر:

Rizal Sukma, Indonesia and China: the Politics of a Troubled Relalatioship, «London: .«Routledge, 1999

[263←]
انظر:

Sohirin Mohammad Solihin, Islam and Politics: Emergence of Reformative Order in Indonesia, «Kuala Lumpur: Research Center, International Islamic University Malaysia, 2006», p.30.

[264←]
انظر: محمد ناصر، إندونيسيا في مفترق الطرق «باللغة الإندونيسية».

Mohammad Natsir, Indonesia di Persimpangan Jalan, «Jakarta: Media Dakwah, 1984», p.3.

[265←]
انظر:

Lukman Hakiem «ed.». Menggugat Gerakan Pembaruan Keagamaan, «Jakarta: Lembaga Studi Informasi Pembangunan, 1995», p.12.

[266←]
انظر: يوب أفي وآخرون، بصمات إسلامية على الثقافة الإندونيسية، مراجعة: الدكتور الحاج ترمذي طاهر وزير الشؤون الدينية لجمهورية إندونيسيا، «طبعة عربية، طباعة شركة جايا أغونج للأوفسيت، جاكرتا، إندونيسيا، 1993م»، ص 11.

[267←]
المرجع السابق، ص222.

[268←]
المرجع نفسه، ص 222.

[269←]
انظر:

Bajasut, Alam Fikiran dan Djedjak Perjuangan Prawoto Mangkusasmito, p220-222.

[270←]
انظر: ناصر، الدين والدولة من منظور إسلامي.

Natsir, Agama dan Negara dalam Perspektif Islam, p348.

[271←]

انظر:

Ali Said Damanik, Fenomena Partai Keadilan: Transformasi 20 Tahun Gerakan Tarbiyyah di Indonesia, «Jakarta: Teraju, 2002», p50.

[272←]

انظر: ناصر، الدين والدولة من منظور إسلامي.

Natsir, Agama dan Negara dalam Perspektif Islam, p.353.

[273←]

انظر:

Heru Cahyono, Pangkopkamtib Jenderal Soemitro dan Peristiwa 15 Januari1974, «Jakarta: Pustaka Sinar Harapan, 1998», p30-33.

[274←]

المرجع السابق، ص 49.

[275←]

انظر:

M. Syafii Anwar, Pemikiran dan Aksi Islam Indonesia: Sebuah Kajian Politik Tentang Cendekiawan Muslim Orde Baru, «Jakarta: Paramadina, 1995», p110-111.

[276←]

انظر:

Abdul Qadir Djaelani, Menelusuri Kekeliruan Pembaharuan Pemikiran Islam Nurcholis Madjid, «Bandung: Penerbit Yadia, 1414H/1994M», p 36-38.

[277←]

أمل فتح الله زركشي، الاتجاه السلفي في الفكر الإسلامي الحديث في إندونيسيا، «كوالالمبور: مركز البحوث- الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، ط1، 1431هـ/2010م»، ص267.

[278←]

حول التعاون المصلحي بين نهضة العلماء ونظام سوهارتو، انظر: إسماعيل صادق «ترجمة وإعداد»، محنة الإسلام في إندونيسيا، تقديم: محمد يحيى، «القاهرة: الزهراء الإعلام العربي، ط1، 1309هـ/1989م»، ص 38-39؛ انظر أيضًا:

Hartono Ahmad Jaiz, Bayang-Bayang Suharto and Sukarno: Perjalanan Pemerintah Orde Baru, «Jakarta: Darul Falah, 2002», p12-14.

[279←]
انظر:

.Solihin, Islam and Politic: Emergence of Reformative Movement in Indonesia, p 281

[280←]
انظر:

Yusril Ihza Mahendera, Tanjung Priok Berdarah Tanggung Jawab Siapa: Kumpulan Fakta dan Data, «Jakarta: Gema Insani Press, 1998», p24.

[281←]
محمد ناصر، «آراء حكومة سوهارتو في مبادئ بنتشاسيلا وسبل توجيهها»، في: مجلة صوت المسجد.

Mohammad Natsir. Gagasan Pedoman Penghayatan dan Pengamalan Pancasila dan Aliran Kepercayaan, Suara Masjid, No.44, May, 1978.

[282←]
انظر:

K. Wantjik Saleh S.H. Hukum Perkawinan Indonesia, «Jakarta: Ghalia Indonesia, 1976», p.2. Djaren Saragih S.H. Himpunan Peraturan-Peraturn dan Perundang-Undangan di Bidang Perkawinan Indonesia, «Bandung: Tarsito, 1980», p.2.

[283←]
انظر: سوهرين محمد صالحين، الإسلام والفكر الليبرالي في إندونيسيا: النشأة والتطور، «كوالالمبور: مركز البحوث- الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، ط1، 1431هـ/2010م»، ص35.

[284←]
انظر:

Riduan Syahrani. Masalah-Masalah Hukum Perkawinan di Indonesia, «Bandung: .Penerbit Alumni 1978», pp.14-15

[285←]
ناصر، إندونيسيا في مفترق الطرق.

Natsir, Indonesia di Persimpangan Jalan, p.2.

[286←]
محمد ناصر، الديمقراطية في ضوء القانون «باللغة الإندونيسية».

Mohammad Natsir, Demokrasi di bawah Hukum, «Jakarta: Media Da’wah, 1423H/2002M», p.5.

[287←]

كانت لحظة تاريخية؛ إذ جاء معظم الزعماء المسلمين إلى جانب التلاميذ والمعجبين، من مناطق مختلفة للاستماع إلى خطبة محمد ناصر، ومعظم هؤلاء الزعماء قد تمَّ تسريحهم من السجن من قبل الحكومة الجديدة تحت قيادة الجنرال سوهارتو. لمزيد التفصيل، انظر:

Harian Angkatan Bersenjata «Daily Newspaper», 16 August, 1966. M.Natsir – Prawoto Mangkusasmito, Syukur Ni’mah: Tasyakkur di Mesjid Agung al-Azhar», Jakarta: Penerbit Bulan Bintang, 1966.

[288←]

انظر: ناصر، فقه الدعوة.

Natsir, Fiqhud Da’wah, p.76.

[289←]

انظر: محمد ناصر، وبراوتو مانكو ساسميتو، شكر النعمة: حفل شكر في المسجد الكبير «باللغة الإندونيسية».

Mohammad Natsir dan Prawoto Mangkusasmito, Sjukur Ni’mah: Tasjakur di Mesjid Agung, «Jakarta: Penerbit Abadi, 1966», p.25-26.

[290←]

حديث موقوف، كما جاء في شرح كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة» من صحيح الإمام البخاري. الحديث السابع: «يا معشر القراء، استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا، لقد ضللتم ضلالًابعيدًا».

[291←]

لمزيد التفصيل، انظر: ناصر، وساسميتو، شكر النعمة: حفلة شكر في المسجد الكبير.

Mohammad Natsir dan Prawoto Mangkusasmito, Sjukur Ni’mah: Tasjakur di Mesjid Agung.

[292←]

لمزيد التفصيل، انظر: ناصر يوسف، «ملامح من التجربة الإندونيسية مع إشارة إلى الأزمة المالية الآسيوية ورابطة الآسيان»، الملتقى الدولي الثاني حول واقع التكتلات الاقتصادية زمن الأزمات، جامعة الشهيد الأخضر حمة، وادي سوف «الجزائر»، معهد العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، 26-27 فبراير 2012م؛ انظر أيضًا:

Anwar Ibrahim, Natsir, Politikus Intelektual within Tempo, 20 July, 2008, p.98.

[293←]

انظر: لقمان ومصدوقي بدوي، «حوار مع محمد ناصر»، في: مجلة التحرير «باللغة الإندونيسية».

Interview with Natsir by A. Lukman and Masduki Baidawi as appeared in Editor Magazine, No.47/Thn.I/23 July, 1988.

[294←]

انظر: ناصر، إندونيسيا في مفترق الطرق.

Mohammad Natsir, Indonesia di Persimpangan Jalan, pp.7-17.

[295←]

انظر: سوهرين محمد صالحين، وناصر يوسف، «المشهد الليبرالي في إندونيسيا: السياسي والثقافي والاقتصادي،» المسلم المعاصر «القاهرة»، العدد 149، السنة 38 «يوليو-سبتمبر 2013م»، ص 194

[296←]

انظر: ناصر، إندونيسيا في مفترق الطرق.

Natsir, Indonesia di Persimpangan Jalan, pp.7-17/

[297←]

المرجع السابق، ص7- 17.

[298←]

انظر:

Chris Siner Key Timu, Pak Natsir Negarawan yang Merakyat dan Santun. Kertas kerja Seminar Serantau Memperingati 100 Tahun Bapak Mohammad Natsir, «Selangor: Pusat Konvensyen Kolej Universiti Islam Selangor, KUIS, 2009», pp.6-.

[299←]

وفقًا لما قاله الجنرال ناسوتيون، فإن التماس الإفراج عن محمد ناصر وتمكينه من السفر خارج البلاد، الذي تقدَّم به المعارضون لسوهارتو، كان يهدف إلى حفظ المسار الديمقراطي، الذي كان يحرص عليه محمد ناصر كسبيل للمصالحة مع النظام، ومن ثم احترام مبادئ دستور عام 1945م. كما كان يهدف أيضًا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لمزيد التفصيل، انظر:

Interview of Gen. Nasution with Tempo Magazine, 15/XXIII 12 June, 1993.

[300←]

لقد أدَّت السفارة الإندونيسية في كوالالمبور دورًا مهمًّا في التجاوب مع الجامعتين الماليزيتين، والتعاطي مع رغبتهما الدفينية في تكريم محمد ناصر، نظرًا إلى إسهاماته العلمية والفكرية، زيادة على دوره التاريخي في تجسير العلاقة الدبلوماسية بين إندونيسيا وماليزيا بعد زوال نظام سوكارنو. لمزيد التفصيل، انظر:

Deliar Noer, Kedudukan Natsir Masa Kini. In: Panji Masyarakat, No.291, 20-29 Muharram 1412H/1-10 August, 1991M.

[301←]

انظر:

Tempo, Edisi 14-20 July, 2008.

[302←]

انظر:

Panji Masyarakat Magazine, Februari 1993, Tempo Edisi 14-20 July, 2008 and Media Dakwah, Ramadan 1413H/Maret 1993M.

[303←]

انظر:

Panji Masyarakat, No.747, 29 Sya'ban-6 Ramadhan, 1413H/21-28 Februray, 1993M, p.29.

[304←]

جاءت فكرة تأسيس المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية، بعدما فشلت مساعي مشاركة حزب ماشومي في اللعبة السياسية التي رفضها نظام سوهارتو. وهناك مصادر تقول: إن فكرة تأسيس المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية انبثقت بعد لقاء زعماء ماشومي بمناسبة عيد الفطر المبارك في مسجد المنورة بجاكرتا عام 1967م. ومن ضمن الشخصيات التي حضرت الاجتماع: عبدالحميد «Hamid Abdul» وأرسل داتو بنغولو بسار «Besar Penghulu Datuk Asrul»، وأغوس سلطان بنغران «Penghulu Datuk Asrul Besar». واتفقوا على أن يكون المجلس قاعدة رئيسة لنشاطات محمد ناصر الحضارية. لمزيد التفصيل، انظر:

Abdul Halim Ismail, Bapak Mohammad Natsir: Penuntun Ummat Sepanjang Jalan. In: d Asri Abdul «eds.», Mohammad Natsir: Berdakwah di Jalur Politik dan Berpolitik di Jalur Dakwah, p.98. Bastoni «ann.», M. Natsir Sang Maestro Dakwah, p.30.

[305←]

بالنسبة إلى الجهود المبذولة لإحياء حزب ماشومي سياسيًا، يمكن الوقوف عليها في هذه المؤلفات:

S.U. Bajasut, Alam Fikiran dan Djedjak Perjuangan Prawoto Mangkusasmito, «Surabaya: Penerbit Dokumenta, 1972», pp.220-222. Lukman Hakiem «ed.», Perjalanan Mencari Keadilan dan Persatuan: Biografi Dr. Anwar Harjono, «Jakarta: Penerbit Media Da'wah, 1414H/1993M», pp.214-222, and H. Hartono Mardjono S.H., Politik Indonesia «1966-2003», «Jakarta: Gema Insani Press, 1417H/1966M», pp.31-32.

بالنسبة إلى رفض سوهارتو القاطع للإحياء السياسي لحزب ماشومي، انظر:

Fransiskus Paulus Paskalis Abi, ICMI dan Pluralisme Kehidupan Keagamaan di Indonesia. Dalam Zuli Qodir and Lalu M. Iqbal Songell «eds.», ICMI: Negara dan Demokratisasi, «Yogyakarta: Pusat Studi Linkaran, 1995», p.51. Soemarsos Soemarsono, Mohamad Roem 70 Tahun: Pejuang-Perunding, «Jakarta: Penerbit Bulan Bintang, 1978», p.89. B.J. Boland, The Struggle of Islam in Modern Indonesia, «The Hague: Martinus Nijhoff, 1982», pp.149-150.

[306←]
الأعضاء المؤسسون للمجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية، هم: محمد ناصر، ومحمد راشيدي «M.H. Rasjidi» «وزير الشؤون الدينية الأسبق»، ومحمد روم «Roem Mohammad»«وزير الخارجية الأسبق»، وشفر الدين «Prawiranegara Sjafroedin» «رئيس إندونيسيا في المرحلة الانتقالية ومحافظ البنك المركزي الأسبق» ، وبرهان الدين هارهاب «Harahap Burhanuddin» «رئيس وزراء إندونيسيا الأسبق»، وكسمان سينغا ديمجو «Singodimejo Kasman»، ويونان ناسوتيون «Nasution Yunan»، وعثمان رليبي «Raliby Osman» ، وداتو باليمو كايو .«Kayo Palimo Datuk» لمزيد التفصيل، انظر: ناصر، الطريق السياسي عبر الدعوة.

Natsir, Politik melalui Jalur Dakwah, p.22.

[307←]
انظر:

Tempo, 20 July, 2008. Noer, Kedudikan Natsir Masa Kini. In: Panji Masyarakat, No. «291, 20-29 Muharram 1412H/1-10 August, 1991

[308←]
انظر: ناصر، إندونيسيا في مفترق الطرق.

Natsir, Indonesia di Persimpangan Jalan, pp.3-27.

[309←]
الجدير بالذكر: أن سوهارتو بعث مستشاريه السياسيَّيْن علي مورتوفو وبيني مورداني، لمقابلة تنكو عبدالرحمن رئيس وزراء ماليزيا، غير أن هذا الأخير لم يستقبلهما، ومن ثم عادا بخفي حنين إلى جاكرتا. لمزيد التفصيل، انظر:

Surat untuk Tengku Abdul Rahman within Tempo, 21/XXXVII 14th July, 2008. Saydam, 55 Tokoh Asal Minangkabau di Pentas Nasional, pp.189-190.

[310←]
انظر: ناصر، الطريق السياسي عبر الدعوة.

Natsir, Politik Melalui Jalur Dakwah, p.21.

[311←]

انظر:

Tempo Magazine, 21 August, 1971.

[312←]

بعث فوكودا رئيس وزراء اليابان خطاب تعزية إلى المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية، يعبِّر فيه عن حزنه لوفاة محمد ناصر، التي اهتزَّ لها كما اهتز لقنبلتي هيروشيما ونكازاكي. للاطلاع على فحوى خطاب التعزية، انظر:

Pelita, 10 February, 1993. Newspaper, Pikiran Rakyat, 12 February, 1993. Tempo Magazine, Edition of 20 July, 2008. Panji Masyarakat, No.747, 29 Sya'ban-6 Ramadhan 1413H/21-28 February, 1993, p.32. Anwar Harjono and Lukman Hakiem «eds.», Pemikiran Mohammad Natsir dalam pergumulan Intelektual di Indonesia, «Jakarta: Majalah Media Dakwah, 1994», pp.21-22.

[313←]

لمزيد التفصيل حول تاريخ تأسيس مجلس العلماء الإندونيسيين، انظر:

Sohirin Mohammad Solihin, Emergence and Development of Liberal Islam in Indonesia, «Kuala Lumpur: Research Center International Islamic University Malaysia, 2009», p.177-178. Yusuf «eds.», Ensiklopedi Muhammadiyyah, p.267.

[314←]

حول التقرير الخاص باستعداد دولة الكويت للاستثمار في إندونيسيا، انظر:

H. Azmi, Mohammad Natsir Nasional Sejati. In: Hakiem «ed.», 100 Tahun Mohammad Natsir: Berdamai dengan Sejarah, p.130. Harjono «ann.», M. Natsir: Sumbangan dan Pemikirannya untuk Indonesia, p.101. Tempo Magazine, 21 August, 1971.

[315←]

في عام 1967م قام محمد ناصر بزيارة للعالم العربي بدعوة من زعمائه، ولدى وصوله إلى المملكة العربية السعودية استقبله الشيخ محمد سرور الصبان وزير المالية وقتذاك. بعد ذلك رافق محمد ناصر لمقابلة الملك فيصل لمناقشة العلاقة الدبلوماسية بين المملكة العربية السعودية وإندونيسيا، التي تدهورت بعد حادثة الاعتداء على السفارة السعودية من قبل الشيوعيين في بنتشوك «Puncak»، باندونج. لمزيد التفصيل، انظر:

Puar «ed.», Muhammad Natsir: 70 tahun Kenang-kenangan Kehidupan dan Perjuangan, pp.142-143. Hj Muhammad Rivai Batubara, Kenangan Indah Bersama Bapak Mohammad Natsir. In: Mohd Asri Abdul «eds.», Mohammad Natsir: Berdakwah di jalur Politik dan Berpolitik di Jalur Dakwah, «Kuala Lumpur: Penerbit Bersama Wadah Pencerdasan Ummat Malaysia dan Kolej Universiti Islam Antara Bangsa Selangor «KUIS», 2009», p.114.

[316←]
انظر: محمد ناصر، حلول للتفاهم بين الأديان «باللغة الإندونيسية».

Mohammad Natsir, Mencari Modus Vivendi antar Ummat Beragama, «Jakarta: Media Dakwah, 1980», p.7.

[317←]
لمزيد التفصيل حول النشاطات التبشيرية في إندونيسيا، انظر:

Rifyal Ka'bah, Christian Presence in Indonesia, «Leicester, UK: The Islamic Foundation, 1986». Adian Husaini, Mengapa Gereja-Gereja dibakar: Membedah Akar Konflik SARA di Indonesia, «Jakarta: Dea Press, 2000». Rizki Ridaysmara, Gerilya Salib di Serambi Mekkah: Dari zaman Portugis hingga Paska Tsunami, «Jakarta: Pustaka al-Kauthar, 2006». Mohammad Kamal Hasan, Kecendikiawan Bapak Mohammad Natsir «1908-1993»: Satu Model yang amat Diperlukan Dewasa ini. Kertas Kerja Seminar Serantau Memperingati 100 Tahun Bapak Mohammad Natsir, «Selangor: Pusat Konvensyen Kolej University Islam Selangor, KUIS, 10 .January, 2009», p.13

[318←]
عام 1938م كتب محمد ناصر مقالة يرد فيها على كتابات الدكتور بروغماس «J.I. Brugmans»التي يقارن فيها بين المؤسسات التعليمية النصرانية وبين الإسلامية في كتابه باللغة الهولندية «Geschiedenis van het Onderwijs in Nederlandsch-Indie»؛ حيث يعلي بروغماس من شأن التعليم النصراني في المجتمع الإندونيسي. لمزيد التفصيل، انظر: رد محمد ناصر في: مجلة راية الإسلام «باللغة الإندونيسية».

Pandji Islam Magazine and Pedoman Masyarakat, October, 1938.

[319←]
المرجع السابق.

[320←]
انظر:

Deliar, The Modernist Muslim Movement in Indonesia 1900-1945, pp.278-279.

[321←]
انظر: ناصر، مختارات أساسية.

Natsir, Capita Selecta, p.127.

[322←]
المرجع السابق، ص 129.

[323←]

المرجع نفسه، ص 129.

[324←]

نفسه، ص 129.

[325←]

لمزيد التفصيل، انظر: ناصر، حلول للتفاهم بين الأديان.

Natsir, Mencari Modus Vivendi antar Ummat Beragama, p.11.

[326←]

انظر:

Hussein Umar, Intoleransi Kaum Nasrani terhadap Ummat Islam: Studi Awwal Hubungan Islam dan Christian, Suatu Pendekatan Empiris. In: Lukman Hakiem «ed.», Fakta dan Data Usaha-usaha Kristenisasi di Indonesia, «Jakarta: Media Dakwah, 1411H/1991 M», p.24.

[327←]

لمزيد التفصيل، انظر: ناصر، حلول للتفاهم بين الأديان.

Natsir, Mencari Modus Vivendi antar Ummat Beragama di Indonesia, p.10.

[328←]

المرجع السابق، ص 10.

[329←]

المرجع نفسه، ص 14.

[330←]

نفسه، ص16. ولمزيد التفصيل، انظر: محمد ناصر، عطاء بلا مقابل «باللغة الإندونيسية».

Mohammad Natsir, Uluran Tangan yang tak Terjawab, «Jakarta: Serial Media Da'wah, 1974», pp. 6-9.

[331←]

الدكتور فركيول «J. Verkuyl» مسيحي هولندي، ورئيس الكنيسة في جاكرتا، التي أدت دورًا مهمًّا في تفعيل النشاطات التبشيرية في إندونيسيا، وهو أيضًا مستشار مجلس الكنائس الإندونيسي.

[332←]

انظر:

Majalah Tempo, Dibelakang Punggung Verkuyl, 28/III/ 28 September, 1973.

[333←]
لمزيد التفصيل حول الأساليب الجديدة في التبشير، انظر: أبو هلال الأندونيسي، غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا، «جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط4، 1404هـ/1984م»، ص 88-89.

[334←]
لمزيد التفصيل، انظر: محمد البهي، الفكر الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، «القاهرة: مكتبة وهبة، 1982م».

[335←]
انظر:

Sinar Harapan, 18 March, 2003.

[336←]
انظر:

Tempo Interactive, 18 March, 2003.

[337←]
انظر:

Koran Tempo, 21 March, 2003.

[338←]
انظر:

Sinar Harapan, 25 April, 2003.

[339←]
منسق الشباب كان اسمه بيتر وور «Wuwur Dori Hendrikus Peter .E»، وهو من قرأ بيان الاحتجاجات، ثم بعث نسختين منها: واحدة إلى رئيس البرلمان، والأخرى إلى رئيسة الدولة آنذاك ميغواتي سوكارنو «Megawati». لمزيد التفصيل، انظر:

Sinar Harapan, 21 March, 2003.

[340←]
انظر:

Sinar Harapan, 17 May, 2003.

[341←]

انظر:

See Republika, 19 May, 2003.

[342←]

لمزيد التفصيل، انظر: عبدالرحيم أرشد، الإسلام والتبشير في إندونيسيا، «نكري سمبلان: جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، ط1، 1428هـ/2007م»، ص 266-287.

[343←]

زعيم أكبر جمعية يطلق عليها اسم نهضة العلماء المسلمين، ورئيس إندونيسيا في الفترة «1999-2001م».

[344←]

انظر:

Sinar Harapan, 24 March, 2003.

[345←]

انظر: أنيس مالك طه، «التصوف في إندونيسيا»، في : إندونيسيا: الإسلاميون-الشيعة-الصوفية، «دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط1، 2013م»، ص 172.

[346←]

طه، «الإسلام وتيار التغريب في إندونيسيا «1971-1991م»»، ص 42.

[347←]

انظر: قمر الدين هدايات «Hidayat Komaruddin» في حوار مع شبكة الإسلام الليبرالي في إندونيسيا، عام 1996م.

.«Jaringan Islam liberal», «Network of Liberal Islam»

[348←]

انظر:

Sinar Harapan, 17 March, 2003.

[349←]

انظر:

News Bulletin, Radio Nederland Wereldomroep Hilversum, 7 April, 2003.

[350←]

باللغة العربية يعني مختارات أساسية، وقد سبق الإشارة إليه. ونظرًا إلى أهميته طبع مرات عديدة؛ مرة أتى في كتاب واحد بالحجم الكبير، ثم قسِّم إلى جزءين في طبعة، وثلاثة أجزاء في طبعة أخرى، وذلك حسب طبيعة الموضوعات التي احتواها.

[351←]
لمزيد التفصيل، انظر:

M. Amien Rais, Natsir Pemikir-Negarawan, «Jakarta: Tempo Magazine, 21/ XXXVII, 14 April, 2008», pp.90-91.

[352←]
المرجع السابق.

[353←]
المرجع نفسه.

[354←]
نفسه.

[355←]
نفسه.

[356←]
نفسه.

[357←]
نفسه.

[358←]
نفسه.

[359←]
نفسه.

[360←]
نفسه.

[361←]
انظر:

See Aba, Cahaya Keluarga, «Jakarta: Tempo Magazine, 14-20 July, 2008», pp.106-107.

[362←]
المرجع السابق، ص 107.

[363←]
لمزيد التفصيل، انظر:

Anwar Ibrahim, Natsir: Politikus Intellektual, «Jakarta: Tempo Magazine, 20 July, .2008», p.98

[364←]
لقد أكَّد هذه الأقوال الأستاذ محمد نور مانوتي «Muhammad Nur Manuty» ، في مؤتمر حول دور محمد ناصر السياسي والفكري «100 tahun Bapak Mohammad Natsir: Pahlawan Nasional»، نظمته الكلية الجامعية الإسلامية سلانغور بماليزيا «Kolej University Islam Antarabangsa, Selangor-malaysia»، 10 يناير 2009م. انظر أيضًا:

M. Habib Chirzin, Pak Natsir: Peran dan pandangan Dunia International: In Lukman Hakiem «ed.», 100 Tahun Mohammad Natsir: Berdamai dengan Sejarah, p.371.

[365←]
انظر:

Anwar, Natsir: Politikus Intellektual, p.99.

[366←]
المرجع السابق، ص 99.

[367←]
اقترح أنور إبراهيم بأن يكون كتاب فقه الدعوة لمحمد ناصر مقررًا في منظمة الشباب الإسلامي الماليزي، كما اقترح فكرة إعادة كتابة فقه الدعوة باللغة الملايوية، مع الإبقاء على الكلمات العربية لإعطاء الكتاب بعدًا عربيًّا وإسلاميًّا حضاريين، بحيث يكون مؤثرًا في النشء الملايوي الإسلامي. لمزيد التفصيل، انظر:

Anwar, Natsir: Politikus Intellektual, p.99.

[368←]
بعض المصادر تقول: إن أنور إبراهيم هو من اقترح نقل محمد ناصر على حسابه الخاص إلى مستشفى يكون مجهَّزًا تجهيزًا طبيًّا عاليًا.

[369←]

جاءت كلمات التعزية على لسان نكاجيما «Nakajima» المبعوث الخاص من فوكودا، لتقديم العزاء لعائلة محمد ناصر بوفاته في المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية، يوم 10 فبراير 1993م. لمزيد التفصيل انظر:

Hakiem «ed.», Peimpin Pulan: Rekaman Peristiwa Wafatnya M. Natsir, pp.202-203.

[370←]

في يوم 8 فبراير 1993م بعث فوكودا رئيس وزراء اليابان الأسبق برقية تعزية لعائلة محمد ناصر. لمزيد التفصيل، انظر:

Pelita Daily Newspaper, 10 February, 1993.

[371←]

انظر: ناصر، إندونيسيا في مفترق الطرق.

Natsir, Indonesia di Persimpangan Jalan.

[372←]

انظر:

Beberapa Kenangan, «Jakarta: Tempo Magazine, 2008». Chris Siner key Timu, Natsir, Aspirasi Islam, dan Umat Katolik. In Hakiem «ed.», 100 Tahun Mohamamad Natsir: Berdamai dengan Sejarah, pp.70-71.

[373←]

المرجع السابق.

[374←]

انظر:

Taufiq Abdullah, Yang Terlupakan, yang Terpingirkan, «Jakarta: Tempo, 20/XXVII, 14 .«February, 1999

[375←]

انظر:

»Seraut Wajah Natsir, «Jakarta: Tempo, 2008

[376←]

المرجع السابق.

[377←]

انظر:

Gunakan Nurani, within Tempo Magazine 2008.

[378←]
لقد خطب محمد ناصر أمام أعضاء برلمان باكستان حول «مساهمة الإسلام في السلام العالمي»، وذلك بتاريخ 9 أبريل 1952م. لمزيد التفصيل، انظر: ناصر، الإسلام أساس الدولة.

Natsir, Islam Sebagai Dasar Negara, p.20.

[379←]
انظر:

Panji Islam, 19 December, 1950.

[380←]
انظر: ناصر، الدين والدولة من منظور إسلامي.

Natsir, Agama dan Negara Dalam Perspectif Islam, pp.134-135

[381←]
المرجع السابق، ص 134-135.

[382←]
انظر: ناصر، الإسلام أساس الدولة.

Natsir, Islam Sebagai Dasar Negara, pp.32-33.

[383←]
انظر:

Puar, Muhammad Natsir 70 tahun: Kenang-kenangan Kehidupan dan Perjuangan, pp.133-134.

[384←]
المرجع السابق، ص 134.

[385←]
انظر: المرجع السابق، ص 134.

[386←]
انظر:

Ismail, Bapak Mohammad Natsir: Penuntun Ummat Sepanjang Zaman, p.100.

[387←]
انظر:

Puar «ed.», Muhammad Natsir 70 Tahun: Kenang-kenangan Kehidupan dan Perjuangan, p.251-252.

[388←]
أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح وحد الشفرة، (رقم الحديث 1955).

[389←]
انظر:

Puar «ed.», Muhammad Natsir 70 Tahun: Kenang-kenanganKehidupan dan Perjuangan, p.261ww.

[390←]
المرجع السابق، ص 267.

[391←]
لمزيد التفصيل، انظر ما كتبه: محمد أمين في مقالته في مجلة الدعوة «Dakwah Majalah»، 1413هـ الموافق لـ 1993م.

[392←]
انظر: مجلة صوت المسجد «Masjid Suara» الصادرة عام 1993م.

[393←]
انظر: صحيفة بريتا بوانا «Buana Berita» الصادرة في 8 فبراير 1993م.

[394←]
انظر: صحيفة كومفاس «Kompas» الصادرة في 7 فبراير 1993م.

[395←]
انظر: مجلة «Masyarakat Panji» عدد 747، 1413هـ الموافق لـ فبراير 1993م.

[396←]
انظر: مجلة الدعوة الصادرة في مارس 1993م.